

السَّهْلُ لِتَأْوِيلِ النَّزِيلِ
وَالْعَسِيْرُ
لِتَفْسِيْرِهِ

جَمْعُ الدَّرَجَاتِ

فِي سُؤَالٍ وَجَوَابٍ

تَأَلَّفَ
أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَدَوِيِّ

مَكْتَبَةُ مَكَّةَ

التَّسْهِيلُ لِلتَّأْوِيلِ النَّزِيلِ

تَفْسِيرٌ

مَجْمَعُ الذَّرَايَا

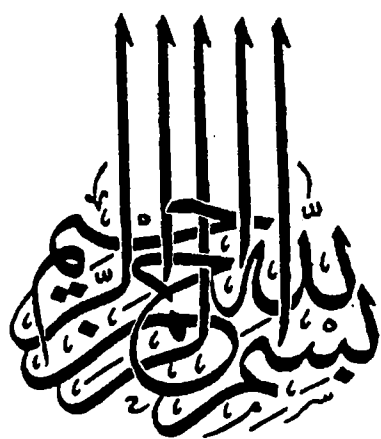
فِي سُؤَالٍ وَجَوَابٍ

تَأَلَّفَ

أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُصْطَفَى بْنُ الْعَدَوِيِّ

الناشر

مكتبة مكة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

(١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م)

رقم الإيداع

(١٩٨٤١ / ٢٠٠٦)

مكتبة مكة بطنطا

١٠ شارع طه الحكيم أمام استديو فينوس

ت: ٠٤٠٣٢٩٥٧٤٥ - جوال: ٠١٢٣٤٨٩٨٥٣

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد..

فهذا تفسير الجزء السابع والعشرون من كتاب الله عز وجل - ألا وهو جزء الذاريات - في صورة سؤال وجواب، ضمن سلسلة التفسير الموسومة بـ (التسهيل لتأويل التنزيل) والتي قد صدر منها - والله الحمد - إلى الآن سبعة عشر مجلدًا من سور متفرقة.

فأقدم - مستعينًا بالله عز وجل، مستهديًا إياه - هذا الجزء على غرار ما قد سبق، وقد تناولت فيه بعض المباحث بشيء من الاتساع.

من ذلك المباحث المتعلقة بالجنة والنار (في سورة الرحمن).

وكذا بعض المباحث الفقهية الأخرى، كمسألة مس المصحف لغير المتوضئ، ومس الجنب له، وذلك في سورة الواقعة.

وكذا ما يتعلق بالأعمال التي تنفع الميت ويصل ثوابها إليه، كما في سورة النجم.

إلى غير ذلك من الباحث الفقهية والعقائدية التي يجدها القارئ في ثنايا هذا الجزء.

أما عن سائر خطة العمل: فكما أسلفت فإنها المتبعة في تفسير السور التي صدرت من هذه السلسلة.

والله أسأل أن يتقبل مني هذا العمل بقبول حسن، وأن ينفعني به والإسلام

والمسلمين، كما أسأله سبحانه أن يوفقني لتفسير كتابه على الوجه الذي يرضى به عني، وأن يتجاوز عن خطئي وهفواتي وعمدي، وسري وجهري، وكل ذلك عندي، فأستغفر الله وأتوب إليه.

هذا، وما كان من صواب في هذا العمل فمن الله عز وجل وحده، فله النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن، وسبحانه لا علم لنا إلا ما علمنا، إنه هو العليم الحكيم.

وما كان من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان، وكان أمر الله قدرًا مقدورًا. هذا، ومن له نصح من إخواني أهل العلم وطلبته فجزاه الله خيرًا على تفضله بتوجيه النصح.

وصلِّ اللهم على نبينا محمد وسلم
والحمد لله رب العالمين

كتبه

أبو عبد الله

مصطفى بن العدوي

تفسير سورة الذاريات

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذُرَّوًا﴾ (١) فَالْحَمَلَاتِ وِقْرًا (٢) فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا (٣) فَالْمَقْسَمَاتِ أَمْرًا (٤) إِنَّمَا تُوْعَدُونَ لَصَادِقٌ (٥) وَإِنَّ الْدِّينَ لَوَقْعٌ (٦) وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الْحُبُكِ (٧) إِنَّكُمْ لَنفَى قَوْلٍ مُّخْلِيفٍ (٨) يُؤَفِّكُ عَنْهُ مَنَ أُنْفَكُ (٩) قُلْ الْخَرَصُونَ (١٠) الَّذِينَ هُمْ فِي عَمْرَقٍ سَاهُونَ (١١) يَسْتَلُونَ أَيَّانَ يَوْمِ الدِّينِ (١٢) يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفَنَّنُونَ (١٣) ذُوقُوا فَنَّتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿

اذكر معنى ما يلي:

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذُرَّوًا﴾ - فَالْحَمَلَاتِ وِقْرًا - فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا - فَالْمَقْسَمَاتِ أَمْرًا - إِنَّمَا تُوْعَدُونَ - لَصَادِقٌ - الْدِّينَ - لَوَقْعٌ - الْحُبُكِ - مُخْلِيفٍ - يُؤَفِّكُ عَنْهُ مَنَ أُنْفَكُ - قُلْ الْخَرَصُونَ - عَمْرَقٍ - سَاهُونَ - أَيَّانَ - يَوْمِ الدِّينِ - يُفَنَّنُونَ - ذُوقُوا فَنَّتَكُمْ ﴿

الكلمة	معناها
﴿وَالذَّارِيَاتِ﴾	الرياح ^(١) التي تذر التراب - أي تُهيجهُ وتُطَيِّره. أما الواو فهي واو القسم.
﴿ذُرَّوًا﴾	تهيجًا - تطييرًا - تذريةً.
﴿فَالْحَمَلَاتِ وِقْرًا﴾	السحب التي تتحمل وقرها من المطر أو السحب الممتلئة بالمياه. وقيل: الرياح الحاملة للسحب.

(١) وقد صح عن علي رضي الله عنه أنه قال هي الرياح، فعند الطبري (٣٢٠١٣) بسند صحيح عن أبي الطفيل قال: سمعت عليًا يقول: لا تسألوني عن كتاب نافق ولا عن سنة ماضية إلا حدثتكم، فسأله ابن الكواء عن الذاريات فقال: هي الرياح. ويشهد لقول علي رضي الله عنه ما ورد في الحديث: «اللهم رب الرياح وما ذرين...».

والوقر: ثقل الحمل على ظهر أو في بطن. والوقر أيضًا الحمل، وقد قيل في الحاملات وقراً قول آخر بعيد ههنا وهو الحاملات من النساء إذا أثقلن بالحمل.	
السفن ^(١)	﴿فَالْجَزَيْتِ﴾
سهلاً - يسيراً ^(٢) - جرياً ذا يسر. فالمراد بالجاريات يسراً: السفن التي تجري في البحر جرياً سهلاً يسيراً.	﴿يُسْرًا﴾
الملائكة التي تقسم أمر الله في خلقه ^(٣) .	﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا﴾
إن الذي يعدكم الله به.	﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾
لصدق - لكائن حق يقين - لمتحقق.	﴿لَصَادِقٌ﴾
الجزاء والحساب.	﴿الَّذِينَ﴾
لكائن	﴿لَوْعٍ﴾
الخلق الحسن - الطرائق - ذات الاستواء والحسن ^(٤) . البيان المتقن - التماسك الشديد ^(٥) - الزينة.	﴿الْحُبُكِ﴾
متخالف متناقض.	﴿تُخَلِّفِ﴾

(١) ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾.

(٢) وفي جريها يُسْرًا وجهان: أحدهما إلى حيث يسيرها الله تعالى من البلاد والبقاع، والثاني: هو سهولة تسيرها، قاله القرطبي.

(٣) صح ذلك عن علي رضي الله عنه (٣٢٠٢١).

(٤) ورد ذلك عن ابن عباس عند الطبري (٣٢٠٤٠)، (٣٢٠٤١)، وأخرج الطبري بسند صحيح عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: «إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمُ الْكَذَابَ الْمُضِلَّ، وَإِنْ رَأْسَهُ مِنْ وَرَائِهِ حُبُّكَ حُبُّكَ» يعني بالحُبِّ الجعودة.

(٥) ومنه هذا الشيء محبوك أي: مشدود بعضه إلى بعض.

﴿يُؤْفِكُ عَنْهُ مَنْ أُوْفِكَ﴾	يُصْرَفُ عَنْ هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ صُرْفٍ. يُضِلُّ عَنْهُ مَنْ ضَلَّ ^(١) . لَا يُؤْمِنُ بِهِ مَنْ قُدِّرَتْ عَلَيْهِ الشَّقَاوَةُ. وَيُضِلُّ بِسَبَبِهِ وَيُؤْفِكُ عَنْهُ مَنْ هُوَ مَأْفُوكٌ ضَالٌّ غُمْرٌ لَا فَهْمَ لَهُ.
﴿قُلْ﴾	لُعْنٌ - هَلَكٌ.
﴿الْخَرَّاصُونَ﴾ ^(٢)	الْمُتَكَهِّنُونَ - الْمُرْتَابُونَ - الْكَذَّابُونَ - الَّذِينَ يَتَكَلَّمُونَ كَذِبًا بِنَاءً عَلَى الظُّنُونِ الْبَاطِلَةِ (الَّذِينَ يَقُولُونَ: لَا نَبْعَثُ)، الْآخِذُونَ بِالتَّخْمِينِ مَعَ تَرْكِ الدَّلَائِلِ.
﴿غَمْرَةٍ﴾	مَا يَغْمُرُهُمْ مِنَ الضَّلَالِ - (أَيُّ أَنَّهُمْ مَغْمُورُونَ فِي الضَّلَالَةِ وَالْعَمَى الَّتِي غَمَرَتْهُمْ)، وَالْغَمْرَةُ تَطْلُقُ عَلَى مَا سَتَرَ الشَّيْءَ وِغَطَّاهُ، وَمِنْهُ نَهْرٌ غَمَرُ أَيُّ يَغْمُرُ مَنْ دَخَلَهُ.
﴿سَاهُونَ﴾	لَاهُونَ - غَافِلُونَ.
﴿أَيَّانَ﴾	مَتَى.
﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾	يَوْمَ الْمَجَازَاةِ وَالْحِسَابِ، وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ. (وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ) الْيَوْمِ الَّذِي يَدِينُ اللَّهُ فِيهِ الْعِبَادَ بِأَعْمَالِهِمْ.
﴿يَقْنُونُ﴾	يُعَذِّبُونَ بِالْإِحْرَاقِ بِالنَّارِ ^(٣) .
﴿ذُوقُوا فَنُتَكِّرْ﴾	ذُوقُوا عَذَابَكُمْ وَحَرِيقَكُمْ ^(٤) - ذُوقُوا جَزَاءَ تَكْذِيبِكُمْ.



(١) وهناك قول آخر وهو: يُصْرَفُ عَنْ هَذَا الْاِخْتِلَافِ مِنْ صُرْفٍ.

(٢) روي عن قتادة (٣٢٠٦٩) بإسناد حسن أنه قال: ﴿قتل الخراصون﴾ قال: أهل الظنون.

(قلت): ومن التخرص: قولهم إن محمداً شاعراً أو كاهن أو مجنون أو كذاب، ومن التخرص قولهم لا بعث ولا ثواب ولا عقاب.

(٣) ورد نحو ذلك عن عكرمة عند الطبري (٣٢٠٨٢).

(٤) روي ذلك عن قتادة عند الطبري (٣٢٠٩١، ٣٢٠٩٢) بإسناد حسن.

س: وضح - بصورةٍ مجملَةٍ - ما تضمنته هذه السورة المباركة «سورة الذاريات»؟

ج: افتتحت هذه السورة المباركة الكريمة بقسم من الله عز وجل، فقد أقسم الله عزَّ وجل فيها ببعض مخلوقاته العظيمة كالرياح والسحب المحملة بالماء والسفن الجارية بتيسير الله عز وجل لها، وكذا بالملائكة التي تقسم أمر الله في خلقه وتجري في الخلق ما قدره الله وقضاه، أقسم بكل ذلك على أن ما يعدنا الله به صدقٌ ومتحققٌ وأقسم بذلك أيضًا على أن البعث والحساب آتٍ وكائن لا محالة.

ثم أقسم الله عز وجل قسمًا آخر بالسماء ذات الحسن والاستواء وذات الطرائق، وذات التماسك الشديد على أن المشركين في قولٍ مختلف وآراء متعددة في شأن القرآن والنبي عليه الصلاة والسلام، يهتدي للحق في ذلك من هداه الله، ويُصرف عنه من صرفه الله.

ثم دعاءٌ باللعن على الكذابين الذين يتقولون بغير علم ويقذفون بالظنون ويصفون القرآن بغير أوصافه وكذا يصفون النبي ﷺ بغير أوصافه، ووعدٌ شديدٌ لهم على هذا التخرص والكذب.

ثم في المقابل بيان حال المتقين وأعمالهم لعل متأسياً أن يتأسى بهم وعاملاً أن يعمل بعملهم، وإرشادٌ وحثٌ على النظر في آيات الله وتدبرها، ثم يقسم الله عزَّ وجل على صدق نبيه محمد ﷺ وأن ما أخبر به صدق وحق.

ثم تذكير بقصة نبي الله إبراهيم عليه السلام مع الملائكة وما حوته تلك القصة من الآداب والبشارات، ثم ذكر طائفة من الأنبياء وأمهم المعاندين لهم وكيف كانت مصائرهم، ثم تذكير بعظيم المخلوقات كالسماء والأرض، ومنن الله على العباد في ذلك وحث على الرجوع إلى الله والفرار إليه والتحذير من الشرك وبيان أحوال المكذبين، وحث على التذكير وبيان الغاية التي من أجلها خُلِقَ بنو آدم، ألا وهي توحيد الله عزَّ

وجل وطاعته، وبيان غنى الله عز وجل عن عباده ثم تحذير وتهديد ووعد لأهل الكفر
المصرين على التمرد والعناد المنكرين للبعث والنشور، وأنه سيحل بهم من النكال
والعقاب مثل ما حل بأمثالهم. والله تعالى أعلم.



س: وضع المعنى الإجمالي لهذه الآيات: ﴿وَالذَّارِيَتِ ذَرَوَا ۝١﴾ فَالْحَمِلَتِ وَقْرًا ﴿١﴾
إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَوْفَعُ﴾؟

ج: هذا قَسَمٌ من الله تبارك وتعالى، فيقسم ربنا تبارك وتعالى بالذاريات وهي
الرياح وبالسحب، وبالسفن التي تمخر البحار، وبالملائكة التي تقسم الأرزاق بإذن
ربها، يُقسم ربنا سبحانه وتعالى بهذه المخلوقات العظيمة على أن البعث آتٍ وعلى أن
القرآن حق.

قال السعدي رحمه الله:

هذا قسم من الله الصادق في قوله، بهذه المخلوقات العظيمة التي جعل الله فيها
من المصالح والمنافع، ما جعل على أن وعده صدق، وأن الدين الذي هو يوم الجزاء
والمحاسبة على الأعمال، لواقع لا محالة، ماله من دافع.

فإذا أخبر به الصادق العظيم وأقسم عليه، وأقام الأدلة والبراهين عليه فلم
يكذب به المكذبون، ويعرض عن العمل له العاملون.

﴿وَالذَّارِيَتِ﴾ هي: الرياح التي تذرو، في هبوبها ﴿ذَرَوَا﴾ بلينها، ولطفها،
وقوتها، وإزعاجها.

﴿فَالْحَمِلَتِ وَقْرًا﴾ هي: السحاب، تحمل الماء الكثير، الذي ينفع الله به العباد
والبلاد.

﴿فَالْجَارِيَتِ يُسْرًا﴾ النجوم، التي تجري على وجه اليسر والسهولة، فتزين بها

السموات، ويُهتدى بها في ظلمات البر والبحر، وينتفع بالاعتبار بها.

﴿فَالْمُقْسِنَتِ أَمْرًا﴾ الملائكة التي تقسم الأمر وتدبره بإذن الله، فكل منهم، قد جعله الله على تدبير أمر من أمور الدنيا والآخرة، لا يتعدى ما حُدَّ له وَقُدِّرَ، وَرُسِمَ، ولا يُنقص منه.



س: لماذا أقسم الله بهذه المخلوقات؟

ج: أقسم الله بهذه المخلوقات لشرفها، ولما فيها من الدلالات على عظيم قدرته وعجيب صنعته، فالذي صرَّف الرياح وخلق الملائكة، وكلفها بالذي كلفها به قادرٌ على البعث.



س: أقسم الله تبارك وتعالى بالسماوات الحبك فأين جواب ذلك القسم؟

ج: جوابه في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَفِي قَوْلٍ مُّخَلَّفٍ﴾.



س: ما الحكمة في تكرير القسم في الآيات السابقة؟

ج: قال الرازي رحمه الله (تفسير الفخر الرازي):

قد ذكرنا الحكمة وهي في القسم من المسائل الشريفة والمطالب العظيمة في سورة والصفات، ونعيدها ههنا وفيها وجوه:

الأول: أن الكفار كانوا في بعض الأوقات يعترفون بكون النبي ﷺ غالبًا في إقامة الدليل وكانوا ينسبونه إلى المجادلة وإلى أنه عارف في نفسه بفساد ما يقوله، وأنه يغلبنا بقوة الجدل لا بصدق المقال، كما أن بعض الناس إذا أقام عليه الخصم الدليل ولم يبق له حجة، يقول: إنه غلبني لعلمه بطريق الجدل وعجزني عن ذلك، وهو في نفسه

يعلم أن الحق بيدي فلا يبقى للمتكلم المبرهن طريق غير اليمين، فيقول: والله إن الأمر كما أقول، ولا أجادلك بالباطل، وذلك لأنه لو سلك طريقاً آخر من ذكر دليل آخر، فإذا تم الدليل الآخر يقول الخصم فيه مثل ما قال في الأول: إن ذلك تقرير بقوة علم الجدل فلا يبقى إلا السكوت أو التمسك بالأيان وترك إقامة البرهان.

الثاني: هو أن العرب كانت تحترز عن الأيمان الكاذبة وتعتقد أنها تدع الديار بلاقع، ثم إن النبي ﷺ أكثر من الأيمان بكل شريف ولم يزد ذلك إلا رفعة وثباتاً، وكان يحصل لهم العلم بأنه لا يحلف بها كاذباً، وإلا لأصابه شؤم الأيمان ولنالته المكروه في بعض الأزمان.

الثالث: وهو أن الأيمان التي حلف الله تعالى بها كلها دلائل أخرجها في صورة الأيمان، مثاله قول القائل لمنعمه: وحق نعمك الكثيرة إني لا أزال أشكرك، فيذكر النعم وهي سبب مفيد لدوام الشكر، ويسلك مسلك القسم، كذلك هذه الأشياء كلها دليل على قدرة الله تعالى على الإعادة، فإن قيل: فلم أخرجها مخرج الأيمان؟ نقول: لأن المتكلم إذا شرع في أول كلامه بحلف يعلم السامع أنه يريد أن يتكلم بكلام عظيم فيصغي إليه أكثر من أن يصغي إليه حيث يعلم أن الكلام ليس بمعتبر، فبدأ بالحلف وأدرج الدليل في صورة اليمين حتى أقبل القوم على سماعه فخرج لهم البرهان المبين، والتبيان المتين في صورة اليمين، وقد استوفينا الكلام في سورة والصفات.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾؟

ج: في ذلك وجوه:

أحدها: ﴿إِنَّكُمْ﴾ أيها الناس مؤمنكم وكافركم مختلفون في هذا القرآن، فمنكم - وهم أهل الإيمان - من يصدق به، ومنكم - وهم أهل الكفر - من يكذب به.

الثاني: إنكم يا أهل الكفر مختلفون في هذا القرآن فمنكم من يقول: هو قول

شاعِر، ومنكم من يقول: إنه قولُ كاهنٍ، ومنكم من يقول إن هذا إلا سحرٌ يُؤثر، ومنكم من يقول: أساطير الأولين اكتتبها فهي تُملى عليه بكرةً وأصيلاً... إلى غير ذلك من الأقوال.

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَعَلَى قَوْلٍ مُّخْتَلَفٍ﴾ هذا جواب القسم الذي هو ﴿وَالسَّمَاءِ﴾ أي إنكم يا أهل مكة ﴿لَعَلَى قَوْلٍ مُّخْتَلَفٍ﴾ في محمد والقرآن فمن مصدق ومكذب.

وقيل: نزلت في المقتسمين.

وقيل: اختلافهم قولهم: ساحر، بل شاعر، بل افتراه بل هو مجنون، بل هو كاهن بل هو أساطير الأولين.

وقيل: اختلافهم أن منهم من نفى الحشر ومنهم من شك فيه.

وقيل: المراد عبدة الأوثان والأصنام يقرون بأن الله خالقهم ويعبدون غيره.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَعَلَى قَوْلٍ مُّخْتَلَفٍ﴾ وفي تفسيره أقوال مختلفة كلها محكمة:

الأول: إنكم لفي قول مختلف، في حق محمد ﷺ، تارة تقولون: إنه أمين، وأخرى: إنه كاذب، وتارة تنسبونه إلى الجنون، وتارة تقولون: إنه كاهن وشاعر وساحر، وهذا محتمل لكنه ضعيف، إذ لا حاجة إلى اليمين على هذا، لأنهم كانوا يقولون ذلك من غير إنكار حتى يؤكد بيمين.

الثاني: ﴿إِنَّكُمْ لَعَلَى قَوْلٍ مُّخْتَلَفٍ﴾ أي غير ثابتين على أمر، ومن لا يثبت على قول لا يكون متيقناً في اعتقاده فيكون كأنه قال تعالى: والسماء إنكم غير جازمين في اعتقادكم وإنما تظهرون الجزم لشدة عنادكم، وعلى هذا القول فيه فائدة وهي أنهم لما قالوا للنبي ﷺ: إنك تعلم أنك غير صادق في قولك، وإنما تجادل ونحن نعجز عن الجدل قال: ﴿وَالذَّارِبَتِ ذَرَوْا﴾ أي: إنك صادق ولست معانداً، ثم قال تعالى: بل أنتم والله جازمون بأنني صادق فعكس الأمر عليهم.

الثالث: إنكم لفي قول مختلف، أي متناقض، أما في الحشر فلا أنكم تقولون: لا حشر ولا حياة بعد الموت، ثم تقولون: إنا وجدنا آباءنا على أمة، فإذا كان لا حياة بعد الموت ولا شعور للميت: فماذا يصيب آباءكم إذا خالفتموهم؟ وإنما يصح هذا ممن يقولون بأن بعد الموت عذاباً فلو علمنا شيئاً يكرهه الميت بيدي فلا معنى لقولكم: إنا لا ننسب آباءنا بعد موتهم إلى الضلال، وكيف وأنتم تربطون الركائب على قبور الأكابر، وأما في التوحيد فتقولون: خالق السموات والأرض هو الله تعالى لا غيره، ثم تقولون: هو إله الآلهة وترجعون إلى الشرك، وأما في قول النبي ﷺ فتقولون: إنه مجنون، ثم تقولون له: إنك تغلبنا بقوة جدك، والمجنون كيف يقدر على الكلام المنتظم المعجز، إلى غير ذلك من الأمور المتناقضة.



س: هل من وجه للربط بين القسم بقوله: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ وقوله: ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾؟

ج: أشار بعض أهل العلم إلى مناسبة بينهما فقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ قسم بالسما ذات التماسك الشديد والتناسق البديع، والطرائق والممرات والمسارات التي ليس بينها اختلاف، يقسم ربنا بذلك على أن هؤلاء القوم مختلفون فيما بينهم؛ فخلق السماء متناسق رغم اتساعها وكبر حجمها وعظمتها، وأنتم يا أهل الكفر في اختلاف وشقاق.



س: المهتدي للإيمان والقرآن من هداة الله، والمنصرف من صرفه الله، دَلَّلَ على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

- قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣].

- وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَن أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ

بِالْمُهْتَدِينَ ﴿[القصص: ٥٦].

- وقوله تعالى: ﴿سَاصِرُفٌ عَنَّا إِنِّي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

- وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ١٢٧].



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿قَتَلَ الْخَرَّصُونَ﴾؟

ج: قال السعدي رحمه الله تعالى في تفسيره:

يقول تعالى: ﴿قَتَلَ الْخَرَّصُونَ﴾ أي: قاتل الله الذين كذبوا على الله، وجحدوا آياته، وخاضوا بالباطل، ليدحضوا به الحق، الذين يقولون على الله ما لا يعلمون.

قال صديق حسن خان في فتح البيان:

﴿قَتَلَ الْخَرَّصُونَ﴾ هذا دعاء عليهم، وحكى الواحدي عن المفسرين جميعاً: أن المعنى لعن الكذابين، والمراد بالكذابين أصحاب القول المختلف، وأصل هذا التركيب الوعد بالقتل: أجري مجرى اللعن، واستعمل بمعناه تشبيهاً للملعون. الذي يفوته كل خير وسعادة بالمقتول الذي تفوته الحياة، وكل نعمة، وقال ابن الأنباري: والقتل إذا أخبر به عن الله كان بمعنى اللعنة لأن من لعنه الله فهو بمنزلة المقتول الهالك. قال الفراء معنى قُتِلَ: لُعِنَ، وفي القاموس ما يقتضي أن قتل يأتي بمعنى لعن، ونصه: ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُهُ﴾ [عبس: ١٧] أي: لعن ﴿قَتَلَهُمُ اللَّهُ﴾ [المنافقون: ٤] أي لعنهم، والخراصون الكذابين، الذين يتخرصون فيما لا يعلمون، فيقولون: إن محمداً مجنون كذاب شاعر ساحر.

قال الزجاج: الخراصون هم الكذابين، والخرص حذر ما على النخل من الرطب تمراً والخراص الذي يخرصها، وليس هو المراد هنا، قال ابن عباس في الآية: لعن المرتابون، وعنه قال: هم الكهنة وقيل: هم المقتسمون الذين اقتسموا أعقاب مكة

ليصرفوا الناس عن الإسلام.



س: وضع المراد بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَقٍ سَاهُونَ﴾؟

ج: المراد، والله تعالى أعلم، الذين هم مغمورون في الضلالة غارقون فيها، ساهون ومتغافلون عن الحق الذي جاء به محمد ﷺ، قد هُوا عنه.

هذا، وقد أخرج الطبري^(١) بسند صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿فِي غَمْرٍ سَاهُونَ﴾ قال: ساهون عما أتاهم، وعما نزل عليهم، وعما أمرهم الله تبارك وتعالى، وقرأ قول الله جل ثناؤه: ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرٍ مِّنْ هَذَا﴾... الآية [المؤمنون: ٦٣]، وقال: ألا ترى الشيء إذا أخذته ثم غمرته في الماء.

وقال السعدي رحمه الله:

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرٍ﴾ أي: في لجة من الكفر، والجهل، والضلال ﴿سَاهُونَ﴾.



س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾؟

ج: المراد، والله تعالى أعلم، هذا العذاب الذي تعذبون وهذه النار التي تصلون هو الذي كنتم تنكرونه في دنياكم وتسالون ساخرين: متى هذا الوعد إن كنتم صادقين؟

وكما قال تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ [الحج: ٤٧].

هذا، وقوله تعالى: ﴿هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ أي يُقال لهم ذلك تقريعاً وتوبيخاً وتحقيراً وتصغيراً.



﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۖ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مِمَّا ءَاتَاهُمْ رَبُّهُمْ ءِيتُهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ۖ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۖ ﴿١٧﴾ وَيَبْتَغُونَ ۖ ﴿١٨﴾ وَفِي ءَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ۖ ﴿١٩﴾ وَفِي الْأَرْضِ ءَايَاتٌ لِّلْمُتَّقِينَ ۖ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ ءَفَلَا تَبْصُرُونَ ۖ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۖ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ۖ﴾

س: وضح معنى ما يلي:

﴿الْمُتَّقِينَ - جَنَّاتٍ - وَعُيُونٍ - ءَاخِذِينَ مِمَّا ءَاتَاهُمْ رَبُّهُمْ - يَهْجَعُونَ - وَيَبْتَغُونَ - وَفِي الْأَرْضِ - رِزْقُكُمْ - وَمَا تُوعَدُونَ - ءَفَلَا تَبْصُرُونَ - لِّلْمُتَّقِينَ ۖ﴾ .

ج:

الكلمة	معناها
﴿الْمُتَّقِينَ﴾	الذين اتقوا ربهم بطاعته واجتناب معاصيه.
﴿جَنَّاتٍ﴾	بساتين.
﴿وَعُيُونٍ﴾	عيون ماء.
﴿ءَاخِذِينَ مِمَّا ءَاتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾	قابلين ما رزقهم الله في الجنة، وما أعطاهم من الثواب وأنواع الكرامات وراضين به.

﴿يَهْجَعُونَ﴾	ينامون ^(١) ، والهجوم النوم ليلاً.
﴿وَبِالْأَسْحَارِ﴾	أواخر الليل.
﴿يَسْتَغْفِرُونَ﴾	يطلبون من الله المغفرة.
﴿لِلسَّائِلِ﴾	الذي يسأل الناس.
﴿وَوَالْمَحْرُومِ﴾	هو الذي حُرِمَ المال ثم للعلماء في تعيينه أقوال منها: الذي ليس له في الإسلام سهم. الذي ليس له سهم في الغنيمة. المتعفف الذي لا يسأل ربه ^(٢) . الذي ذهب ثمره وزرعه ^(٣) وماله.
﴿ءَايَتُ﴾	عبر وعظات - دلالات.
﴿لِلْمُؤَقِنِينَ﴾	أهل اليقين - الذين يوقنون بما أخبرهم به ربهم كأنهم يرونه رأي العين.



س: اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿ءَاخِذِينَ مَا آَنَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾^١
كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - أن هؤلاء المتقين كانوا في دنياهم عاملين بطاعة الله
آخذين ما أمروا به بجد واجتهاد مقيمين للفرائض ليسوا بمضيعين لها.
وذلك كما قال تعالى: ﴿خُذِ الزَّكَاةَ بِقُورَةٍ﴾ [مريم: ١٢] أي اقبله واعمل بها فيه

(١) والذي اختاره ابن جرير في (ما) أنها مصدرية وقوله: ﴿ما يهجعون﴾ أي هجوعهم أي نومهم كان قليلاً
بالليل، وثم قول آخر: أن ما نافية، والمعنى: كانوا قليلاً من الليل ما ينامون، قلماً يرقدون ليلة حتى
الصباح.

(٢) انظر الطبري رحمه الله (٤٥٩).

(٣) مستنده قول أصحاب الجنة الذين أقسموا ليعصر منها مصحين ﴿بل نحن محرومون﴾.

بجدّ واجتهادٍ، ومبادرة وامتنال.

أما قوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ أي كانوا أيضًا قبل أن تفرض عليهم الفرائض مطيعين لله محسنين في أفعالهم فاعلين النفل قبل الفرض.

هذا، وهناك قول آخر في تفسير قوله تعالى: ﴿ءَاخِذِينَ مَا ءَانْتَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ وهو أقوى من القول الأول، وأولى منه، ألا وهو أن قوله تعالى: ﴿ءَاخِذِينَ﴾ منصوب على الحال فالمعنى في جناتٍ وعيونٍ في حال أخذ ﴿مَا ءَانْتَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ أي ما أعطاهم ربهم من الكرامات في الجنات، فقوله تعالى: ﴿ءَاخِذِينَ مَا ءَانْتَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ أي قابلين ما تفضل به عليهم ربهم راضين به شاكرين له حامدين.

قال السعدي رحمه الله تعالى:

﴿ءَاخِذِينَ مَا ءَانْتَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ يحتمل أن المعنى أن أهل الجنة قد أعطاهم مولاهم جميع مناهم، من جميع أصناف النعيم، فأخذوا ذلك، راضين به، قد قَرَّتْ به أعينهم، وفرحت به نفوسهم، ولم يطلبوا منه بدلًا، ولا يبيغون عنه حولًا، وكلُّ قد ناله من النعيم، ما لا يطلب عليه المزيد، ويحتمل أن هذا وصف المتقين في الدنيا، وأنهم آخذون ما آتاهم الله، من الأوامر والنواهي، أي: قد تلقوها بالرحب، وانشرح الصدر، متقادين لما أمر الله به، بالامتنال على أكمل الوجوه، ولما نهى عنه، بالانزجار عنه الله، على أكمل وجه، فإن الذي أعطاهم الله من الأوامر والنواهي، هو أفضل العطايا، التي حقها، أن تتلقى بالشكر لله عليها، والانقياد.

والمعنى الأول، ألصق بسياق الكلام، لأنه ذكر وصفهم في الدنيا، وأعمالهم بقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ﴾ الوقت الذي وصلوا به إلى النعيم ﴿مُحْسِنِينَ﴾ وهذا شامل لإحسانهم بعبادة ربهم، أن يعبدوه كأنهم يرونه، فإن لم يكونوا يرونه، فإنه يراهم. وللإحسان إلى عباد الله ببذل النفع، والإحسان، من مال، أو علم، أو جاه أو نصيحة، أو أمر بمعروف، أو نهى عن منكر، أو غير ذلك من وجوه البر، وطرق الخيرات، حتى

إنه يدخل في ذلك، الإحسان بالقول، والكلام اللين والإحسان إلى الممالك، والبهايم المملوكة، وغير المملوكة، ومن أفضل أنواع الإحسان في عبادة الخالق، صلاة الليل، الدالة على الإخلاص، وتواطؤ القلب واللسان.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾؟

ج: صح^(١) عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أنه قال: يتيقظون يصلون ما بين هاتين الصلاتين ما بين المغرب والعشاء.

وصح عن مطرف أنه قال: قلَّ ليلة أتت عليهم إلا صلوا فيها، وفي رواية أخرى عنه: قلَّ ليلة تأتي عليهم لا يصلون فيها لله، إما من أولها، وإما من وسطها.

وصح عن الحسن أنه قال: كانوا لا ينامون منه إلا قليلاً. ونحوه صح عن الأحنف بن قيس.

وثمَّ أقوال أخر تدور في هذه المعاني:

قال الطبري رحمه الله:

وأولى الأقوال بالصحة في تأويل قوله: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ قول من قال: كانوا قليلاً من الليل هجوعهم، لأن الله تبارك وتعالى وصفهم بذلك مدحاً لهم، وأثنى عليهم به، فوصفهم بكثرة العمل، وسهر الليل، ومكابدته فيما يقربهم منه ويرضيه عنهم، أولى وأشبه من وصفهم من قلة العمل، وكثرة النوم، مع أن الذي اخترنا في ذلك هو أغلب المعاني على ظاهر التنزيل.

وقال ابن الجوزي في زاد المسير:

ثم ذكر إحسانهم فقال: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ والهُجُوع: النوم بالليل دون النهار. وفي (ما) قولان:

أحدهما: النفي. ثم في المعنى قولان: أحدهما: كانوا يسهرون قليلاً من الليل. قال أنس بن مالك، وأبو العالية: وهو ما بين المغرب والعشاء.

والثاني: كانوا ما ينامون قليلاً من الليل. واختار قومُ الوقف على قوله: ﴿قَلِيلًا﴾ على معنى: كانوا من الناس قليلاً، ثم ابتداءً فقال: ﴿مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ على معنى نفي النوم عنهم البتة، وهذا مذهب الضحاك، ومقاتل.

والقول الثاني: أن (ما) بمعنى الذي، فالمعنى: كانوا قليلاً من الليل الذي يهجعونه، وهذا مذهب الحسن، والأحنف بن قيس، والزهري. وعلى هذا يحتمل أن تكون (ما) زائدة.



س: اذكر بعض الوارد في فضل قيام الليل؟

ج: قد تقدم من ذلك شيءٌ كثير في تفسير سورة المزمل عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَرَأَى اللَّيْلَ إِذَا قَلِيلًا﴾ [المزمل: ٢]، وإضافة إلى ما هنالك فقد قال تعالى في شأن عباد الرحمن: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا﴾ [الفرقان: ٦٤]، وقال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] على قول لبعض المفسرين.

وقال ﷺ: «لا حسد إلا على اثنتين، رجل آتاه الله القرآن وقام به آتاء الليل...» الحديث^(١).

(١) أخرجه البخاري (٥٠٢٥)، ومسلم (٨١٥).

وقال ﷺ: «يا أهل القرآن أوتروا فإن الله وتر يحب الوتر»^(١).

وقال ﷺ في شأن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل»^(٢).

وقال ﷺ: «وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل»^(٣).

وثُمَّ أدلة أخرى تأتي في موطنها إن شاء الله.



س: اذكر بعض الوارد في فضل الاستغفار عند السحر؟

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَيَا لَأَسْحَارٍ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧]، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له»^(٤).



س: هل من رابط بين قوله تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾، وقوله:

﴿وَيَا لَأَسْحَارٍ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾؟

ج: ذكر البعض مناسبة لذلك حاصلها أنهم يقومون من الليل يصلون، ويستغفرون لتقصيرهم في هذا القيام، قالوا: وهذا شأن أهل الإيثار يعملون صالحًا ويسألون ربهم المغفرة والقبول.

(١) أخرجه أبو داود بسند صحيح (حديث ١٤١٦).

(٢) البخاري (١١٢١)، ومسلم (٢٤٧٩).

(٣) مسلم (١١٦٣).

(٤) البخاري (مع الفتح ١١ / ١٢٨)، ومسلم (مع النووي ٦ / ٣٦).

قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ ومع ذلك يقولان: ﴿رَبَّنَا نَقْبَلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

وقال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ ١٣٠ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا ١٣١ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣-٦٥].

قال الرازي رحمه الله تعالى:

قال تعالى: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ إشارة إلى أنهم كانوا يتهجّدون ويجتهدون ويريدون أن يكون عملهم أكثر من ذلك وأخلص منه ويستغفرون من التقصير وهذا سيرة الكريم يأتي بأبلغ وجوه الكرم ويستقله ويعتذر من التقصير، واللّثيم يأتي بالقليل ويستكثره ويمن به.

وفيه وجه آخر ألطف منه، وهو أنه تعالى لما بين أنهم يهجعون قليلاً، والهجوم مقتضى الطبع، قال: ﴿يَسْتَغْفِرُونَ﴾ أي من ذلك القدر من النوم القليل، وفيه لطيفة أخرى تنبيهاً في جواب سؤال، وهو أنه تعالى مدحهم بقلة الهجوم، ولم يمدحهم بكثرة السهر، وما قال: كانوا كثيراً من الليل ما يسهرون، فما الحكمة فيه، مع أن السهر هو الكلفة والاجتهاد لا الهجوم؟ نقول إشارة إلى أن نومهم عبادة، حيث مدحهم الله تعالى بكونهم هاجعين قليلاً، وذلك الهجوم أورثهم الاشتغال بعبادة أخرى، وهو الاستغفار في وجوه الأسحار، ومنعهم من الإعجاب بأنفسهم والاستكبار.



س: ما المراد بهذا الحق؟

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما: أنه الزكاة المفروضة.

الثاني: أنه حق آخر جعلوه على أنفسهم غير الزكاة.

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ مدح ثالث. قال محمد بن سيرين وقتادة: الحق هنا الزكاة المفروضة، وقيل: إنه حق سوى الزكاة يصل به رحماً، أو يقري به ضعفاً، أو يحمل به كلاً، أو يغني محروماً، وقاله ابن عباس؛ لأن السورة مكية وفرضت الزكاة بالمدينة، ابن العربي: والأقوى في هذه الآية أنها الزكاة؛ لقوله تعالى في سورة «المعارج»: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۖ (٢٥) لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [المعارج: ٢٥] والحق المعلوم هو الزكاة التي بيّن الشرع قدرها وجنسها ووقتها، فأما غيرها لمن يقول به فليس بمعلوم؛ لأنه غير مقدّر ولا مجنس ولا موقت.



س: ما مدى صحة هذا الحديث «للسائل حق وإن جاء على فرس»؟ ومن أخرجه؟

ج: هذا الحديث لا يثبت بوجه من الوجوه عن رسول الله ﷺ في كل الطرق التي وقفت عليها فكلها طرق ضعيفة الأسانيد وتالفة، وقد أخرج بعضها أبو داود^(١) في سننه، وأحمد^(٢) في مسنده وابن عدي في الكامل وغيرهم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُتَوَقِّينَ﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم، وفي الأرض عبرٌ وعظاٌ لأهل اليقين وأهل الإيقاظ وأهل الاعتبار، وذلك إذا ساروا في الأرض ونظروا نظر المتعبرين المتعظين.

(١) انظر سنن أبي داود (١٦٦٥، ١٦٦٦)،

(٢) وأحمد في المسند (١ / ٢٠١).

وكذا فيها دلالات على وحدانيتنا وقدرتنا، وعظمتنا يستدل بها أهل اليقين الذين يوقنون بحقيقة ما عاينوا ورأوا إذا هم ساروا فيها ومشوا في مناكبها.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾ أي: فيها من الآيات الدالة على عظمة خالقها وقدرته الباهرة، مما قد ذرأ فيها من صنوف النبات والحيوانات، والمهاد والجبال، والقفار والأنهار والبحار، واختلاف ألْسنة الناس وألوانهم، وما جبلوا عليه من الإرادات والقوى، وما بينهم من التفاوت في العقول والفهوم والحركات، والسعادة والشقاوة، وما في تركيبهم من الحكم في وضع كل عضو من أعضائهم في المحل الذي هو محتاج إليه فيه، ولهذا قال: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾. قال قتادة: من تفكر في خلق نفسه عَرَفَ أنه إنما خلق ولينت مفاصله للعبادة.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾ ١! ذكر أمر الفريقين بين أن في الأرض علامات تدل على قدرته على البعث والنشور؛ فمنها عود النبات بعد أن صار هشيماً، ومنها أنه قَدَّرَ الأقوات فيها قواماً للحيوانات، ومنها سيرهم في البلدان التي يشاهدون فيها آثار الهلاك النازل بالأُمم المكذَّبة، والموقنون هم العارفون المحققون وحدانية ربهم، وصدق نبوة نبيهم؛ خصهم بالذكر لأنهم المتفجعون بتلك الآيات وتدبرها.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾؟

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وفي أنفسكم أيها الناس عبرٌ وعِظَاتٌ ودلالاتٌ على قدرتنا ووحدانيتنا وعظمتنا ومن هذه العبر والعظات ما يراه الشخص في نفسه عند إرادته أن يبول.

وإذا نظر كذلك إلى خروج المني، وكذلك إذا انظر إلى عضلات التحكم في نفسه، وكيف يبزق وكيف يمتخط وكيف العطاس، وكذا إذا نظر إلى تراكيب جسمه، وإلى لونه وكيف يختلف فيه عن سائر الناس، وإلى بصماته، وإلى المحبة المقذوفة في قلبه لأشخاص، وإلى بعض أشخاص آخرين وإلى عقله وكيف يفكر، وكذا إلى نومه واستيقاظه، وقيامه وقعوده، وعموم أحواله، إذا نظر إلى ذلك كله يوجد في ذلك عبرٌ وعظمتٌ، ودلالات على وحدانية الله عز وجل.

هذا، وقد صح عن ابن زيد في قوله تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾، وقرأ قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ [الروم: ٢٠] قال: وفيها آيات كثيرة، هذا السمع والبصر واللسان والقلب، لا يدري أحد ما هو أسود أو أحر، وهذا الكلام الذي يتلجلج به، وهذا القلب أي شيء هو، إنما هو مضغة في جوفه، يجعل الله فيه العقل، أفيدري أحد ما ذاك العقل، وما صفته، وكيف هو؟

قال الطبري^(١) رحمه الله:

والصواب من القول في ذلك أن يقال: معنى ذلك: وفي أنفسكم أيضًا أيها الناس آيات وعبر تدلُّكم على وحدانية صانعكم، وأنه لا إله لكم سواه، إذ كان لا شيء يقدر على أن يخلق مثل خلقه إياكم ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ يقول: أفلا تنظرون في ذلك فتتفكروا فيه، فتعلموا حقيقة وحدانية خالقكم.

قال صديق حسن خان في فتح البيان:

﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ﴾ في حال ابتدائها وتنقلها من حال إلى حال، آيات تدل على توحيد الله وصدق ما جاءت به الرسل، فإنه خلقهم نطفة، ثم علقه، ثم مضغة، ثم عظمًا، إلى أن ينفخ فيهم الروح، ثم تختلف بعد ذلك صورهم، وألوانهم، وطبائعهم، وألستهم، ثم نفس خلقهم على هذه الصورة العجيبة الشأن من لحم ودم وعظم وأعضاء وحواس

ومجاري ومنافس، وفي بواطنها وظواهرها من عجائب الفطرة وبدائع الخلق ما تتحير فيه الأذهان، وحسبك بالقلوب وما ركز فيها من العقول، وبالألسن والنطق ومخارج الحروف، وما في تركيبها وترتيبها ولطائفها من الآيات الساطعة والبيئات القاطعة على حكمة مدبرها وصانعها، دع الأسماع والأبصار، والأطراف، وسائر الجوارح، وتأنيها لما خلقت له، وما سوى ذلك في الأعضاء من المفاصل للانعطاف والثني، فإنه إذا جسا منها شيء جاء العجز، وإذا استرخى أناخ الذل ﴿قَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤].

وقيل: يريد اختلاف الألسن والصور والألوان والطبائع، وقيل يريد سبيلي الغائط والبول، يأكل ويشرب، من مدخل واحد، ويخرج من سبيلين، وقيل: المراد بالأنفس الأرواح، أي: وفي نفوسكم التي بها حياتكم آيات، ولا وجه لتخصيص شيء دون شيء، بل اللفظ أوسع من ذلك.

﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ أي: تنظرون بعين البصيرة والعبرة الأرض وما فيها، والأنفس وما فيها، فتستدلون بذلك على الخالق الرازق المنفرد بالألوهية، وأنه لا شريك له ولا ضد، ولا ند، وأن وعده الحق، وقوله الحق، وأن ما جاءت إليكم به رسله هو الحق الذي لا شك فيه، ولا شبهة تعتريه.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ قيل: التقدير وفي الأرض وفي أنفسكم آيات للموقنين، وقال قتادة: المعنى: من سار في الأرض رأى آياتٍ وعبراً، ومن تفكر في نفسه علم أنه خلق ليعبد الله.

ابن الزبير ومجاهد: المراد سبيل الخلاء والبول، وقال السائب بن شريك: يأكل ويشرب من مكان واحد ويخرج من مكانين؛ ولو شرب لبناً محضاً لخرج منه الماء ومنه الغائط؛ فتلك الآية في النفس، وقال ابن زيد: المعنى أنه خلقكم من تراب، وجعل لكم

السمع والأبصار والأفئدة: ﴿ثُمَّ إِذَا أَنْشُرْ بَشَرٌ نَنْشُرُهُمْ﴾ [الروم: ٢٠].

السدي: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ﴾ أي في حياتكم وموتكم، وفيما يدخل ويخرج من طعامكم. الحسن: وفي الهرم بعد الشباب، والضعف بعد القوة، والشيب بعد السواد.

وقيل: المعنى وفي خلق أنفسكم من نطفة وعلقة ومضغة ولحم وعظم إلى نفخ الروح، وفي اختلاف الألسنة والألوان والصُّور، إلى غير ذلك من الآيات الباطنة والظاهرة، وحسبك بالقلوب وما ركز فيها من العقول، وما خصّت به من أنواع المعاني والفنون، وبالألسن والنطق ومخارج الحروف والأبصار والأطراف وسائر الجوارح، وتأتيها لما خلقت له، وما سَوَّى في الأعضاء من المفاصل للانعطاف والثني، وأنه إذا جسا شيء منها جاء العجز، وإذا استرخى أناخ الذل: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]. ﴿أَفَلَا يَبْصُرُونَ﴾ يعني بصر القلب ليعرفوا كمال قدرته.

وقيل: إنه تُجَحُّ العاجز، وحرمان الحازم.

قلت: كل ما ذكر مراد في الاعتبار، وقد قدّمنا في آية التوحيد من سورة «البقرة» أن ما في بدن الإنسان الذي هو العالم الصغير شيء إلا وله نظير في العالم الكبير، وذكرنا هناك من الاعتبار ما يكفي ويغني لمن تدبر.



س: ما المراد بالرزق في قوله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾؟

ج: قال عدد من العلماء: المراد بالرزق هنا المطر والثلج اللذان بهما تخرج الأرض ثمرتها وتخرج للناس رزقهم وقوتهم من الطعام.

وقال آخرون: المراد بقوله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ أي: ومن عند الله الذي في السماء رزقكم.

ونقل^(١) هذا التأويل عن واصل الأحذب.

(١) وهو عند الطبري (٣٢١٨٦) بسند فيه ابن حميد وفي ابن حميد ضعف.

وَتَمَّ وجه آخر: ألا وهو أن الرزق مكتوب عند الله عز وجل وقد استفاض في ذلك القرطبي فقال: قوله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ قال سعيد بن جبير والضحاك: الرزق هنا ما ينزل من السماء من مطر وثلج ينبت به الزرع ويحيا به الخلق.

قال سعيد بن جبير: كل عين قائمة فإنها من الثلج، وعن الحسن أنه كان إذا رأى السحاب قال لأصحابه: فيه والله رزقكم ولكنكم تُحَرِّمُونَهُ بِخَطَايِكُمْ.

وقال أهل المعاني: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ معناه وفي المطر رزقكم؛ سمي المطر سماء لأنه من السماء ينزل. قال الشاعر:

إِذَا سَقَطَ السَّمَاءُ بِأَرْضٍ قَوْمٌ رَعِينَاهُ وَإِنْ كَانُوا غَضَابًا

وقال ابن كيسان: يعني وعلى رب السماء رزقكم؛ نظيره: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]. وقال سفيان الثوري: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ أي عند الله في السماء رزقكم.

وقيل: المعنى وفي السماء تقدير رزقكم، وما فيه لكم مكتوب في أم الكتاب. وعن سفيان قال: قرأ واصل الأحذب ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ فقال: ألا أرى رزقي في السماء وأنا أطلبه في الأرض! فدخل خربة فمكث ثلاثاً لا يصيب شيئاً فإذا هو في الثالثة بدوخله رطب، وكان له أخ أحسن نية منه فدخل معه فصارتا دوخلتين، فلم يزل ذلك دأبهما حتى فرّق الله بالموت بينهما، وقرأ ابن محيصن ومجاهد ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ بالألف وكذلك في آخرها ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾. ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ قال مجاهد: يعني من خير وشر. وقال غيره: من خير خاصة.

وقيل: الشر خاصة، وقيل: الجنة؛ عن سفيان بن عيينة. الضحاك: ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ من الجنة والنار. وقال ابن سيرين: ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ من أمر الساعة، وقاله الربيع.



س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - وفي السماء الذي توعدون به.

قال بعض العلماء: ما توعدون به من خير، وهو الجنة، فالجنة في السماء.

وقال غيرهم: وما توعدون به من خير أو شر.

وقال آخرون: وما توعدون من الجنة والنار.

والذي يظهر أن النار ليست في السماء إنما هي في سبع أرضين.

إلا أن الطبري ذهب إلى ما روي عن مجاهد من أن قوله: ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ قال: وما

توعدون من خير أو شر فقال الطبري: وأولى القولين بالصواب في ذلك عندي القول

الذي قاله مجاهد لأن الله عمّ الخبر بقوله: ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ عن كل ما وعدنا من خير أو شر،

ولم يخص بذلك بعضاً دون بعض فهو على عمومته كما عمه الله جل ثناؤه.

قال ابن الجوزي رحمه الله (زاد المسير):

وفي قوله: ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ قولان:

أحدهما: أنه الخير والشر كلاهما يأتي من السماء، قاله أبو صالح عن ابن عباس،

وابن أبي نجيح عن مجاهد.

والثاني: الجنة، رواه ليث عن مجاهد^(١). قال أبو عبيدة: في هذه الآية مضمّر

مجاهزه: عند مَنْ في السماء رزقكم، وعنده ما توعدون، والعرب تُضمّر، قال نابغة ذبيان:

كَأَنَّكَ مِنْ جِمالِ بَنِي أَقْيَشٍ يُقَفِّعُ خَلْفَ رِجْلَيْهِ بِشَنٍّ

أراد: كأنك جملٌ من جمال بني أقيش.



(١) ليث هو ابن أبي سليم ضعيف لاختلاطه، وكذا الأسانيد التي قبله أبو صالح عن ابن عباس، وابن أبي

نجيح عن مجاهد فيها كلام.

س: أين الجنة؟ وما الدليل؟

ج: الجنة فوق السماء السابعة؛ قال الله تعالى: ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴿١١﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴿١٢﴾﴾ [النجم: ١٤-١٥] وسدرة المنتهى رآها النبي ﷺ بعد أن تجاوز السماء السابعة^(١).
ويستدل على أن الجنة في السماء بقوله أيضاً: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿١٣﴾﴾.



س: أقسم ربنا سبحانه وتعالى بنفسه في عدة مواطن من كتابه، اذكر بعضها^(٢)؟

ج: من ذلك قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الحجر: ٩٢-٩٣]، وقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: ٦٥]، وقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴿١٥﴾﴾ [الشمس: ٥] أي والذي بناها، وقوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلَ مَا أَنْتُمْ نَظِفُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الذاريات: ٢٣].



س: قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَحَقُّ﴾ عائدٌ على ماذا؟

ج: ذلك - والله أعلم - عائدٌ على ما أخبر الله به من أن رزقنا في السماء، وكذلك في السماء ما نؤعد.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿مِثْلَ مَا أَنْتُمْ نَظِفُونَ﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، تأكدوا أن ما أخبركم به حق كما أنكم متأكدون إذا

(١) وسيأتي إن شاء الله تخريج الحديث بذلك في سورة النجم.

(٢) ورد في هذا الصدد خبرٌ مرسل (ضعيف السند لإرساله) عن الحسن البصري قال: بلغني أن رسول الله ﷺ قال: «قاتل الله أقواماً أقسم لهم ربهم ثم لم يصدقوا» أخرجه الطبري وغيره ومراسيل الحسن من أضعف المراسيل وإن كان المتن في نفسه يصح، والله أعلم.

تكلّمتم أنكم تتكلّمون فإنكم إذا تكلّمتم بألسنتكم خرج الكلام عن حدّ الهواجس والوساوس التي في النفس إلى شيء واضح ظاهر جلي.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلِ مَا أَنْتُمْ نَاطِقُونَ﴾ يقسم تعالى بنفسه الكريمة أن ما وعدهم به من أمر القيامة والبعث والجزاء، كائن لا محالة، وهو حق لا مرية فيه، فلا تشكوا فيه كما لا تشكوا في نطقكم حين تنطقون، وكان معاذ - رضي الله عنه - إذا حَدَّثَ بالشَّيء يقول لصاحبه: إن هذا الحق كما أنك ههنا.

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ﴾ أكّد ما أخبرهم به من البعث وما خلق في السماء من الرزق، وأقسم عليه بأنه لحقّ ثم أكّده بقوله: ﴿مِثْلِ مَا أَنْتُمْ نَاطِقُونَ﴾ وخصّ النطق من بين سائر الحواس؛ لأن ما سواه من الحواس يدخله التشبيه، كالذي يُرى في المرأة، واستحالة الذوق عند غلبة الصفراء ونحوها، والدويّ والطين في الأذن، والنطق سالم من ذلك، ولا يُعترض بالصدى لأنه لا يكون إلا بعد حصول الكلام من الناطق غير مشوب بما يشكّل به، وقال بعض الحكماء: كما أن كل إنسان ينطق بنفسه ولا يمكنه أن ينطق بلسان غيره، فكذلك كل إنسان يأكل رزقه ولا يمكنه أن يأكل رزق غيره.



﴿ هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثٌ ضَافٍ لِّإِذْ هَبَّتْ الْفُكْرُومُ ﴾ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ
 سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (٢٥) فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا
 تَأْكُلُونَ (٢٧) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحْزَنْ وَبَشِّرْهُ بِعِلْمٍ عَلِيمٍ (٢٨) فَأَقْبَلَتْ
 أَمْرَاتُهُ فِي صَرْفٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (٢٩) قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ
 هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (٣٠) قَالَ فَاخْطُبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٣١) قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمٍ
 مُّجْرِمِينَ (٣٢) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَابَةً مِّنْ طِينٍ (٣٣) مُّسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ (٣٤) فَأَخْرَجْنَا
 مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٣٥) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَنٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٦) وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً
 لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿

س: اذكر معنى ما يلي.

﴿ هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثٌ ضَافٍ لِّإِذْ هَبَّتْ الْفُكْرُومُ ﴾ - سَلَامٌ - قَوْمٌ مُنْكَرُونَ - فَرَاغَ - بِعِجْلٍ -
 فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً - عَلِيمٍ - فِي صَرْفٍ - فَصَكَّتْ - عَقِيمٌ - فَاخْطُبُكُمْ - لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ - مُّسَوِّمَةً
 - لِلْمُسْرِفِينَ - آيَةً ﴿

ج:

الكلمة	معناها
﴿ هَلْ أُنَبِّئُكَ ﴾	ألم يأتك - قد أتاك.
﴿ حَدِيثٌ ﴾	قصة - خبر.
﴿ ضَافٍ ﴾	ضيوف - أضياف.

﴿الْمُكَرِّمِينَ﴾	الذين أكرموا (أكرمهم إبراهيم عليه السلام وأكرمهم زوجته) - والمكرمين عند الله - بدليل قوله تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦].
﴿سَلَامٌ﴾	سلام عليكم.
﴿قَوْمٌ مُّكْرُونَ﴾	قوم غير معروفين لدينا - قوم غرباء لا نعرفهم.
﴿فَرَّغَ﴾	عدل إلى أهله - رجع إلى أهله (في خفاء وسرعة) ^(١) . قال بعض العلماء: ولا يكون الرواغ إلا أن تخفي ذهابك ومجيئك.
﴿وَبِعَجَلٍ﴾	عجلٌ من البقر ^(٢) .
﴿فَأَوْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾	أحس في نفسه خوفاً منهم ^(٣) - أضمر خوفاً في نفسه.
﴿عَلِيمٍ﴾	عالم (إذا كبر) ذي علم كثير ^(٤) .
﴿فِي صَرَفٍ﴾	في صيحة - رنة ^(٥) .
﴿فَضَكَّتْ﴾	ضربت جبهتها بيدها تعجباً - لطمت.
﴿عَفِيمٍ﴾	لا تلد - ليس لها ولد.
﴿فَأَخَاطَبَكُمْ﴾	فما شأنكم.
﴿لِنُزِّلَ عَلَيْهِمْ﴾	لننزل عليهم - لنرجمهم.

(١) قال القرطبي رحمه الله: ويُقال: إن إبراهيم انطلق إلى منزله كالمستخفي من ضيفه لثلا يظهروا على ما يريد أن يتخذ لهم من الطعام.

(٢) أورد الطبري (٣٢١٩٣) بإسناد حسن عن قتادة قال: كان عامة مال نبي الله إبراهيم البقر.

(٣) قال بعض العلماء: ومن أخلاق الناس أنهم إذا أكلوا عند قوم أمنوه، ولم يخشوه.

(٤) روى ذلك الطبري (٣٢١٩٨) بإسناد حسن عن قتادة. وقد قيل إن هذه الصرخة هي قولها: ﴿يَا

ويلتنا﴾، والله أعلم.

(٥) ومنه صرير الباب أي صوته.

﴿مُسَوِّمَةٌ﴾	مُعَلِّمَةٌ - مَحْتُومَةٌ، (قيل: حجر أبيض فيه نقطة سوداء، أو حجر أسود فيه نقطة بيضاء)، وقيل: إن كل حجر عليه اسم صاحبه.
﴿لِلْمُسْرِفِينَ﴾	الذين تعدوا حدود الله - الكافرين - وقيل: ﴿لِلْمُسْرِفِينَ﴾ المتهادين في الضلال المجاوزين الحد في الفجور بإتيانهم الذكور.
﴿آيَةٌ﴾	عبرة



س: ما الفائدة من إخبار الله عزَّ وجلَّ نبيه محمدًا ﷺ بقصة ضيف إبراهيم وما بعدها من القصص؟

ج: الفائدة من ذلك - والله أعلم - تصوير النبي ﷺ على الأذى الذي يلاقه من قومه فالله ناصره كما أنه سبحانه وتعالى نصر من كان قبله من الأنبياء والمرسلين. وكذا من الفوائد تذكير قومه المكذبين له بما حلَّ بمن كذب المرسلين حتى يراجعوا أمرهم ويرجعوا عن غيِّهم وضلالهم. فضلاً عن ذلك كله فثمَّ فوائد متناثرة بين ثنايا هذه القصص المباركة المذكورة، والله تعالى أعلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ، يخبره أنه محل بمن تمادى في غيه، وأصرَّ على كفره، فلم يتب منه من كفار قومه، ما أحلَّ بمن قبله من الأمم الخالية، ومذكراً قومه من قریش بإخباره إياهم أخبارهم وقصصهم، وما فعل بهم: هل أتاكَ يا محمد حديث ضيف إبراهيم خليل الرحمن المكرمين.



س: هل يجوز أن تتمثل الملائكة في صورة بشرٍ ويراهما البشر؟

ج: نعم هذا جائز ووارد، فقد تمثلت الملائكة لإبراهيم عليه السلام في صورة بشر، وكذا تمثلت للوط عليه السلام، وكذا تمثل جبريل عليه السلام لمريم بشرًا سويًا وكذا في حديث الأبرص والأقرع والأعمى من بني إسرائيل أتاهم ملك في صورة رجل.

وكذا حديث عمر عند مسلم في قصة مجيء جبريل إلى النبي ﷺ وسؤاله عن الإسلام والإيمان والإحسان في صورة رجلٍ شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منهم أحد... إلى غير ذلك من الوقائع.



س: وضح المراد بقوله: ﴿سَلَّمَ﴾؟

ج: المراد قال إبراهيم عليه السلام لهم: سلام عليكم.



س: لماذا لم يرد إبراهيم بقوله: ﴿سَلَّمَ﴾ كما بدأت الملائكة؟

ج: قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿فَقَالُوا سَلَّمَ قَالَ سَلَّمَ﴾ الرفع أقوى وأثبت من النصب فردّه أفضل من التسليم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِحِجَّةٍ فَحَيَّوْا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوْهَا﴾ [النساء: ٨٦] فالخليل اختار الأفضل.

أما الرازي فقد فصلّ في ذلك تفصيلاً واسعاً على عادته في مثل هذه المواطن

فقال:

لماذا اختلف إعراب السلامين في القراءة المشهورة؟ نقول: نبين أولاً وجوه

النصب والرفع، ثم نبين وجوه الاختلاف في الإعراب، أما النصب فيحتمل وجوهاً:
أحدها: أن يكون المراد من السلام هو التحية وهو المشهور، ونصبه حينئذ على
المصدر تقديره نسلم سلاماً.

ثانيها: هو أن يكون السلام نوعاً من أنواع الكلام وهو كلام سلم به المتكلم من
أن يلغو أو يأثم فكأنهم لما دخلوا عليه فقالوا حسناً سلموا من الإثم، وحينئذ يكون
مفعولاً للقول لأن مفعول القول هو الكلام يقال: قال فلان كلاماً، ولا يكون هذا من
باب ضربه سوطاً لأن المضروب هناك ليس هو السوط، وههنا القول هو الكلام فسر
قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣]، وقوله تعالى: ﴿قِيلَ
سَلَامًا سَلَامًا﴾.

ثالثها: أن يكون مفعول فعل محذوف تقديره نبلك سلاماً، لا يقال على هذا إن
المراد لو كان ذلك لعلم كونهم رسل الله عند السلام فما كان يقول: ﴿قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾
ولا كان يقرب إليهم الطعام، ولما قال: نكرهم وأوجس لأننا نقول: جاز أن يقال: إنهم
قالوا: نبلك سلاماً ولم يقولوا من الله تعالى إلى أن سألهم إبراهيم عليه السلام ممن
تبلغون لي السلام، وذلك لأن الحكيم لا يأتي بالأمر العظيم إلا بالتدريج فلما كانت
هيبتهم عظيمة، فلو ضموا إليه الأمر العظيم الذي هو السلام من الله تعالى لانزعج
إبراهيم عليه السلام، ثم إن إبراهيم عليه السلام اشتغل بإكرامهم عن سؤالهم وأخر
السؤال إلى حين الفراغ فنكرهم بين السلام والسؤال عمن منه السلام هذا وجه
النصب، وأما الرفع فنقول: يحتمل أن المراد منه السلام الذي هو التحية وهو المشهور
أيضاً، وحينئذ يكون مبتدأ خبره محذوف تقديره سلام عليكم، وكون المبتدأ نكرة يحتمل
في قول القائل سلام عليكم وويل له، أو خبر مبتدأ محذوف تقديره قال: جوابه سلام،
ويحتمل أن يكون المراد قولاً يسلم به أو ينبئ عن السلامة فيكون خبر مبتدأ محذوف
تقديره أمري سلام بمعنى مسالة لا تعلق بيني وبينكم لأنني لا أعرفكم، أو يكون المبتدأ

قولكم، وتقديره: قولكم سلام ينبئ عن السلامة وأنتم قوم منكرون فما خطبكم فإن الأمر أشكل علي، وهذا ما يحتمل أن يقال في النصب والرفع، وأما الفرق فنقول: أما على التفسير المشهور وهو أن السلام في الموضوعين بمعنى التحية فنقول: الفرق بينهما من حيث اللفظ ومن حيث المعنى.

أما من حيث اللفظ: فنقول سلام عليك إنما جُوز واستُحسن لكونه مبتدأ وهو نكرة، من حيث إنه كالمتروك على أصله؛ لأن الأصل أن يكون منصوبًا على تقدير أسلم سلامًا وعليك يكون لبيان من أريد بالسلام، ولا يكون لعليك حظ من المعنى غير ذلك البيان. فيكون كالخارج عن الكلام، والكلام التام أسلم سلامًا، كما أنك تقول: ضربت زيدًا على السطح يكون على السطح خارجًا عن الفعل والفاعل والمفعول لبيان مجرد الظرفية، فإذا كان الأمر كذلك وكان السلام والأدعية كثير الوقوع، قالوا: نعدل عن الجملة الفعلية إلى الإسمية ونجعل لعليك حظًا في الكلام، فنقول: سلام عليك، فتصير عليك لفائدة لا بد منها، وهي الخبرية، ويترك السلام نكرة كما كان حال النصب، إذا علم هذا فالنصب أصل والرفع مأخوذ منه، والأصل مقدم على المأخوذ منه، فقال: ﴿فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَّمَ﴾ قدم الأصل على المتفرع منه.

وأما من حيث المعنى: فذلك لأن إبراهيم عليه السلام أراد أن يرد عليهم بالأحسن، فأتى بالجملة الإسمية فإنها أدل على الدوام والاستمرار، فإن قولنا جلس زيد لا ينبئ عنه لأن الفعل لا بد فيه من الإنباء عن التجدد والحدوث.

ولهذا لو قلت: الله موجود الآن لأثبت العقل الدوام إذ لا ينبئ عن التجدد، ولو قال قائل: وجد الله الآن لكاد ينكره العاقل لما بينا فلما قالوا: سلامًا قال: سلام عليكم مستمر دائم، وأما على قولنا المراد القول ذو السلامة فظاهر الفرق، فإنهم قالوا قولًا ذا سلام، وقال لهم إبراهيم عليه السلام: ﴿سَلَّمَ﴾ أي قولكم ذو سلام وأنتم قوم منكرون فالتبس الأمر علي، وإن قلنا المراد أمر مسالمة ومتاركة وهم سلموا عليه تسليمًا، فنقول

فيه جمع بين أمرين: تعظيم جانب الله، ورعاية قلب عباد الله، فإنه لو قال: سلام عليكم وهو لم يعلم كونهم من عباد الله الصالحين كان يجوز أن يكونوا على غير ذلك، فيكون الرسول قد أمنهم، فإن السلام أمان وأمان الرسول أمان المرسل فيكون فاعلاً للأمر من غير إذن الله نيابة عن الله فقال: أنتم سلمتم علي وأنا متوقف أمري متاركة لا تعلق بيننا إلى أن يتبين الحال .

ويدل على هذا هو أن الله تعالى قال: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣] وقال في مثل هذا المعنى للنبي ﷺ: ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ﴾ ولم يقل قل سلاماً، وذلك لأن الأخيار المذكورين في القرآن لو سلموا على الجاهلين لا يكون ذلك سبباً لحرمة التعرض إليهم.

وأما النبي ﷺ لو سلم عليهم لصار ذلك سبباً لحرمة التعرض إليهم، فقال: قل سلام أي أمري معكم متاركة تركناه إلى أن يأتي الله بأمر.

وأما على قولنا بمعنى نبلي سلاماً فنقول هم لما قالوا نبلي سلاماً ولم يعلم إبراهيم عليه السلام أنه ممن قال سلام أي إن كان من الله فإن هذا منه قد ازداد به شرفي وإلا فقد بلغني منه سلام وبه شرفي ولا أتشرف بسلام غيره، وهذا ما يمكن أن يقال فيه. والله أعلم بمراده والأول والثاني عليهما الاعتماد فإنهما أقوى وقد قيل بهما.



س: على أي أساس رفع قوله: ﴿مُنْكَرُونَ﴾؟

ج: قال الطبري رحمه الله:

ورُفِعَ ﴿مُنْكَرُونَ﴾ بإضمار أنتم.



س: يؤخذ من قصة إبراهيم عليه السلام مع أضيافه مشروعية تعريف القادم بنفسه وضح ذلك مع مزيد من الأدلة إن وجدت؟

ج: إيضاحه من قول الخليل إبراهيم عليه السلام: ﴿سَلِّمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ أي سلام عليكم فأنتم قوم منكرون فأحب أن تعرفوني بأنفسكم.

وفي الباب من الأدلة: مجيء القوم من ربيعة إلى النبي ﷺ وقولهم له إنا هذا الحي من ربيعة لا نستطيع أن نصل إليك إلا في الشهر الحرام، ومن ذلك قول النبي ﷺ: «من القوم؟ أو من الوفد؟».



س: هل وردت لهؤلاء الملائكة أسماء؟

ج: لم ترد تسميتهم في كتابٍ أو في سنةٍ فيما علمت وقد ذكر الحافظ ابن كثير وغيره أنهم جبريل وإسرافيل وميكائيل، قال: قدموا عيه في صور شباب حسان عليهم مهابة عظيمة.

وقوله هذا في تسميتهم يفتقر إلى الدليل، والله أعلم.



س: ما صحة الخبر الوارد عن رسول الله ﷺ في شأن البقرة: «لحومها داء»؟

ج: هذه اللفظة ضعيفة منكرة.

أما نكارتها: فلأن الله سبحانه وتعالى أنزل الأنعام الثمانية ومنها البقر للناس وأحلها لهم، والله يحل للبشر الطيبات.

قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمِينَةَ أَزْوَاجٍ﴾ [الزمر: ٦]، وقال تعالى: ﴿ثَمِينَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّكَّانِ اثْنَيْنِ...﴾ [الأنعام: ١٤٣]، وفيها: ﴿وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾ [الأنعام: ١٤٤].

أَيْضًا فَقَدْ قَرَّبَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَصْيَافِهِ عَجَلًا سَمِينًا، وَكَذَلِكَ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ ضَحَّى عَنْ نِسَائِهِ بِالْبَقَرِ^(١).

أَمَّا عَنْ ضَعْفِ السَّنَدِ:

فَقَدْ أَخْرَجَ الْحَدِيثَ الْحَاكِمُ^(٢) فِي الْمُسْتَدْرَكِ وَفِي سَنَدِهِ سَيْفُ بْنُ مَسْكِينٍ وَهُوَ كَذَابٌ.

وَوُرِدَتْ لِلْحَدِيثِ طَرِيقٌ أُخْرَى فِيهَا ضَعْفٌ وَجَهَالَةٌ.



س: هَلْ مِنْ فَائِدَةٍ فِي التَّقْيِيدِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَمِينٌ﴾؟

ج: نَعَمْ، وَفَائِدَةُ ذَلِكَ بَيَانُ زِيَادَةِ الْإِكْرَامِ.



س: هَلْ هُنَاكَ تَعَارُضٌ بَيْنَ قَوْلِهِ: ﴿فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ وَفِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾؟

ج: لَا تَعَارُضَ بَيْنَ الْآيَتَيْنِ، فَقَوْلُهُ ﴿سَمِينٌ﴾ وَصِفٌ لِلْعِجْلِ وَقَوْلُهُ ﴿حَنِيذٍ﴾ بَيَانٌ لَطَرِيقَةِ الطَّهْيِ.



س: فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ كَلَامٌ مَتْرُوكٌ اسْتَغْنَى بِدَلَالَةِ الظَّاهِرِ عَلَيْهِ وَضَحَ ذَلِكَ؟

ج: هَذَا الْكَلَامُ الْمَتْرُوكُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - هُوَ فَلَمْ يَأْكُلُوا - أَوْ فَأَمْسَكُوا عَنِ الطَّعَامِ - .
فَيَكُونُ الْمَعْنَى فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَائِلًا أَلَا تَأْكُلُونَ فَأَمْسَكُوا عَنِ الطَّعَامِ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ

(١) الْبُخَارِيُّ (٥٥٤٨)، وَمُسْلِمٌ فِي طَرُقِ حَدِيثِ (١٢١١).

(٢) الْحَاكِمُ (٤/ ٤٠٤).

خيفة لكونهم أمسكوا عن الطعام.



س: وضح الأدب المستفاد من قول الخليل إبراهيم عليه السلام للأضياف: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾.

ج: هذا تلطف في العبارة وحُسنٌ في العرض، فكأنه قال: ألا تفضلون علينا بالأكل من طعامنا، فأكلكم من طعامنا يُسعدنا، والمنة منكم علينا إذا أكلتم طعامنا. وهذا يختلف بلا شك عن رجل قال تعال أطعمك.



س: لماذا أوجس إبراهيم عليه السلام في نفسه خيفة من الأضياف؟
ج: ذلك - والله أعلم - لكونه رآهم لا يأكلون ففي الآية الأخرى: ﴿فَلَمَّا رَآهُمُ لَا يَتَّصِلُ إِلَيْهِمْ نَكِيرُهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ [هود: ٧٠] ومن المعهود أن الرجل إذا دخل عند قوم فأكل عندهم اطمأنوا إليه واستأنسوا به، أما إذا دخل عندهم فلم يأكل فكأنه يُضمر لهم شرًا، وعندنا في المثل المصري: (أكلنا سوياً عيشاً وملحاً) وهذا دالٌّ فيما يبدو على أن الأكل سوياً يستلزم وفاء لا غدراً.

ولكن الملائكة لم تكن تضمر شرًا لإبراهيم عليه السلام، ولكن لكونهم ملائكة فإنهم لا يأكلون.



س: من قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ﴾ يؤخذ أدب من آداب التعامل مع الناس، وضح هذا الأدب، مع مزيد من الاستدلالات له؟

ج: إيضاحه أن الشخص إذا وجد من أمامه خائفاً شرع له أن يطمئنه ويجتهد في إذهاب الروع عنه فالملائكة لما رأوا إبراهيم عليه السلام وما حلَّ به من الخوف والروع،

طمأنوه بقولهم: ﴿لَا تَخَفْ﴾ وبشروه بسلام عليم.

أما عن أدلةٍ أُخر في هذا الباب، فنحو ذلك في قصة الخِصم الذين تسوروا المحراب: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ﴾.

وقد ورد في الباب أيضًا نهي النبي ﷺ عن ترويع المؤمنين^(١).

وورد أيضًا نهي النبي ﷺ عن المرور في الأسواق بالسيوف التي سُلَّت من غمدها^(٢).

وورد أيضًا عنه ﷺ حديث: «لا يأخذن أحدكم متاع أخيه جاذًا ولا لاعبًا»^(٣).



س: من هذا الغلام العليم الذي بُشِّر به إبراهيم عليه السلام، وما اسم امرأته هذه؟

ج: الظاهر لي - والله تعالى أعلم - أنه إسحاق، وقد دلَّ على ذلك سياق القصة المذكور في سورة هود، فقد قال تعالى: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١].

وهذا اختيار الطبري رحمه الله تعالى، وعُلِّل ذلك بقوله: وإنما قلت عني به إسحاق لأن البشارة كانت بالولد من سارة وإسماعيل لهاجر لا لسارة. أما امرأته فهي سارة عليها السلام.



(١) صحيح، أخرجه أبو داود (٥٠٠٤)، وأحمد (٣٦٢ / ٥) بلفظ: لا يحل لمسلم أن يروع مسلمًا.

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٧٥)، ومسلم (٢٦١٥) من حديث أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «إذا مرَّ أحدكم في مسجدنا - أو في سوقنا - ومعه نبل فليمسك على نصالها - أو قال: فليقبض بكفه - أن يصيب أحدًا من المسلمين منها بشيء».

(٣) صحيح، أخرجه أبو داود (٢٧٣ / ٥) وعبد بن حيد (٤٣٦)، وأحمد في المسند (٢٢١ / ٤).

س: في بشارة الملائكة لإبراهيم عليه السلام نوع إعجاز وضح، ووضح
المستفاد منه؟

ج: إيضاحه أن الله سبحانه وتعالى بشر نبيه إبراهيم عليه السلام، وهو على
الكبر، وزوجته كانت عاقراً لا تلد طيلة شبابها ثم أصبحت عجوزاً فهي موانع ثلاث
من الإنجاب كونها قد بلغت سنّاً لا تلد معه النساء، وكذلك فهي عقيم رحمها غير
صالح للولادة، وزوجها شيخ كبير، ومع ذلك كله فقد بشرتهما الملائكة بالغلام العليم،
وقد كان ما بشر وهما به، فهذا دال على قدرة الله عز وجل هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى أن الشخص منّا لا ينبغي أن ييأس من رُوح الله، ولا أن يقنط
من رحمته، بل عليه أن يدعو ربه ويدعوه ويواصل الدعاء، فيستجاب لأحدنا
ما لم يستعجل كما قال النبي ﷺ^(١).



س: وضح معنى قوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - إنه هو الحكيم في تدبير خلقه، العليم بمصالحهم،
وبما كان، وبما هو كائن. قاله الطبري.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم - هكذا قال ربك أي كما أخبرناك وقلنا لك قاله الطبري.
والمعنى أيضاً: أن الله الذي قدّر ذلك وأمضاه فلا عجب في قدرة الله.

(١) أخرج البخاري في الدعوات باب (٢٢)، ومسلم (واللفظ له (ج ١٧ / ٥١) مع النووي) من حديث
أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل فيقول: قد دعوت
ربي فلم يستجب لي».

أما قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ حكيم فيما يفعله عليم بمصالح خلقه.

فهو سبحانه حكيم في أقواله وفي أفعاله، فهذا الغلام الذي بُشِّرَ به سارة عليها السلام هو إسحاق كما قال تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ فهذا النبي الكريم إسحاق رزق يعقوب ويعقوب رزق بالأسباط الأحد عشر الذين هم إخوة يوسف عليه السلام وكان عموم الأنبياء بعد إسحاق من ذرية يعقوب كما قاله عددٌ من العلماء - باستثناء نبينا محمد ﷺ - واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ أي جعل الله كلمة التوحيد باقية في نسل يعقوب عليه السلام.

أما قوله: ﴿الْعَلِيمُ﴾ فالمراد - والله أعلم -: أنه عليم بكم وبنواياكم وبما تستحقون من الكرامة، وعلیم بكل شيء. والله أعلم.



س: في قصة إبراهيم عليه السلام مع الأضياف طائفة من الحكم والفوائد والأحكام، وضح ذلك.

ج: ذكر السعدي - رحمه الله تعالى - في تفسيره (تيسير الكريم الرحمن) طائفة من هذه الفوائد والحكم فقال:

منها: أن من الحكمة، أن قص الله على عباده نبأ الأخيار والفجار، ليعتبروا بهم، وأين وصلت بهم الأحوال.

ومنها: فضيلة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام حيث ابتدأ الله قصته بما يدل على الاهتمام بشأنها والاعتناء بها.

ومنها: مشروعية الضيافة، وأنها من سنن إبراهيم الخليل، الذي أمر الله محمداً وأُمَّته، أن يتبعوا ملته، وساقها الله في هذا الموضع، على وجه المدح له والثناء.

ومنها: أن الضيف يكرم بأنواع الإكرام، بالقول، والفعل، لأن الله وصف أضياف إبراهيم، بأنهم مكرمون، أي: أكرمهم إبراهيم. ووصف الله ما صنع بهم من الضيافة، قولاً وفعلًا، ومكرمون أيضًا عند الله.

ومنها: أن إبراهيم عليه السلام، قد كان بيته، مأوى للطارقين والأضياف، لأنهم دخلوا عليه من غير استئذان، وإنما سلكوا طريق الأدب، في ابتداء السلام، فرد عليهم إبراهيم سلامًا، أكمل من سلامهم وأتم، لأنه أتى به جملة اسمية، دالة على الثبوت والاستمرار.

ومنها: مشروعية تعرف من جاء إلى الإنسان، أو صار له فيه نوع اتصال، لأن في ذلك، فوائد كثيرة.

ومنها: أدب إبراهيم ولطفه في الكلام، حيث قال: ﴿قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ ولم يقل: (أنكرتكم)، وبين اللفظين من الفرق، ما لا يخفى.

ومنها: المبادرة إلى الضيافة والإسراع بها، لأن خير البر عاجله، ولهذا بادر إبراهيم بإحضار قري أضيافه.

ومنها: أن الذبيحة الحاضرة، التي قد أعدت لغير الضيف الحاضر، إذا جعلت له، ليس فيها أقل إهانة، بل ذلك من الإكرام، كما فعل إبراهيم عليه السلام، وأخبر الله أن ضيفه مكرمون.

ومنها: ما من الله به على خليله إبراهيم، من الكرم الكثير، وكون ذلك حاضرًا لديه، وفي بيته مُعدًّا، لا يحتاج إلى أن يأتي به من السوق، أو الجيران، أو غير ذلك.

ومنها: أن إبراهيم، هو الذي خدم أضيافه، وهو خليل الرحمن، وسيد من ضيف الضيفان.

ومنها: أنه قرَّبه إليهم في المكان الذي هم فيه. فلم يجعله في موضع ويقول لهم: (تفضلوا، أو اتوا عليه) لأن هذا أيسر وأحسن.

ومنها: حسن ملاطفة الضيف في الكلام اللين، خصوصًا، عند تقديم الطعام إليه. فإن إبراهيم عرض عليهم عرضًا لطيفًا فقال: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ ولم يقل: (كلوا) ونحوه من الألفاظ، التي غيرها أولى منها، بل أتى بأداة العرض فقال: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ فينبغي للمقتدي به أن يستعمل من الألفاظ الحسنة، ما هو المناسب واللائق بالحال، كقوله لأضيافه: (ألا تأكلون) أو: (ألا تفضلون) أو (تشفوننا وتحسنون إلينا) ونحو ذلك.

ومنها: أن من خاف من أحد، لسبب من الأسباب، فإن عليه أن يزيل عنه الخوف، ويذكر له ما يؤمن روعه، ويسكن جأشه.

كما قالت الملائكة لإبراهيم لما خافهم: ﴿لَا تَخَفْ﴾ وأخبروه بتلك البشارة، السارة، بعد الخوف منهم.

ومنها: شدة فرح سارة - امرأة إبراهيم - حتى جرى منها ما جرى، من صك وجهها وصرّتها غير المعهود.

ومنها: ما أكرم الله به إبراهيم وزوجته سارة، من البشارة، بغلام عليهم.
قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وهذه الآية انتظمت آداب الضيافة، فإنه جاء بطعامه من حيث لا يشعرون بسرعة، ولم يمتن عليهم أولًا فقال: (نأتيكم بطعام؟) بل جاء به بسرعة وخفاء، وأتى بأفضل ما وجد من ماله، وهو عجل فتى سمين مشوي، فقربه إليهم، لم يضعه. وقال: اقربوا، بل وضعه بين أيديهم، ولم يأمرهم أمرًا يشق على سامعه بصيغة الجزم، بل قال: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾؟ على سبيل العرض والتلطف، كما يقول القائل اليوم: إن رأيت أن تفضل وتحسن وتتصدق، فافعل.



س: في قصة إبراهيم عليه السلام مع الأضياف جملة من الثناءات على خليل الله إبراهيم عليه السلام، وضوحها.

ج: ذكرها ابن القيم - رحمه الله تعالى - في «التفسير القيم» فقال:

ففي هذا ثناء على إبراهيم من وجوه متعددة:

أحدها: أنه وصف ضيفه بأنهم مكرمون، وهذا على أحد القولين: أنه بإكرام إبراهيم لهم، والثاني: أنهم المكرمون عند الله. ولا تنافي بين القولين: فالآية تدل على المعنيين.

الثاني: قوله تعالى: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ﴾ فلم يذكر استئذانهم. ففي هذا دليل على أنه ﷺ كان قد عُرف بإكرام الضيفان واعتياد قراهم. فصار منزله مضيضة مطروقا لمن ورده، لا يحتاج إلى الاستئذان، بل استئذان الداخل إليه دخوله. وهذا غاية ما يكون من الكرم.

الثالث: قوله: ﴿سَلَّمَ﴾ بالرفع. وهم سلموا عليه بالنصب. والسلام بالرفع أكمل. فإنه يدل على الجملة الإسمية الدالة على الثبوت والتجدد، والمنسوب يدل على الفعلية الدالة على الحدوث والتجدد. فإبراهيم حياهم بتحية أحسن من تحيتهم. فإن قولهم: ﴿سَلَّمَ﴾ يدل على: سلمنا سلاما وقوله: ﴿سَلَّمَ﴾ أي: سلام عليكم.

الرابع: أنه حذف المبتدأ من قوله: ﴿قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ فإنه لما أنكرهم ولم يعرفهم احتشم من مواجهتهم بلفظ ينفر الضيف لو قال: أنتم منكرون، فحذف المبتدأ هنا من ألطف الكلام.

الخامس: أنه بنى الفعل للمفعول، وحذف فاعله، فقال: ﴿مُنْكَرُونَ﴾ ولم يقل: (إني أنكركم)، وهو أحسن في هذا المقام، وأبعد من التنفير والمواجهة بالخشونة.

السادس: أنه راغ إلى أهله ليحييهم بنزلهم. والروغان: هو الذهاب في اختفاء بحيث يكاد لا يشعر به. وهذا من كرم رب المنزل المضيّف: أن يذهب في اختفاء بحيث

لا يعثر به الضيف، فيشق عليه ويستحي. فلا يشعر به إلا وقد جاءه بالطعام، بخلاف من يسمع ضيفه وهو يقول له، أو لمن حضر: مكانكم حتى آتيكم بالطعام، ونحو ذلك مما يوجب حياء الضيف واحتشامه.

السابع: أنه ذهب إلى أهله، فجاء بالضيافة. فدل على أن ذلك كان معداً عندهم مهياً للضيفان. ولم يحتاج أن يذهب إلى غيرهم من جيرانه، أو غيرهم فيشتره، أو يستقرضه.

الثامن: قوله: ﴿فَجَاءَ يَعْبِلُ سَمِينَ﴾ يدل على خدمته للضيف بنفسه، ولم يقل: فأمر لهم، بل هو الذي ذهب وجاء به بنفسه، ولم يبعثه مع خادمه، وهذا أبلغ في إكرام الضيف.

التاسع: أنه جاء بعجل كامل، ولم يأت ببضعة منه. وهذا من تمام كرمه ﷺ. العاشر: أنه سمين لا هزيل، فمعلوم أن ذلك من أفخر أموالهم، ومثله يتخذ للاقتناء والتربية، فأثر به ضيفانه.

الحادي عشر: أنه قربهم إليه، ولم يأمر خادمه بذلك. الثاني عشر: أنه قربهم إليه، ولم يقربهم إليه. وهذا أبلغ في الكرامة: أن تُجْلَسَ الضيف ثم تقرب الطعام إليه، وتحمله إلى حضرته، ولا تضع الطعام في ناحية ثم تأمر ضيفك بأن يتقرب إليه.

الثالث عشر: أنه قال: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ وهذا عَرَضٌ وتلطف في القول، وهو أحسن من قوله: كلوا، أو مدوا أيديكم ونحوها. وهذا مما يعلم الناس بعقولهم حسنه ولطفه. ولهذا يقولون: بسم الله، أو ألا تصدق؟ أو ألا تجبر؟ ونحو ذلك.

الرابع عشر: أنه إنما عرض عليهم الأكل لأنه رآهم لا يأكلون، ولم يكن ضيوفه يحتاجون معه إلى الإذن في الأكل، بل كان إذا قدم إليهم الطعام أكلوا وهؤلاء الضيوف لما امتنعوا من الأكل قال لهم: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ ولهذا أوجس منهم خيفة، أي أحسها

وأضرها في نفسه، ولم يبدها لهم. وهو:

الوجه الخامس عشر: فإنهم لما امتنعوا من الأكل لطعامه خاف منهم، ولم يظهر لهم الخوف منهم، فلما علمت الملائكة منه ذلك قالوا: ﴿لَا تَخَفْ﴾ وبشروه بالسلام الحليم.

فقد جمعت هذه الآية آداب الضيافة التي هي أشرف الآداب، وما عداها من التكاليف التي هي تخلف وتكلف: إنها هي من أوضاع الناس وعوائدهم. وكفى بهذه الآداب شرفاً وفخراً. فصلى الله على نبينا وعلى إبراهيم وعلى آلها، وعلى سائر النبيين.



س: ما فائدة ذكر الطين هنا، وقد علم أن هناك ما هو أقوى من الطين؟

ج: قال بعض العلماء:

ذلك ليعلم أنها ليست حجارة الثلج والبرد النازلين من السماء، ولكنها حجارة من طين يتحجر كما قال تعالى: ﴿حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾ [هود: ٨٢].

وقال آخرون من العلماء:

هي الحجارة التي نراها وأصلها طين، وإنما تصير حجارةً بإحراق الشمس إياها على مر الدهور.

هذا، وقد قال بعض العلماء في تفسير السجيل:

إنه طين قد طبَّخ بالنار حتى صار في صلابه الحجارة، والله تعالى أعلم.



س: اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿مُسَوَّمَةٌ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾.

ج: قال الرازي - رحمه الله -:

قوله تعالى: ﴿مُسَوَّمَةٌ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ فيه وجوه:

أحدها: مكتوب على كل واحد اسم واحد يقتل به.

ثانيها: أنها خلقت باسمهم ولتعذيبهم بخلاف سائر الأحجار فإنها مخلوقة للانتفاع في الأبنية وغيرها.

ثالثها: رسالة للمجرمين لأن الإرسال يقال في السوائم يقال: أرسلها لترعى فيجوز أن يقول: سومها بمعنى أرسلها وبهذا يفسر قوله تعالى: ﴿وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾ [آل عمران: ١٤] إشارة إلى الاستغناء عنها وأنها ليست للركوب ليكون أدل على الغنى، كما قال: ﴿وَالْقَنْطَارِ الْمَفْتَطَرَةِ﴾ [آل عمران: ١٤].

وقوله تعالى: ﴿لِلْمُسْرِفِينَ﴾ إشارة إلى خلاف ما يقول الطبيعيون إن الحجارة إذا أصابت واحداً من الناس فذلك نوع من الاتفاق فإنها تنزل بطبعها يتفق شخص لها فتصيبه فقوله: ﴿سُوءَةٌ﴾ أي في أول ما خلق وأرسل إذا علم هذا فإنها كان ذلك على قصد إهلاك المسرفين.

فإن قيل: إذا كانت الحجارة مسومة للمسرفين فكيف قالوا: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ ثَجَرٍ مِّنْ ۖ لِّرَّسُلٍ عَلَيْهِمْ﴾ مع أن المسرف غير المجرم في اللغة؟ نقول: المجرم هو الآتي بالذنب العظيم لأن الجرم فيه دلالة على العظم ومنه جرم الشيء لعظمة مقداره، والمسرف هو الآتي بالكبيرة، ومن أسرف ولو في الصغائر يصير مجرماً لأن الصغير إلى الصغير إذا انضم صار كبيراً، ومن أجرم فقد أسرف لأنه أتى بالكبيرة ولو دفعة واحدة فالوصفان اجتماعاً فيهم.

لكن فيه لطيفة معنوية، وهي أن الله تعالى سومها للمسرف المصر الذي لا يترك الجرم والعلم بالأمور المستقبلية عند الله تعالى، يعلم أنهم مسرفون فأمر الملائكة بإرسالها عليهم، وأما الملائكة فعلمهم تعلق بالحاضر وهم كانوا مجرمون فقالوا: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمٍ نَعْلَمُهُمْ﴾ ﴿ثَجَرٍ مِّنْ ۖ لِّرَّسُلٍ عَلَيْهِمْ﴾ حجارة خلقت لمن لا يؤمن ويصر ويسرف ولزم من هذا علمنا بأنهم لو عاشوا سنين لتعادوا في الإجرام، فإن قيل اللام لتعريف

الجنس أو لتعريف العهد؟ نقول: لتعريف العهد أي: مسومة لهؤلاء المسرفين إذ ليس لكل مسرف حجارة مسومة، فإن قيل ما إسرافهم؟ نقول ما دل عليه قوله تعالى: ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٠] أي لم يبلغ مبلغكم أحد.



س: بيت من الذي ذكر الله في كتابه إذ قال: ﴿فَمَا وَحَدَّا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾؟

ج: هو بيت نبي الله لوط عليه السلام - باستثناء امرأته -.



س: الكفر والفسق والظلم إذا تفشوا حلَّ العذاب على القوم جميعاً، وإن كان في أوساطهم من يؤمن بالله، وفي المقابل إذا كان الأغلب أهل خيرٍ وصلاح لا يضرهم وجود قلة منحرفة في أوساطهم إذا كانت الغلبة لأهل الخير والصلاح دَلَّ على ذلك.

ج: أما الدليل على الأول فمته ما يلي:

قوله تعالى: ﴿فَمَا وَحَدَّا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾، فمن ثمَّ نزل العذاب عليهم وحلَّ البلاء بهم، وقوله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا فِتْنَةَ لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥].

وقول أم المؤمنين لرسول الله ﷺ: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم إذا كثرت الخبيث».

ومن الدليل على الثاني: قول الله - عز وجل - في الحديث القدسي: «هم القوم لا يشقى بهم جليسهم».

ثم إن قرن النبي ﷺ كان خير قرن رغم ما فيه من أهل النفاق، لكن لما كانت

الغلبة للخير قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

قال الرازي رحمه الله:

وقوله تعالى: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ فيه إشارة إلى أن الكفر إذا غلب والفسق إذا فشا لا تنفع معه عبادة المؤمنين، بخلاف ما لو كان أكثر الخلق على الطريقة المستقيمة وفيهم شرذمة يسيرة يسرقون ويزنون، وقيل في مثاله إن العالم كبذن ووجود الصالحين كالأغذية الباردة، والحارة، والكفار والفساق كالسموم الواردة عليه الضارة، ثم إن البدن إن خلا عن المنافع وفيه المضار هلك وإن خلا عن المضار وفيه المنافع طاب عيشة ونما، وإن وجد فيه كلاهما فالحكم للغالب. فكذاك البلاد والعباد.

والدلالة على أن المسلم بمعنى المؤمن ظاهرة، والحق أن المسلم أعم من المؤمن وإطلاق العام على الخاص لا مانع منه، فإذا سمي المؤمن مسلمًا لا يدل على اتحاد مفهوميهما، فكأنه تعالى قال: (أخرجنا المؤمنين فما وجدنا الأعم منهم إلا بيتًا من المسلمين)، ويلزم من هذا أن لا يكون هناك غيرهم من المؤمنين، وهذا كما لو قال قائل لغيره: من في البيت من الناس؟ فيقول له: ما في البيت من الحيوانات أحد غير زيد، فيكون مخبرًا له بخلو البيت عن كل إنسان غير زيد.



س: احتج بهاتين الآيتين من لا يفرق بين مسمى الإيمان والإسلام فما مدى صحة هذا الاستدلال؟

ج: أجاب على ذلك الحافظ ابن كثير:

احتج بهذه من ذهب إلى رأي المعتزلة، ممن لا يفرق بين مسمى الإيمان والإسلام، لأنه أطلق عليهم المؤمنين والمسلمين، وهذا الاستدلال ضعيف، لأن هؤلاء كانوا قومًا مؤمنين، وعندنا أن كل مؤمن مسلم ولا ينعكس، فاتفق الاسمان ههنا لخصوصية الحال، ولا يلزم ذلك في كل حال.



س: هل هناك فارق بين الإسلام والإيمان في هاتين الآيتين: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣٥) ﴿فَأَوْحَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ؟

ج: قال بعض العلماء: لا فارق بينهما ها هنا.

وقال آخرون: بل الإيمان هنا على بابه يطلق على تصديق القلب، والإسلام على الانقياد الظاهر، وقد قدمنا مزيداً لهذا في تفسير سورة الحجرات عند تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّا قُلٌّ لَّهُمْ تَزِيمُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤].

قال القرطبي رحمه الله:

والمؤمنون والمسلمون ها هنا سواء فجنس اللفظ لثلاثا يتكرر، كما قال: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَخُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]. وقيل: الإيمان تصديق القلب، والإسلام الانقياد بالظاهر، فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمناً. فسماهم في الآية الأولى مؤمنين؛ لأنه ما من مؤمن إلا وهو مسلم. وقد مضى الكلام في هذا المعنى في «البقرة» وغيرها. وقوله: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّا قُلٌّ لَّهُمْ تَزِيمُوا﴾ [الحجرات: ١٤] يدل على الفرق بين الإيمان والإسلام وهو مقتضى حديث جبريل عليه السلام في صحيح مسلم وغيره. وقد بيناه في غير موضع.



س: أحياناً يحل العذاب بالمؤمن المتواجد بين الظلمة، وأحياناً يحفظه الله وينجيه دليلاً على ذلك.

ج: من الأدلة على الأول - وهو أن العذاب قد يحلُّ بالمؤمن مع سائر الظلمة - ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥].

وقوله ﷺ، وقد سئل: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم إذا كثرت الخبث»^(١).

وقوله ﷺ: «... يُخسف بأولهم وآخرهم ثم يبعثون على نياتهم»^(٢).

وعند الترمذي بسند صحيح^(٣) عن رسول الله ﷺ: «إن الناس إذا رأوا الظالم ولم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه».

أما الأدلة على إنجاء أهل الإيمان والانتقام من الظالمين فمنها ما يلي:

قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وذلك بالنسبة لمدائن قوم لوط قبل أن تدمر، أخرج الله لوطاً وأهل بيته إلا امرأته.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا رِجَالُ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءُ مُؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنَّ تَطْهُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ٢٥].

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا دُسُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ أَبْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٥].



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾.

ج: قال الحافظ ابن كثير

وقوله: ﴿وَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ أي: جعلناها عبرة، لما أنزلنا بهم من العذاب والنكال وحجارة السجيل، وجعل محلّتهم بحيرة متنتة خبيثة، ففي

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٦)، ومسلم (٢٨٨٠).

(٢) أخرج البخاري (٢١١٨) من حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: «يغزو جيش الكعبة فإذا كانوا ببيداء (وهي الأرض الملساء) من الأرض يخسف بأولهم وآخرهم»، قالت: قلت يا رسول الله كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم؟ قال: ... فذكر الحديث.

(٣) أخرجه الترمذي (حديث ٢١٦٨).

ذلك عبرة للمؤمنين الذين ﴿يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾.

وقال القرطبي - رحمه الله -: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً﴾ أي عبرة وعلامة لأهل ذلك الزمان، ومن بعدهم، نظيره: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٣٥].

وقال الرازي: وقوله: ﴿لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ أي: المنتفع بها هو الخائف.

وقال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا﴾ أي في تلك القرى بعد إهلاك الكافرين ﴿آيَةً﴾ أي: علامة ودلالة تدل على ما أصابهم من العذاب. وهي تلك الأحجار أو صخر منصود أو ماء أسود منتن خرج من أرضهم أو آثار العذاب في تلك القرى فإنها ظاهرة بينة، وقيل: هذه الآية المتروكة نفس القرى الخربة.

﴿لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ أي كل من يخاف عذاب الله ويخشاه من أهل ذلك الزمان ومن بعدهم، فلا يفعل مثل فعلهم وإنما خص هؤلاء لأنهم الذين يتعظون بالمواعظ، ويتفكرون في الآيات دون غيرهم، ممن لا يخاف ذلك، وهم المشركون المكذبون بالبعث، والوعد والوعيد.



س: كثيرًا ما ترك للمجرمين الذين انتقم الله منهم آثارٌ حتى يعتبر بها من اعتبر ويتذكر بها من تذكر. اذكر جملة أدلة على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى في شأن فرعون - لما أغرقه وأهلكه -: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَفْلُونَ﴾ [يونس: ٩٢].

وقوله تعالى في شأن قوم لوط وما حلَّ بهم وبيلادهم: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ

يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ»، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَهَاوِي سَبِيلَ مُقِيمٍ﴾ [الحجر: ٧٦].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُ لَكُمْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مُصْهِجِينَ ۖ ﴿١٣٧﴾ وَيَا بَلِّغْ أَقْلًا نَقُولُ﴾ [الصافات: ١٣٧، ١٣٨].

وقوله تعالى في شأن قوم ثمود: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [النمل: ٥٢].

وقوله تعالى في شأن أصحاب الأيكة مع قوم لوط أيضا: ﴿وَلَا تَهْمَا لِيَا مَعْ مُنِيَّيْنَ﴾ [الحجر: ٧٩].

وقوله تعالى: ﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبْنَغُ مِعْطَلَةٌ وَقَصْرٌ مَشِيدٌ ۖ ﴿١٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

وأيضا فقد ترك الله سبحانه وتعالى سفينة نبي الله، نوح عليه السلام ذكرى يتذكرها من تذكر وعبرة يراها من اعتبر ويستفيد منها من استفاد، لقد تركت دليلا على إنجاء الله أهل الإيمان وانتقامه من أهل الكفر والعصيان، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدْرِكٍ ۖ ﴿١٥﴾﴾ [القمر: ١٥].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [الأنعام: ١١].



س: ما عقوبة من فعل فعل قوم لوط؟

ج: أولا: قد ورد حديث عن رسول الله ﷺ أخرجه الترمذي وأبو داود

والبيهقي^(١) وغيرهم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ: «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به» لكنه معلول ومستنكر.

أما عن أقوال أهل العلم: فقد أوجزها الإمام الترمذي رحمه الله تعالى فقال: واختلف أهل العلم في حد اللوطي، فرأى بعضهم أن عليه الرجم أحسن أو لم يحسن، وهذا قول مالك والشافعي وأحمد وإسحاق.

وقال بعض أهل العلم من فقهاء التابعين، منهم: الحسن البصري، وإبراهيم النخعي، وعطاء ابن أبي رباح، وغيرهم قالوا: حد اللوطي حد الزاني، وهو قول الثوري وأهل الكوفة.

وقال ابن قدامة في «المغني»^(٢):

واختلفت الرواية عن أحمد - رحمه الله - في حده؛ فروي عنه، أنَّ حده الرجم، بكرًا كان أو ثيبًا، وهذا قول عليّ، وابن عباس، وجابر بن زيد، وعبيد الله بن معمر، والزهرّي، وأبي حبيب، وربيعه، ومالك، وإسحاق، وأحدُ قولي الشافعي. والروايةُ الثانية، أن حده حدُّ الزاني. وبه قال سعيد بن المسيّب، وعطاءُ والحسن، والنّخعي، وقتادة، والأوزاعي، وأبو يوسف، ومحمد بن الحسن، وأبو ثور، وهو المشهورُ من قولي الشافعي.



(١) أبو داود (حديث ٤٤٦٢)، والترمذي (١٤٥٥، ١٤٥٦) والبيهقي في السنن الكبرى (٨ / ٢٣٢).

(٢) ابن قدامة الحدود ص (٣٤٩).

﴿ وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْبَيْهِ، وَقَالَ سِحْرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذَتْهُ وَجُودُهُ، فَبَدَّدَتْهُمْ فِي آلِيمٍ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَنَّوْا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا اسْتَطَعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْصَرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمُهَيِّدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥١﴾ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ اتَّوَصَّوْا بِهِ، بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَوَلَّى عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَی نُنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ الْحِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴾.

س: اذكر معنى ما يلي

﴿ وَفِي مُوسَى - بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ - فَتَوَلَّىٰ بِرُكْبَيْهِ - وَهُوَ مُلِيمٌ - الرِّيحَ الْعَقِيمَ - كَالرَّمِيمِ -

فَعَتَوْا - الصَّاعِقَةُ - لِمُوسَى - فَرَشْنَهَا - الْمَهْدُونَ - نَذَرُونَ - فَنَوَّلَ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ - وَذَكَرَ - الرِّزَاقُ - الْمَتِينُ - ذَنْبًا .

ج:

الكلمة	معناها
﴿وَفِي مُوسَى﴾	في قصة موسى وما حدث لموسى عبرة وعظة.
﴿بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾	حجة واضحة مظهره.
﴿فَنَوَّلَ بَرْكِيهَ﴾	أدبر بقومه وجنده وصحبه أعرض استكباراً وعناداً ^(١) . وقيل: (غلب قومه على ما يريد).
﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾	قد فعل ما يُلام عليه - ملومٌ كافر جاحد فاجر معاندٌ - مُذنب.
﴿الرَّيْحَ الْعَقِيمَ﴾	الريح التي لا تُلقح الشجر ولا تثير السُّحب. وقيل: الريح التي ليس فيها بركة - لا تنبت الريح المُفسدة التي لا تنتج شيئاً.
﴿كَالرَّيْمِ﴾	الشيء الهالك المتفتت، كرميم الشجر.
﴿فَعَتَوْا﴾	علوا، والعاي: العاصي التارك لأمر الله.
﴿الصَّاعِقَةُ﴾	صاعقة العذاب - الموت - الصوت الشديد، وقيل: الصاعقة كل عذاب مهلك.
﴿لِمُوسَى﴾	لذو سعةٍ وقدرة بخلقها وخلق ما شئنا. (وأوسعها الله جل جلاله) - لقادرون على توسعتها - قد وسعنا أرجاءها ورفعناها بغير عمدٍ حتى استقلت - لموسعون الرزق على عبادنا ^(٢) .

(١) وقوى الحافظ ابن كثير هذا الوجه، وقال: هو كقوله تعالى: ﴿ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله﴾ [الحج: ٩] أي معرض عن الحق مستكبر، والركن هو الجند والعشيرة ومنه: ﴿أو آوي إلى ركن شديد﴾.

(٢) قال السعدي في تفسيره: ﴿وإنا لموسعون﴾ لأرجائها وأنحائها، وإنا لموسعون أيضاً على عبادنا، بالرزق الذي ما ترك دابة في مهامه القفار، ولجج البحار، وأقطار العالم العلوي والسفلي، إلا وأوصل إليها من الرزق، ما يكفيها، وساق إليها من الإحسان ما يغنيها.

﴿فَرَشْنَهَا﴾	جعلناها فراشاً للمخلوقات.
﴿الْمَهْدُونَ﴾	المهدون، جعلناها مهداً لأهلها أي: ميسرة لساكنيها كالفراش.
﴿نَذْكُرُونَ﴾	تتعطون - تعتبرون.
﴿فَقَوْلَ عَنْهُمْ﴾	فأعرض عنهم.
﴿فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾	لا يلومك ربك على تفريط كان منك، فما فرطت بل أنذرت وبلغت ما أرسلت به ^(١) . لا نلومك على توليك عنهم.
﴿وَذَكَّرَ﴾	عِظ.
﴿الرِّزَاقُ﴾	المتكفل برزق خلقه وأقواتهم.
﴿الْمَتِينُ﴾	الشديد، وقيل الذي لا يُغلب ولا يقهر ولا يُهزم ^(٢) .
﴿ذُنُوبًا﴾	الذنوب يطلق على الدلو العظيمة. ولكن المراد هنا الحظ والنصيب من العذاب. وقيل سجلاً من العذاب ^(٣) .



س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾.

ج: المعنى، والمراد - والله أعلم -: وفي قبيلة عادٍ وما حلَّ بها عبرةٌ وعظةٌ وآية لمن أراد الاتعاظ والاعتبار.



(١) قاله الطبري.

(٢) ذكر بعض العلماء فارقاً بين المتين، والعزیز في المعنى حاصله أن المتين الذي لا يقهر ولا يهزم ولا يغلب أما العزيز فهو الذي يقهر ويهزم ويغلب. فالله أعلم.

(٣) صح ذلك عن قتادة وسعيد بن جبیر وغيرهما. انظر الطبري (٣٢٢٧٢)، (٣٢٢٧٦).

س: ما اسم الريح التي أهلكت بها قبيلة عاد؟

ج: اسمها (الدَّبُور) ففي الحديث عن رسول الله ﷺ قال: «نُصرت بالصبا، وأهلكت عادٌ بالدبور»^(١).



س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ﴾.

ج: المراد - والله تعالى أعلم -: وفي قبيلة ثمود، وما حلَّ بها عبرةٌ وعظة لمن اعتبر واتعظ.

أما قوله: ﴿تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ﴾ يعني - والله أعلم -: عيشوا متمتعين بالدنيا إلى وقت فناء آجالكم وانتهاء أعماركم ووقت هلاككم، وهو ثلاثة أيام منذ أنذرهم هذا الإنذار كما في الآية الكريمة: ﴿فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ [هود: ٦٥].

قال ابن الجوزي في «زاد المسير»:

﴿وَفِي ثَمُودَ﴾ آية أيضًا ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه قيل لهم: تمتعوا في الدنيا إلى وقت انقضاء آجالكم تهديدًا لهم.

والثاني: أن صالحًا قال لهم بعد عقر الناقة: تمتعوا ثلاثة أيام: فكان الحين وقت فناء آجالهم.



س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾.

ج: أخرج الطبري من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد^(٢) قال: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ وهم ينتظرون، وذلك أن ثمود وُعِدَت العذاب قبل نزوله بهم بثلاثة أيام

(١) أخرجه البخاري (١٠٣٥).

(٢) الطبري (٣٢٢٤٠)، وفي رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد في التفسير كلام.

وجُعِلَ لنزوله عليهم علامات في تلك الثلاثة، فظهرت العلامات التي جُعِلت لهم الدالة على نزوله في تلك الأيام، فأصبحوا في اليوم الرابع موقنين بأن العذاب بهم نازل ينتظرون حلوله بهم.

قال الرازي رحمه الله:

والصاعقة فيها وجهان ذكرناهما هنا:

أحدهما: أنها الواقعة.

والثاني: الصوت الشديد، وقوله: ﴿وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ إشارة إلى أحد معنيين: إما بمعنى تسليمهم وعدم قدرتهم على الدفع، كما يقول القائل للمضروب يضربك فلان وأنت تنظر. إشارة إلى أنه لا يدفع، وإما بمعنى أن العذاب أتاهاهم لا على غفلة بل أندرأوا به من قبل بثلاثة أيام وانتظروه، ولو كان على غفلة لكان لمتوهم أن يتوهم أنهم أخذوا على غفلة أخذ العاجل المحتاج، كما يقول المبارز الشجاع أخبرتك بقصدي إياك فانتظري.



س: وضح المراد بقوله: ﴿فَمَا اسْتَطَعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْصِرِينَ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: أن القوم لما حلَّ بهم ما حلَّ ما استطاعوا نهوضًا، وما كانت عندهم من قوة يمتنعون بها من الله عزَّ وجل.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

﴿فَمَا اسْتَطَعُوا مِنْ قِيَامٍ﴾ أي: من هربٍ ولا نهوض، ﴿وَمَا كَانُوا مُنْصِرِينَ﴾ أي: ولا يقدرّون على أن ينتصروا مما هم فيه.

قال القرطبي رحمه الله:

﴿فَمَا اسْتَطَعُوا مِنْ قِيَامٍ﴾ قيل: معناه من نهوض. وقيل: ما أطاقوا أن يستقلوا بعذاب الله وأن يتحملوه ويقوموا به ويدفعوه عن أنفسهم؛ تقول: لا أقوم لهذا الأمر

أي: لا أطيعه. وقال ابن عباس: أي: ذهب أجسامهم وبقيت أرواحهم في العذاب. ﴿وَمَا كَانُوا مُنْصَرِينَ﴾ أي: ممتنعين من العذاب حين أهلكوا، أي: ما كان لهم ناصر.

وقال الرازي رحمه الله:

وقوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَطَعُوا مِنْ قِيَامٍ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أنه لبيان عجزهم عن الهرب والفرار على سبيل المبالغة، فإن من لا يقدر على قيام كيف يمشي فضلاً عن أن يهرب؟ وعلى هذا فيه لطائف لفظية:

إحداها: قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَطَعُوا﴾ فإن الاستطاعة دون القدرة، لأن في الاستطاعة دلالة الطلب وهو ينبئ عن عدم القدرة والاستقلال، فمن استطاع شيئاً كان دون من يقدر عليه، ولهذا يقول المتكلمون: الاستطاعة مع الفعل أو قبل الفعل إشارة إلى قدرة مطلوبة من الله تعالى مأخوذة منه وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ على قراءة من قرأ بالتاء. وقوله: ﴿فَمَا اسْتَطَعُوا﴾ أبلغ من قول القائل ما قدروا على قيام.

ثانيها: قوله تعالى: ﴿مِنْ قِيَامٍ﴾ بزيادة من، وقد عرفت ما فيه من التأكيد.

ثالثها: قوله: ﴿قِيَامٍ﴾ بدل قوله هرب لما بينا أن العاجز عن القيام أولى أن يعجز عن الهرب.

الوجه الثاني: هو أن المراد (من قيام) القيام بالأمر، أي: ما استطاعوا من قيام به.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا مُنْصَرِينَ﴾ أي: ما استطاعوا الهزيمة والهرب، ومن لا يقدر عليه، يقاتل وينتصر بكل ما يمكنه لأنه يدفع عن الروح وهم مع ذلك ما كانوا منتصرين، وقد عرفت أن قول القائل: ما هو بمنتصر أبلغ من قوله ما انتصر ولا ينتصر والجواب ترك مع كونه يجب تقديره وقوله (ما انتصر) أي لشيء من شأنه ذلك، كما تقول: فلان لا ينصر أو فلان ليس ينصر.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - يحتمل وجوها:

أحدها: واذكر لهم قوم نوح الذين أرسلنا إليهم نوحًا.

الثاني: وأهلكنا هذه الأمم التي قدمنا ذكرها، وأهلكنا قوم نوح من قبل هؤلاء

أيضًا.

أما قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ فمعناه أنهم كانوا قومًا مخالفين أمر الله

عز وجل خارجين عن طاعته.



س: استدل بعض العلماء ببعض الآيات من سورة الذاريات على أن الله عز

وجل يعذب بما قد يكون في أصله رحمة في الظاهر، وضح ذلك.

ج: إيضاحه أن الله عز وجل عذب فرعون بالإغراق في الماء، والماء سبب عظيم

من أسباب الحياة، وعذب قوم عاد بالريح والريح (التي هي الهواء) سبب من أسباب

الحياة، وعذب قوم لوط بحجارة من سجيل، والسجيل الطين، والطين سبب من

أسباب الحياة، وعذب قوم ثمود بالصاعقة التي هي من النار (على قول) وهي سبب

من أسباب الحياة كذلك.



س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾.

ج: أورد الطبري^(١) - رحمه الله تعالى - بإسناد صحيح عن منصور أنه قال في

هذه الآية: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ قال: بقوة.

وكذا بإسناد^(١) صحيح عن ابن زيد قال: بقوة.

ونحوه أيضًا بإسناد^(٢) حسن عن قتادة ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾: أي بقوة.

وكذا من طريق^(٣) ابن أبي نجيع عن مجاهد قال: بقوة.

ونحوه بإسناد فيه بعض الضعف عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بقوة.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا﴾ أي: جعلناها سقفا رفيعا ﴿بِأَيْدٍ﴾ أي: بقوة وكل هذا الذي أوردوه لا ينفي صفة اليد عن الله عز وجل فهي ثابتة من وجوه أخر، ومن نصوص أخر، والله تعالى أعلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا﴾.

ج: قال السعدي في تفسيرها:

﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا﴾ أي: جعلناها فراشا للخلق، يتمكنون فيها من كل ما تتعلق به مصالحهم، من مساكن، وغراس، وزرع، وحرث، وجلوس، وسلوك للسبل الموصلة إلى مقاصدهم وآبارهم. ولما كان الفراش، قد يكون صالحا للانتفاع من كل وجه، وقد يكون من وجه دون وجه، أخبر تعالى أنه مهدها أحسن مهاد، على أكمل الوجوه وأحسنها.



س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾.

ج: قال بعض أهل العلم: المراد الشيتين المختلفين، قالوا: فمن ذلك الإيوان والكفر، والشقاوة والسعادة والهدى والضلالة، والليل والنهار والسماء والأرض

(١) الطبري (٣٢٢٥١).

(٢) الطبري (٣٢٢٤٧).

(٣) الطبري (٣٢٢٤٦).

والشمس والقمر، والإنس والجن إلى غير ذلك.

والقول الآخر: أن المراد بالزوجين الذكر والأنثى، ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ
خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ [النجم: ٤٥].

وقد اختار الطبري رحمه الله تعالى القول الأول فقال:

وأولى القولين في ذلك قول مجاهد، وهو أن الله تبارك وتعالى، خلق لكل ما خلق من خلقه ثانياً له مخالفاً في معناه، فكل واحد منهما زوج للآخر، ولذلك قيل: خلقنا زوجين. وإنما نبه جل ثناؤه بذلك من قوله على قدرته على خلق ما يشاء خلقه من شيء، وأنه ليس كالأشياء التي شأنها فعل نوع واحد دون خلافه، إذ كل ما صفة فعل نوع واحد دون ما عداه كالنار التي شأنها التسخين، ولا تصلح للتبريد، وكالثلج الذي شأنه التبريد، ولا يصلح للتسخين، فلا يجوز أن يوصف بالكمال، وإنما كمال المدح للقادر على فعل كل ما شاء فعله من الأشياء المختلفة والمتفقة.

وهو الوجه الذي ذكره ابن كثير ولم يذكر رأياً سواه فقال: جميع المخلوقات أزواج سماء وأرض، وليل ونهار، وشمس وقمر، وبر وبحر، وضياء وظلام، وإيمان وكفر، وموت وحياة، وشقاء وسعادة، وجنة ونار، حتى الحيوانات والنباتات، ولهذا قال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي: لتعلموا أن الخالق واحد لا شريك له.

وإلى نحو ذلك ذهب القرطبي رحمه الله تعالى، فقال:

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ أي: صنفين ونوعين مختلفين. قال ابن زيد: أي ذكرًا وأنثى وحلواً وحامضاً ونحو ذلك. مجاهد: يعني الذكر والأنثى، والسماء والأرض، والشمس والقمر، والليل والنهار، والنور والظلام، والسهل والجبل، والجزء والإنس، والخير والشر، والبكرة والعشي، وكالأشياء المختلفة الألوان من الطعوم والأرياح والأصوات. أي: جعلنا هذا كهذا دلالة على قدرتنا، ومن قدر على هذا فليقدر على الإعادة.

وقيل: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ لتعلموا أن خالق الأزواج فرد، فلا يقدر في صفته حركة ولا سكون، ولا ضياء ولا ظلام، ولا قعود ولا قيام، ولا ابتداء ولا انتهاء؛ إذ عز وجل وتر ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.



س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

ج: المراد - والله تعالى أعلم -: لعلكم تتعظون وتعتبرون.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ يقول: لتذكروا وتعتبروا بذلك، فتعلموا أيها المشركون بالله أن ربكم الذي يستوجب عليكم العبادة هو الذي يقدر على خلق الشيء وخلافه، وابتداع زوجين من كل شيء لا ما لا يقدر على ذلك.

وقال السعدي رحمه الله:

﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ لنعم الله التي أنعم بها عليكم في تقدير ذلك وحكمته حيث جعل ما هو السبب لبقاء نوع الحيوانات كلها، لتقوموا بتنميتها وخدمتها وتربيتها فيحصل من ذلك ما يحصل من المنافع. فلما دعا العباد إلى النظر إلى آياته الموجبة لخشيته، والإنابة إليه، أمر بما هو المقصود من ذلك، وهو الفرار إليه. أي: الفرار مما يكرهه الله ظاهراً وباطناً، إلى ما يحبه، ظاهراً وباطناً، فرار من الجهل إلى العلم، ومن الكفر إلى الإيمان، ومن المعصية إلى الطاعة، ومن الغفلة إلى الذكر. فمن استكمل هذه الأمور، فقد استكمل الدين كله، وزال عنه المرهوب، وحصل له غاية المراد والمطلوب. وسمى الله الرجوع إليه، فراراً، لأن في الرجوع إلى غيره، أنواع المخاوف والمكاره. وفي الرجوع إليه، أنواع المحاب والأمن، والسرور والسعادة والفوز. فيفر العبد من قضائه وقدره، إلى قضائه وقدره، وكل من خفت منه فررت منه إلى الله تعالى، فإنه بحسب الخوف منه، يكون الفرار إليه.



س: جعل الله تبارك وتعالى للعباد أمورًا يتذكرون بها ويتعظون، بين هذه الأمور.

ج: من هذه الأمور ما يلي:

ما ذكره الله تعالى في هذه السورة إذ قال: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

وما ذكره الله في سورة الواقعة إذ جعل نار الدنيا تذكرةً بنار الآخرة، قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا ﴿٧٣﴾﴾ [الواقعة: ٧١-٧٣] أي تذكرة بنار الآخرة.

وما ذكره الله في سورة الفرقان إذ قال في شأن السحب والمطر: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَكَّرُوا﴾ [الفرقان: ٥٠] أي: ليتعظوا ويعتبروا بتصرف الأمطار.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾.

ج: قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: فاهربوا أيها الناس من عقاب الله إلى رحمته بالإيمان به، واتباع أمره، والعمل بطاعته ﴿إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ﴾ يقول: إني لكم من الله نذير أنذركم عقابه، وأخوفكم عذابه الذي أحله بهؤلاء الأمم الذين قصَّ عليكم قصصهم، والذي هو مذكّرهم في الآخرة.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ أي: الجئوا إليه واعتمدوا في أموركم عليه.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ لما تقدّم ما جرى من تكذيب

أَمَّهُمْ لِأَنْبِيَائِهِمْ وَإِهْلَاكِهِمْ؛ لَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: لَنَبِيِّهِ ﷺ قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ؛ أَي: قُلْ لِقَوْمِكَ: ﴿فَقِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ أَي: قِرُّوا مِنْ مَعَاصِيهِ إِلَى طَاعَتِهِ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قِرُّوا إِلَى اللَّهِ بِالتَّوْبَةِ مِنْ ذُنُوبِكُمْ. وَعَنْهُ: قِرُّوا مِنْهُ إِلَيْهِ وَاعْمَلُوا بِطَاعَتِهِ. وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَثْمَانَ بْنِ عَفَانَ: ﴿فَقِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ أَخْرَجُوا إِلَى مَكَّةَ. وَقَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ الْفَضْلِ: احْتَرَزُوا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ دُونَ اللَّهِ فَمَنْ قَرَّ إِلَى غَيْرِهِ لَمْ يَمْتَنِعْ مِنْهُ. وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الْوَرَّاقُ: قِرُّوا مِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ إِلَى طَاعَةِ الرَّحْمَنِ. وَقَالَ الْجُنَيْدُ: الشَّيْطَانُ دَاعٍ إِلَى الْبَاطِلِ فَقِرُّوا إِلَى اللَّهِ يَمْنَعُكُمْ مِنْهُ. وَقَالَ ذُو النُّونِ الْمَصْرِيُّ: قِرُّوا مِنَ الْجَهْلِ إِلَى الْعِلْمِ، وَمِنَ الْكُفْرِ إِلَى الشُّكْرِ. وَقَالَ عَمْرٍو بْنُ عَثْمَانَ: قِرُّوا مِنْ أَنْفُسِكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ. وَقَالَ أَيْضًا: قِرُّوا إِلَى مَا سَبَقَ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ وَلَا تَعْتَمِدُوا عَلَى حَرَكَاتِكُمْ. وَقَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: قِرُّوا مِمَّا سِوَى اللَّهِ إِلَى اللَّهِ. ﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ أَي: أَنْذَرُكُمْ عِقَابَهُ عَلَى الْكُفْرِ وَالْمَعْصِيَةِ.



س: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَقِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ مِنْ مَن نَفَرُ؟

ج: قِيلَ الْفَرَارُ مِنَ الْعَذَابِ، وَقِيلَ: الْفَرَارُ مِنَ الشَّيْطَانِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يوسف: ٥].

وَلَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَنْذَرْتُكُمْ النَّارَ...».

وَقِيلَ: الْفَرَارُ مِنْ كُلِّ مَا سِوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَتَفَرُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ كُلِّ عَدُوٍّ.



س: وَضَحْ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

ج: قَالَ الطَّبْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ يَقُولُ جَلِ ثَنَاؤُهُ: وَلَا تَجْعَلُوا أَيُّهَا النَّاسُ

مع معبودكم الذي خلقكم معبودًا آخر سواه، فإنه لا معبود تصلح له العبادة غيره ﴿إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ يقول: إني لكم - أيها الناس - نذير من عقابه على عبادتكم إلهًا غيره، مبين قد أبان لكم النذارة.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: أي: لا تشركوا به شيئًا.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: وكما أن قريشًا كذبتك وقالت شاعر أو ساحر أو مجنون، فكذلك فعلت الأمم من قبلها فكلُّ أمةٍ جاءها رسول قالت له ساحر أو مجنون.



س: في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ﴾ نوع مواساة للنبي ﷺ، وضح ذلك.

ج: إيضاحه أن النبي ﷺ إذا علم أن الذي أصيب به من قومه قد أصيب به الأنبياء من قبله من أقوامهم وعلم أن العاقبة كانت للتقوى، فحينئذٍ سيصبر كما صبروا تأسيًا واقتداءً وامتنالًا.

ولذا فقد قال تعالى في آيات أخر: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرْنَا وَأُولُوا الْعُرُسِ مِنَ الرُّسُلِ﴾، وقال: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى أَنَّهُمْ نَصَرْنَا﴾، وقال: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِّنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠].



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَتَوَصَّوْا بِهِ﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: أأوصي الكفار بعضهم بعضًا إذا جاءهم رسول

فعلیهم أن یصفوه بأنه ساحر أو مجنون.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿أَتَوَصَّوْا بِهِۦٓ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: أوصى هؤلاء المكذبين من قريش محمداً ﷺ - على ما جاءهم به من الحق -: أوائلهم وآبائهم الماضون من قبلهم بتكذيب محمد ﷺ، فقبلوا ذلك عنهم؟

وأورد بأسانيد تصح عن قتادة^(١) قال: أوصى أولاهم أخراهم بالتكذيب.

وقال القرطبي رحمه الله:

وقوله تعالى: ﴿أَتَوَصَّوْا بِهِۦٓ﴾ أي أوصى أولهم آخرهم بالتكذيب. وتواطئوا عليه؛ والألف للتوبيخ والتعجب. ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ أي: لم يوص بعضهم بعضاً بل جمعهم الطغيان، وهو مجاوزة الحد في الكفر.

وقال ابن الجوزي في «زاد المسير»:

قوله تعالى: ﴿أَتَوَصَّوْا بِهِۦٓ﴾ أي: أوصى أولهم آخرهم بالتكذيب؟ وهذا استفهام توبيخ وقال أبو عبيدة: أتواطئوا عليه فأخذه بعضهم من بعض؟! قوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ أي: يحملهم الطغيان فيما أعطوا من الدنيا على التكذيب؛ والمشار إليهم أهل مكة.

قال السعدي رحمه الله:

يقول الله - مسلماً لرسوله ﷺ - عن تكذيب المشركين بالله، المكذبين له، القائلين فيه من الأقوال الشنيعة، ما هو منزّه عنه، وأن هذه الأقوال، ما زالت دأباً وعادة للمجرمين المكذبين للرسول فما أرسل الله من رسول، إلا رماه قومه بالسحر أو الجنون. يقول الله تعالى: هذه الأقوال التي صدرت منهم - الأولين والآخرين - هل هي أقوال

تواصوا بها، ولقن بعضهم بعضاً؟.

فلا يستغرب - بسبب ذلك - اتفاقهم عليها: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ تشابهت قلوبهم وأعمالهم بالكفر والطغيان، فتشابهت أقوالهم الناشئة عن طغيانهم؟ وهذا هو الواقع، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [البقرة: ١١٨] وكذلك المؤمنون، لما تشابهت قلوبهم بالإذعان للحق وطلبه، والسعي فيه بادروا إلى الإيمان برسولهم وتعظيمهم، وتوقيرهم، وخطابهم بالخطاب اللائق بهم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾.

ج: قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ما أوصى هؤلاء المشركون آخرهم بذلك، ولكنهم قوم متعدّون طغاة عن أمر ربهم، لا يأتمرون لأمره، ولا ينتهون عما نهاهم عنه.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ أي: لكن هم قوم طغاة تشابهت قلوبهم فقال متأخرهم كما قال متقدمهم.

قلت - مصطفى -: والذي يبدو لي - والله أعلم - أن قوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ ليس نفياً لكون بعضهم قد أوصى بعضاً، وإنما المراد بيان أن هؤلاء قوم طاغون - والله أعلم -.



س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿فَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: فأعرض يا نبي الله عن هؤلاء القوم المكذبين المعاندين

فلا لوم عليك، ولا عتب عليك، فقد أديت ما أمرت به من البلاغ والإنذار.

قال الطبري رحمه الله: يقول جل ثناؤه: فما أنت يا محمد بمعلوم لا يلومك ربك على تفريط كان منك في الإنذار فقد أذرت وبلغت ما أُرسلت به.

وأورد الطبري بإسناد صحيح عن ابن زيد قال: قد بلغت ما أُرسلناك به، فلست بمعلوم، قال: وكيف يلومه وقد أدى ما أمر به؟

قال القاسمي في «محاسن التأويل»:

﴿فَوَلَّوْنَهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾ أي: أعرض عن مقابلتهم بالأسوأ، كقوله تعالى: ﴿وَدَعَا أَذُنَهُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٨] وقوله: ﴿وَأَهْجَرَهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [الزمل: ١٠] ﴿فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾ أي: في إعراضهم، إذ لست عليهم بجبار ولا مسيطر، وما عليك من حسابهم من شيء.



س: هل قوله تعالى: ﴿فَوَلَّوْنَهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾ منسوخ أو محكم؟

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما: أنها محكمة ليست بمنسوخة، ومعناها فأعرض عنهم فلا لوم عليك ما دمت قد أديت ما عليك من البلاغ.

والثاني: أنها منسوخة، وذلك لأن النبي ﷺ أمر بقتال المشركين بعد ذلك.

والظاهر أنها ليست بمنسوخة لأن الإعراض عنهم من باب معين، وهو رفع اللوم عن النبي ﷺ إذا لم يؤمنوا، أما الأمر بالقتال فباب آخر وتكليف آخر، فليس الأمر بالإعراض عنهم مستلزماً للنهي عن قتالهم، بل يمكن الإعراض عنهم في الخطاب والحديث والدعوة، وقاتلهم مع هذا الإعراض أيضاً وإن كان - كما سلف - هناك من أهل العلم من ذهب إلى أنها منسوخة.

قال ابن الجوزي رحمه الله في «زاد المسير»:

﴿فَنَوَّلَ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾ فقد بَلَّغْتَهُمْ ﴿فَمَا أَنْتَ﴾ عليهم ﴿بِمَلُومٍ﴾ لَأَنَّكَ قد أَذَّيتَ الرِّسَالَةَ. ومذهب أكثر المفسرين أن هذه الآية منسوخة ولهم في ناسخها قولان:

أحدهما: أنه قوله: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ يَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.
والثاني: آية السيف.



س: قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ﴾ ذَكَّرَ بماذا؟

ج: ذَكَّرَ بالقرآن وما فيه، قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾، وقيل: ذَكَّرَ بالعقوبات وما حَلَّ بالأمم من قبلنا، والأول أولى لأن التذكير بالقرآن يتضمن التذكير بالعقوبات.



س: التذكير يكون بماذا؟

ج: التذكير يكون بالله عزَّ وجل وبأسمائه وصفاته، ويكون كذلك بكتابه الكريم، قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥].

وقوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الأنعام: ٧٠].

ويكون التذكير أيضًا بسنة رسول الله ﷺ ويكون التذكير بمصارع الأمم السابقة وما حَلَّ بها.

قال السعدي في تفسيره:

والتذكير نوعان: تذكير بما لم يعرف تفصيله، مما عرف مجمله بالفطر والعقول. فإن الله فطر العقول على محبة الخير وإيثاره، وكراهة الشر والزهد فيه، وشرعه موافق لذلك. فكل أمر ونهي من الشرع، فهو من التذكير. وتمام التذكير، أن يذكر ما في

المأمور، من الخير والحسن والمصالح وما في المنهي عنه، من المضار.

والنوع الثاني من التذكير: تذكير بما هو معلوم للمؤمنين، ولكن انسحبت عليه الغفلة والذهول، فيُذَكَّرُونَ بذلك، ويكرر عليهم ليرسخ في أذهانهم، ويتنبهوا ويعملوا بما تذكروه من ذلك، وليُحَدِّثْ لهم نشاطاً وهمة، توجب لهم الانتفاع والارتفاع.



س: هل لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ اتصالٌ بما قبلها؟

ج: نعم لها اتصال، ذكره الرازي فقال:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ وهذه الآية فيها فوائد كثيرة، ولنذكرها على وجه الاستقصاء، فنقول أما تعلقها بما قبلها فلوجوه:

أحدها: أنه تعالى لما قال: ﴿وَذَكِّرْ﴾ يعني أقصى غاية التذكير وهو أن الخلق ليس إلا للعبادة، فالمقصود من إيجاد الإنسان العبادة فذكرهم به وأعلمهم أن كل ما عداه تضييع للزمان.

الثاني: هو أنا ذكرنا مراراً أن شغل الأنبياء منحصر في أمرين عبادة الله وهداية الخلق، فلما قال تعالى: ﴿فَنُوحِ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾ بين أن الهداية قد تسقط عند اليأس وعدم المهتدي، وأما العبادة فهي لازمة والخلق المطلق لها وليس الخلق المطلق للهداية، فما أنت بمعلوم إذا أتيت بالعبادة التي هي أصل إذا تركت الهداية بعد بذل الجهد فيها.

الثالث: هو أنه لما بين حال من قبله من التكذيب، ذكر هذه الآية ليبين سوء صنيعهم حيث تركوا عبادة الله فما كان خلقهم إلا للعبادة.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.

ج: في ذلك وجوه ذكرها العلماء، وبعضها متقاربٌ من بعض: أحدها: وما خلقت السعداء من الجن والإنس إلا لعبادي والأشقياء منهم لمعصيتي.

الثاني: وما خلقت الجن والإنس إلا ليدعنوا لي بالعبادة أي إلا ليقروا لي بعبوديتهم لي طوعاً أو كرهاً.

الثالث: وما خلقت الجن والإنس إلا لعبادي ولكن منهم من أطاعني ومنهم من خالف أمري وعصاني.

وقال الحافظ ابن كثير - رحمه الله -: ومعنى الآية أنه تعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء، ومن عصاه عذبه أشد العذاب.

واختار الطبري القول الثاني، وأورد على نفسه سؤالاً فقال:

فإن قال قائل: فكيف كفروا وقد خلقهم للتذلل لأمره؟ قيل: إنهم قد تذللوا لقضائه الذي قضاه عليهم، لأن قضاءه جارٍ عليهم، لا يقدرّون من الامتناع منه إذا نزل بهم، وإنما خالفه من كفر به في العمل بما أمره به، فأما التذلل لقضائه فإنه غير ممتنع منه.



س: لماذا لم تُذكر الملائكة مع أنها خلقت للعبادة كذلك، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾؟

ج: ذلك لأن الخطاب لمن أرسل إليهم رسول الله ﷺ وهم الجن والإنس، أما الملائكة فلم يرسل إليهم رسول الله ﷺ، والله أعلم.

هذا، وقد ذكر الرازي جملةً من الوجوه ها هنا فقال:

الملائكة أيضاً من أصناف المكلفين ولم يذكرهم الله مع أن المنفعة الكبرى في إيجاده لهم هي العبادة ولهذا قال: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦] وقال تعالى:

﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ فما الحكمة فيه؟ نقول: الجواب عنه من وجوه:

الأول: قد ذكرنا في بعض الوجوه أن تعلق الآية بما قبلها بيان قبح ما يفعله الكفرة من ترك ما خلقوا له، وهذا مختص بالجن والإنس لأن الكفر في الجن أكثر، والكافر منهم أكثر من المؤمن لما بينا أن المقصود بيان قبحهم وسوء صنيعهم.

الثاني: هو أن النبي ﷺ كان مبعوثاً إلى الجن، فلما قال وذكرهم ما يذكر به وهو كون الخلق للعبادة خص أمته بالذكر أي ذكر الجن والإنس.

الثالث: أن عباد الأصنام كانوا يقولون بأن الله تعالى عظيم الشأن خلق الملائكة وجعلهم مقربين فهم يعبدون الله وخلقهم لعبادته ونحن لنزول درجتنا لا نصلح لعبادة الله فنعبد الملائكة وهم يعبدون الله، فقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ولم يذكر الملائكة لأن الأمر فيهم كان مسلماً بين القوم فذكر المتنازع فيه.

الرابع: قيل الجن يتناول الملائكة لأن الجن أصله من الاستتار وهم مستترون عن الخلق، وعلى هذا فتقديم الجن لدخول الملائكة فيهم وكونهم أكثر عبادة وأخلصها.

الخامس: قال بعض الناس كلما ذكر الله الخلق كان فيه التقدير في الجرم والزمان قال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الفرقان: ٥٩] وقال تعالى: ﴿خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ٩]، وقال: ﴿خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] إلى غير ذلك، وما لم يكن ذكره بلفظ الأمر قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، وقال: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥]، وقال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤].

والملائكة كالأرواح من عالم الأمر أوجدتهم من غير مرور زمان فقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ﴾ إشارة إلى من هو من عالم الخلق فلا يدخل فيه الملائكة، وهو باطل لقوله تعالى: ﴿خَلَقْتُ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠٢] فالملك من عالم الخلق.



س: قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: ١٣] هل بينه وبين قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ تعارض؟

ج: ليس بينهما تعارض، ولا يكون تعارض أبدًا بين آيات من كتاب الله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].
وإنما المعنى، ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: ١٣] أي: أن الله جعلهم شعوبًا للتعارف، وخلقهم إنما هو للعبادة.

قال الرازي في تفسيره:

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: ١٣]، وقال: ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾ فهل بينها اختلاف؟ نقول ليس كذلك فإن الله تعالى علل جعلهم شعوبًا بالتعارف، وههنا علل خلقهم بالعبادة، وقوله هناك: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ﴾ دليل على ما ذكره ههنا وموافق له، لأنه إذا كان أتقى كان أعبد وأخلص عملاً، فيكون المطلوب منه أتم في الوجود فيكون أكرم وأعز، كالشيء الذي منفعة فائدة، وبعض أفراده يكون أنفع في تلك الفائدة، مثاله الماء إذا كان مخلوقاً للتطهير والشرب فالصافي منه أكثر فائدة في تلك المنفعة فيكون أشرف من ماء آخر، فكذلك العبد الذي وجد فيه ما هو المطلوب منه على وجه أبلغ.



س: ما العبادة التي خلق الإنسان والجن لها؟

ج: هي - والله أعلم -: طاعة الله وتعظيمه وامتنال أوامره واجتناب نواهيه، وعموماً فهي فعل كل ما يحبه الله ويرضاه، والقول بما يرضي الله، وكذا النوايا الحسنة

التي ترضي الله عز وجل.

قال الرازي في تفسيره:

ما العبادة التي خلق الجن والإنس لها؟ قلنا: التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله، فإن هذين النوعين لم يخل شرع منهما، وأما خصوص العبادات فالشرائع مختلفة فيها بالوضع والهيئة والقلة والكثرة والزمان والمكان والشرائط والأركان، ولما كان التعظيم اللائق بذی الجلال والإكرام لا يعلم عقلاً لزم اتباع الشرائع فيها والأخذ بقول الرسل عليهم السلام فقد أنعم الله على عباده بإرسال الرسل وإيضاح السبل في نوعي العبادة، وقيل: إن معناه ليعرفوني^(١).



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا﴾.

ج: قال الطبري - رحمه الله -:

وقوله: ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ﴾ يقول تعالى ذكره: ما أريد ممن خلقت من الجن والإنس من رزق يرزقونه خلقي ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا﴾ يقول: وما أريد منهم من قوت أن يقوتوهم، ومن طعام أن يطعموهم.

وقال الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى -: أخبر أنه غير محتاج إليهم، بل هم الفقراء إليه في جميع أحوالهم، فهو خالقهم ورازقهم.

قلت: ولا يمنع أن يدخل في إيضاح المعنى قوله تعالى: «يا عبادي إنكم لن تبُلُّوا ضَرْيَ فَتَضُرُّوني، ولن تبُلُّوا نَفْعِي فتَنفَعُوني...»^(٢).

قال ابن الجوزي في «زاد المسير»:

(١) وهذا الأخير لا أرى صحته في هذا المقام، والله أعلم.

(٢) حديث قدسي أخرجه مسلم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي...» الحديث.

أي: ما أريدُ أن يرزقُوا أنفسهم ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ﴾ أي: أن يطعموا أحدًا من خلقي، لأنِّي أنا الرزَّاق، وإنما أسند الإطعام إلى نفسه، لأن الخلق عيالُ الله، ومن أطعمَ عيالَ أحد فقد أطعمه. وقد جاء في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يقول الله عز وجل يوم القيامة: يا ابن آدم، استطعمتكَ فلم تُطعمني» أي: لم تُطعم عبدي.



س: وضح معنى قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾.

ج: قال السعدي رحمه الله تعالى في تفسيره:

﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾ أي: كثير الرزق، الذي ما من دابة في الأرض إلا عليه رزقها.

﴿ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ أي: الذي له القوة والقدرة كلها، الذي أوجد بها الأجرام العظيمة - السفلية والعلوية - وبها تصرف في الظواهر والبواطن ونفذ مشيئته في جميع البريات. فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا يعجزه هارب، ولا يخرج على سلطانه أحد، ومن قوته، أنه أوصل رزقه إلى جميع العالم.

ومن قدرته وقوته، أنه يبعث الأموات بعدما مزقهم البلى وعصفت بهم الرياح وابتلعتهم الطيور والسباع وتمزقوا وتفرقوا في مهامه القفار ولجج البحار. فلا يفوته منهم أحد، ويعلم ما تنقص الأرض منهم، فسبحان القوي المتين.



س: كثيرًا ما يُحذَّر أهل الكفر بأنهم سينالهم نحوٌّ من العذاب الذي حلَّ بأمثالهم دَلَّ على ذلك ووضحه.

ج: نعم هذا يتكرر كثيرًا في كتاب الله عزَّ وجل.

فعلى سبيل المثال: لما أهلك الله سبحانه وتعالى قوم لوطٍ بحجارة من سجيل

منضود، قال تعالى في شأن هذه الحجارة: ﴿مُسَوَّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٨٣] أي: أن الظالمين - غير قوم لوط - ليست هذه الحجارة عنهم ببعيدة بل نحن قادرون على قذفهم بها أيضًا.

ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٢] أي: وهكذا يجازي كل مفترٍ صنع كصنيعهم.

وكذا قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: من أهل مكة، وكذا كل ظالم. ﴿مِثْلَ ذُنُوبٍ أَصْحَبَهُمْ﴾ أي: نصيبًا من العذاب مثل نصيب الكفار من الأمم السابقة.



س: اذكر بإيضاح معنى الذنوب.

ج: الذنوب هي الدلو العظيمة^(١)، ومنه قول الراجز:

لَنَا ذُنُوبٌ وَلَكُمْ ذُنُوبٌ فَإِنْ أَبِيئْتُمْ فَلَنَا الْقَلِيبُ^(٢)

ولكن المراد بالذنوب في الآية الكريمة: الحظ والنصيب العظيم من العذاب. وقال الطبري في معنى الآية الكريمة:

ومعنى الكلام: فإن للذين ظلموا من عذاب الله نصيبًا وحظًا نازلًا بهم مثل نصيب أصحابهم الذين مضوا من قبلهم من الأمم على منهاجهم من العذاب فلا يستعجلون به.

(١) وأصل إطلاق ذلك أن القوم كانوا يستخرجون الماء من الآبار بالدلو العظيمة فيقتسمون ذلك فيما بينهم كل له دلو، فكذلك هم في العذاب لهم نصيب من العذاب كنصيب أسلافهم الذين صنعوا كصنيعهم، والله أعلم.

(٢) القليب: الحفرة العظيمة، وهي أكبر من الذنوب.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم - : فلا يستعجل هؤلاء الكفار نزول العذاب عليهم فإنه آت لا محالة، وذلك لأن أهل الكفر - هؤلاء - كانوا يستعجلون نزول العذاب على سبيل التحدي والسخرية والاستهزاء والإنكار، فكانوا يقولون: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ أَلْحَقٌ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابَهُ مِنَ السَّمَاءِ أَوْ اثْبِتْنَا بِعَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢].

وكانوا يقولون كذلك: ﴿رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْعَانًا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [ص: ١٦]، وقال تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ [الحج: ٤٧] وقال: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج: ١]، وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس: ٤٨]، وقالوا أيضًا: ﴿فَأَنبِئْنَا بِمَا نَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [هود: ٣٢].

قال السعدي رحمه الله:

﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ بالعذاب فإن سنة الله في الأمم واحدة.

فكل مكذب يدوم على تكذيبه من غير توبة وإنابة، فإنه لا بد أن يقع عليه العذاب، ولو تأخر عنه مدة، ولهذا توعدهم الله بيوم القيامة فقال: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ وهو يوم القيامة، الذي قد وعدوا فيه بأنواع العذاب والنكال والأغلال، فلا مغيث، ولا منقذ لهم من عذاب الله. نعوذ بالله منه.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾.

ج: قال الطبري - رحمه الله تعالى - في معنى ذلك:

يقول تعالى ذكره: فالوادي السائل في جهنم من قيح وصدید للذين كفروا بالله وجحدوا وحدانيته من يومهم الذي يوعدون فيه نزول عذاب الله إذا نزل بهم ماذا يلقون فيه من البلاء والجهد.

قلت: واختار الطبري هنا أن الويل هو واد في جهنم، وقد قدمنا مراراً أنه قد وردت في ذلك أحاديث عن رسول الله ﷺ قد تصح بمجموعها وقد لا يراها أحد صحيحة إلا أن من العلماء كم كبير قالوا: الويل هنا المراد به العذاب الشديد، والله أعلم.



﴿وَالْطُّورِ ١﴾ وَكَتَبَ مَسْطُورٍ ٢ فِي رَقٍ مَّنْشُورٍ ٣ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ٤
وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ٥ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ٧ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ
٨ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ٩ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ١٠ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ
١١ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ١٢ يَوْمَ يَدْعُوتُ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً ١٣ هَذِهِ
النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ١٤ أَفَسِحْرُ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ١٥ أَصْلَوْهَا
فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿

س: وضح معنى ما يلي:

﴿وَالْطُّورِ - مَسْطُورٍ - رَقٍ - مَّنْشُورٍ - وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ - وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ - الْمَسْجُورِ -
لَوَاقِعٌ - دَافِعٍ - تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا - وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا - فَوَيْلٌ - خَوْضٍ يَلْعَبُونَ - دَعَاً -
بِهَا تُكَذِّبُونَ - أَصْلَوْهَا - سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ ؟﴾

ج:

الكلمة	معناها
﴿وَالْطُّورِ﴾	جبل الطور المعروف (الذي كلم الله عز وجل عنده نبيه موسى عليه السلام). وقيل: الطور الجبل الذي ينبت. وقيل: الجبل عموماً.
﴿مَسْطُورٍ﴾	مكتوب.

﴿رَقٍ﴾	جلد رقيق يُكتب عليه (وكانوا في زمن النبي ﷺ يكتبون على جلد رقيق) - صحيفة - ورق.
﴿مَنْشُورٍ﴾	مفتوح - مبسوط.
﴿وَالْيَتِ الْمَعْمُورِ﴾	بيت في السماء بحيال (بمحاذاة) الكعبة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك. والمعمور: الذي يُعمَّر بكثرة من يدخلونه.
﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾	السماء (ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾). [الأنبياء: ٣٢]
﴿الْمَسْجُورِ﴾	الموقد - المحمى - المتأجج ناراً ^(١) (ومنه: ﴿وَإِذَا الْبَحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦] أي احترقت فصارت ناراً تتأجج). وقيل: المسجور المملوء - وقيل: الذي ذهب ماؤه.
﴿لَوْعٍ﴾	لكائنٌ - حالٌ بالكافرين يوم القيامة - لنازل.
﴿دَافِعٍ﴾	مانع - صاُدُّ يصدّه - دافع يدفعه.
﴿تَمُورُ السَّمَاءِ مَوْرًا﴾	تدور السماء دوراناً - تتحرك تحركاً شديداً - تُكْفَأُ.
﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سِيرًا﴾	تنسف نسفاً - تُزال عن أماكنها.
﴿قَوْلٍ﴾	الويل: له معنيان أحدهما: أنه وادٍ في جهنم يسيل إليه صديد أهل النار، والثاني: عذاب شديد.
﴿خَوْضٍ﴾	فتنة واختلاط وغفلة عن طاعة الله وعمّا هم صائرون إليه من

(١) وقد ورد أثرٌ عن عليّ رضي الله عنه عند الطبري (٣٢٣٠٩) أنه سأل رجلاً من اليهود: أين جهنم؟ فقال البحر، فقال: ما أراه إلا صادقاً ﴿والبحر المسجور﴾، ﴿وإذا البحار سجرت﴾.

العذاب.	
﴿يَلْعَبُونَ﴾	يدفعون بإرهاق وإزعاج بشدةٍ وعُنفٍ في القفا - يدفعون في أعناقهم ومنه قوله تعالى: ﴿الَّذِي يَدْعُ آلَيْتِهِ﴾ [الماعون: ٢٠] أي: يدفعه ويطرده ويغلظ عليه.
﴿دَعَا﴾	دفعًا - إزعاجًا.
﴿بِهَاتُكْذِبُونَ﴾	تجحدونها - تنكرونها.
﴿أَصْلَوْهَا﴾	ذوقوا حرَّها - ادخلوها ذائقين حرَّها.
﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾	يستوي عندكم (أي: سواء أصبرتم وتحملتُم أم سمع منكم الضجيج والصياح فكل ذلك لا يُخفف عنكم).



س: اذكر بإيجاز واختصار ما تضمنته هذه السورة المباركة الكريمة؟

ج: أقسم الله تبارك وتعالى في هذه السورة الكريمة بأمورٍ عظيمةٍ فأقسم بالطور، وهو الجبل الذي كلَّم عنده موسى عليه السلام، وكذا أقسم بالكتاب المسطور الذي كتبت فيه أعمال العباد.

وكذا أقسم بالبيت المعمور - وهو بيت في السماء السابعة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يرجعون، وأقسم كذلك بالسقف المرفوع، وهي السماء، وكذا أقسم بالبحر المسجور.

أقسم بكل ذلك على أن عذاب الله عزَّ وجل الذي وعد به العصاة والمجرمين لا بد وأن يتحقق وأنه واقع، ولن يستطيع أحدٌ دفعه ولا منعه، ثم بين بعض مشاهد هذا اليوم ومقدماته وتوعد المكذبين المعرضين، وبيَّن أيضًا بعض ما أعدّه للمتقين، وبعض ما أكرمهم وأكرم ذريتهم به، وبعض أعمالهم وأحوالهم التي كانوا عليها في الدنيا ثم حثَّ للنبي ﷺ على التذكير ودفاع عن هذا الرسول الكريم ونفيً للتهم عنه وتحذيرٌ

لأهل الكفر والزيف والضلال، ولفت أنظارهم إلى ما تفيض ويستلزم توحيد الخالق سبحانه وتعالى والإيمان به وبيان شدة عنادهم وإبائهم وامتناعهم عن الإيمان ثم وعيد شديد بعظيم العذاب وحث لرسول الله ﷺ على الصبر والثبات والاستعانة بذلك وبالصلاة على تبليغ الرسالة ومواجهة أعداء الله عز وجل، والله أعلم.



س: هل ورد أن النبي ﷺ قرأ في الصلاة بسورة الطور؟

ج: نعم قد ورد ذلك من وجوه:

أحدها: ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ كاد قلبي أن يطير (١).

الثاني: ما أخرجه البخاري (٢) ومسلم من حديث أم سلمة رضي الله عنها أنها سمعت النبي ﷺ يقرأ بالطور وكتاب مسطور.



س: ما وجه القسم بالطور؟

ج: كما سلف فالطور - على رأي لبعض أهل العلم - هو الجبل الذي كلم الله عنده نبيه موسى ﷺ، والقسم به تشريف له وتكريم وتذكير بما كان عنده من الآيات والمعجزات.

كما قال تعالى في آيات أخر: ﴿وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ﴾ (١) ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ [التين: ١، ٢].



(١) البخاري (٤٨٥٤)، ومسلم (٤٦٣) ولفظه: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ بالطور في المغرب.

(٢) البخاري (٤٨٥٣).

س: ما المراد بالكتاب المسطور؟

ج: * قيل: المراد اللوح المحفوظ، وقيل: الكتب المنزلة المكتوبة التي تقرأ على الناس جهارًا، وذلك كالتوراة والإنجيل والقرآن، والزبور وصحف إبراهيم وموسى.

* وقيل أيضًا: إنه الكتاب الذي كتبه الله لموسى عليه السلام.

* وقيل: صحائف الأعمال، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ [الإسراء: ١٣].



س: اذكر بمزيدٍ من الإيضاح ما يتعلق بالبيت المعمور؟

ج: أخرج الإمام مسلم^(١) في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أتيت بالبراق...» فذكر الحديث وفيه: «ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقبل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم ﷺ مسندًا ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه».

وأخرج الطبري بسند^(٢) صحيح لغيره عن علي رضي الله عنه وقد سأله ابن الكواء: ما البيت المعمور؟ قال: بيت في السماء السادسة يُقال له: الضراح يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون فيه أبدًا.

وقال بعض العلماء: إن المراد بالبيت المعمور: الكعبة المعمورة بالحجاج والعمار والطائفين والعاكفين والمجاورين.

واستظهِروا هذا القول ورجحوه لتناكِب الآيات مع آيات سورة التين.

(١) مسلم (حديث ١٦٢).

(٢) الطبري (٣٢٢٩٠) وانظر الطبري كذلك (٣٢٢٩٠).

ففي سورة التين أقسم الله بالتين والزيتون، قالوا: وهي البلاد التي ينبت فيها التين والزيتون، التي هي بلاد الشام، وكان فيها وحي إلى عيسى عليه السلام، ثم أقسم بالطور الذي عنده كلم موسى عيه السلام، ثم أقسم بالبلد الأمين، بلد رسول الله ﷺ. وهنا أقسم الله بالطور، والبيت المعمور فحملهم ما تقدم على تفسير البيت المعمور بالكعبة، والله أعلم.

أشار إلى ذلك القاسمي في تفسيره.



س: اذكر بمزيد من الإيضاح معنى البحر المسجور؟
ج: قيل: هو بحرنا هذا، والمسجور معناه المملوء وهذا قول الجمهور.
وقيل: إنه هذا البحر، ولكنه يتأجج نارًا يوم القيامة تحيط بأهل الموقف.



س: على أي شيء أقسم الله بهذه المخلوقات العظيمة؟
ج: أقسم الله عز وجل بهذه المخلوقات العظيمة على أن عذابه واقعٌ بأعدائه، لا دافع له عنهم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾؟
ج: المعنى - والله أعلم - وتسير الجبال فتنتقل عن أماكنها سيرًا فتصير هباءً منثورًا. قال نحوه القرطبي.

وقال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾ أي: تزول عن أماكنها، وتسير عن مواضعها كسير السحاب، وتطير في الهواء، ثم تقع على الأرض مفتتة كالرمل ثم تصير كالعهن أي:

الصوف المندوف، ثم تطيرها الرياح فتكون هباء منبثًا، كما دل عليه كلامه في سورة النمل، قيل: ووجه تأكيد الفعلين بالمصدر الدلالة على غرابتهما وخروجهما عن المعهود، والحكمة في مور السماء، وسير الجبال: الإعلام والإنذار بأن لا رجوع ولا عود إلى الدنيا لخرابها وعمارة الآخرة، وقد تقدم تفسير مثل هذا في سورة الكهف.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾؟

ج: هذه تحتل معنيين:

أحدهما: فهلاك - يوم تمور السماء مورًا - للمكذبين.

والثاني: وإد في جهنم للمكذبين بالبعث المنكرين للحساب الجاحدين للرسل.

وقال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

﴿فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾: ويل كلمة عذاب، يقال للهالك، واسم وإد في جهنم، وإنما دخلت الفاء لأن في الكلام معنى المجازاة أي: إذا وقع ما ذكر من مور السماء وسير الجبال فويل لهم أي شدة عذاب.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ﴾؟

ج: قال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

ثم وصف المكذبين بقوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ﴾ أي: في تردد في الباطل واندفاع فيه يلهون، لا يذكرون حسابًا، ولا يخافون عقابًا، والمعنى: أنهم يخوضون في أمر محمد ﷺ بالتكذيب والاستهزاء، وقيل: يخوضون في أسباب الدنيا، ويعرضون عن الآخرة، والخوض من المعاني الغالبة، فإنه يصلح للخوض في كل شيء إلا أنه غلب في الخوض في الباطل، كالإحضار فإنه عام في كل شيء، ثم غلب استعماله في الإحضار للعذاب، قال تعالى:

﴿لَكُنْتُ مِنَ الْمُخْضَرِّينَ﴾ [الصفات: ٥٧] ، ونظيره في الأسماء الغالبة، دابة فإنها غلبت في ذوات الأربع، والقوم غلب في الرجال أفاده الكرخي، أخذًا عن حواشي «الكشاف».



س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿أَفْسِحْ هَذَا أَمْ أَنْتَ لَا بُصْرُوتَ﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - أن النار عرضت لهم فأروها ثم قيل لهم: أفسح هذه النار التي أمامكم؟ فقد كنتم تقولون عن القرآن الذي أخبرتم فيه عن النار أنه سحر، أفهذه النار التي ترونها سحر هي الأخرى أم أنكم عمي عنها كما كنتم عميانًا في الدنيا عن الحق؟!

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿أَفْسِحْ هَذَا﴾ استفهام معناه التوبيخ والتقريع؛ أي يقال لهم: ﴿أَفْسِحْ هَذَا﴾ الذي ترون الآن بأعينكم ﴿أَمْ أَنْتَ لَا بُصْرُوتَ﴾ وقيل: (أَمْ) بمعنى بل؛ أي: بل كنتم لا تبصرون في الدنيا ولا تعقلون.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾؟

ج: قال الطبري رحمه الله تعالى:

وقوله: ﴿أَصْلَوْهَا﴾ يقول: ذوقوا حرَّ هذه النار التي كنتم بها تكذبون، وردوها فاصبروا على ألمها وشدتها، أو لا تصبروا على ذلك، سواء عليكم صبرتم أو لم تصبروا ﴿إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يقول: ما تجزون إلا أعمالكم، أي: لا تعاقبون إلا على معصيتكم في الدنيا ربكم وكفركم.

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿أَصْلَوْهَا﴾ أي: تقول لهم الخزنة ذوقوا حرَّها بالدخول فيها. ﴿فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي: سواء كان لكم فيها صبر أو لم يكن فـ﴿سَوَاءٌ﴾

خبره محذوف، أي: سواء عليكم الجزع والصبر فلا ينفعكم شيء، كما أخبر عنهم أنهم يقولون: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزْنَا أَمْ صَبَرْنَا﴾ [إبراهيم: ٢١]. ﴿إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

أما الرازي فقد توسع فقال:

ثم قال تعالى: ﴿أَصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: إذا لم يمكنكم إنكارها وتحقق أنه ليس بسحر ولا خلل في أبصاركم فاصلوها. وقوله تعالى: ﴿فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا﴾ فيه فائدتان:

إحدهما: بيان عدم الخلاص وانتفاء المناص فإن من لا يصبر يدفع الشيء عن نفسه إما بأن يدفع المعضب فيمنعه وإما بأن يغضبه فيقتله ويرمجه ولا شيء من ذلك يفيد في عذاب الآخرة فإن من لا يغلب المعضب فيدفعه ولا يتلخص بالإعلام فإنه لا يقضي عليه فيموت، فإذا الصبر كعدمه، لأن من يصبر يدوم فيه، ومن لا يصبر يدوم فيه.

الثانية: بيان ما يتفاوت به عذاب الآخرة عن عذاب الدنيا، فإن المعضب في الدنيا إن صبر ربما انتفع بالصبر إما بالجزاء في الآخرة، وإما بالحمد في الدنيا، فيقال له: ما أشجعه! وما أقوى قلبه، وإن جزع يذم، فيقال: يجزع كالصبيان والنسوان، وأما في الآخرة لا مدح ولا ثواب على الصبر، وقوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا﴾ خبر، ومبتدأه مدلول عليه بقوله: ﴿فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا﴾ كأنه يقول: الصبر وعدمه سواء، فإن قيل: يلزم الزيادة في التعذيب، ويلزم التعذيب على المنوي الذي لم يفعله، نقول فيه لطيفة، وهي أن المؤمن بإيمانه استفاد أن الخير الذي ينويه يثاب عليه، والشر الذي ينويه ولا يحققه لا يعاقب عليه، والكافر بكفره صار على الضد، فالخير الذي ينويه ولا يعمله لا يثاب عليه، والشر الذي يقصده ولا يقع منه يعاقب عليه ولا ظلم، فإن الله تعالى أخبره به، وهو اختار ذلك ودخل فيه باختياره، كأن الله تعالى قال: فإن من كفر ومات كافراً أعذبه أبداً فاحذروا، ومن آمن أثيبه دائماً، فمن ارتكب الكفر ودام عليه بعدما سمع ذلك، فإذا عاقبه المعاقب دائماً تحقيقاً لما أوعد به لا يكون ظالماً.



س: ما المستفاد من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾؟

ج: المستفاد أن الله عز وجل لا يظلم أحداً من الخلق بل يجازي كلًّا بعمله.

وفي هذا يقول تعالى في الحديث القدسي: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا»، ويقول تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فُصِّلَتْ: ٤٦]، ويقول: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].



﴿إِنَّ الْمُنَاقِبِينَ فِي جَنَّتٍ وَنَعِيمٍ﴾ (١٧) فَكَيْهِنَ بِمَاءِ النَّهْمِ رَبُّهُمْ وَوَقَّتَهُمُ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (١٨) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٩) مُتَكِينِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (٢٠) وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَآلَبَعْنَهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ بِأَيْمَنِ الْحَقَّائِ بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلْتَنَّهُمْ مِنْ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِيٍّ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ (٢١) وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفِكَهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٢٢) يَنْشَرَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْسِيْمٌ (٢٣) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ (٢٤) وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَسَاءَلُونَ (٢٥) قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (٢٦) فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَّتَنَا عَذَابَ السَّمُومِ (٢٧) إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿الْمُنَاقِبِينَ - فَكَيْهِنَ - بِمَاءِ النَّهْمِ رَبُّهُمْ - وَوَقَّتَهُمُ - عَذَابَ الْجَحِيمِ - هَنِيئًا - مُتَكِينِينَ - مَّصْفُوفَةٍ - بِحُورٍ عِينٍ - أَلْتَنَّهُمْ - رَهِيْنٌ - وَأَمَدَدْنَاهُمْ - يَشْتَهُونَ - يَنْشَرَعُونَ - كَأْسًا لَا لَغْوٌ - وَلَا تَأْسِيْمٌ - مَكْنُونٌ - يَسَاءَلُونَ - قَبْلُ - مُشْفِقِينَ - فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا - وَوَقَّتَنَا - عَذَابَ السَّمُومِ - الْبَرُّ؟﴾

ج:

الكلمة	معناها
﴿الْمُنَاقِبِينَ﴾	الذين اتقوا ربهم (بفعل الطاعات واجتناب النواهي وفعل الخيرات) - الذين جعلوا بينهم وبين عذاب الله وقاية.
﴿فَكَيْهِنَ﴾	مُنْعِمِينَ - مُعْجِبِينَ - طَيَّبُوا المَزَاجَ مَرْتَا حُوا البَال - مُتَلَذِّذِينَ - عِنْدَهُمْ فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ - يَتَفَكَّهُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنَ النِّعَمِ مِنْ أَصْنَافِ الْمَلَاذِ مِنْ مَأْكَلٍ وَمَشَارِبٍ وَمَلَابِسٍ وَمَسَاكِنٍ وَمَرَاقِبٍ

وغير ذلك.	
﴿بِمَاءِ أَنَّهُمْ رَبُّهُمْ﴾	بالذي أعطاهم الله إياه.
﴿وَوَقَّهٖمُ﴾	وصرف عنهم - ونجَّاهم.
﴿عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾	عذاب النار.
﴿هَيِّئْنَا﴾	لا تنغيص فيه ولا كدر - لا تخشون منه أذى ولا غائلة بعد أكله - لا تتألمون بعد أكله ^(١) .
﴿مُتَّكِئِينَ﴾	الالتكاء هو الميل بأحد الشقين، وقيل: هو التربع عند الجلوس.
﴿مَصْفُوفَةٍ﴾	موصول بعضها إلى بعضٍ حتى تصير صفًا. وقيل: مصفوفة متقابلة كقوله تعالى: ﴿عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧].
﴿مُحَوَّرٍ﴾	شدة بياض مقلَّة العين في شدة سواد الحدقة.
﴿عَيْنٍ﴾	جمع عينا، وهي عظيمة العين في حُسن وسعة.
﴿وَمَا أَلْنٰهُمْ﴾	وما أُنقصناهم - وما بخسناهم - وما ظلمناهم.
﴿رَهِيْنٍ﴾	مرتهن (محبوس ومرتبطة) بعمله - يعاقب بذنب نفسه - لا يحمل ذنبه غيره من الناس ^(٢) .

(١) قال الرازي في تفسيره (٢٨ / ٢٤٨): وقوله تعالى: ﴿هَيِّئْنَا﴾ إشارة إلى خلوها عما يكون فيها من المفسد في الدنيا، منها أن الأكل يخاف من المرض فلا يهنا له الطعام، ومنها أنه يخاف البفاد فلا يسخو بالأكل والكل منتفٍ في الجنة فلا مرض ولا انقطاع، فإن كل أحد عنده ما يفضل عنه، ولا إثم ولا تعب في تحصيله، فإن الإنسان في الدنيا ربما يترك لذة الأكل لما فيه من تهيئة المأكول بالطبخ والتحصيل من التعب أو المنة أو ما فيه من قضاء الحاجة واستقذار ما فيه، فلا يتهنا، وكل ذلك في الجنة منتف.

(٢) قال الزمخشري: ﴿يَكْ كَمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ﴾ أي: مرهون كأن نفس العبد رهن عند الله بالعمل الصالح الذي هو مطالب به كما يرهن الرجل عبده بدين عليه، فإن عمل صالحًا فكفَّها وخلصها، وإلا أوبقها.

﴿وَأَمَدَدْنَهُمْ﴾	أتخفناهم - زدناهم وقتاً بعد وقت.
﴿يَشْتَهُونَ﴾	يستطيون.
﴿يَنْتَرَعُونَ فِيهَا﴾	يتعاطون بها - يتداولونها فيما بينهم.
﴿كَأْسًا﴾	كأساً من خمر.
﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا﴾	لا يصاحبها القول الباطل - لا تحملهم على الهذيان والجنون.
﴿وَلَا نَأْيٌ﴾	كذب - ما تجلبه من الإثم.
﴿مَكُونٌ﴾	مصونٌ في كنٍّ - محفوظ.
﴿يَسْأَلُونَ﴾	يسأل بعضهم بعضاً ^(١) - يتحادثون.
﴿قَبْلَ﴾	من قبل (أي في الدنيا) - أي قبل لقاء الله.
﴿مُشْفِقِينَ﴾	خائفين من عذاب الله - أرقاء القلوب من خشية الله.
﴿فَمَنْ أَلَّهَ عَلَيْنَا﴾	أنعم الله علينا.
﴿وَوَقَّعْنَا﴾	صرف عنا.
﴿عَذَابِ السَّمُورِ﴾	عذاب النار، والسُموم اسم من أسماء النار، والسُموم في الأصل الريح الحارة التي تدخل المسام فسميت بها نار جهنم.
﴿الْبَرِّ﴾	اللطف بعباده - المحسن بمن دعاه.



(١) يسأل بعضهم بعضاً عن أحواله وأعماله التي عملها في الدنيا، وكانت سبباً في دخوله الجنة. وكذا يسأل بعضهم بعضاً عن أحوال الآخرين.

س: اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله: ﴿فَكَهِينَ بِمَاءِ النَّهْمِ رَبُّهُمْ﴾؟

ج: قال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

﴿فَكَهِينَ بِمَاءِ النَّهْمِ رَبُّهُمْ﴾ يقال: رجل فاكه أي: ذو فاكهة كما قيل لابن وتامر والمعنى أنهم ذوو فاكهة من فواكه الجنة وقيل: ذو نعمة وتلذذ بها صاروا فيه مما أعطاهم الله عز وجل مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وقد تقدم بيان معنى هذا. قرأ الجمهور: فاكهين بالالف والنصب على الحال، وقرئ بالواو على أنه خبر بعد خبر وقرئ فكهين، والفكهة: طيب النفس كما تقدم في الدخان، ويقال للأشر والبطر ولا يناسب التفسير به هنا، والمفاكهة الممازجة وتفكه تعجب وقيل: تندم قال تعالى: ﴿فَطَلَّتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ [الواقعة: ٦٥] أي: تندمون وتفكه بالشيء تمتع به قيل: ما مصدرية وفيه بعد من حيث المعنى إذ التفكه ليس بإعطاء الرب بل بالمعطى، وقيل: موصولة والباء على أصلها أو بمعنى في.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ

ذُرِّيَّتَهُمْ﴾؟

ج: المعنى في ذلك - والله تعالى أعلم - ما ذكره الطبري عن بعض أهل العلم إذ قال: اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: والذين آمنوا واتبعتهم ذرياتهم بإيمان ألقنا بهم ذرياتهم المؤمنين في الجنة، وإن كانوا لم يبلغوا بأعمالهم درجات آبائهم، تكرمة لأبائهم المؤمنين، وما ألتنا آباءهم المؤمنين من أجور أعمالهم من شيء.

* وأورد بسند صحيح^(١) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: في هذه الآية:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ﴾ فقال: إن الله تبارك وتعالى يرفع للمؤمن ذريته،

وإن كانوا دونه في العمل، ليقر الله بهم عينه.

✽ وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يخبر تعالى عن فضله وكرمه، وامتنانه ولطفه بخلقه وإحسانه؛ أن المؤمنين إذا اتبعتهم ذرياتهم في الإيمان يلحقهم بآبائهم في المنزلة وإن لم يبلغوا عملهم، لتقر أعين الآباء بالأبناء عندهم في منازلهم، فيجمع بينهم على أحسن الوجوه، بأن يرفع الناقص العمل بكامل العمل، ولا ينقص ذاك من عمله ومنزلته، للتساوي بينه وبين ذاك؛ ولهذا قال: ﴿الْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾.



س: الولد ينتفع بصلاح أبيه فهل الأب ينتفع بصلاح الولد؟

ج: نعم، الأب ينتفع بصلاح الولد ودعائه، ففي الحديث^(١): «إِنَّ اللَّهَ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَنَّى لِي هَذِهِ؟ فَيَقُولُ: بِاسْتِغْفَارٍ وَلَدِكَ لَكَ».

وفي الحديث الآخر^(٢): «إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ».



س: هل المراد بالذرية في قوله تعالى: ﴿الْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ هم الكبار أم الصغار أم هم الكبار والصغار معاً؟

ج: فصل في هذه المسألة ابن القيم رحمه الله تعالى تفصيلاً واسعاً وانتهى إلى أن الأظهر اختصاص الذرية بالصغار، وفي ذلك بعض النظر.

(١) حسن: أخرجه أحد (٢/ ٥٠٩).

(٢) مسلم (١٦٣١).

فقال رحمه الله:

وقد اختلف المفسرون في الذرية في هذه الآية، هل المراد بها الصغار أو الكبار أو النوعان؟ على ثلاثة أقوال. واختلافهم مبني على أن قوله: ﴿يَايْمَنُ﴾ حال من الذرية التابعين أو المؤمنين المتبوعين.

فقالت طائفة: المعنى والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم في إيمانهم فأتوا من الإيمان بمثل ما أتوا به ألحقناهم بهم في الدرجات. قالوا: ويدل على هذه قراءة من قرأ: ﴿وَأَتَّبَعْنَاهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ فجعل الفعل في الاتباع لهم.

قالوا: وقد أطلق الله سبحانه الذرية على الكبار، كما قال: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾ [الأنعام: ٨٤] وقال: ﴿ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلِنَا مَعَ نُوحٍ﴾ [الإسراء: ٣] وقال: ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ أَفَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٣] وهذا قول لكبار العقلاء.

قالوا: ويدل على ذلك ما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس يرفعه: «إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ ذُرِّيَّةَ الْمُؤْمِنِ إِلَى دَرَجَتِهِ وَإِنْ كَانُوا دُونَهُ فِي الْعَمَلِ، لَتَقَرَّرَ بِهِمْ عَيْنُهُ» فهذا يدل على أنهم دخلوا بأعمالهم، ولكن لم يكن لهم أعمال يبلغوا بها درجة آبائهم. فبلغهم إياها، وإن تقاصر عملهم عنها.

قالوا: وأيضًا فالإيمان هو القول والعمل والنية. وهذا إنما يمكن من الكبار، وعلى هذا فيكون المعنى: أن الله سبحانه يجمع ذرية المؤمن إليه إذا أتوا من الإيمان بمثل إيمانه، إذ هذا حقيقة التبعية، وإن كانوا دونه في الإيمان، رفعهم الله إلى درجته إقرارًا لعينه، وتكميلًا لنعيمه، وهذا كما أن زوجات النبي ﷺ معه في الدرجة تبعًا، وإن لم يبلغوا تلك الدرجة بأعمالهن.

وقالت طائفة أخرى: الذرية ههنا الصغار. والمعنى: والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم في إيمان الآباء. والذرية تتبع الآباء. وإن كانوا صغارًا في الإيمان وأحكامه من

الميراث، والدية والصلاة عليهم، والدفن في قبور المسلمين، وغير ذلك، إلا فيما كان من أحكام البالغين.

ويكون قوله: ﴿بِإِيمَانٍ﴾ على هذا في موضع نصب على الحال من المفعولين، أي: وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان الآباء.

قالوا: يدل على صحة هذا القول: أن البالغين لهم حكم أنفسهم في الثواب والعقاب، فإنهم مستقلون بأنفسهم، ليسوا تابعين للآباء في شيء من أحكام الدنيا، ولا أحكام الثواب والعقاب، لاستقلالهم بأنفسهم، ولو كان المراد بالذرية البالغين لكان أولاد الصحابة البالغون كلهم في درجة آبائهم، ولكان أولاد التابعين البالغون كلهم في درجة آبائهم، وهلم جرًّا إلى يوم القيامة، فيكون الآخرون في درجة السابقين.

قالوا: ويدل عليه أيضًا: أنه سبحانه جعلهم معهم تبعًا في الدرجة. كما جعلهم تبعًا معهم في الإيمان. ولو كانوا بالغين لم يكن إيمانهم تبعًا، بل إيمان استقلال.

قالوا: ويدل عليه أن الله سبحانه جعل المنازل في الجنة بحسب الأعمال في حق المستقلين. وأما الأتباع فإن الله سبحانه يرفعهم إلى درجة أهلهم. وإن لم يكن لهم أعمال. كما تقدم.

وأيضًا فالحور العين والخدم في درجة أهلهم، وإن لم يكن لهم عمل، بخلاف المكلفين البالغين، فإنهم يرفعون إلى حيث بلغت بهم أعمالهم.

وقالت فرقة - منهم الواحدي -: الوجه أن تحمل الذرية على الصغار والكبار؛ لأن الكبير يتبع الأب بإيمان نفسه، والصغير يتبع الأب بإيمان الأب.

قالوا: والذرية تقع على الصغير والكبير، والواحد والكثير، والابن والأب، كما قال تعالى: ﴿وَأَيُّهُمْ لَمْ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْهُورِ﴾ [يس: ٤١] أي: آباءهم. والإيمان يقع على الإيمان التبعي وعلى الاختياري الكسبي. فمن وقوعه على التبعي قوله: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢] فلو أعتق صغيرًا جاز.

قالوا: وأقوال السلف تدل على هذا. قال سعيد بن جبير عن ابن عباس: إن الله يرفع ذرية المؤمنين في درجاتهم، وإن كانوا دونه في العمل، لتقر بهم عيونهم. ثم قرأ هذه الآية.

وقال ابن مسعود في هذه الآية: الرجل يكون له القدم، ويكون له الذرية، فيدخل الجنة، فيرفعون إليه، لتقر بهم عينه، وإن لم يبلغوا ذلك، وقال أبو مجلز: يجمعهم الله له، كما كان يحب أن يجتمعوا في الدنيا.

وقال الشعبي: أدخل الله الذرية بعمل الآباء الجنة. وقال الكلبي عن ابن عباس: إن كان الآباء أرفع درجة من الأبناء رفع الله الأبناء إلى الآباء. وإن كان الأبناء أرفع درجة من الآباء رفع الله الآباء إلى الأبناء. وقال إبراهيم: أعطوا مثل أجور آبائهم ولم ينقص الآباء من أجورهم شيئاً.

قال: ويدل على صحة هذا القول: أن القراءتين كالأيتين، فمن قرأ: ﴿وَاتَّبَعْنَهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ فهذا في حق البالغين الذين تصح نسبة الفعل إليهم، كما قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ وَالَّذِينَ تَبِعُواهُمْ بِإِحْسَنٍ﴾ [التوبة: ١٠٠]، ومن قرأ: ﴿وَاتَّبَعْنَاهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ فهذا في حق الصغار الذين أتبعهم الله إياهم في الإيمان حكماً. فدلّت القراءتان على النوعين.

قلت: واختصاص الذرية ههنا بالصغار أظهر، لثلا يلزم استواء المتأخرين والسابقين في الدرجات، ولا يلزم مثل هذا في الصغار، فإن أطفال كل رجل وذريته معه في درجته، والله أعلم.



س: هل قوله تعالى: ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ خاص بالكفار أم هو عام؟

ج: من العلماء من قال ذلك خاص بالكفار، لقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ

قال القرطبي رحمه الله:

﴿كل امرئ بما كسب رهين﴾ قيل: يرجع إلى أهل النار. قال ابن عباس: ارتهن أهل جهنم بأعمالهم وصار أهل الجنة إلى نعيمهم؛ ولهذا قال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (٣٨) ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ [المذثر: ٣٨].

وقيل: هو عام لكل إنسان مُرْتَهَنٌ بعمله فلا ينقص أحد من ثواب عمله، فأما الزيادة على ثواب العمل فهي تفضل من الله. ويحتمل أن يكون هذا في الذرية الذين لم يؤمنوا فلا يلحقون آباءهم المؤمنين بل يكونون مُرْتَهَنِينَ بكفرهم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾؟

ج: قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ يقول: كل نفس بما كسبت وعملت من خير وشر مرتبهة لا يؤخذ أحد بذنب غيره، وإنما يعاقب بذنب نفسه.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ لما أخبر عن مقام الفضل، وهو رفع درجة الذرية إلى منزلة الآباء من غير عمل يقتضي ذلك، أخبر عن مقام العدل، وهو أنه لا يؤخذ أحدًا بذنب أحد، بل ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ أي: مرتهن بعمله، لا يحمل عليه ذنب غيره من الناس، سواء كان أبًا أو ابنًا، كما قال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (٣٨) ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ (٣٩) ﴿فِي جَنَّاتٍ يَسَاءَلُونَ﴾ (٤٠) عَنِ الْمُنْجَرِمِينَ ﴿[المذثر: ٣٨ - ٤١].



س: هل كل إنسان يرتهن بعمله أم أن هناك استثناءات؟

ج: قوله تعالى: ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ ظاهره يفيد العموم، ولكن هناك ما يدل

على أن أصحاب اليمين يستثنون من هذا العموم.

قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۖ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ۖ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَسَاءَلُونَ﴾

[المذثر: ٣٨-٤٠].



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿يَنْتَرِعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْنِيمٌ﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - أن أهل الجنة يتعاطون فيما بينهم كأس خمر، ولكنها ليست كخمر الدنيا التي يصاحبها اللغو واللغط والسباب والشتم والأفعال المحرمة التي تجلب الآثام وتحمل صاحبها على الكذب، وإنما هي خمرٌ غيرٌ مصحوبة بلغوٍ ولا بلغط، ولا بكذب ولا بفعل محرم، والله تعالى أعلم.

وأخرج الطبري بإسنادٍ يصح عن قتادة في تفسير قوله تعالى: ﴿لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْنِيمٌ﴾. قال: أي لا لغو فيها ولا باطل، إنما كان الباطل في الدنيا مع الشيطان.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿يَنْتَرِعُونَ فِيهَا كَأْسًا﴾ أي: يتعاطون فيها كأساً أي: من الخمر؛ قاله الضحاك ﴿لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْنِيمٌ﴾ أي: لا يتكلمون عنها بكلام لاغٍ، أي: هذيان وإثم أي: فُحش، كما تتكلم به الشرية من أهل الدنيا.

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفِكَهَةٍ وَلَحْمٍ مَّائِشْتَهُونَ﴾ أي: أكثرنا لهم من ذلك زيادة من الله، أمدهم بها غير الذي كان لهم.

قوله تعالى: ﴿يَنْتَرِعُونَ فِيهَا كَأْسًا﴾ أي: يتناولها بعضهم من بعض وهو المؤمن وزوجاته وخدمه في الجنة. والكأس: إناء الخمر وكل إناء مملوء من شراب وغيره؛ فإذا فرغ لم يسم كأساً.

وشاهد التنازع والكأس في اللغة قول الأخطل:

وَشَارِبٌ مُرْبِحٌ بِالكَّاسِ نَادِمِي لَا بِالْحَصُورِ وَلَا فِيهَا بَسَّوَارٍ
نَازَعْتُهُ طَيْبَ الرَّاحِ الشَّمُولِ وَقَدْ صَاحَ الدَّجَاجُ وَحَانَتْ وَقْعَةُ السَّارِي
وقال امرؤ القيس:

فَلَمَّا تَنَازَعْنَا الْحَدِيثَ وَأَسْمَحْتَ هَصَرْتُ بِغَصْنِ ذِي شَمَارِيخٍ مَيَّالٍ

وقد مضى هذا في (والصفات): ﴿لَا لَعُوْ فِيهَا﴾ أي: في الكأس أي لا يجري بينهم لغو ﴿وَلَا تَأْنِيْمٌ﴾ ولا ما فيه إثم. والتأنيم تفعيل من الإثم؛ أي تلك الكأس لا تجعلهم آثمين لأنه مباح لهم. وقيل: ﴿لَا لَعُوْ فِيهَا﴾ أي: في الجنة. قال ابن عطاء: أي لغو يكون في مجلس محلة جنة عدن، وسقاتهم الملائكة، وشربهم على ذكر الله، وريحانهم وتحيتهم من عند الله، والقوم أضياف الله! ﴿وَلَا تَأْنِيْمٌ﴾ أي: ولا كذب؛ قاله ابن عباس. قال الضحاك: يعني لا يكذب بعضهم بعضاً. وقرأ ابن كثير وابن محيصن وأبو عمرو: ﴿لَا لَعُوْ فِيهَا وَلَا تَأْنِيْمٌ﴾ بفتح آخره. الباقر بالرفع والتنوين. وقد مضى هذا في (البقرة) عند قوله تعالى: ﴿وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفِيعَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤] والحمد لله.



س: قوله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ﴾ يطوفون بماذا؟

ج: يطوفون بالفواكه والتحف والطعام والشراب والصحاف والأباريق والكئوس ونحو ذلك.

* قال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ [الزُّخْرُف: ٧١].

* وقال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ﴾ [الصفات: ٤٥].

* وقال تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ﴾

[الواقعة: ١٧ - ١٨].



س: هل من فائدة في قوله: ﴿لَهُمْ﴾ عقب قوله: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ﴾؟
ج: قال الرازي في تفسيره:

وقوله: ﴿لَهُمْ﴾ أي: ملكهم إعلماً لهم بقدرتهم على التصرف فيهم بالأمر والنهي والاستخدام وهذا هو المشهور ويحتمل وجهاً آخر وهو: أنه تعالى لما بين امتياز خمر الآخرة عن خمر الدنيا بين امتياز غلمان الآخرة عن غلمان الدنيا، فإن الغلمان في الدنيا إذا طافوا على السادة الملوك يطوفون عليهم لحظ أنفسهم إما لتوقع النفع أو لتوفر الصفع، وأما في الآخرة فطوفهم عليهم متمخض لهم ولنفعهم ولا حاجة لهم إليهم والغلام الذي هذا شأنه له مزية على غيره وربما يبلغ درجة الأولاد.



س: ما الفائدة في كون اللؤلؤ ﴿مَكُونٌ﴾؟

ج: الفائدة إيضاح أن هذا اللؤلؤ نقيٌّ في غاية من النقاء صافي في غاية من الصفاء، فكما كان مصوناً محفوظاً في كنٍّ كان ذلك أدعى لبياضه وصفائه.



س: هل من فائدة لوصف هؤلاء الغلمان بهذا الوصف ﴿كَانَهُمْ لَوْلُؤٌ مَكُونٌ﴾؟

ج: الفائدة من وجهين، والله أعلم:

أحدها: وصف النعيم الذي يعيشه أهل الجنة.

الثاني: الإشارة بالنعيم الذي فيه الخادم إلى عظيم النعيم الذي فيه المخدم.

أي: فإذا كان الخادم من حاله أنه أبيض شديد البياض صافي في غاية من الصفاء (كاللؤلؤ المكنون) فكيف بالمخدم.

ولذلك أمثلة ونظائر في كتاب الله عزَّ وجل كما في قوله تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ

بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴿ [الرحمن: ٥٤] فإذا كانت البطائن من استبرق فكيف بالظواهر.
 وكقوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ
 وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣] فإذا كان العرض هكذا فكيف يكون الطول،
 والله أعلم.

هذا، وقد ورد في هذا الصدد خبرٌ مرفوع ضعيف الإسناد لإرساله من طريق
 قتادة قال: ذكر لنا أن رجلاً قال: يا نبي الله! هذا الخادم فكيف المخدم؟ قال: «وَالَّذِي
 نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنْ فَضَّلَ مَا بَيْنَهُمَا كَفَضَلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى النُّجُومِ»^(١).



س: هل يذكر المؤمنون والكافرون في الآخرة ما كانوا عليه في الدنيا؟

ج: نعم يذكرون ذلك، وقد دلَّ على ذلك ما يلي:

* قول أهل الإيمان: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾.

* وكذا قوله تعالى: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَتِنَّكَ لِنَ الْمَصْدِقِينَ

﴿٥٢﴾ أءَا مَنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أءَآلَ الْعَدِيِّونَ﴾ [الصافات: ٥١-٥٣].

* وكذا قول الكفار: ﴿مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ﴿١٦﴾ أَخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ

زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ﴾. [ص: ٦٢-٦٣]

قال الرازي رحمه الله:

ثم قال تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ

﴿١٦﴾ فَمَنْكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَفْنَا عَذَابَ السُّمُورِ ﴿١٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ

الرَّحِيمُ﴾ إشارة إلى أنهم يعلمون ما جرى عليهم في الدنيا ويذكرونه، وكذلك الكافر لا
 ينسى ما كان له من النعيم في الدنيا، فتزداد لذة المؤمن من حيث يرى نفسه انتقلت من

(١) أخرجه الطبري (٣٢٣٦٩، ٣٢٣٧٠)، ومراسيل قتادة من أضعف المراسيل.

السجن إلى الجنة ومن الضيق إلى السعة، ويزداد الكافر ألماً حيث يرى نفسه منتقلة من الشرف إلى التلف ومن النعيم إلى الجحيم، ثم يتذكرون ما كانوا عليه في الدنيا من الخشية والخوف، فيقولون: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ وهو أنهم يكون تسأولهم عن سبب ما وصلوا إليه فيقولون: خشية الله كنا نخاف الله ﴿فَمَرَبَّ اللَّهِ عَلَيْنَا وَوَقَّنَا عَذَابَ السَّمُورِ﴾ وفيه لطيفة وهو: أن يكون إشفاقهم على فوات الدنيا والخروج منها ومفارقة الإخوان ثم لما نزلوا الجنة علموا خطأهم.



س: قوله تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَسْتَأْذِنُونَ﴾ من هؤلاء؟ وعن أي شيء يتساءلون؟

ج: هؤلاء المؤمنون، وأما عن الذي يتساءلون عنه فقد أوضحته آيات من سورة الذاريات، إذ الله قال: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَسْتَأْذِنُونَ﴾ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ... ﴿[الصفات: ٥٠ - ٥٢]. وكذا أوضحته الآيات في هذه السورة المباركة: ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَسْتَأْذِنُونَ﴾ أي: أقبلوا يتحادثون ويتساءلون عن أعمالهم وأحوالهم في الدنيا، وهذا كما يتحادث أهل الشراب على شراهم إذا أخذ فيهم الشراب بما كان من أمرهم، ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ أي: قد كنا في الدار الدنيا ونحن بين أهلنا خائفين من ربنا مشفقين من عذابه وعقابه، ﴿فَمَرَبَّ اللَّهِ عَلَيْنَا وَوَقَّنَا عَذَابَ السَّمُورِ﴾ أي: فتصدق علينا وأجارنا مما نخاف، ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ﴾، أي: نتضرع إليه، فاستجاب لنا وأعطانا سؤلنا، ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾.

قال السمعاني: في الآية دليل على أن هؤلاء أهل الجنة يجتمعون ويذكرون أموال الدنيا ويسأل بعضهم بعضاً عن ذلك.

س: وضح معنى قولهم: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - أن أهل الإيمان يقولون يوم القيامة بعد أن من الله عليهم بالسلامة والنجاة من النار، وتفضل عليهم بفسيح الجنان، وما فيها من النعيم المقيم قالوا: إنا كنا في دار الدنيا ونحن بين أهلنا وذوينا خافين من عذاب الله وعقابه وبأسه وانتقامه.

ويقال أيضًا: وجلين خائفين من أن لا تقبل منهم أعمالهم، والآية كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧].



س: ما المراد بالدعاء في قولهم: ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ﴾؟

ج: قيل: المراد بالدعاء هنا العبادة والتوحيد.

قال السمعاني: أي نوحده ونعبده، والدعاء ههنا بمعنى التوحيد، وعليه أكثر المفسرين.



س: اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾؟

ج: قال السمعاني - رحمه الله تعالى - في إيضاح ذلك:

قوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ قرئ بفتح الألف وكسرها، فمن قرأ بالكسر فهو على الابتداء والاستئناف، ومن قرأ بالفتح فمعناه: إنا كنا من قبل ندعوه بأنه هو البر الرحيم أي: لأنه. والبر: هو البار اللطيف بعباده، ولطفه بعباده هو إنعامه عليهم مع عظم جرمهم وذنبهم. والرحيم: هو العطوف على ما ذكرنا. وعن بعضهم: أن البر الذي يصدق وعده لأوليائه.



﴿ فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾ (٢١) أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ
 رَبَّ السَّاعَةِ ﴿ ٢٠ ﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظَرِينَ ﴿ ٢١ ﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَعُوا
 أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاعُونَ ﴿ ٢٢ ﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ بِمِثْلِهِ ۚ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿ ٢٣ ﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ ۚ إِن
 كَانُوا صَادِقِينَ ﴿ ٢٤ ﴾ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿ ٢٥ ﴾ أَمْ خَلَقُوا
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ۚ بَلْ لَا يُؤْقِنُونَ ﴿ ٢٦ ﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصِيطِرُونَ
 ﴿ ٢٧ ﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿ ٢٨ ﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ
 الْبَنُونَ ﴿ ٢٩ ﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿ ٣٠ ﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ
 ﴿ ٣١ ﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿ ٣٢ ﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا
 يُشْرِكُونَ ﴿ ٣٣ ﴾ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ ﴿ ٣٤ ﴾ فَذَرَهُمْ حَتَّى
 يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿ ٣٥ ﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ
 ﴿ ٣٦ ﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ ٣٧ ﴾ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ
 فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿ ٣٨ ﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ النُّجُومِ ﴿ ٣٩ ﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿ فَذَكِّرْ - بِنِعْمَتِ رَبِّكَ - بِكَاهِنٍ - مَجْنُونٍ - أَمْ - نَتَرَبَّصُ بِهِ - رَبَّ السَّاعَةِ - تَرَبَّصُوا -
 - أَخْلَعُوا - أَمْ هُمْ - طَاعُونَ - نَقُولُهُ - بِمِثْلِهِ - بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ - لَا يُؤْقِنُونَ - الْمُصِيطِرُونَ - سُلَّمٌ -
 يَسْتَمِعُونَ فِيهِ - سُلْطَانٍ مُبِينٍ - مَغْرَمٍ - مُثْقَلُونَ - كَيْدًا - الْمَكِيدُونَ - سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ -
 كِسْفًا - مَرْكُومٌ - كَيْدُهُمْ - يُنصَرُونَ - عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ - لِحُكْمِ رَبِّكَ - بِأَعْيُنِنَا - وَإِدْبَرَ النُّجُومِ ﴾

ج:

الكلمة	معناها
﴿فَذَكِّرْ﴾	فعِظ (والتذكيرة الموعظة).
﴿وَبِعَمَّتِ رَبِّكَ﴾	بحمد ربك - من نعمة ربك عليك - من فضل الله عليك.
﴿رَبَّكَاهِنِ﴾	الكاهن الذي يأتيه الرُّئي من الجن أي: صاحبه الذي يراه من الجن بالكلمة التي يزعم أنه تلقاها من خبر السماء.
﴿بِمَجْنُونِ﴾	الذي ذهب عقله - أو الذي تخبطه الشيطان من المس.
﴿أَمْ﴾	بل.
﴿تَرْبِصُ بِهِ﴾	نتظر أن يُصبيه.
﴿رَبِّ الْمُنُونِ﴾	حوادث الدهر الذي تكفينا شره وغميته. وتريحنا منه أو تلتفه وتصيبه بالعطب ^(١) .
﴿تَرْبِصُوا﴾	انتظروا - تمهلوا.
﴿أَخْلَعَهُمْ﴾	عقلهم.
﴿أَمْ هُمْ﴾	بل هم.
﴿طَاعُونَ﴾	متجاوزون الحد في الطغيان والظلم والكفر.
﴿نَقُولُهُ﴾	اختلقه وافتراه من عند نفسه.
﴿بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ﴾	بقرآن مثله.

(١) أخرج الطبري عن قتادة (٣٢٣٧٨) بسند حسن: قوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبِصُ بِهِ رَبِّ الْمُنُونِ﴾ قال: قال ذلك قائلون من الناس: تربصوا بمحمد ﷺ الموت يكفيكموه، كما كفاكم شاعر بني فلان وشاعر بني فلان.

ومن ذلك قول الشاعر:

تُطْلَقُ يَوْمًا أَوْ يَمُوتُ حَلِيلُهَا

تربص بها ربب المنون لعلها

﴿لَا يُوقِنُونَ﴾	لا يصدقون بوعد الله.
﴿الْمُصْطَبِرُونَ﴾	الجارون المتسلطون - المنزلون - الأرباب المسلطون، ومنه: ﴿لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُصْطَبِرٍ﴾ [الغاشية: ٢٢].
﴿سَلَامٌ﴾	سلام - مرقاة يصعدون عليها - درج.
﴿يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾	يستمعون عليه، ف ﴿فِيهِ﴾ بمعنى عليه كقوله: ﴿وَلَأُصَلِّتَنَّكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾.
﴿بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾	حجة تبين أنه على حق.
﴿مَغْرُورٍ﴾	غرامة - دين.
﴿مُتَقَلِّوْنَ﴾	يُحْمَلُونَ بالدين - أثقلتهم الديون - مدينون دينًا باهظًا - يخافون أن يغرموا غرامة كبيرة.
﴿كَيْدًا﴾	مكرًا.
﴿الْمَكِيدُونَ﴾	الممكور بهم.
﴿سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾	تنزه الله عن شركهم.
﴿كُفْرًا﴾	قطعًا.
﴿مَرْكُومٍ﴾	متراكم (بعضه فوق بعض).
﴿يُضْعَفُونَ﴾	يموتون بالصعقة - يغشى عليهم.
﴿لَا يُغْنِي﴾	لا يدفع - لا ينفع.
﴿كَيْدُهُمْ﴾	مكرهم.
﴿وَلَا هُمْ يُبْصِرُونَ﴾	ولا ينصرون ناصر.
﴿عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾	عذابًا قبل ذلك - عذابًا أقل من ذلك (يعني في الدنيا).
﴿لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾	لقضاء ربك.

﴿بَاعَيْنَا﴾	على مرأى منا.
﴿وَادْبَرْنَا النُّجُومَ﴾	بعد غياب النجوم - وقيل: وقت إدبارها، وذلك بميلها إلى الغروب عن الأفق بانتشار ضوء الصباح.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - فعِظْ يا رسول الله قومك فالحمد لله، فمن فضل الله عليك ومن نعمته عليك لست بكاهن ولا مجنون.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فذكر يا محمد من أرسلت إليه من قومك وغيرهم، وعظهم بنعم الله عندهم ﴿فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ يقول: فلست بنعمة الله عليك بكاهن تتكهن، ولا مجنون له رأي يخبر عنه قومه ما أخبره به، ولكنك رسول الله، والله لا يخذلك، ولكنه ينصرك.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى آمراً رسوله ﷺ بأن يبلغ رسالته إلى عباده وأن يذكرهم بما أنزل الله عليه. ثم نفى عنه ما يرميه به أهل البهتان والفجور فقال: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ أي: لست بحمد الله بكاهن كما تقول الجهلة من كفار قريش. والكاهن: الذي يأتيه الرئي من الجان بالكلمة يتلقاها من خبر السماء، ﴿وَلَا مَجْنُونٍ﴾ وهو الذي يتخبطه الشيطان من المس.



س: ما وجه تعلق قوله: ﴿تَرْبِصُ بِهِ رَبُّ الْمُنُونِ﴾ بقوله: ﴿شَاعِرٌ﴾؟

ج: أجاب على ذلك الرازي بقوله:

المسألة الثالثة: ما وجه تعلق قوله: ﴿تَرْبِصُ بِهِ رَبُّ الْمُنُونِ﴾ بقوله: ﴿شَاعِرٌ﴾؟

نقول فيه وجهان:

الأول: أن العرب كانت تحتز عن إيذاء الشعراء وتتقي ألسنتهم، فإن الشعر كان عندهم يحفظ ويدون، وقالوا لا نعارضه في الحال مخالفة أن يغلبنا بقوة شعره، وإنما سبيلنا الصبر وتربص موته.

الثاني: أنه ﷺ كان يقول: إن الحق دين الله، وإن الشرع الذي أتيت به يبقى أبد الدهر وكتابي يتلى إلى قيام الساعة، فقالوا: ليس كذلك إنما هو شاعر، والذي يذكره في حق آلهتنا شعر ولا ناصر له وسيصيبه من بعض آلهتنا الهلاك فتربص به ذلك.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ﴾؟

ج: المعنى تربصوا أيها الكفار، وانتظروا حتى يأتي أمر الله، ويحل بي وبكم قضاء الله فإنني منتظر قضاء الله وقدره.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المشركين - الذين يقولون لك: إنك شاعر نربص بك ريب المنون - تربصوا: أي انتظروا وتمهلوا في ريب المنون، فإنني معكم من المتربصين بكم، حتى يأتي أمر الله فيكم.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

أي: انتظروا فإنني منتظر معكم وستعلمون لمن تكون العاقبة والنصرة في الدنيا والآخرة.

قال الرازي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ﴾ وهو يحتمل وجوهاً:

أحدها: إني معكم من المتربصين أتربص هلاككم وقد أهلكوا يوم بدر وفي غيره من الأيام هذا ما عليه الأكثرون والذي نقوله في هذا المقام هو أن الكلام يحتمل وجوهاً وبيانها: هو أن قوله تعالى: ﴿نَتَرَبَّصُ بِهِ رَبِّبَ الْمُنُونِ﴾ إن كان المراد من المنون الموت فقوله: ﴿فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ﴾ معناه: إني أخاف الموت ولا أتمناه لا لنفسي ولا لأحد، لعدم علمي بما قدمت يدها وإنما أنا نذير وأنا أقول ما قال ربي: ﴿أَفَأَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤] فتربصوا موتي وأنا متربصه ولا يسركم ذلك لعدم حصول ما تتوقعون بعدي، ويحتمل أن يكون كما قيل تربصوا موتي فإني متربص موتكم بالعذاب، وإن قلنا المراد من ريب المنون: صروف الدهر فمعناه إنكار كون صروف الدهر مؤثرة فكأنه يقول: أنا من المتربصين حتى أبصر ماذا يأتي به دهركم الذي تجعلونه مهلكاً وماذا يصيبني منه، وعلى التقديرين فنقول: النبي ﷺ يتربص ما يتربصون، غير أن في الأول تربصه مع اعتقاد الوقوع، وفي الثاني تربصه مع اعتقاد عدم التأثير، على طريقة من يقول: أنا أيضاً أنتظر ما ينتظره حتى أرى ماذا يكون منكراً عليه وقوع ما يتوقع وقوعه، وإنما هذا لأن ترك المفعول في قوله: ﴿فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ﴾ لكونه مذكوراً وهو ريب المنون أولى من تركه وإرادة غير المذكور وهو العذاب.

الثاني: أتربص صروف الدهر ليظهر عدم تأثيرها فهو لم يتربص بهم شيئاً على الوجهين، وعلى هذا الوجه يتربص بقاءه بعدهم وارتفاع كلمته فلم يتربص بهم شيئاً على الوجه التي اخترناها فقال: ﴿فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ﴾.



س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَعُوا بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاعُونَ﴾؟

ج: قال الطبري في تفسيره:

يقول تعالى ذكره: تأمر هؤلاء المشركين أحلامهم بأن يقولوا لمحمد ﷺ: هو شاعر، وأن ما جاء به شعر ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاعُونَ﴾ يقول جل ثناؤه: ما تأمرهم بذلك أحلامهم وعقولهم: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاعُونَ﴾ قد طغوا على ربهم، فتجاوزوا ما أذن لهم وأمرهم به من الإيثار إلى الكفر به.

وأورد بإسناد صحيح^(١) عن ابن زيد في قوله: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَعُوا بِهَذَا﴾ قال: كانوا يعدّون في الجاهلية أهل الأحلام، فقال الله: أم تأمرهم أحلامهم بهذا - أن يعبدوا أصنامًا بكما صمًا، ويتركوا عبادة الله - فلم تنفعهم أحلامهم، حين كانت لدنياههم ولم تكن عقولهم في دينهم، لم تنفعهم أحلامهم. وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة، يتأول قوله: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَعُوا بِهَذَا﴾ بل تأمرهم.

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله -:

﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَعُوا بِهَذَا﴾ أي: عقولهم تأمرهم بهذا الذي يقولونه فيك من الأقوال الباطلة التي يعلمون في أنفسهم أنها كذب وزور ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاعُونَ﴾ أي: ولكن هم قوم ضلال معاندون، فهذا هو الذي يحملهم على ما قالوه فيك.

قال السمعاني:

وقوله تعالى: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَعُوا بِهَذَا﴾ أي: عقولهم، وكانوا يدعون أنهم ذوو عقول وأحلام. والعقل: هو الداعي إلى الحلم فسماه باسمه. ويقال: إن المعنى من هذا هو تسفيههم وتجهيلهم أي: ليس لهم حلم ولا عقل حيث قالوا مثل هذا القول، وحيث نسبوا إلى الشعر والجنون من دعاهم إلى التوحيد وأتاهم بالبراهين.

وقوله: ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ أي: بل هم قوم طاغون.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾.

ج: هذا تحدي، يتحدى ربنا - سبحانه وتعالى - أن يأتي أهل الكفر - إن كانوا صادقين في دعواهم أن الرسول ﷺ افترى القرآن من عند نفسه - بحديث مثل هذا القرآن.

قال ابن كثير - رحمه الله -:

﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ أي: إن كانوا صادقين في قولهم: نَقَوْلُهُ وافتراه، فليأتوا بمثل ما جاء به محمد من هذا القرآن، فإنهم لو اجتمعوا هم وجميع أهل الأرض من الجن والإنس، ما جاءوا بمثله، ولا بعشر سور مثله، ولا بسورة من مثله.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾؟

ج: قال الطبري في تفسيرها:

يقول تعالى ذكره: أخلق هؤلاء المشركون من غير شيء، أي: من غير آباء ولا أمهات، فهم كالجماذ، لا يعقلون ولا يفهمون لله حجة، ولا يعتبرون له بعبرة، ولا يتعظون بموعظة. وقد قيل: إن معنى ذلك: أم خلقوا لغير شيء، كقول القائل: فعلت كذا وكذا من غير شيء، بمعنى: لغير شيء.

وقوله: ﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ يقول: أم هم الخالقون هذا الخلق، فهم لذلك لا يأتمرون لأمر الله، ولا ينتهون عما نهاهم عنه، لأن للخالق الأمر والنهي ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ يقول: أخلقوا السموات والأرض فيكونوا هم الخالقين! وإنما معنى ذلك: لم يخلقوا السموات والأرض، ﴿بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾ يقول: لم يتركوا أن يأتمروا

لأمر ربهم، وينتهوا إلى طاعته فيما أمر ونهى لأنهم خلقوا السموات والأرض فكانوا بذلك أرباباً، ولكنهم فعلوا، لأنهم لا يوقنون بوعيد الله وما أعد لأهل الكفر به من العذاب في الآخرة.

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله -:

هذا المقام في إثبات الربوبية وتوحيد الألوهية، فقال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ أي: أوجدوا من غير موجد؟ أم هم أوجدوا أنفسهم؟ أي: لا هذا ولا هذا، بل الله هو الذي خلقهم وأنشأهم بعد أن لم يكونوا شيئاً مذكوراً.

وأورد حديث البخاري^(١) من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه قال جبير بن مطعم، عن أبيه؛ قال: سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ (٣٥) أَمْ خُلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضُ بَلْ لَا يُوقِنُونَ (٣٦) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصْطَفُونَ ﴿ كاد قلبي أن يطير.

قال السمعاني في تفسيره:

وقوله: ﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ أي: خلقوا أنفسهم، والمراد على هذا القول: أنهم إذا لم يدعوا أنهم تكونوا من غير خالق وصانع، ولا ادَّعوا أنهم هم الذين خلقوا أنفسهم، وأقروا أن خالقهم هو الله، فلا ينبغي أن يعبدوا معه غيره. والقول الثاني: أن معناه: أم خلقوا من غير شيء أي: لغير شيء، وهو مثل قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون: ١١٥] ومثل قوله تعالى: ﴿أَلَيْحَسَبِ الْإِنْسَانُ أَنِ يَتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦] فإن قال قائل: هل يجوز أن يكون ﴿مِنْ﴾ بمعنى اللام؟ والجواب: أن بعضهم قد أجاز ذلك، ومن لم يجز قال معناه: أم خلقوا من غير شيء توجه الحكمة يعني: أن الحكمة أوجبت خلقهم. ذكره النحاس أيضاً، والأول أظهر في المعنى.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾؟

ج: قال السمعاني - رحمه الله -:

قوله تعالى: ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ معناه: أم يدعون خلق السموات والأرض للأصنام التي يعبدونها.

وقوله: ﴿بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾ أي: لا يوقنون بما يدعون. وقيل: أم خلقوا السموات والأرض أي: أهم الذين خلقوا السموات والأرض. ومعناه: أنهم لم يخلقوا السموات والأرض.

وفي التفسير: أنهم كانوا مقرين بأن الله خالق السموات والأرض. فالمعنى: أنهم إذا كانوا مقرين بأن الله هو الخالق فلم يشركون معه غيره؟!



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنٌ رَّبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيِّطُونَ﴾؟

ج: قال الطبري - بعد أن أورد جملة من الأقوال في تفسيرها -:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: أم هم الجبارون المتسلطون المستكبرون على الله، وذلك أن المصيطر في كلام العرب: الجبار المتسلط، ومنه قول الله: ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ [الغاشية: ٢٢] يقول: لست عليهم بجبار مسلط.

قال الرازي في تفسيره:

ثم قال تعالى: ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنٌ رَّبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيِّطُونَ﴾، وفيه وجوه:

أحدها: المراد من الخزائن خزائن الرحمة.

ثانيها: خزائن الغيب.

ثالثها: أنه إشارة إلى الأسرار الإلهية المخفية عن الأعيان.

رابعها: خزائن المخلوقات التي لم يرها الإنسان ولم يسمع بها، وهذه الوجوه

الأول والثاني منقول، والثالث والرابع مستنبط، وقوله تعالى: ﴿أَمْ هُمُ الْمُضْطَرُونَ﴾ تتمه للرد عليهم، وذلك لأنه لما قال: ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنٌ﴾ إشارة إلى أنهم ليسوا بخزنة رحمة الله فيعلموا خزائن الله، وليس بمجرد انتفاء كونهم خزنة ينتفي العلم لجواز أن يكون مشرفاً على الخزنة، فإن العلم بالخزائن عند الخازن والكاتب في الخزنة، فقال: لستم بخزنة ولا بكتبة الخزنة المسلطين عليها، ولا يبعد تفسير الميسطرين بكتبة الخزنة، لأن التركيب يدل على السطر وهو يستعمل في الكتاب، وقيل الميسطر المسلط وقرئ بالصاد، وكذلك في كثير من السينات التي مع الطاء، كما في قوله تعالى: ﴿بِمُصْطَرٍ﴾ وقد قرئ: ﴿بِمُصْطَرٍ﴾.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ سُلْمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَنِ مُبِينٍ﴾.

ج: قال الطبري - رحمه الله -:

وقوله: ﴿أَمْ لَهُمْ سُلْمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ يقول: أم لهم سلم يرتقون فيه إلى السماء يستمعون عليه الوحي، فيدعون أنهم سمعوا هنالك من الله أن الذي هم عليه حق، فهم بلك متمسكون بما هم عليه.

وقوله: ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَنِ مُبِينٍ﴾ يقول: فإن كانوا يدعون ذلك فليأت من يزعم أنه استمع ذلك فسمعه، بسلطان مبين، يعني بحجة تبين أنه حق، كما أتى محمد ﷺ بها على حقيقة قوله، وصدقه فيما جاءهم به من عند الله، والسُّلْمُ في كلام العرب: السبب والمراقبة، ومنه قول ابن مقبل:

لا تُخْرِزِ الْمَرْءَ أَحْجَاءَ الْبِلَادِ وَلَا تُبْنِي لَهُ فِي السَّمَوَاتِ السَّلَالِمُ

ومنه قوله: جعلت فلاناً مسلماً لحاجتي: إذا جعلته سبيلاً لها.

قال السمعاني - رحمه الله -:

قوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ سُلِّمْ﴾ أي: درج ومرقى.

وقوله: ﴿يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ أي: عليه، وهو مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّبْتُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١] أي: على جذوع النخل.

وقوله: ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ أي: فليأت من ادّعى الاستماع منهم بحجة بينة. وفي بعض التفاسير: كما أتى جبريل بالحجة في أنه قد سمع الوحي.



س: اذكر آية في معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ﴾.

ج: في معناها قوله تعالى: ﴿الْكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَى﴾ [النجم: ٢١].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

ثم قال منكرًا عليهم فيما نسبوه إليه من البنات، وجعلهم الملائكة إناثًا، واختيارهم لأنفسهم الذكور على الإناث، بحيث إذا بُشِّرَ أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودًا وهو كظيم. هذا وقد جعلوا الملائكة بنات الله، وعبدوهم مع الله، فقال: ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ﴾؟ وهذا تهديد شديد ووعد أكيد.

وقد قال السمعاني في تفسيرها:

قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ﴾ معناه: كيف تقولون أن له البنات وأنتم لا ترضون ذلك لأنفسكم؟ والمعنى: أنه ليس الأمر كما تزعمون.



س: وضح معنى الآية الكريمة: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾؟

ج: قال الطبري - رحمه الله -:

يقول تعالى ذكره للمشرّكين به من قريش: ألبكم أيها القوم البنات ولكم البنون؟ ذلك إذن قسمة ضيزى. وقوله: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾ يقول -

تعالى ذكره - لنبه محمد ﷺ: أَسْأَلُ هَؤُلَاءِ الْمَشْرِكِينَ الَّذِينَ أَرْسَلْنَاكَ إِلَيْهِمْ يَا مُحَمَّدُ عَلَى مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ ثَوَابًا وَعَوْضًا مِنْ أَمْوَالِهِمْ، فَهُمْ مِنْ ثَقُلَ مَا حَمَلْتَهُمْ مِنَ الْغَرَمِ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى إِجَابَتِكَ إِلَى مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قال: قوله: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾ يقول: هل سألت هؤلاء القوم أجرًا يجهدهم، فلا يستطيعون الإسلام.

وإسناد صحيح عن ابن زيد قال: قوله: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾ قال: يقول: أسألتهم على هذا أجرًا، فأثقلهم الذي يُبْتَغَى أخذه منهم.



س: الداعي إلى الله لا يتقاضى على هداية الناس أجرًا دَلَّ على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

* قوله تعالى: ﴿لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجَرْتُكُمْ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي﴾ [هود: ٥١].

* وقوله: ﴿وَيَنْقُومُ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَا إِنْ أَجَرْتُكُمْ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ [هود: ٢٩].

* وقوله: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَجَ مِنْكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزْقِينَ﴾ [المؤمنون: ٧٢].

* وقوله تعالى: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾.



س: ما المراد بالغيب في قوله تعالى: ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾؟، وضح معنى الآية.

ج: المراد بالغيب علم الغيب، ودليله قوله تعالى: ﴿أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ بِرَى﴾ [النجم: ٣٥].

أما عن الآية الكريمة، فقد قال الطبري في معناها:

وقوله: ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: أم عندهم علم الغيب،

فهم يكتبون ذلك للناس، فينبئونهم بما شاءوا، ويخبرونهم بما أرادوا.

قال القرطبي - رحمه الله :-

قال الله تعالى: ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ﴾ حتى علموا متى يموت محمد أو إلى ما يثول إليه أمره. وقال ابن عباس: أم عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه ويخبرون الناس بما فيه. وقال القتيبي: يكتبون يحكمون والكتاب الحكم؛ ومنه قوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤] أي: حكم، وقوله عليه الصلاة والسلام: «والذي نفسي بيده لأحكمن بينكم بكتاب الله» أي: بحكم الله.

وقال السمعاني - رحمه الله :-

قوله تعالى: ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ﴾ معناه: علم الغيب، ويقال: اللوح المحفوظ، فهم يكتبون منه ما يزعمونه ويدعون، ومعناه: أنه ليس عندهم ذلك، فقد ادعوا ما ادعوا فقالوا ما قالوا زورًا وكذبًا. ويقال: أم عندهم الغيب أي: كتاب من الله فهم يقولون ما يقولون منه.



س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾.

ج: قوله تعالى - هنا :- ﴿أَمْ﴾ معناه: بل، فالمعنى: بل يريد هؤلاء المشركون الكيد بك يا محمد والكيد لدين الله، ولكن ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ أي: أن أهل الكفر هم الممكور بهم دونك فثق بالله وامض لما أمرك الله. قاله الطبري.

ومن الكيد الذي كادوه للنبي ﷺ ما ذكره الله في كتابه الكريم إذ قال: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَكِيرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ﴾.

ج: قال الطبري في معناها:

وقوله: ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ﴾ يقول جل ثناؤه: أم لهم معبود يستحق عليهم العبادَة غير الله، فيجوز لهم عبادته، يقول: ليس لهم إله غير الله الذي له العبادَة من جميع خلقه ﴿سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ يقول: تنزيهاً لله عن شركهم وعبادتهم معه غيره.

قال السمعاني - رحمه الله -:

قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ﴾ فإن قيل: قد كانوا يدعون أن لهم آلهة غير الله، فكيف يصح قوله أم لهم إله غير الله يحيي ويميت، ويعطي ويمنع، ويرزق ويحرم؟!



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَأَن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾، وما المراد منه؟

ج: المراد - والله تعالى أعلم -: أن أهل الكفر والجحود، ممن سبق في علم الله أنهم سيموتون على الكفر لن تجدي معهم الآيات ولن يتنفعوا بالمعجزات، فمهما آتيتهم به من آية التمسوها وتفنيهاً وتكذيباً كالذين رأوا انشقاق القمر فقالوا: سَحَرْنَا مُحَمَّدٌ ﷺ.

وهذا أيضاً كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ * وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٩٦].

وكما قال تعالى: ﴿وَمَا تَغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١].

وكما قال تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ۚ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ [الحجر: ١٤ - ١٥].

أما عن معنى الآية الكريمة، فبين يدي تفسيرها أقول: إن أهل الشرك قد طلبوا من رسول الله ﷺ - كي يؤمنوا به ويصدقوه - معجزات، وكان مما طلبوه إسقاط السماء

عليهم قطعاً كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ إلى قوله: ﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِنَا إِلَهًا وَالْمَلَكُوتَ قَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٩٠-٩٢].

فأخبر الله تعالى: أنه مهما أمدهم به من آيات ومعجزات حتى ولو أسقط السماء عليهم قطعاً ما آمنوا بل لتهاذوا - أيضاً - في غيهم.

فقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا﴾ أي: الكفار: ﴿كِسْفًا﴾ أي: قطعاً ﴿سَاقِطًا﴾ أي: ساقطة من السماء، ﴿يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ﴾ أي: هذا سحب مراكم بعضه فوق بعض.

أورد الطبري بإسناد حسن عن قتادة^(١) في قوله: ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا﴾ يقول: وإن يروا قطعاً من السماء ساقطاً يقولوا سحابٌ مَرْكُومٌ يقول جل ثناؤه: يقولوا لذلك الكسف الساقط من السماء: هذا سحب مركوم، يعني بقوله مركوم: بعضه على بعض.

وبإسناد صحيح عن^(٢) ابن زيد في قوله: ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ﴾ قال: حين سألو الكسف قالوا: أسقط علينا كسفاً من السماء إن كنت من الصادقين، قال: يقول: لو أنا فعلنا لقالوا: سحب مركوم.

وقال الطبري - رحمه الله -:

وإنما عني بذلك جل ثناؤه المشركين من قريش الذين سألو رسول الله ﷺ الآيات فقالوا له: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ [الإسراء: ٩٠]... إلى قوله: ﴿عَلَيْنَا كِسْفًا﴾ [الإسراء: ٩٢]، فقال الله لنبيه محمد ﷺ: وإن ير هؤلاء المشركون ما سألو من الآيات، فعابنوا كسفاً من السماء ساقطاً، لم ينتقلوا عما هم عليه من التكذيب، ولقالوا: إنما هذا سحب بعضه فوق بعض، لأن الله قد حتم عليهم أنهم لا يؤمنون.



(١) الطبري (٣٢٣٩١).

(٢) الطبري (٣٢٣٩٣).

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَذَرَهُمْ حَتَّى يَلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾.

ج: قال الطبري - رحمه الله تعالى -:

وقوله: ﴿فَذَرَهُمْ حَتَّى يَلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ يقول - تعالى ذكره - لنبيه محمد ﷺ: فدع يا محمد هؤلاء المشركين حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يهلكون، وذلك عند النفخة الأولى.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾؟

ج: قال الطبري - رحمه الله - في تفسيرها:

يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ يوم القيامة، حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون، ثم بين عن ذلك اليوم أي يوم هو، فقال: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾، يعني: مكرهم أنه لا يدفع عنهم من عذاب الله شيئًا، فاليوم الثاني ترجمة عن الأول.

قال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ أي: لا ينفعهم في ذلك اليوم كيدهم الذي كادوا به رسول الله ﷺ في الدنيا ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ أي: ولا يمنع عنهم العذاب النازل بهم مانع، بل هو واقع بهم لا محالة.



س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾؟

ج: أما قوله: ﴿دُونَ ذَلِكَ﴾ فمن العلماء من قال: (أقل من ذلك)، ومنهم من قال: (قبل ذلك).

والمعنى: وإن لأهل الظلم قبل يوم القيامة عذابًا يعذبون به أدنى وأقل من عذاب

يوم القيامة، وذلك كقوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة: ٢١] ثم إن هذا العذاب من العلماء من قال: إن المراد به عذاب القبر، ومنهم من قال: إنه الجوع، وثم أقوال أخر.

أخرج الطبري^(١) بإسناد عن ابن زيد قال: في قوله: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ قال: دون الآخرة في هذه الدنيا ما يعذبهم به من ذهاب الأموال والأولاد، قال: فهي للمؤمنين أجر وثواب عند الله، عدا مصائبهم ومصائب هؤلاء، عجلهم الله إياها في الدنيا، وقرأ: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ﴾ [التوبة: ٥٥].. إلى آخر الآية.



س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾؟

ج: قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله -:

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: نعذبهم في الدنيا، ونبليهم فيها بالمصائب، لعلمهم يرجعون وينيبون، فلا يفهمون ما يُراد بهم، بل إذا جَلَى عنهم مما كانوا فيه، عادوا إلى أسوأ ما كانوا عليه.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾؟

ج: قال الطبري - رحمه الله -:

يقول تعالى ذكره لنبه محمد ﷺ: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ يا محمد الذي حكم به عليك، وامض لأمره ونهيه، وبلغ رسالاته ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ يقول جل ثناؤه: فإنك بمراى منا نراك ونرى عملك، ونحن نحوطك ونحفظك، فلا يصل إليك من أرادك

بسوء من المشركين.

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله :-

وقوله: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ أي: اصبر على أذاهم ولا تُبَاهم، فإنك بمرأى منا وتحت كلاءتنا، والله يعصمك من الناس.

قال القرطبي - رحمه الله :-

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ أي: بمرأى ومنظر منّا نرى ونسمع ما تقول وتفعل. وقيل: بحيث نراك ونحفظك ونحوطك ونحرسك ونرعاك. والمعنى واحد. ومنه قوله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿وَلِئَلْصَنَعَ عَلَىٰ عَيْنَيَّ﴾ [طه: ٣٩] أي: بحفظي وحراستي وقد تقدّم.



س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿وَسَيَحْمَدُ رَبَّكَ﴾؟، وما المراد بقوله تعالى: ﴿حِينَ تَقُومُ﴾؟

ج: أما قوله تعالى: ﴿وَسَيَحْمَدُ رَبَّكَ﴾ فمن العلماء من قال: معناه أن نقول سبحان الله وبحمده.

وقال آخرون: معناها وصل بحمد ربك، أي: صلّ، وصلاتك هذه يحمد عليها ربك فقد صليتها بحمد ربك.

أما قوله: ﴿حِينَ تَقُومُ﴾ فمن العلماء من قال: حين تقوم من كل منامة، وقال آخرون: حين تقوم إلى الصلاة المفروضة.

قال الطبري - رحمه الله :-

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: وصل بحمد ربك حين تقوم من منامك، وذلك نوم القائلة، وإنما عني صلاة الظهر.

وإنما قلت: هذا القول أولى القولين بالصواب، لأن الجميع مجمعون على أنه غير واجب أن يقال في الصلاة: سبحانك وبحمدك، وما روي عن الضحاك عند القيام إلى الصلاة، فلو كان القول كما قاله الضحاك لكان فرضاً أن يقال، لأن قوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أمر من الله تعالى بالتسبيح، وفي إجماع الجميع على أن ذلك غير واجب الدليل الواضح على أن القول في ذلك غير الذي قاله الضحاك.

فإن قال قائل: ولعله أريد به النذب والإرشاد، قيل: لا دلالة في الآية على ذلك، ولم تقم حجة أن ذلك معنيّ به ما قاله الضحاك، فيجعل إجماع الجميع على أن التسبيح عند القيام إلى الصلاة مما خير المسلمون فيه دليلاً لنا أنه أريد به النذب والإرشاد.

وإنما قلنا: غنيّ به القيام من نوم القائلة، لأنه لا صلاة تجب فرضاً بعد وقت من أوقات نوم الناس المعروف إلا بعد نوم الليل، وذلك صلاة الفجر، أو بعد نوم القائلة، وذلك صلاة الظهر، فلما أمر بعد قوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ بالتسبيح بعد إدبار النجوم - وذلك ركعتا الفجر بعد قيام الناس من نومها ليلاً - علم أن الأمر بالتسبيح بعد القيام من النوم هو أمر بالصلاة التي تجب بعد قيام من نوم القائلة على ما ذكرنا دون القيام من نوم الليل.

قال السمعاني - رحمه الله -:

وقوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي: صلّ حامداً ربك، وعن عمر ابن الخطاب - رضي الله عنه - أن معناه: هو أنه إذا قام إلى الصلاة يقول: سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك.

وعن بعضهم: أنه إذا قام إلى الصلاة يقول: الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً، فهو المراد من الآية، قاله زر بن حبیش. وقال أبو الأحوص معناه: أنه يقول: سبحانك وبحمدك إذا قام من أي مجلس كان. وعن بعضهم أنه يقول: إذا قام من المجلس: سبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

فهو كفارة لكل مجلس جلسه الإنسان.

أما الحافظ ابن كثير - رحمه الله - فقد أورد جملة أقوال منها: حين تقوم إلى الصلاة، ومنها: إذا قام من الليل ومنها: إذا قام من المجلس، وأورد استدلالاته على ذلك.

ومما أورده حديث^(١) عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «من تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَخَذَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: رَبِّ اغْفِرْ لِي - أَوْ قَالَ: - ثُمَّ دَعَا اسْتَجِيبَ لَهُ، فَإِنْ عَزَمَ فَتَوَضَّأْ ثُمَّ صَلَّى تُقْبِلَتْ صَلَاتُهُ».

وحديث أبي هريرة^(٢) عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ فَكَثُرَ فِيهِ لَعْنُهُ فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ».



س: اذكر بعض أذكار الاستيقاظ؟

ج: من ذلك ما ورد في الصحيحين^(٣) من حديث حذيفة - رضي الله عنه - قال: كان النبي ﷺ إذا أوى إلى فراشه قال: «باسمك اللهم أموت وأحيا»، وإذا قام قال: «الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور».

* ومن ذلك أيضًا قراءة العشر آيات خواتيم سورة آل عمران - أحيانًا - فقد فعلها النبي ﷺ. ففي الصحيحين من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - في قصة

(١) البخاري (حديث ١١٥٤).

(٢) الترمذي (٣٤٢٩)، وله طرق يشد بعضها بعضًا.

(٣) البخاري (مع الفتح ١١ / ١١٣)، ومسلم (مع النووي ١٧ / ٣٥).

مبيته عند خالته ميمونة قال: ... ثم استيقظ رسول الله ﷺ فجلس فمسح النوم عن وجهه بيده ثم قرأ العشر آيات خواتيم سورة آل عمران ثم قام إلى سنٍ معلقة فتوضاً منها فأحسن وضوءه ثم قام يصلي^(١).

وفي الباب حديث آخر يقوله من تعارَّ من الليل، (وتعار أي: تقلب على الفراش ليلاً، وقيل: معناه انتبه، وقيل: التقلب مع كلام)، ألا وهو حديث عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي أَوْ دَعَا اسْتَجِيبُ، فَإِنْ تَوَضَّأَ قُبِلَتْ صَلَاتُهُ»^(٢).

وفي الصحيحين^(٣) - كذلك - من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجّد قال: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ لَكَ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أُنَبِّتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاعْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمَقْدُمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخَّرُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَوْ لَا إِلَهَ غَيْرُكَ».



(١) البخاري (مع الفتحة ٣ / ٧١)، ومسلم (٦ / ٤٥).

(٢) أخرجه البخاري (مع الفتحة ٣ / ٣٩).

(٣) البخاري (مع الفتحة ٣ / ٣)، ومسلم (مع النووي ٦ / ٥٤).

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾؟

ج: قال بعض أهل العلم: ومن الليل فعظم ربك يا محمد بالصلاة والعبادة، وذلك صلاة المغرب وقيل: المراد صلاة الليل عموماً.

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله -:

وقوله: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ أي: اذكره واعبد به بالتلاوة والصلاة في الليل، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ، نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّخْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩].



س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَرَأَ النُّجُومَ﴾.

ج: المراد - والله تعالى أعلم -: وسبح بحمد ربك عند إدبار النجوم، وقد قيل: إن المراد صلاة ركعتي نافلة الفجر وقيل: المراد صلاة الصبح.

قال الطبري - رحمه الله -:

وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال: عني بها: الصلاة المكتوبة صلاة الفجر، وذلك أن الله أمر فقال: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِذْ بَرَأَ النُّجُومَ﴾ والركعتان قبل الفريضة غير واجبتين ولم تقم حجة يجب التسليم لها أن قوله (فسبحه): على الندب، وقد دللنا في غير موضع من كتابنا على أن أمر الله على الفرض حتى تقوم حجة بأنه مراد به الندب أو غير الفرض بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.



س: اذكر بعض الوارد عن رسول الله ﷺ في فضل نافلة الفجر؟

ج: من ذلك قول رسول الله ﷺ: «رَكْعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا».

وفي رواية: «لها أحب إليّ من الدنيا جميعاً» أخرج الروایتين مسلم^(١) في صحيحه.
وعند البخاري^(٢) من حديث عائشة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ لم يكن يدعها أبداً.

وفي رواية عنها عند البخاري^(٣) أيضاً قالت: لم يكن النبي ﷺ على شيء من النوافل أشد منه تعاهداً على ركعتي الفجر.



(١) مسلم حديث (٧٢٥).

(٢) البخاري (١١٥٩).

(٣) البخاري (١١٦٣).

تفسير سورة النجم

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَبْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝١١ أَفَتَمْتَرُنَّ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ۝١٤ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا رَأَى الْبَصَرُ وَمَا طَعَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَى مِنْ ءَابِتٍ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ۝١٨ أَفَرَءَيْتُمُ اللَّكْتَ وَالْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوَةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ۝٢٠ أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ۝٢١ تِلْكَ إِذْ قَسَمَ صِيزَىٰ ۝٢٢ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَتْهُمَا أَنْتُمْ وَعَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ ۝٢٣ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَىٰ ۝٢٤ أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّىٰ ۝٢٥ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ ۝٢٦ وَكَرِهَ مِنْ مَلَكَ فِي السَّمَوَاتِ لَا تَعْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَرِضَىٰ ۝٢٧ إِنْ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةً الْأُنثَىٰ ۝٢٨ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ الظَّنُّ لَا يَغْنَى مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ۝٢٩ فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝٣٠ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۝٣١ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ ۝٣٢ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَىٰ ۝٣٣ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ ۝٣٤ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُرْكُوا أَنْفُسَكُمْ ۝٣٥ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ۝٣٦﴾ [النجم: ١ - ٣٦]

س: اذكر معنى ما يلي: ﴿وَالنَّجْمِ - هَوَى - مَاضِل - وَمَا عَوَى - وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى - شَدِيدُ الْقُوَى - ذُو مِرَّةٍ - فَاسْتَوَى - وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى - دَنَا - فَندَكَى - قَابَ قَوْسَيْنِ - أَوَّادَنَ - الْفُؤَادُ - أَقْتَمَرُونَهُ - نَزَلَهُ أُخْرَى - سِدْرَةَ الْمُنْهَى - جَنَّةُ الْمَأْوَى - يَعْنَى - مَا زَاغَ - وَمَا طَفَى - ضِرَى - سُلْطَانٍ - الْهُدَى - فَأَعْرَضَ - مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ - بِالْحُسْنَى - أَلَمَ - فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ - اتَّقَى﴾؟

ج:

الكلمة	معناها
﴿وَالنَّجْمِ﴾	قيل: المراد عموم النجوم التي نراها - وقيل نجم مخصوص وهو الثريا - وقيل القرآن إذا نزل مُنْجِمًا ^(١) (أي مفرقًا) .
﴿هَوَى﴾	سقط .
﴿مَاضِل﴾	ما حاد عن الطريق - ما زال عن الحق ولكن على استقامة وسداد .
﴿وَمَا عَوَى﴾	ما صار غويًا، ولكنه رشيد سديد .
﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾	ما ينطق عن هواه - ما ينطق بالهوى ^(٢) ما يقول قولاً عن هوى وغرض .
﴿شَدِيدُ الْقُوَى﴾	شديد الأسباب - عنده من الأسباب ما يتوصل به إلى ما يريده (بإذن الله) - وهو جبريل عليه السلام .
﴿ذُو مِرَّةٍ﴾	ذو خَلْقٍ حسن - ذو منظرٍ حسن وقيل ذو قوة ^(٣) .

(١) كونه ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم﴾ أي: مواطن نزول الآيات على قول .

(٢) كقوله ﴿فأسأل به خبيراً﴾ أي: فأسأل عنه خبيراً .

(٣) المال الطبري رحمه الله: وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: عُنِيَ بِالْمِرَّةِ صحة الجسم وسلامته من الآفات والعاهات، والجسم إذا كان كذلك من الإنسان كان قويًا، وإننا قلنا إن ذلك كذلك لأن المِرَّةَ واحدة المرر، وإنها أريد به ذو مرة سوية وإن كانت المِرَّةُ صحيحة كان الإنسان صحيحًا، ومنه قول النبي ﷺ: «لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي» .

﴿فَاسْتَوَى﴾	أصبح في مستوى واحد مع رسول الله ﷺ - ارتفع واعتدل.
﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾	نواحي السماء (في اتجاه طلوع الشمس) الذي يأتي منه النهار.
﴿دَنَا﴾	اقرب.
﴿فَنَدَلَى﴾	فنزل.
﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾	قدر قوسين - على بُعد يقدر بقوسين. وقيل القاب قدر نصف الإصبع.
﴿أَوْ أَدْنَى﴾	أو أقرب.
﴿الْفُؤَادُ﴾	القلب.
﴿أَفْتَحُورُنْهُ﴾	أفتجادلونه - أفتجحدونه.
﴿نَزَلَهُ أُخْرَى﴾	مرة أخرى.
﴿سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾	سدر السدر - شجرة النبق التي يُنتهى إليها، وهي شجرة عظيمة جداً فوق السماء السابعة.
﴿جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾	الجنة التي يأوي إليها أهل الإيمان ^(١) ، وقيل يأوي إليها الشهداء.
﴿يَغْشَى﴾	يُغطي - يعتري.
﴿مَا زَاغَ﴾	ما مال بصر النبي ﷺ يميناً ولا شمالاً عما رآه.
﴿وَمَا طَغَى﴾	وما جاوز ما أمر به - ما ارتفع عن الحد الذي حُدَّ له ^(٢) .
﴿ضَيْرَى﴾	جائرة - غير مستوية - ناقصة غير تامة عوجاء منقوصة - غير عادلة ^(٣) .
﴿سُلْطَنَ﴾	حجة.
﴿الْهَدَى﴾	البيان لحقيقة ما هم عليه.

(١) شاهده قوله تعالى: ﴿أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى﴾ [السجدة: ١٩].

(٢) أخرج الطبري (٣٢٥٢٥) بسند رجاله ثقات عن ابن عباس قال في قوله: ﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾ قال: ما زاغ يميناً ولا شمالاً ولا طغى، ولا جاوز ما أمر به.

(٣) أخرج الطبري بسند صحيح عن قتادة (٣٢٥٤٧) قال: ﴿تلك إذا قسمة ضيرى﴾ يقول: قسمة جائرة.

﴿ فَأَعْرِضْ ﴾	دع - اترك.
﴿ لَا يَغْنِي ﴾ ﴿ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ﴾	لا تفيد من ادعاها وتعلق بها ورجاها. منتهى علمهم.
﴿ بِالْحُسْنَى ﴾	الجنة.
﴿ أَلَمَّ ﴾	صغار الذنوب - ما يلزم به الشخص من الذنوب عمومًا، تلك الذنوب التي تابوا منها.
﴿ فَلَا تُرْكُوا ﴾ ﴿ أَنْفُسَكُمْ ﴾	فلا تبرئوا أنفسكم - لا تظهروا براءة أنفسكم - لا تشهدوا لأنفسكم بأنها زكية بريئة من الذنوب والمعاصي. لا تمدحوها وتشكروها.
﴿ اتَّقَى ﴾	خاف العقوبة فاجتنب المعاصي.



س: اذكر إجمالاً ما تضمنته هذه السورة المباركة الكريمة؟

ج: افتتحت هذه السورة الكريمة بقسم من الله العظيم على تبرئة رسول الله ﷺ مما صنعه به الواصفون المشركون والمكذبون المعاندون، وتضمنت دفاعاً عن هذا النبي ﷺ أحسن الدفاع وأكمل الدفاع، وكذا تضمنت الدفاع عن الوحي المتضمن القرآن والسنة النبوية وبيان أنه من عند الله عز وجل، وبتعليم جبريل الأمين عليه السلام لهذا النبي الكريم.

- ثم بيان بعض ما أكرمه الله به نبيه ﷺ ليلة المعراج من رؤية جبريل عليه السلام على صورته التي خلقه الله عليها، ورؤية سدره المنتهى.

- ثم بيان لبطلان ما يعبد المشركون من الآلهة الباطلة المزعومة المفتراة.
- وكذلك جميل بيان لكون الأمور كلها مردها إلى الله عز وجل، وأن أمر الخلق كلهم إليه وتصير لهذا النبي الكريم وتوجيه له، وبيان عدل الله عز وجل، وما أعد له لأهل الإيمان، وبيان قدرته على الخلق.

- ثم بيان أمر رجل معاند كافر جاحد.

- وبيان لبعض ما في الصحف المنزلة قبل القرآن، ألا وهي صحف إبراهيم وموسى - عليهما السلام -.

- ثم تذكير بالأمم الهالكة الماضية كعاد وثمود وقوم نوح وقوم لوط.

- وتذكير بالآخرة واقترابها وتحقق وقوعها، وأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، والسجود له والإذعان والله تعالى أعلم.



س: قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ ما المراد بهذا الهوى؟

ج: قال بعض العلماء: المراد إذا رُميت به الشياطين.

وقال آخرون من العلماء: إن المراد بالهوي السقوط (سقوط النجم) في الأفق في آخر الليل عند إدبار الليل وإقبال النهار، لأن في ذلك من الآيات العظيمة ما أوجب أن أقسم به. قاله السعدي رحمه الله.

وقال فريق ثالث من العلماء: إن قوله: ﴿هَوَىٰ﴾ انتثر، وذلك يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ﴾ [الانفطار: ٢].



س: هل هناك مناسبة بين المقسم به والمقسم عليه في هذه السورة المباركة؟

ج: أشار السعدي - رحمه الله - في تفسيره إلى ذلك بقوله: وأقسم بالنجوم على صحة ما جاء به الرسول من الوحي الإلهي، لأن في ذلك مناسبة عجيبة، فإن الله تعالى جعل النجوم زينةً للسماء فكذلك الوحي وآثاره زينة للأرض، فلولا العلم الموروث من الأنبياء لكان الناس في ظلمة أشد من ظلمة الليل البهيم.



س: من المعنيُّ بالصاحب في قوله تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾؟

ج: المعنيُّ بذلك هو رسول الله ﷺ.



س: ما وجه التذكير بقوله: ﴿صَاحِبُكُمْ﴾؟

ج: قال بعض العلماء: وذلك - والله أعلم - ليبين لهم أن هذا الرسول ليس بمجهولٍ عندهم بل معروف بصدقه وأمانته، وحسن خلقه وهدايته، فأمره لا يخفى عليهم وذلك أدعى للتصديق والإيمان به.



س: على أي شيء أقسم الله عزَّ وجلَّ؟

ج: أقسم الله عزَّ وجلَّ على أن النبي ﷺ ما ضلَّ وما غوى، فالمقسم عليه تنزيه الرسول ﷺ عن الضلال في علمه والغِي في قصده.
قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله -:

وقوله: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾: هذا هو المقسم عليه، وهو الشهادة للرسول - صلوات الله وسلامه عليه - بأنه بارٌّ راشد تابع للحق ليس بضال، وهو: الجاهل الذي يسلك على غير طريق بغير علم. والغاوي: هو العالم بالحق العادل عنه قصدًا إلى غيره، فتره الله رسوله وشرعه عن مشابهة أهل الضلال كالنصارى وطرائق اليهود، وعن علم الشيء وكتمانه والعمل بخلافه، بل هو صلوات الله وسلامه عليه، وما بعثه الله به من الشرع العظيم في غاية الاستقامة والاعتدال والسداد؛ ولهذا قال: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾، أي: ما يقول قولًا عن هوى وغرض ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ أي: إنما يقول ما أمر به، يبلغه إلى الناس كاملاً موقراً من غير زيادة ولا نقصان.



س: اذكر الأثر الوارد عن عتبة بن أبي لهب وكفرانه برب النجم وما مدى صحة هذا الأثر؟

ج: هذا الأثر أخرجه الطبري^(١) عن قتادة أن النبي ﷺ تلا: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ فقال ابنُ لأبي لهب حسبته قال: اسمه عتبة: كفرت برب النجم، فقال النبي ﷺ: «أَحْذَرُ لَا يَأْكُلُكَ كَلْبُ اللَّهِ»، قال: فضرب هامته.

قال: وقال ابن طاوس عن أبيه، أن النبي ﷺ قال: «أَلَا تَخَافُ أَنْ يُسَلِّطَ عَلَيْكَ كَلْبُهُ؟» فخرج ابن أبي لهب مع ناس في سفر حتى إذا كانوا في بعض الطريق سمعوا صوت الأسد، فقال: ما هو إلا يريدني، فاجتمع أصحابه حوله وجعلوه في وسطهم، حتى إذا ناموا جاء الأسد فأخذه من بينهم.

إلا أن هذا الأثر مرسل، ومراسيل قتادة شديدة الضعف والله أعلم.



س: ما الفرق بين الضلال والغواية؟

ج: ذهب بعض أهل العلم: إلى أن الضلال أعم من الغواية وأحياناً يكون الضلال متعلقاً بالبعد عن القصد الصحيح عمومًا، والبعد عن الصواب، أما الغواية فالبعد عن طريق الإيمان فحسب، ولذلك جَوَّز بعض العلماء أن نقول ضلَّ بعيري، وضلَّت ناقتي، ولا تقول غوى بعيري وغوت ناقتي.

ومن ثم فقد رأى بعض أهل العلم أن معنى ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ أي ما كفر، ولا فعل أقل من ذلك وهو الفسق، أي ما كفر صاحبكم وما فسق.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - ما هذا القرآن إلا وحي يوحيه الله تبارك وتعالى إلى رُسُلِهِ، وكذلك أفادت الآية أن السُّنة وحيٌ يوحى وأفادت أيضًا أن النبي ﷺ معصوم فيما يخبر به عن الله عز وجل وشرعه.

أخرج الطبري^(١): بإسنادٍ حسنٍ عن قتادة قال: يُوحى الله تبارك وتعالى إلى جبرائيل، ويوحى جبريل إلى محمد ﷺ.



س: هل السنة تنسخ القرآن؟ اذكر أمثلة لذلك؟

ج: ذهب إلى ذلك عدد من العلماء، بل نقل هذا القول عن الجمهور ومن أدلتهم على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾.

ومن أمثلة ذلك: قوله ﷺ: «لَا وَصِيَّةَ لِرِوَارِثٍ» فقد ذهب عدد من العلماء إلى أنه ناسخٌ لقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ...﴾ [البقرة: ١٨٠] واستدل أيضًا بقول النبي ﷺ «خُذُوا عَنِّي خُذُوا عَنِّي قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهْنًا سَيِّئًا لِلثَّيِّبِ جَلْدُ مِائَةٍ وَالرَّجْمُ، وَالْبِكْرُ بِالْبِكْرِ جَلْدُ مِائَةٍ وَتَغْرِيبُ عَامٍ» قالوا: إنه ناسخٌ لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِي يَأْتِيكَ الْفَاحِشَةُ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٥].



س: دافع الله عز وجل عن نبيه في مواطن كثيرة جداً اذكر بعضها؟

ج: من تلك المواضع ما يلي:

قوله تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ [الطور: ٢٩].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَىٰ الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [التكوير: ٢٤].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾ ①١ ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ ①٢ ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ

الْوَتِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٦].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا نُؤْمِنُونَ﴾ ①٣ ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا نَذْكُرُونَ﴾

[الحاقة: ٤١، ٤٢].



س: من المراد بشديد القوى، وما فائدة التذكير بذلك؟

ج: أكثر العلماء على أنه جبريل - عليه السلام -.

وفائدة التذكير بذلك بيان أن الذي علَّم النبي ﷺ وجاءه بالوحي هو أفضل ملك من الملائكة وهو جبريل - عليه السلام - فهو سيد الملائكة، وهو المطاع فيهم، ثم هو قويٌّ على تنفيذ ما أمره الله به، قوي على إيصال الوحي إلى الرسول ﷺ، قوي في منع الشياطين من اختلاس الوحي قسوي في منعهم من التخليط والتحريف.

ففي ما ذكر فضيلة للرسول ﷺ إضافة إلى سائر فضائله فهو سيد الناس يوم القيامة نزل عليه خير كتاب بخير لغة في خير بقاع وفي خير أمة أخرجت للناس، وكذلك بواسطة خير ملك - والله أعلم -.



س: وضح معنى قوله: ﴿فَاسْتَوَىٰ ۖ وَهُوَ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَىٰ﴾؟

ج: المعنى - والله أعلم - أن جبريل عليه السلام أصبح في مستوى واحد مع رسول الله ﷺ، وذلك بالأفق الأعلى الذي هو اتجاه طلوع الشمس الذي يأتي منه النهار.

قال الطبري - رحمه الله -:

وقوله: ﴿فَاسْتَوَىٰ ۖ وَهُوَ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَىٰ﴾ يقول: فاستوى هذا الشديد القوي وصاحبكم محمد بالأفق الأعلى وذلك لما أسري برسول الله ﷺ هو وجبريل - عليهما السلام - بمطلع الشمس الأعلى وهو الأفق الأعلى، وعطف بقوله: «وهو» على ما في قوله: «فاستوى» من ذكر محمد ﷺ والأكثر من كلام العرب إذا أرادوا العطف في مثل هذا الموضع أن يظهروا كناية المعطوف عليه، فيقولوا: استوى هو وفلان، وقلما يقولون استوى وفلان، وذكر الفراء عن بعض أنه أنشده:

ألم تر أن التبع يضربُ عودَهُ ولا يستوي والخروجُ المتقصفُ

فردّ الخروج على «ما» في يستوي من ذكر النبع، ومنه قول الله: ﴿إِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءَابَاؤُنَا﴾ [النمل: ٦٧] فعطف بالآباء على المكني في كنا من غير إظهار نحن، فكذاك قوله: ﴿فَاسْتَوَىٰ ۖ وَهُوَ﴾، وقد قيل: إن المستوي: هو جبريل، فإن كان ذلك كذلك، فلا مؤنة في ذلك، لأن قوله: «وهو» من ذكر اسم جبريل، وكأن قائل ذلك وجه معنى قوله: ﴿فَاسْتَوَىٰ﴾: أي ارتفع واعتدل.

وقال القاسمي في محاسن التأويل:

تنبيهات

الأول: قدمنا في تفسير قوله تعالى: ﴿فَاسْتَوَىٰ ۖ وَهُوَ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَىٰ﴾ ما قاله المفسرون من الأقوال العديدة، ولا يخفى ما في بعضها من التكلف والتعسف، كتوجيه ابن جرير والرازي ومن وافقهما، وبعض أقوال حكاهما القرطبي.

والأقرب في معنى الآية ما ذكره الإمام ابن كثير، كما نقلناه عنه، لكثرة الأحاديث الواردة فيما يفسرها بذلك.

نحن نقول في تأييده إن القرآن يفسر بعضه بعضاً، لتشابه آياته الكريمة وتمائلها. والآية هذه مشابهة لما في سورة التكويد تمام المشابهة، فقد قال تعالى ثمة: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْئُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾ [التكوير: ١٩-٢٣] فترى هذه الآيات مشابهة للآيات هنا، وإن كان فيما هنا زيادة رؤية، وبيان دنوّ واقتراب لم يذكر في (التكوير).

وسر الزيادة هو ارتقاء النبي ﷺ في معارج الكمالات وقتاً فوقتاً. وسورة النجم مما نزل بعد التكويد، كما حكاه في (الإتقان) عن ابن عباس وغير واحد من السلف، فلذلك كان في (النجم) زيادة هذا التكريم والتفضيل.

وحاصل المعنى: أن ما ينطق به من هذا القرآن ليس عن هواه، وإنما هو وحي علمه إياه ملك كريم، جمّ المناقب، لأنه شديد القوى، ذو مرة، رفيع المكانة بالأفق الأعلى.

ثم لما شاء تعالى إنزال وحيه على نبيه تنزل من الأفق، ودنا إليه، وكان في غاية القرب منه والتمكن من رؤيته، وتلقي الوحي عنه. وذلك كله حق وصدق لا مرية فيه. وكيف يباري من يرى ببصره، ما يصدقه فؤاده فيه ولا يكذبه، لا سيما ولم تكن رؤياه له مرة واحدة، بل رآه نزلة ثانية، نزل إليه بالوحي في مكان معين لا يشتبه على رائيه، وهو سدره المنتهى.

وبالجملة، فتوافق هذه الآيات لآيات (التكويد) وتفسير بعضها بعضاً، أمر لا خفاء به عند المتدبر، وكله رد على المشركين المفتريين، وإقسام على حقيقة الوحي والتنزيل، وصدق ما ينجر به، لا سيما وهو صادق عندهم لا يكذبونه.

فما بقي بعد التعنت والجحد إلا انتظار سنة الله في أمثالهم من الأمم الكافرة

الجاحدة، كما أشار له في آخر السورة.

هذا ملخص معنى الآيات - وما عداه فتوسع - وحمل اللفظ على ما تجوّزه مادته. وكل ما يتسع له اللفظ هو المراد - والله الموفق -.

الثاني: ما قدمناه من رجوع الضمائر في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ إلخ إلى جبريل - عليه السلام - هو الذي عوّل عليه عامة المفسرين، وقد أيدناه بما رأيت.

قال الإمام ابن تيمية: الدنوّ والتدلّي في سورة النجم هو دنوّ جبريل وتدلّيه - كما قالت عائشة وابن مسعود - والسياق يدل عليه، فإنه قال: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ وهو جبريل، ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾ ٦ ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾ ٧ ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ فالضمائر كلها راجعة إلى هذا المعلم الشديد القوى، وهو ذو المرة أي القوة، وهو الذي استوى بالأفق الأعلى، وهو الذي دنا فتدلّى، فكان من محمد ﷺ قدر قوسين أو أدنى، وهو الذي رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى، رآه على صورته مرتين، مرة في الأرض، ومرة عند سدرة المنتهى. انتهى.

وروى البخاري^(١) في هذه الآيات عن ابن مسعود قال: «رأى جبريل له ستمائة جناح».

وروى الترمذي^(٢) عن عائشة - رضي الله عنها -: «أنه ﷺ رأى جبريل، ولم يره في صورته إلا مرتين، مرة عند سدرة المنتهى، ومرة في جياذ - مكان بمكة - له ستمائة جناح، قد سدّ الأفق».

وأما ما وقع في حديث شريك في (البخاري)^(٣) من قوله: «ودنا الجبار رب العزة

(١) أخرجه البخاري في: ٦٥ كتاب التفسير، ٥٣ سورة النجم، ١ - حدثنا يحيى بن وكيع، حديث رقم (١٥٢٦).

(٢) أخرجه الترمذي في: ٤٤ - كتاب التفسير، ٥٣ سورة النجم، ٣ - حدثنا ابن أبي عمر.

(٣) أخرجه البخاري في: ٩٧ - كتاب التوحيد، ٣٧ - باب قوله: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، وحديث رقم (١٦٨٤) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

فتدلّ، حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى»، فإن لم يكن ذلك من زيادة شريك، على ما ذهب إليه الإمام مسلم وغيره، فهو دنوّ وتدّل غير ما في سورة النجم، تؤمن به. ونفوّض كيفيته إليه تعالى، كسائر أخبار الصفات.

قال ابن كثير: قد تكلم كثير من الناس في رواية شريك، فإن صح فهو محمول على وقت آخر، وقصة أخرى، لا أنها تفسير لهذه الآية، فإن هذه كانت ورسول الله ﷺ في الأرض، لا ليلة الإسراء. ولهذا قال بعده: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۖ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ﴾، فهذه هي ليلة الإسراء، والأولى كانت في الأرض. انتهى.

هذا، وقد أطال العلامة ابن القيم - رحمه الله تعالى - الكلام لتقرير أن الذي دنا فتدلّ هو جبريل - عليه السلام - فقال رحمه الله تعالى (في التفسير القيم):

فالصحيح أن ذلك هو جبريل عليه السلام فهو الموصوف بما ذكر من أول السورة إلى قوله (٥٣: ١٣، ١٤) ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۖ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ﴾ هكذا فسره النبي ﷺ في الحديث الصحيح.

قالت عائشة - رضي الله عنها -: «سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية؟ فقال: «ذَلِكَ جِبْرِيلُ، لَمْ أَرَهُ فِي صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا إِلَّا مَرَّتَيْنِ».

ولفظ القرآن لا يدل على غير ذلك من وجوه.

أحدها: أنه قال: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ وهذا جبريل الذي وصفه بالقوة في سورة التكرير فقال: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۖ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير: ١٩، ٢٠].

الثاني: أنه قال ﴿ذُو مِرْقٍ﴾ أي حسن الخلق، وهو الكريم في سورة التكوير.

الثالث: أنه قال ﴿فَاسْتَوَىٰ ۖ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ﴾ وهو ناحية السماء العليا. وهذا

استواء جبريل بالأفق. وأما استواء الرب جل جلاله فعلى عرشه.

الرابع: أنه قال: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ۖ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ فهذا دنو جبريل

وتدليه إلى الأرض، حيث كان رسول الله ﷺ.

وأما الدنو والتدلي في حديث المعراج فرسول الله ﷺ فوق السموات. فهناك دنا الجبار جل جلاله منه وتدلى. فالدنو والتدلي في الحديث غير الدنو والتدلي في الآية. وإن اتفقا في اللفظ.

الخامس: أنه قال: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ﴾ والمرئي عند السدرة هو جبرئيل قطعاً. وبهذا فسرهُ النبي ﷺ فقال لعائشة: «ذَاكَ جِبْرِيلُ».

السادس: أن مفسر الضمير في قوله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾ وقوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ وقوله: ﴿فَاسْتَوَىٰ﴾ وقوله: ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ﴾ واحدة. فلا يجوز أن يخالف بين المفسر والمفسر من غير دليل.

السابع: أنه سبحانه ذكر في هذه السورة الرسولين الكريمين: الملكي، والبشرى. ونزّه البشرى عن الضلال والغواية، والملكي عن أن يكون شيطاناً قبيحاً ضعيفاً، بل هو قوي كريم حسن الخلق. وهذا نظير المذكور في سورة التكويد سواء.

الثامن: أنه أخبر هناك: أنه رآه بالأفق المبين، وههنا: أنه رآه بالأفق الأعلى وهو واحد وصف بصفتين، فهو مبين وأعلى، فإن الشيء كلما علا بان وظهر.

التاسع: أنه قال: ﴿ذُورِمَرَّةً﴾ والمرّة: الخلق الحسن المحكم. فأخبر عن حسن خلق الذي علم النبي ﷺ، ثم ساق الخبر كله عنه نسقاً واحداً.

العاشر: أنه لو كان خبراً عن الرب تعالى لكان القرآن قد دل على أن رسول الله ﷺ رأى ربه سبحانه مرتين: مرة بالأفق، ومرة عند السدرة. ومعلوم أن الأمر لو كان كذلك لم يقل النبي ﷺ لأبي ذر وقد سأله: هل رأيت ربك - قال «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ؟» فكيف يخبر القرآن أنه رآه مرتين، ثم يقول رسول الله ﷺ «أَنَّى أَرَاهُ؟» وهذا أبلغ من قوله: «لم أره» لأنه مع النفي يقتضي الإخبار عن عدم الرؤية فقط.

وهذا يتضمن النفي وطرفاً من الإنكار على السائل، كما إذا قال لرجل: هل كان كيت وكيت؟ فيقول: كيف يكون ذلك؟

الحادي عشر: أنه لم يتقدم للرب جل جلاله ذكر يعود الضمير عليه في قوله ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ والذي يعود الضمير عليه لا يصلح له، وإنما هو لعبده.

الثاني عشر: أنه كيف يعود الضمير إلى ما لم يذكر، ويترك عوده إلى المذكور، مع كونه أولى به؟

الثالث عشر: أنه قد تقدم ذكر «صاحبكم» وأعاد عليه الضمائر التي تليق به، ثم ذكر بعده شديد القوى، ذا المرة. وأعاد عليه الضمائر التي تليق به.

والخبر كله عن هذين المفسرين، وهما الرسول الملكي، والرسول البشري.

الرابع عشر: أنه سبحانه أخبر أن هذا الذي دنى فتدلى: كان بالأفق الأعلى وهو أفق السماء، بل هو تحتها، قد دنا من الأرض، فتدلى من رسول رب العالمين ﷺ، ودنو الرب تعالى وتدليه على ما في حديث شريك: كان من فوق العرش، لا إلى الأرض.

الخامس عشر: أنهم لم يماروه صلوات الله وسلامه عليه على رؤية ربه، ولا أخبرهم بها لتقع مماراتهم له عليها. وإنما ماروه على رؤية ما أخبرهم من الآيات التي أراه الله إياها. ولو أخبرهم برؤية الرب تعالى لكانت مماراتهم له عليها أعظم من مماراتهم على رؤية المخلوقات.

السادس عشر: وأنه سبحانه قرر صحة ما رآه. وأن مماراتهم له على ذلك باطلة بقوله: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ ولو كان المرئي هو الرب سبحانه وتعالى والمهارة على ذلك منهم: لكان تقرير تلك الرؤية أولى، والمقام إليها أحوج. والله أعلم.



س: من الذي دنا فتدلى؟ وضح المعنى ولماذا دنا فتدلى؟

ج: الذي دنا فتدلى هو جبريل عليه السلام.

أما إيضاح المعنى:

فقد قال الطبري - رحمه الله -:

يقول تعالى ذكره: ثم دنا جبريل من محمد ﷺ فتدلى إليه. وهذا من المؤخر الذي معناه التقديم، وإنما هو، ثم تدلى فدنا، ولكنه حسن تقديم قوله: «دنا»، إذ كان الدنو يدلّ على التدلي والتدلي على الدنو، كما يقال: زارني فلان فأحسن، وأحسن إلي فزارني، وشتمني فأساء، وأساء فشتمني؛ لأن الإساءة هي الشتم، والشتم هو الإساءة.

أما كونه دنا فتدلى، فذلك - والله أعلم - لإيصال الوحي إليه.

وفائدة ذكر الدنو والتدلي لبيان أنه لا واسطة بين رسول الله ﷺ وبين جبريل -

عليه السلام -.



س: ما مدى صحة هذه اللفظة الواردة في حديث أنس من طريق شريك بن

أبي نمر عنه، (ثم دنا الجبار فتدلى)؟

ج: هذه اللفظة استنكرت أشد الاستنكار على راويها، وقد تكلم في متنها كثير

من العلماء.

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله -:

وجاء في حديث شريك بن أبي نمر، عن أنس في حديث الإسراء: «ثم دنا الجبار

رب العزة فتدلى». ولهذا تكلم كثير من الناس في متن هذه الرواية، وذكروا أشياء فيها

من الغرابة، فإن صح فهو محمول على وقت آخر وقصة أخرى، لا أنها تفسير لهذه الآية،

فإن هذه كانت ورسول الله ﷺ في الأرض لا ليلة الإسراء، ولهذا قال بعده: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ

نَزَلَ أُخْرَى ۝١٣ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾، فهذه هي ليلة الإسراء، والأولى كانت في الأرض.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾؟

ج: قال الطبري - رحمه الله -:

وقوله: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ يقول: فكان جبرائيل من محمد ﷺ على قدر قوسين، أو أدنى من ذلك، يعني: أو أقرب منه، يقال: هو منه قاب قوسين، وقب قوسين، وقيد قوسين، وقاد قوسين، وقدى قوسين، كل ذلك بمعنى: قدر قوسين.

وأورد الطبري وجهاً^(١) آخر عن ابن مسعود رضي الله عنه وفيه قال عبد الله في هذه الآية ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ قال: قال رسول الله ﷺ «رَأَيْتُ جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّ مِئَةِ جَنَاحٍ».

هذا، وقد قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿أَوْ أَدْنَى﴾ أي على تقديركم كقوله تعالى: ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: ١٤٧].

قلت: وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: ١٤٧] فقد يقول قائل: أليس ربنا عليم بكل شيء وبالأعداد عن وجه الدقة والتحديد، فالجواب بلى، ولكن قوله: ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ أي في أنظاركم أو أنظار بعضكم، وقال البعض إن «أو» بمعنى (بل).



وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾؟

ج: الظاهر في معنى ذلك - والله أعلم - فأوحى جبريل إلى النبي محمد ﷺ ما أوحاه الله إليه.

هذا، والتنكير في قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ لبيان عظمة الشيء الموحى به، والله تعالى أعلم.



س: وضح معنى قوله: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم، أن قلب رسول الله ﷺ صدقه ولم يكذب عليه في إخباره بالذي رآه أي أن القلب لم يتوهم توهمات بل أخبر صاحبه الذي هو رسول الله ﷺ بالذي رآه، وصدقه في هذا الإخبار، وقد قال عدد من أهل العلم: إن النبي ﷺ رأى ربّه بفؤاده مرتين.

وقال فريق آخر من العلماء: إن الذي رؤي هو جبريل - عليه السلام - فقد رآه النبي ﷺ وله ستمائة جناح .

أخرج الطبري بإسناد^(١) صحيح بمجموع الطرق عن ابن مسعود - رضي الله عنه - عن عبدالله ﷺ ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ قال: رأى رسول الله ﷺ جبريل عليه حلتا رفرف قد ملأ ما بين السماء والأرض.

وفي رواية أخرى: عن عبدالله، أن النبي ﷺ قال: «رأيت جبريل عند سدره المنتهى، له سِتْمِائَةُ جَنَاحٍ، يَنْفُضُ مِنْ رِيشِهِ التَّهَاقُوتَ وَالدُّرَّ وَالْيَاقُوتَ».

وفي رواية أخرى: عن عبدالله، قال: قال رسول الله ﷺ «رأيت جبريل عند سدره المنتهى له ستمائة جناح» زاد الرفاعي في حديثه: فسألت عاصمًا عن الأجنحة، فلم يخبرني، فسألت أصحابي، فقالوا: كل جناح ما بين المشرق والمغرب.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى﴾؟

ج: المعنى - والله أعلم - أفتجادلون أيها المشركون رسولنا محمدًا ﷺ فيما أراه الله من الآيات والمعجزات التي منها رؤية جبريل - عليه السلام -.



س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾؟

ج: الذي رأى هو رسول الله ﷺ أما من الذي رآه النبي ﷺ؟ فلاهل العلم قولان:

أحدها: أن الذي رآه النبي ﷺ هو جبريل - عليه السلام - رآه النبي ﷺ مرتين في صورته التي خلقه الله عليها، وهذا نحو قول عائشة - رضي الله عنها - فعند الطبري^(١) بإسناد صحيح عنها أنها قالت لمسروق: يا أبا عائشة من زعم أن محمداً رأى ربه أعظم الفرية عليه، قال: وكنت متكئاً، فجلست، فقلت: يا أم المؤمنين أنظريني ولا تعجليني، أرايت قول الله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ﴾ [التكوير: ٢٣] قالت: إنما هو جبريل رآه مرة على خلقه وصورته التي خلق عليها، ورآه مرة أخرى حين هبط من السماء إلى الأرض ساداً عظم خلقه ما بين السماء والأرض، قالت: أنا أول من سأل النبي ﷺ عن هذه الآية، قال: «هو جبريل عليه السلام».

ومن العلماء من قال: إن الذي رآه النبي ﷺ هو الله عز وجل، وإلى مثل هذا جنح ابن عباس - رضي الله عنها -.



س: اذكر المرتين اللتين رأى فيها رسول الله ﷺ جبريل على صورته التي خلقه الله عليها؟

ج: المرة الأولى: التي رأى فيها رسول الله ﷺ جبريل - عليه السلام - كانت ورسول الله ﷺ على الأرض^(٢)، وذلك في بدء الوحي رآه النبي ﷺ وله ستائة جناح.
أما الثانية: فكانت عند سدره المنتهى ليلة الإسراء.



(١) الطبري (أثر ٣٢٤٧٥).

(٢) البخاري (٦٩٨٢).

س: هل رأى النبي ﷺ ربّه ليلة المعراج؟

ج: لم أقف على نص صريح عن رسول الله ﷺ يُفيد ذلك، ولكنه - صلوات الله وسلامه عليه - سئل عن ذلك فقال: «رأيت نورًا»، وفي رواية أخرى «نور أنى أراه»^(١).
وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام..»
فذكر الحديث وفيه: «حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»^(٢).

أما الصحابة - رضي الله عنهم - فقد اختلفت أقوالهم في ذلك فنفت عائشة ذلك أشد النفي، فقد أخرج مسلمٌ من طريق مسروق^(٣) قال: قال كنت متكئة عند عائشة. فقالت: يا أبا عائشة! ثلاثٌ من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية. قلت: ما هن؟ قالت: من زعم أن محمدًا ﷺ رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية.

قال: وكنت متكئة فجلست. فقلت: يا أم المؤمنين! أنظريني ولا تعجليني. ألم يقل الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْيُسْبِينِ﴾ [التكوير: ٢٣] ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ [النجم: ١٣] فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: «إِنَّمَا هُوَ جَبْرِيلُ. لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ. رَأَيْتَهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ».

فقالت: أولم تسمع أن الله يقول: ﴿لَا تَدْرِكُهُ الْبَصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] أولم تسمع أن الله يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ﴾ [الشورى: ٥١] قالت: ومن زعم أن رسول الله ﷺ كتم شيئًا من كتاب الله فقد أعظم

(١) مسلم (١٧٨).

(٢) مسلم (١٧٩).

(٣) مسلم (حديث ١٧٧) واللفظ له، والبخاري (٤٨٥٥).

على الله الفرية. والله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ مَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧] قالت: ومن زعم أنه يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية. والله يقول: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

أما ابن عباس^(١) - رضي الله عنهما - فقد أثبت ذلك فقد صح عنه أنه قال: أتعجبون أن تكون الخلعة لإبراهيم، والكلام لموسى والرؤية لمحمد ﷺ. وأخرج مسلم^(٢) عن ابن عباس قال: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ قال: رآه بفؤاده مرتين.

فالذي يبدو لي، والله تعالى أعلم أن النبي ﷺ لم ير ربه بعينه، وذلك لعدم وجود دليل مرفوع صحيح بذلك، بل ولأن الله عز وجل قال: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ [الشورى: ٥١]. ولقوله ﷺ «حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»، والله أعلم.



س: هل رأى النبي ﷺ ربه في رؤيا منامية؟

ج: ورد ذلك في حديث نوزع في تصحيحه، وهو ما أخرجه الإمام أحمد وغيره^(٣) من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «أتاني ربي الليلة في أحسن صورة - أحسبه يعني في النوم - فقال: يا محمد، أتدري فيم يختصم الملائكة الأعلى؟ قال: قلت: لا. فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي - أو قال: نحري - فعلمت ما في السماوات وما في الأرض، ثم قال: يا محمد، هل تدري فيم يختصم الملائكة الأدنى؟

(١) ابن أبي عاصم في السنة (٤٤٢) والنسائي في الكبرى (١١٥٣٩).

(٢) مسلم (حديث ١٧٦).

(٣) أحمد (٢٨٥/١)، وابن أبي عاصم (٤٦٩).

الأعلى؟ قال: قلت: نعم، يختصمون في الكفارات، والدرجات. قال: وما الكفارات، والدرجات؟ قال: قلت: المكث في المساجد بعد الصلوات، والمشي على الأقدام إلى الجمعة، وإبلاغ الوضوء في المكاره. من فعل ذلك عاش بخير ومات بخير، وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه. وقال: قل يا محمد إذا صليت: اللهم، إني أسألك الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وإذا أردت بعبادك فتنة أن تقبضني إليك غير مفتون. قال: والدرجات بذل الطعام، وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام».



سدرۃ المنتهى

س: اذكر بعض الأحاديث الواردة في شأن سدرۃ المنتهى؟

ج: من هذه الأحاديث:

ما أخرجه مسلم^(١) من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال... ثم ذهب^(٢) بي إلى سدرۃ المنتهى، وإذا ورقها كأذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال، فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت، فما أحدٌ من خلق الله يستطيع أن ينعتها، وفي رواية - أن يصفها من حسنها.

وأخرج الإمام أحمد - بسندٍ حسن -: عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: في هذه الآية ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ قال رسول الله ﷺ: «رأيتُ جبريل عند سدرۃ المنتهى عليه ستمائة جناح يثر من ريشه التهاويل الدر والياقوت».

وأخرج البخاري ومسلم من حديث مالك بن صعصعة - رضي الله عنه - قال: قال النبي ﷺ: «بيننا أنا عند البيت...» فذكر الحديث وفيه: «ورفعت لي سدرۃ المنتهى فإذا نبقتها كأنه قلال هجر، وورقها كأنه آذان الفيول. في أصلها أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران، فسألت جبريل فقال أما الباطنان ففي الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات».



س: لماذا أطلق على سدرۃ المنتهى سدرۃ المنتهى؟

ج: أطلق عليها ذلك لأمر ثلاث ذكرها العلماء:

أحدها: لكونها ينتهي إليها علم كل عالم ملك مقرب أو نبي مرسل، ما خلفها

(١) مسلم (حديث ١٦٢).

(٢) وذلك بعد أن عرج به إلى السماء السابعة وفتح له ورأى البيت المعمور.

غيب لا يعلمه إلا الله.

وقد ورد في هذا أثر أخرجه الطبري^(١) من طريق عن شمر بن عطية، عن هلال ابن يساف، قال: سأل ابن عباس كعبًا عن سدرۃ المنتهى وأنا حاضر، فقال كعب: إنها سدرۃ على رءوس حملة العرش، وإليها ينتهي علم الخلائق، ثم ليس لأحد وراءها علم، ولذلك سميت سدرۃ المنتهى، لانتهاه العلم إليها.

وقيل: أطلق عليها سدرۃ المنتهى لأنها ينتهي ما يهبط من فوقها ويصعد من تحتها من أمر الله إليها.

وقد ورد في هذا أثر أخرجه الطبري عن ابن مسعود^(٢) قال: لما أسري برسول الله ﷺ انتهى به إلى سدرۃ المنتهى وهي في السماء السادسة، إليها ينتهي من يعرج من الأرض أو من تحتها، فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض فيها. وقيل سدرۃ المنتهى: إليها ينتهي كل أحد كان على سنة رسول الله ﷺ. قال الطبري - رحمه الله -:

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن معنى المنتهى الانتهاء، فكأنه قيل: عند سدرۃ الانتهاء.

- وجائز أن يكون قيل لها سدرۃ المنتهى، لانتهاه علم كل عالم من الخلق إليها، كما قال كعب.

- وجائز أن يكون قيل ذلك لها، لانتهاه ما يصعد من تحتها، وينزل من فوقها إليها، كما روي عن عبد الله.

- وجائز أن يكون قيل كذلك لانتهاه كل من خلا من الناس على سنة رسول الله ﷺ إليها.

(١) الطبري (٣٢٤٩١).

(٢) الطبري (٣٢٤٩٢).

- وجائز أن يكون قيل لها ذلك لجميع ذلك، ولا خبر يقطع العذر بأنه قيل ذلك لها لبعض ذلك دون بعض، فلا قول فيه أصح من القول الذي قال ربنا جلّ جلاله، وهو أنها سدرة المنتهى.

وقال القرطبي - رحمه الله -:

واختلف لم سُمّيت سدرة المنتهى على أقوال تسعة:

الأول: ما تقدم عن ابن مسعود، أنه ينتهي إليها كل ما يهبط من فوقها ويصعد من تحتها.

الثاني: أنه ينتهي علم الأنبياء إليها ويعزب علمهم عما وراءها؛ قاله ابن عباس:

الثالث: أن الأعمال تنتهي إليها وتقبض منها؛ قاله الضحاك.

الرابع: لانتهاء الملائكة والأنبياء إليها ووقوفهم عندها؛ قاله كعب.

الخامس: سميت سدرة المنتهى لأنها ينتهي إليها أرواح الشهداء؛ قاله الربيع بن أنس.

السادس: لأنها تنتهي إليها أرواح المؤمنين؛ قاله قتادة.

السابع: لأنه ينتهي إليها كل من كان على سنة محمد ﷺ ومنهاجه؛ قاله علي - رضي الله عنه - والربيع بن أنس أيضًا.

الثامن: هي شجرة على رءوس حملة العرش إليها ينتهي علم الخلائق؛ قاله كعب أيضًا.

قلت: يريد - والله أعلم - أن ارتفاعها وأعلى أغصانها قد جاوزت رءوس حملة العرش؛ ودليله على ما تقدّم من أن أصلها في السماء السادسة وأعلىها في السماء السابعة، ثم علت فوق ذلك حتى جاوزت رؤوس حملة العرش. والله أعلم.

التاسع: سُمّيت بذلك لأن من رُفِع إليها فقد انتهى في الكرامة.



س: أين الجنة وما الدليل؟

ج: في السماء بعد السماء السابعة لقوله تعالى: ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ (١١) عِنْدَهَا جَنَّةُ النَّارِ.



س: ما الذي غشى السدرة، وما فائدة التنكير في قوله تعالى: ﴿مَا يَغْشَى﴾؟

ج: قيل غشيها (أي غطاها) فراش من ذهب.

وقد ورد في هذا المعنى خبرٌ ضعيف فيه: «رأيتها بعيني سدرة المنتهى حتى استبثتها ثم حال دونها فراش من ذهب»^(١).

وقيل غشيها الله سبحانه، وقيل غشيها نور الله عزَّ وجل، وقيل غشيها الملائكة.

وفي الحديث فغشيها من أمر الله ما غشيها.

وفائدة التنكير: إظهار عظمة الشيء الذي غشي هذه السدرة فلا يعلم وصفه

إلا الله.



س: في قوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ ثناءً على رسول الله ﷺ وضح

صورة هذا الثناء؟

ج: إيضاحه بيان ما عليه رسول الله ﷺ من الخلق العظيم فبصره لم يتجاوز

المسموح له بالنظر إليه فهذا من كمال الأدب وتمامه أن قام مقامًا، أقامه الله فيه، ولم يقصر عنه، ولا تجاوزه ولا حاد عنه.

أشار إليه السعدي فقال:

﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ﴾ أي: ما زاغ يمنه ولا يسرة، عن مقصوده ﴿وَمَا طَغَى﴾ أي: وما

تجاوز البصر. وهذا كمال الأدب منه - صلوات الله وسلامه عليه - أن قام مقامًا، أقامه الله فيه، ولم يقصر عنه، ولا تجاوزه، ولا حاد عنه. وهذا أكمل ما يكون من الأدب العظيم، الذي فاق فيه الأولين والآخرين. فإن الإخلال يكون بأحد هذه الأمور: إما أن لا يقوم العبد بما أمر به. أو يقوم به على وجه التفريط. أو على وجه الإفراط، أو على وجه الحيدة، يمينًا وشمالًا وهذه الأمور كلها منتفية عنه ﷺ.

قلت: (مصطفى): وهذا يضاف إلى ما ورد من تزكية عقله وتزكية فؤاده وتزكية خلقه.



س: ما المراد بالآيات الكبرى؟

ج: قيل: منها رفر ف أخضر من الجنة قد سد الأفق.

وقيل: رأى جبريل - عليه السلام - في صورته التي خلق عليها.

وقيل: رأى الجنة والنار.

وقيل: ذلك يراد به الآيات التي رآها ليلة الإسراء.



س: ما المراد باللات والعزى، ومن أي شيء اشتقت وما اشتقت مناة؟

ج: اللات والعزى صنمان من الأصنام، كانت قريش تعبدهما وقد اشتق لهما المشركون اسمين من أسماء الله عز وجل فاشتقوا (اللات) من لفظ الجلالة (الله) واشتقوا (العزى) من اسم (العزیز) واشتقوا (مناة) من اسم الله (المنان).

قال الطبري - رحمه الله -:

يقول تعالى ذكره: أفرأيتم أيها المشركون اللات؟ وهي من الله ألحقت فيه التاء فأنثت، كما قيل عمرو للذكر، وللأنثى عمرة؛ وكما قيل للذكر عباس، ثم قيل للأنثى

عباسة، فكذلك سمي المشركون أوثانهم بأسماء الله تعالى ذكره، وتقدّست أسماؤه، فقالوا من الله اللات، ومن العزيز العزّى؛ وزعموا أنهم بنات الله - تعالى الله عما يقولون وافترؤا - فقال جلّ ثناؤه لهم: أفرأيتم أيها الزاعمون أن اللات والعزّى ومناة الثالثة بناتُ الله.

وقد صح عن ابن عباس عند البخاري، في اللات والعزّى^(١)، قال كان اللات رجلاً يلبث السوق، سويق الحجيج.

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله -:

وأما مناة فكانت بالمشلل - عند قُديد، بين مكة والمدينة - وكانت خزاعة والأوس والخزرج في جاهليتها يعظمونها، ويهلون منها للحج إلى الكعبة. وروى البخاري عن عائشة نحوه. وقد كانت بجزيرة العرب وغيرها طواغيت أخر تعظمها العرب كتعظيم الكعبة غير هذه الثلاثة التي نص عليها في كتابه العزيز، وإنما أفرد هذه بالذكر لأنها أشهر من غيرها.

وقد ذكروا أن اللات بيتاً كان بنخلة، وقال بعضهم: كان بالطائف تعبد قريش. وقرأ بعض أهل العلم (اللات) بالتشديد، وذهبوا في معنى ذلك إلى أن اللات كان رجلاً يلبث السوق للحجيج فمات فعكفوا على قبره.

وقد قال بعضهم قولاً آخر في العزّى - أيضاً -: وأنها كانت شجيرات تُعبد من دون الله، وقال آخرون: كانت حجراً أبيض يعبد من دون الله، وقيل - أيضاً -: كانت بيتاً بالطائف تعبد ثقيف.

أما مناة: فقالوا قد كانت بيتاً بالمشلل يعبد بنو كعب.

وقال بعض أهل العلم: إن مناة سميت مناة لأن دماء المناسك كانت تُمنى عندها، أي تُراق.



س: اذكر بعض ما يدل على تعظيم المشركين للآلات والعزى؟

ج: مما يدل على ذلك قول أبي سفيان بن حرب يوم أحد (لنا العزى ولا عزى لكم) فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «قولوا الله مولانا ولا مولى لكم»^(١).

- ومن ذلك: كونهم كانوا يحلفون بالعزى وقول رسول الله ﷺ ناهياً عن ذلك «من حلف فقال في حلفه والآلات والعزى فليقل لا إله إلا الله، ومن قال لصاحبه تعال أقامرك فليتصدق»^(٢).

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله -: وهذا محمول على من سبق لسانه إلى ذلك، كما كانت ألسنتهم قد اعتادته في زمن الجاهلية .

قلت: وقد ورد في شأن العزى ما أخرجه النسائي^(٣) من حديث أبي الطفيل قال: لما فتح رسول الله ﷺ مكة بعث خالد بن الوليد إلى نخلة، وكانت بها العزى، فأتاها خالد وكانت على ثلاث سمرات، فقطع السمرات، وهدم البيت الذي كان عليها. ثم أتى النبي ﷺ فأخبره، فقال: «ارجع فإنك لم تصنع شيئاً» فرجع خالد، فلما أبصرته السدنة - وهم حجبتها - أمعنوا في الحيل وهم يقولون: يا عزى، يا عزى. فأتاها خالد فإذا امرأة عريانة ناشرة شعرها تحفن التراب على رأسها، فغمسها بالسيف حتى قتلها. ثم رجع إلى رسول الله ﷺ، فأخبره، فقال: «تلك العزى».



س: ما وجه الربط بين قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ وما تقدمها من الآيات؟

ج: وجه ذلك إظهار الفارق العظيم بين من يستحق أن يعبد ويطاع وبين غيره.

(١) البخاري (٤٠٤٣).

(٢) البخاري (٤٨٦٠).

(٣) النسائي في الكبرى (١١٥٤٧).

قال السعدي في تفسيره:

لما ذكر تعالى ما جاء به محمد ﷺ، من الهدى، ودين الحق، والأمر بعبادة الله، وتوحيده، ذكر بطلان ما عليه المشركون، من عبادة من ليس له من أوصاف الكمال شيء، ولا تنفع، ولا تضر، وإنما هي أسماء فارغة من المعنى، سماها المشركون، هم وآباؤهم الجهال الضلال ابتدعوا لها من الأسماء الباطلة، التي لا تستحقها، فخدعوا بها أنفسهم وغيرهم من الضلال.

فالآلهة التي بهذه الحال، لا تستحق مثقال ذرة من العبادة. وهذه الأنداد التي سموها بهذه الأسماء، زعموا أنها مشتقة من أوصاف هي متصفة بها. فسموا «اللات» من «الإله» المستحق للعبادة، و«العزى» من «العزیز»، و«مناة» من «المنان» إلحادًا في أسماء الله، وتجرياً على الشرك به، وهذه أسماء متجردة من المعاني. فكل من له أدنى مسكة من عقل، يعلم بطلان هذه الأوصاف فيها.



قصة الغرائيق وبعض الكلام عليها

س: اذكر ما يتعلق بقصة الغرائيق، وهل هي صحيحة الإسناد أم لا؟

ج: حاصل الأمر في قصة الغرائيق - بغض النظر عن ثبوتها من عدمه - أن النبي ﷺ كان يقرأ سورة النجم حتى بلغ قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّتَّ وَالْعُزَّىٰ ۝ وَمَوْنَةَ النَّائِلَةِ الْآخَرَىٰ﴾ فأدخل الشيطان في تلاوته تلك الغرائيق العلى وإن شفاعتهن لترجي، ثم واصل القراءة فمن أجل ذلك حمد المشركون الشاء على تلك الغرائيق، وسجدوا مع المسلمين في نهاية السورة عند قوله تعالى: ﴿فَأَسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ هذا الحاصل.

وقال الشوكاني مختصراً هذه القصة بقوله (في تفسيره فتح القدير:

قال جماعة المفسرين في سبب نزول هذه الآية: أنه ﷺ لما شق عليه إعراض قومه عنه تمنى في نفسه أن لا ينزل عليه شيء ينفرهم عنه لحرصه على إيمانهم، فكان ذات يوم جالساً في ناد من أنديةهم وقد نزل عليه سورة «والنجم إذا هوى» فأخذ يقرأها عليهم حتى بلغ قوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّتَّ وَالْعُزَّىٰ ۝ وَمَوْنَةَ النَّائِلَةِ الْآخَرَىٰ﴾ وكان ذلك التمني في نفسه، فجرى على لسانه مما ألقاه الشيطان عليه «تلك الغرائيق العلى وإن شفاعتها لترجي» فلما سمعت قريش ذلك فرحوا ومضى رسول الله ﷺ في قراءته حتى ختم السورة، فلما سجد في آخرها سجد معه جميع من في النادي من المسلمين والمشركين، ففترقت قريش مسرورين بذلك وقالوا: قد ذكر محمد آلهتنا بأحسن الذكر، فأتاه جبريل فقال: ما صنعت؟ تلوت على الناس ما لم آتك به عن الله، فحزن رسول الله ﷺ وخاف خوفاً شديداً، فأنزل الله هذه الآية، هكذا قالوا.

أما الوارد في هذه القصة من آثار فمناها ما يلي:

أثر سعيد بن جبير رحمه الله:

قال الطبري^(١) رحمه الله:

حدثنا بشار، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ [النجم: ١٩] قرأها رسول الله ﷺ، فقال: تلك الغرائيق العلى، وإن شفاعتهن لترجي، فسجد رسول الله ﷺ، فقال المشركون: إنه لم يذكر آلهتكم قبل اليوم بخير، فسجد المشركون معه، فأنزل الله ﷻ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ [الحج: ٥٢] إلى قوله: ﴿عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٥]. صحيح عن سعيد بن جبير رحمه الله.

أثر أبي العالية^(٢) رحمه الله:

قال الطبري رحمه الله:

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا أبو الوليد، قال: ثنا حماد بن سلمة، عن داود بن أبي هند، عن أبي العالية قال: «قالت قريش: يا محمد إنما يجالسك الفقراء والمساكين وضعفاء الناس، فلو ذكرت آلهتنا بخير لجالسناك فإن الناس يأتونك من الآفاق، فقرأ رسول الله ﷺ سورة النجم، فلما انتهى على هذه الآية: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ ⑪ وَمَنْزُةً لِّلْآلِهَةِ الْآخَرَىٰ ﴿ [النجم: ١٩ - ٢٠] فألقى الشيطان على لسانه: وهي الغرائقة العلى، وشفاعتهن ترجي، فلما فرغ منها سجد رسول الله ﷺ والمسلمون والمشركون، إلا أبا أحبيحة سعيد بن العاص، أخذ كفًا من تراب وسجد عليه، وقال: قد آن لابن أبي كبشة أن يذكر آلهتنا بخير، حتى بلغ الذين بالحبشة من أصحاب رسول الله ﷺ من

(١) الطبري أثر (٢٥٣٣١).

وقد روي متصلًا عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما، عند البزار، وفي وصله نظر.

(٢) الطبري (أثر ٢٥٣٣٠)، وله طريق آخر أيضًا عن أبي العالية.

المسلمين، أن قريشاً قد أسلمت، فاشتدّ على رسول الله ﷺ ما ألقى الشيطان على لسانه،
فأنزل الله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ إلى آخر الآية [الحج: ٥٢].

صحيح عن أبي العالية - رحمه الله -.

أثر أبي بكر بن عبدالرحمن بن الحارث - رحمه الله -:

قال الطبري - رحمه الله -:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني يونس، عن ابن شهاب، أنه
سئل عن قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾.. الآية [الحج: ٥٢]، قال
ابن شهاب: ثني أبو بكر بن عبدالرحمن بن الحارث «أن رسول الله ﷺ وهو بمكة قرأ
عليهم ﴿وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم: ١]، فلما بلغ: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّتَّ وَالْعُزَّىٰ﴾ ﴿١٩﴾ وَمَنْوَةَ الْثَالِثَةَ
الْأُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٩ - ٢٠] قال: إن شفاعتهم ترتجي، وسها رسول الله ﷺ، فلقبه
المشركون الذين في قلوبهم مرض، فسلموا عليه، وفرحوا بذلك، فقال لهم: إنما ذلك
من الشيطان، فأنزل الله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾.. حتى بلغ
﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ [الحج: ٥٢].

أثر ابن شهاب الزهري - رحمه الله -:

قال ابن كثير - رحمه الله -:

قال ابن أبي حاتم: حدثنا موسى بن أبي موسى الكوفي حدثنا محمد بن إسحاق
المسيبي، حدثنا محمد بن فليح، عن موسى بن عقبة، عن ابن شهاب قال: أنزلت «سورة
النجم»، وكان المشركون يقولون: لو كان هذا الرجل يذكر آهتنا بخير أقررناه
وأصحابه، ولكنه لا يذكر من خالف دينه من اليهود والنصارى بمثل الذي يذكر آهتنا
من الشتم والشر، وكان رسول الله ﷺ قد اشتد عليه ما ناله وأصحابه من أذاهم
وتكذيبهم، وأحزنه ضلالهم، فكان يتمنى هداهم، فلما أنزل الله سورة النجم قال:
﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّتَّ وَالْعُزَّىٰ﴾ ﴿١٩﴾ وَمَنْوَةَ الْثَالِثَةَ الْآخْرَىٰ﴾ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ﴾ ألقى

الشیطان عندها كلمات حين ذكر الله الطواغيت، فقال: «وإنهن لهن الغرائق العلی، وإن شفاعتهن هي التي ترتجی».

وكان ذلك من سجع الشیطان وفتنته، فوقعت هاتان الكلمتان في قلب كل مشرك بمكة، وزلت بها ألسنتهم، وتباشروا بها، وقالوا: إن محمداً قد رجع إلى دينه الأول ودين قومه.

فلما بلغ رسول الله ﷺ، آخر النجم؛ سجد وسجد كل من حضره من مسلم أو مشرك، غير أن الوليد بن المغيرة كان رجلاً كبيراً، فرفع على كفه تراباً فسجد عليه، فعجب الفريقان كلاهما من جماعتهم في السجود، لسجود رسول الله ﷺ، فأما المسلمون فعجبوا لسجود المشركين معهم على غير إيمان ولا يقين - ولم يكن المسلمون سمعوا الآية التي ألقى الشیطان في مسامع المشركين - فاطمأنت أنفسهم لما ألقى الشیطان في أمنية رسول الله ﷺ، وحدثهم به الشیطان أن رسول الله ﷺ قد قرأها في السورة، فسجدوا لتعظيم آلهتهم، ففشت تلك الكلمة في الناس، وأظهرها الشیطان، حتى بلغت أرض الحبشة ومن بها من المسلمين - عثمان بن مظعون وأصحابه - وتحدثوا أن أهل مكة قد أسلموا كلهم، وصلوا مع رسول الله ﷺ، وبلغهم سجود الوليد بن المغيرة على التراب على كفه، وحُدثوا أن المسلمين قد آمنوا بمكة، فأقبلوا سراعاً وقد نسخ الله ما ألقى الشیطان، وأحكم الله آياته، وحفظه الله من الفرية، وقال الله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ أَيْمَنَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٥٢﴾ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ [الحج: ٥٢، ٥٣]، فلما بين الله قضاءه، وبرأه من سجع الشیطان، انقلب المشركون بضلالهم وعداوتهم المسلمين، واشتدوا عليهم.

قال ابن كثير - رحمه الله -: وهذا أيضاً مرسل .

قلت (مصطفى): ومراسيل الزهري من أضعف المراسيل، لكن قد تقدم مختصراً عن الزهري عن أبي بكر بن الحارث بسند صحيح.

أثر قتادة - رحمه الله -:

قال الطبري - رحمه الله -:^(١)

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، أن النبي ﷺ، كان يتمنى أن لا يعب الله آلهة المشركين، فألقى الشيطان في أمنيته، فقال: إن الآلهة التي تدعى أن شفاعتها لترتجى وإنما للغرائق العلى، فنسخ الله ذلك، وأحكم الله آياته، أفرأيتم اللات والعزى، حتى بلغ ﴿مَنْ سُلْطَنٌ﴾ [النجم: ٢٣] قال قتادة: لما ألقى الشيطان ما ألقى، قال المشركون: قد ذكر الله آلهتهم بخير، ففرحوا بذلك، فذكر قوله: ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [الحج: ٥٣].

في رواية معمر عن قتادة بعض الكلام.

- فهذه الآثار التي أوردناها مراسيل جاءت - كما رأيت من وجوه عدة فمثلاً تصحح به الأحاديث وتثبت به الوقائع.

- وثم كم من الآثار في أسانيدنا ضعف أعرضنا عن ذكرها أوردنا الطبري - رحمه الله - وكذا الطبراني - رحمه الله - وغيرهما، وضمنها الشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله في رسالته «نصب المجانيق لنسف قصة الغرائق».

أما عن أقوال أهل العلم في هذه القصة: فهي هي بعضها:

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى -: (عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى﴾ [الحج: ٥٢] وقد ذكر كثير من المفسرين ها هنا قصة الغرائق، وما كان من رجوع كثير من المهاجرة إلى أرض الحبشة، ظناً منهم أن

(١) وأورده الطبري من وجه آخر عن معمر.

انظر الطبري (٢٥٣٤٢) و (٢٥٣٤٣).

مشركي قريش قد أسلموا، ولكنها من طرق كلها مرسله.

ولم أرها مسندة من وجه صحيح، والله أعلم.

أما الطبري - رحمه الله تعالى -: فأورد كما من الآثار ثم أورد بعض الأقوال في تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَّا إِذَا تَمَتَّى﴾ حاصلها: أن التمني التلاوة والقراءة ثم قال:

وهذا القول أشبه بتأويل الكلام، بدلالة قوله: ﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَتِهِ﴾ [الحج: ٥٢] على ذلك، لأن الآيات التي أخبر الله جل ثناؤه أنه يحكمها، لا شك أنها آيات تنزله، فمعلوم أن الذي ألقى فيه الشيطان هو ما أخبر الله - تعالى ذكره - أنه نسخ ذلك منه وأبطله، ثم أحكمه بنسخه ذلك منه.

فتأويل الكلام إذن: وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تلا كتاب الله، وقرأ، أو حدث وتكلم، ألقى الشيطان في كتاب الله الذي تلاه وقرأه، أو في حديثه الذي حدث وتكلم ﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ [الحج: ٥٢] يقول تعالى: فيذهب الله ما يلقي الشيطان من ذلك على لسان نبيه ويبطله.

قلت (مصطفى): وهذا من الطبري - رحمه الله - تعالى كأنه اعتاد لما تضمنته تلك الآثار في جملتها.

أما الشوكاني - رحمه الله تعالى - (فتح القدير):

ولم يصح شيء من هذا، ولا ثبت بوجه من الوجوه، ومع عدم صحته بل بطلانه فقد دفعه المحققون بكتاب الله سبحانه، قال الله: ﴿وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ۝ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ۝ ثُمَّ لَقَطْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ۝ وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ وقوله: ﴿وَلَوْلَا أَن تَبْنَتَكَ لَفَكَدْتُ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ﴾ [الإسراء: ٧٤] فنفي المقاربة للركون فضلاً عن الركون.

- قال البزار: هذا حديث لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ بإسناد متصل.

- وقال البيهقي: هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل، ثم أخذ يتكلم أن رواية هذه القصة مطعون فيهم.

- وقال إمام الأئمة ابن خزيمة: إن هذه القصة من وضع الزنادقة.

- قال القاضي عياض في «الشفاء»: إن الأمة أجمعت فيما طريقه البلاغ أنه معصوم فيه من الإخبار عن شيء بخلاف ما هو عليه، لا قصداً ولا عمداً ولا سهواً ولا غلطاً. ثم قال - رحمه الله -:

والحاصل أن جميع الروايات في هذا الباب إما مرسلة أو منقطعة لا تقوم بالحجة بشيء منها، وقد أسلفنا عن الحفاظ في أول هذا البحث ما فيه كفاية، وفي الباب روايات من أحبّ الوقوف على جميعها فلينظرها في «الدرّ المنثور» للسيوطي، ولا يأتي التطويل بذكرها هنا بفائدة، فقد عرّفناك أنها جميعها لا تقوم بها الحجة.

أما شيخ الإسلام ابن تيمية: فقد جنح إلى إثبات هذه القصة حيث قال عند حديثه^(١) عن قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى﴾ [الحج: ٥٢].

وللناس فيها قولان مشهوران: بعد اتفاقهم على أن التمني هو التلاوة والقرآن كما عليه المفسرون من السلف كما في قوله: ﴿وَمِنْهُمْ أُمَيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنَّهُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [البقرة: ٧٨] وأما من أول النهي على تمنّي القلب فذاك فيه كلام آخر؛ وإن قيل: إن الآية تعم النوعين.

لكن الأول هو المعروف المشهور في التفسير، وهو ظاهر القرآن ومراد الآية قطعاً، لقوله بعد ذلك: ﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ عَيْنَتَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٥٢) لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴿[الحج: ٥٢، ٥٣]. وهذا

(١) وذلك في بعض المواضع التي أورد فيها الآية المذكورة منها (ص ١٤٢).

كله لا يكون في مجرد القلب إذا لم يتكلم به النبي؛ لكن قد يكون في ظنه الذي يتكلم به بعضه النخل ونحوها، وهو يوافق ما ذكرناه.

وإذا كان التمني لا بد أن يدخل فيه القول ففيه قولان:

الأول: أن الإلقاء: هو في سماع المستمعين ولم يتكلم به الرسول، وهذا قول من تأول الآية بمنع جواز الإلقاء في كلامه.

والثاني: وهو الذي عليه عامة السلف ومن اتبعهم - أن الإلقاء في نفس التلاوة، كما دلت عليه الآية وسياقها من غير وجه، كما وردت به الآثار المتعددة، ولا محذور في ذلك إلا إذا أقرَّ عليه.

فأما إذا نسخ الله ما ألقى الشيطان وأحكم آياته فلا محذور في ذلك، وليس هو خطأ وغلطاً في تبليغ الرسالة، إلا إذا أقرَّ عليه.

ولا ريب أنه معصوم في تبليغ الرسالة أن يقر على خطأ، كما قال: «فإذا حدثكم عن الله بشيء فخذوا به، فإني لن أكذب على الله» ولولا ذلك لما قامت الحجة به، فإن كونه رُسل الله يقتضي أنه صادق فيما يخبر به عن الله، والصدق يتضمن نفي الكذب ونفي الخطأ فيه.

فلو جاز عليه الخطأ فيما يخبر به عن الله وأقر عليه لم يكن كل ما يخبر به عن الله.

والذين منعوا أن يقع الإلقاء في تبليغه فروا من هذا، وقصدوا خيراً، وأحسنوا في ذلك؛ لكن يقال لهم: ألقى ثم أحكم، فلا محذور في ذلك. فإن هذا يشبه النسخ لمن بلغه الأمر والنهي من بعض الوجوه فإنه إذا موقن مصدق برفع قول سبق لسانه به ليس أعظم من إخباره برفعه.

أما الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى -: فقد أورد بعض طرقها في الفتح^(١)

وأورد بعض أقوال من ضعفوها وتعقبهم، وجنح - رحمه الله - إلى تصحيحها، فقال بعد أن أورد بعض الطرق: وقد تجرأ أبو بكر بن العربي كعاداته فقال: ذكر الطبري في ذلك روايات كثيرة باطلة لا أصل لها، وهو إطلاق مردود عليه.

وكذا قول عياض: هذا الحديث لم يخرج أحد من أهل الصحة، ولا رواه ثقة بسند متصل مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع إسناده، وكذا قوله: ومن حملت عنه هذه القصة من التابعين والمفسرين لم يسندوها أحد منهم ولا رفعها إلى صاحب، وأكثر الطرق عنهم في ذلك ضعيفة واهية، قال وقد بين البزار أنه لا يعرف من طريق يجوز ذكره إلا طريق أبي بشر عن سعيد بن جبير مع الشك الذي وقع في وصله، وأما الكلبي فلا تجوز الرواية عنه لقوة ضعفه.

ثم رده من طريق النظر بأن ذلك لو وقع لارتد كثير ممن أسلم، قال: ولم ينقل ذلك انتهى وجميع ذلك لا يتمشى على القواعد، فإن الطرق إذا كثرت وتباينت مخارجها دل ذلك على أن لها أصلاً، وقد ذكرت أن ثلاثة أسانيد منها على شرط الصحيح وهي مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بالمرسل، وكذا من لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض، وإذا تقرر ذلك تعين تأويل ما وقع فيها مما يُستنكر وهو قوله: «ألقى الشيطان على لسانه: تلك الغرائيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى» فإن ذلك لا يجوز حمله على ظاهره لأنه يستحيل عليه ﷺ أن يزيد في القرآن عمداً ما ليس منه، وكذا سهواً إذا كان مغايراً لما جاء به من التوحيد لمكان عصمته.

وقد سلك العلماء في ذلك مسالك، فقليل جرى ذلك على لسانه حين أصابته سنة وهو لا يشعر، فلما علم بذلك أحكم الله آياته.

وهذا أخرجه الطبري عن قتادة، ورده عياض بأنه لا يصح لكونه لا يجوز على النبي ﷺ ذلك ولا ولاية للشيطان عليه في النوم، وقيل: إن الشيطان ألجأه إلى أن قال ذلك بغير اختياره، ورده ابن العربي بقوله تعالى حكاية عن الشيطان: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ

مَنْ سُلْطَنٍ ﴿ الآية [إبراهيم: ٢٢] قال: فلو كان للشيطان قوة على ذلك لما بقي لأحد قوة في طاعة.

وقيل: إن المشركين إذا ذكروا آهتهم وصفوهم بذلك، فعلق ذلك بحفظه ﷺ فجرى على لسانه لما ذكرهم سهواً. وقد رد ذلك عياض فأجاد.

وقيل: لعله توبيخاً للكفار، قال عياض: وهذا جائز إذا كانت هناك قرينة تدل على المراد، ولا سيما وقد كان الكلام في ذلك الوقت في الصلاة جائزاً، وإلى هذا نحا الباقلاني. وقيل: إنه لما وصل إلى قوله: ﴿ وَمَوْءَاةَ الثَّالِثَةِ الْآخَرَى ﴾ خشي المشركون أن يأتي بعدها شيء يذم آهتهم به فبادروا إلى ذلك فخلطوه في تلاوة النبي ﷺ على عادتهم في قولهم: ﴿ كَفَرُوا لَا سَمْعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ ﴾ [فُصِّلَتْ: ٢٦] ونسب ذلك للشيطان لكونه الحامل لهم على ذلك، أو المراد بالشيطان شيطان الإنس.

وقيل: المراد بالغرانيق العلى الملائكة وكان الكفار يقولون: الملائكة بنات الله ويعبدونها، فسبق ذكر الكل ليرد عليهم بقوله تعالى: ﴿ أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنْثَى ﴾ فلما سمعه المشركون حملوه على الجميع وقالوا: قد عظم آهتنا، ورضوا بذلك، فنسخ الله تلك الكلمتين وأحكم آياته.

وقيل: كان النبي ﷺ يرتل القرآن فارتصده الشيطان في سكتة من السكتات ونطق بتلك الكلمات محاكياً نغمته بحيث سمعه من دنا إليه فظنها من قوله وأشاعها. قال: وهذا أحسن الوجوه. ويؤيده ما تقدم في صدر الكلام عن ابن عباس من تفسير ﴿ تَمَنَّيْ ﴾ بتلا.

وكذا استحسّن ابن العربي هذا التأويل وقال قبله إن هذه الآية نص في مذهبنا في براءة النبي ﷺ مما نسب إليه.

قال: ومعنى قوله: ﴿ فِي أَمْنِيَّتِهِ ﴾ أي: في تلاوته، فأخبر تعالى في هذه الآية أن

سنته في رسله إذا قالوا قولاً زاد الشيطان فيه من قبل نفسه، فهذا نص في أن الشيطان زاده في قول النبي ﷺ لا أن النبي ﷺ قاله قال: وقد سبق إلى ذلك الطبري لجلالة قدره وسعة علمه وشدة ساعده في النظر فصوب على هذا المعنى وحوم عليه.

قال الشنقيطي رحمه الله تعالى في: «أضواء البيان»:

اعلم أن مسألة الغرائيق مع استحالتها شرعاً، ودلالة القرآن على بطلانها لم تثبت من طريق صالح للاحتجاج وصرح بعدم ثبوتها خلق كثير من علماء الحديث كما هو الصواب.

أما الشيخ ناصر الدين الألباني - رحمه الله تعالى -:

فقد ذهب إلى تضعيف هذه القصة، وأسهب في ذلك جداً في رسالته «نصب المجانيق لنسف قصة الغرائيق» وكلامه في هذا الصدد أوسع كلام اطلعت عليه في هذه القصة لكن التعقب من وجه حاصله أن كم المراسيل الصحيحة يُصحح بمثلها العلماء عدداً كبيراً من الأحاديث عن رسول الله ﷺ. والله أعلم.

قلت: (مصطفى): ولهذه القصة مزيدٌ بحث نوره إن شاء الله تعالى في سورة الحج عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَنْبِيَّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى...﴾ [الحج: ٥٢] وبالله تعالى التوفيق، والله أعلم بالصواب.



س: وضح معنى قوله تعالى ﴿الْكُمُ الذِّكْرُ لَهُ الْأُنْثَى﴾؟

ج: قال الطبري في إيضاح ذلك: ﴿الْكُمُ الذِّكْرُ﴾ يقول أختارون لأنفسكم الذكر من الأولاد، وتكرهون لها الأنثى، وتجعلون له الأنثى التي لا ترضونها لأنفسكم، ولكنكم تقتلونها كراهة منكم لهن.



س: وضح وجه الظلم في تلك القسمة التي قال الله عنها ﴿تِلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾؟

ج: وجه الظلم من وجوه:

أولها: أنهم نسبوا إلى الله ما لا يليق به سبحانه وتعالى، فقد نسبوا إليه الولد وقد قال سبحانه: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً﴾ [الأنعام: ١٠١].

الثاني: أنهم زعموا أن الملائكة إناث.

الثالث: أنهم قسموا واختاروا لأنفسهم ما شاءوا فعجيب أمر من يقسم ويختار.

الرابع: أنهم اختاروا لأنفسهم الأفضل والأكمل من أمور الدنيا، وتركوا ما سوى ذلك لله، فاختاروا لأنفسهم الذكور، وزعموا أن الملائكة بنات وهي لله. تعالى الله عن شركهم علواً كبيراً.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَتْهُمَا أَنْتُمْ وَعَابَاؤُكُمْ مَا أُنْزِلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم، أن هذه الأسماء التي اختلقتموها وعبدتموها ليس لها واقع، وليس لها حقيقة إنما اختلقتموها وأطلقتموها على أحجار وأشجار ثم زعمتم أنها آلهة ثم عبدتموها وذلك، والله أعلم، كرجل يأكل بصلاً فأطلق على البصل لحماً ثم أوهم نفسه وادّعى أنه يأكل اللحم، وليس للحم أصل في طعامه ولا وجود له على مائدته.

قال الطبري - رحمه الله تعالى -: يقول تعالى ذكره: ما هذه الأسماء التي سميتموها وهي اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى إلا أسماء سميتموها أنتم وآبأؤكم أيها المشركون وآبأؤكم من قبلكم ﴿مَا أُنْزِلَ اللَّهُ بِهَا﴾، يعني بهذه الأسماء، يقول: لم يبع الله، وذلك لكم، ولا أذن لكم به.



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾؟

ج: قال الطبري - رحمه الله -: وقوله: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ يقول تعالى ذكره: ما يتبع هؤلاء المشركون في هذه الأسماء التي سموها آهنتهم إلا الظن بأن ما يقولون حق لا اليقين ﴿وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾ يقول: وهوى أنفسهم، لأنهم لم يأخذوا ذلك عن وحي جاءهم من الله، ولا عن رسول الله أخبرهم به، وإنما هو اختراق من قبل أنفسهم، أو أخذوه عن آبائهم الذين كانوا من الكفر بالله على مثل ما هم عليه منه.
وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾، أي: ليس لهم مستند إلا حسن ظنهم بآبائهم الذين سلكوا هذا المسلك الباطل قبلهم، وإلا حظ نفوسهم في رياستهم وتعظيم آبائهم الأقدمين.



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - ولقد جاء هؤلاء المشركين البيان الحق من الله سبحانه وتعالى في شأن ما يعبدونه وأن ما يعبدونه باطل لا أصل له ولا أساس وليس له أي حق في العبادة.

قال الطبري - رحمه الله -: ^(١) وقوله: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ يقول: ولقد جاء هؤلاء المشركين بالله من ربهم البيان مما هم على غير يقين، وذلك تسميتهم اللات والعزى ومناة الثالثة بهذه الأسماء وعبادتهم إياها. يقول: لقد جاءهم من ربهم الهدى في ذلك، والبيان بالوحي الذي أوحيناه إلى محمد ﷺ أن عبادتها لا تنبغي، وأنه لا تصلح العبادة إلا لله الواحد القهار.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى﴾؟

ج: قال الطبري - رحمه الله -:

يقول تعالى ذكره: أم انتهى محمد ﷺ ما أعطاه الله من هذه الكرامة التي كرمه بها من النبوة والرسالة، وأنزل الوحي عليه، وتمنى ذلك، فأعطاه إياه ربه، فله ما في الدار الآخرة والأولى وهي الدنيا، يعطي من شاء من خلقه ما شاء، ويحرم من شاء منهم ما شاء.

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله -:

ثم قال: ﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى﴾ أي: ليس كل من تمنى خيراً حصل له، ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [النساء: ١٢٣] ما كل من زعم أنه مهتد يكون كما قال، ولا كل من ودّ شيئاً يحصل له.

قال القاسمي - رحمه الله - (في محاسن التأويل):

﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى﴾ أي: ليس له ما يشتهي من الأمور التي منها طمعه الفارغ في شفاعة الأنداد، وتعتته في دفاع اليقين بالظن، وتركه نفسه وهواها بلا شرع يقيده، ولا مهيم يزرعه. فإن ذلك من المحالات في نظر العقل السليم، كقوله: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [النساء: ١٢٣].

قال السعدي - رحمه الله -: فليس الأمر تابعاً لأمانيتهم ولا موافقاً لأهوائهم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾؟

ج: قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله -:

وقوله: ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾، أي: إنما الأمر كله لله، مالك الدنيا والآخرة، والمتصرف في الدنيا والآخرة، فهو الذي ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

قال القرطبي - رحمه الله -: ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾ يُعْطَى من يشاء ويمنع من يشاء لا ما تمنى أحد.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾؟ ووضح وجه ارتباطها بالآيات التي سبقتها؟

ج: أما وجه ارتباطها بها قبلها؛ فلنفي ما يتوهمه المشركون من أن آلهتهم ستشفع فيهم، فكأنه قيل لهم: هؤلاء الملائكة المقربون لن يشفعوا في أحد إلا بإذن الله، وهم ملائكتي تفرغوا لعبادتي، ومع ذلك فهذا شأنهم، فمن باب أولى أن لا تملك آلهتكم الشفاعة، فقد كانوا يعبدون الأوثان والأصنام ويقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٢٣].

قال الطبري - رحمه الله :-

وقوله: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا﴾ يقول تعالى ذكره: وكم من ملك في السموات لا تغني: كثير من ملائكة الله، لا تنفع شفاعتهم عند الله - لمن شفَعوا له - شيئاً، إلا أن يشفعوا له من بعد أن يأذن الله لهم بالشفاعة لمن يشاء منهم أن يشفعوا له ويرضى، يقول: ومن بعد أن يرضى لملائكته الذين يشفعون له أن يشفعوا له، فتنتفع حينئذ شفاعتهم، وإنما هذا توبيخ من الله تعالى ذكره لعبدة الأوثان، والملا من قريش وغيرهم الذين كانوا يقولون ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٢٣] فقال الله - جلّ ذكره - لهم: ما تنفع شفاعة ملائكتي - الذين هم عندي - لمن شفَعوا له، إلا من بعد إذني لهم بالشفاعة له ورضاي، فكيف بشفاعة من دونهم. فأعلمهم أن شفاعة ما يعبدون من دونه غير نافعتهم.

قال القاسمي - رحمه الله - في «محاسن التأويل»:

﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ هذا توبيخ من الله تعالى لعبدة الأوثان، بإقناطهم عما علّقوا به أطماعهم من شفاعة أوثانهم، بأن ملائكته الكرام لا يتفوهون بالشفاعة إلا من بعد إذنه ورضاه. فأتى هذه الطواغيت أن تفتات على هذا المقام، ولها من الذلة والصغار ما يبعدها عنه بألف منزل؟!

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله -:

وقوله: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾، كقوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ﴿وَلَا نَنْفَعُ الشَّفَعَةَ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبا: ٢٣]، فإذا كان هذا في حق الملائكة المقربين، فكيف ترجون أيها الجاهلون شفاعة هذه الأصنام والأنداد عند الله، وهو لم يشرع عبادتها، ولا أذن فيها، بل قد نهى عنها على السنة جميع رسله، وأنزل بالنهي عن ذلك جميع كتبه؟!



س: شفاعات الملائكة وغيرهم لا تقبل ولا تكون إلا بإذن الله. دلي على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

- قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

- وقوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾.

- وقوله تعالى: ﴿وَلَا نَنْفَعُ الشَّفَعَةَ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبا: ٢٣].

- وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨].



س: الشفاعات الأخروية مقيدة بقيود، اذكر هذه القيود؟

ج: من هذه القيود ما يلي:

أولاً: أن يكون الميت قد مات على التوحيد فلا شفاعة في كافر قال تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨].

ثانياً: أن يأذن الله للشافع في الشفاعة، لقوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

ثالثاً: أن يشفع الشافع فيمن ارتضاه الله لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨].



س: وضح معنى قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُونَهُ الْمَلَكَةَ تَسْمِيَةً الْأُنثَى﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - كما قاله الطبري - رحمه الله - إذ قال: يقول تعالى ذكره: إن الذين لا يصدقون بالبعث في الدار الآخرة، وذلك يوم القيامة، ليسمون ملائكة الله تسمية الإناث، وذلك أنهم كانوا يقولون: هم بنات الله.

وقال القرطبي - رحمه الله -:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ هم الكفار الذين قالوا: الملائكة بنات الله والأصنام بنات الله، ﴿لَيَسْمُونَهُ الْمَلَكَةَ تَسْمِيَةً الْأُنثَى﴾ أي كتسمية الأنثى، أي: يعتقدون أن الملائكة إناث وأنهم بنات الله.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾؟

ج: المعنى - والله أعلم - وما هؤلاء المشركين الذين أطلقوا على الملائكة (إناث)

من علم بحقيقة أمر الملائكة، ولا بكيفية خلقهم كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنِ شَاءَ أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَوَّكُنْهُمْ شَهِدَتْهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [الرَّحُف: ١٩].

قال السعدي - رحمه الله تعالى - في «تيسير الكريم الرحمن»:

يعني: أن المشركين بالله المكذبين لرسله، الذين لا يؤمنون بالآخرة، بسبب عدم إيمانهم بالله تعالى، تجرأوا على ما تجرأوا عليه، من الأقوال، والأفعال المحاذة لله ولسوله، من قولهم: (الملائكة بنات الله). فلم ينزهوا ربهم عن الولادة، ولم يُكْرَمُوا الملائكة، ويجلوهم عن تسميتهم إياهم إنثاء.

والحال أنه ليس لهم بذلك علم، لا عن الله، ولا عن رسوله، ولا دلت على ذلك، الفطر والعقول، بل العلم كله، دال على نقيض قولهم، وأن الله منزّه عن الأولاد والصاحبة، لأنه الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد.

وأن الملائكة، كرام مقربون إلى الله، قائمون بخدمته ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

والمشركون إنما يتبعون في ذلك، القول القبيح، وهو: الظن الذي لا يغني عن الحق شيئاً، فإن الحق لا بد فيه من اليقين، المستفاد من الأدلة والبراهين الساطعة.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يَغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: أن الظن لا ينفع من الحق شيئاً، وأيضاً المعنى أن الظن لا يجدي شيئاً ولا يقوم مقام الحق بحال من الأحوال.



س: ما المراد بالذكر في قوله تعالى: ﴿فَاعْرِضْ عَنْ مَن تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا﴾؟

ج: قال بعض العلماء: المراد بالذكر هنا: القرآن، والإيمان والله تعالى أعلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَاعْرِضْ عَنْ مَن تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَوْ يُرِيدُ إِلَّا الْحَيَاةَ

الدُّنْيَا﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: فأعرض - يا رسول الله - عمن أعرض عن ذكر الله وتوحيده والإيمان به، ولم تكن له همّة ولا رغبة إلا في الدنيا وما فيها من متاع وزينة فلم يلتمس رضا الله ولم يطلب مغفرته ولم يسأله فسيح جنته، والسلامة من عذابه، إنما همه الوحيد منصب على دنياه مؤثراً لها على آخرها، والله أعلم.



س: وردت نصوص كثيرة في ذم من جعل الدنيا أكبر همّه ومبلغ علمه اذكر

بعضها؟

ج: من ذلك ما يلي:

- قوله تعالى: ﴿فَمِنَ الْكَاسِرِينَ يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي

الْآخِرَةِ مِن خَلْقٍ﴾ [البقرة: ٢٠٠].

- وقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِيَ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا

يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطِلَ مَا

كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥، ١٦].

- وقوله تعالى: ﴿فَاعْرِضْ عَنْ مَن تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَوْ يُرِيدُ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾.

- وقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ

جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء: ١٨].



س: وضح معنى قوله تعالى ﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾؟

ج: ذلك يحتمل وجوهاً:

أحدها: ذلك القول المبني على الظن هو منتهى علمهم بالملائكة، وليس هو - في الحقيقة - بعلم إنما هو ضربٌ من ضروب الظن والتخمين.

الثاني: أن الحياة الدنيا والسعي فيها هي منتهى علمهم ومبلغ معرفتهم وغاية ما وصلوا إليه، فلا يعرفون شيئاً عن أمر الآخرة ولا شيئاً مما يتعلق بأمر الدين، وكما قال تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ﴾ [الروم: ٧].

وهذه بعض أقوال العلماء في ذلك:

- قال الطبري - رحمه الله -:

يقول تعالى ذكره: هذا الذي يقوله هؤلاء - الذين لا يؤمنون بالآخرة - في الملائكة من تسميتهم إياها تسمية الأثني ﴿مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾ يقول: ليس لهم علم إلا هذا الكفر بالله، والشرك به على وجه الظن بغير يقين علم.

وأورد أثراً صحيح الإسناد عن ابن زيد في قوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَّن تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (١٩) ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ قال: يقول ليس لهم علم إلا الذي هم فيه من الكفر برسول الله ﷺ، ومكائدتهم لما جاء من عند الله، قال: وهؤلاء أهل الشرك.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَن

أَهْتَدَىٰ﴾ مع بيان ارتباطه بما قبله؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: لا يحزنك - يا رسول الله - إعراض هؤلاء المعرضين عن الآخرة، الذين ليس لهم هم إلا حياتهم الدنيا والإقبال عليها، فربك - عز وجل - يعلم من الذي انحرف عن الطريق السوي المستقيم طريق الإسلام ومن

الذي سلك هذا الطريق، وُهدي إليه.

قال الطبري - رحمه الله -:

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى﴾ يقول تعالى ذكره: إن ربك - يا محمد - هو أعلم بمن جاز عن طريقه في سابق علمه، فلا يؤمن، وذلك الطريق هو الإسلام: ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى﴾ يقول: وربك أعلم بمن أصاب طريقه فسلكه في سابق علمه، وذلك الطريق أيضًا الإسلام.

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله -:

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى﴾، أي: هو الخالق لجميع المخلوقات، والعالم بمصالح عباده، وهو الذي يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، وذلك كله عن قدرته وعلمه وحكمته، وهو العادل الذي لا يجور أبدًا، لا في شرعه ولا في قدره.



س: ما وجه الارتباط بين قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ وقوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَسَنَى﴾؟
ج: الذي يبدو لي - والله أعلم - أن قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ جملة كأنها اعتراضية.

فيكون المعنى: إن ربك هو أعلم بمن ضلَّ عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى، وتكون اللام في قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ﴾ لام العاقبة فستكون عاقبة الذين أساءوا السُّوء، وتكون عاقبة الذين أحسنوا الحسنَى.

فإن سأل سائل: فلماذا هدى الله أقوامًا وأضلَّ آخرين؟ فجواب ذلك: أن الله - عزَّ وجلَّ - له ما في السموات وما في الأرض وما فيها يفعل ما يشاء، ويقضي بما أراد،

فيهدي ويضل ويعذب ويرحم.

قال الطبري - رحمه الله -:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَلِلَّهِ﴾ مُلْكٌ ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ من شيء، وهو يضلُّ من يشاء، وهو أعلم بهم ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا﴾ يقول: ليجزي الذين عصوه من خلقه - فأساءوا بمعصيتهم إياه - فيثيبهم بها النار ﴿وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ يقول: وليجزي الذين أطاعوه - فأحسنوا بطاعتهم إياه في الدنيا - بالحسنى وهي الجنة، فيثيبهم بها. وقيل: غني بذلك أهل الشرك والإيمان.

وقال القرطبي - رحمه الله -:

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ اللام متعلقة بالمعنى الذي دلَّ عليه ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ كأنه قال: هو مالك ذلك يهدي من يشاء ويضل من يشاء ليجزي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته.

وقيل: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ معترض في الكلام؛ والمعنى: إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى ليجزي.

وقيل: هي لام العاقبة، أي والله ما في السموات وما في الأرض؛ أي وعاقبة أمر الخلق أن يكون فيهم مسيء ومحسن؛ فللمسيء السوءى وهي جهنم، وللمحسن الحسنى وهي الجنة.



س: هل لزاماً أن يجازي الله كلاً بما عمل؟ أم أنه قد يعفو ويصفح؟

ج: بل قلد يعفو ربنا ويغفر ويصفح فهو أهل للتقوى وأهل للمغفرة، فكل الذنوب قد تغفر إلا الشرك إذا مات عليه العبد، فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ

يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴿[النساء: ٤٨].



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْتَبُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾؟
 ج: هذا - والله أعلم -: وصف للمحسنين ولأعمالهم فهم يحتبون كبائر الإثم التي حرمها الله عليهم التي منها الشرك بالله، وكذلك يحتبون المحرمات والفواحش كالزنا ونحوه، ولكن قد يصدر منهم الذنب الصغير بعد الذنب فهذا يغفره الله لهم إن هم اجتنبوا الكبائر، كما قال تعالى ﴿إِن يَحْتَبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١] فعلى هذا فاللم المراد به: صغار الذنوب.

قال الطبري - رحمه الله -:

وقوله: ﴿الَّذِينَ يَحْتَبُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ﴾ يقول: الذين يتعدون عن كبائر الإثم التي نهى الله عنها وحرمها عليهم فلا يقربونها، وذلك الشرك بالله، وما قد بيناه في قوله: ﴿إِن يَحْتَبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١].
 وقوله: ﴿وَالْفَوَاحِشَ﴾ وهي الزنا وما أشبهه، مما أوجب الله فيه حداً.

وقوله: ﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾ اختلف أهل التأويل في معنى «إلا» في هذا الموضع، فقال بعضهم: هي بمعنى الاستثناء المنقطع، وقالوا: معنى الكلام: الذين يحتبون كبائر الإثم والفواحش، إلا اللمم الذي أُلْمُوا به من الإثم والفواحش في الجاهلية قبل الإسلام، فإن الله قد عفا لهم عنه، فلا يؤاخذهم به.

وقال الحافظ ابن كثير - رحمه الله -:

﴿الَّذِينَ يَحْتَبُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ﴾ أي: لا يتعاطون المحرمات والكبائر، وإن وقع منهم بعض الصغائر فإنه يغفر لهم ويستر عليهم، كما قال في الآية الأخرى: ﴿إِن

يَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلَ كَرِيمًا ﴿٣١﴾ [النساء: ٣١]. وقال هاهنا: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾. وهذا استثناء منقطع؛ لأن اللمم من صغائر الذنوب ومحقرات الأعمال.



س: ما المراد باللمم؟

ج: قيل المراد باللمم: صغار الذنوب.

وقيل المراد باللمم ما يلزم به الشخص من الذنوب، أي: ما يفعله الشخص من الذنوب عموماً - صغارها وكبارها - ثم يتوب منها.

هذا، وقد ورد عن ابن عباس في تفسير اللمم ما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما^(١) من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: ما رأيت شيئاً أشبه باللمم مما قال أبو هريرة أن النبي ﷺ قال: «إن الله كتب على ابن آدم حفظه من الزنى أدرك ذلك لا محالة فزنى العينين النظر، وزنا اللسان النطق والنفس تمنى وتشتهي والفرج يُصدِّق ذلك أو يكذِّبه».

وفي بعض الروايات «والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخط».

- وأورد الطبري بإسناد صحيح^(٢) عن الشعبي قال:

هو ما دون الزنى، ثم ذكر لنا عن ابن مسعود، قال: «زنى العينين: ما نظرت إليه، وزنى اليد: ما لمست، وزنى الرجل: ما مشت والتحقيق بالفرج».

وبإسناد صحيح عن مجاهد^(٣): أنه قال في هذه الآية (إلا اللمم).

(١) البخاري (٦٢٤٣)، ومسلم (٢٦٥٧).

(٢) الطبري (٣٢٥٦٥).

(٣) الطبري (٣٢٥٦٨).

قال: الذي يُلَمُّ بالذنب ثم يدعه.

وصح عن الحسن: ^(١) في قول الله ﴿الَّذِينَ يَحْتَبُونَ كَيْدَ الْإِنَّمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّمَمُ﴾

قال: اللَّمَمُ من الزنى أو السرقة أو شرب الخمر ثم لا يعود.

وبإسناد حسنٍ عن قتادة قال: ^(٢) واللمم ما كان بين الحدين لم يبلغ حد الدنيا،

ولا حد الآخرة، مُوجِبَةٌ قد أوجب الله لأهلها النار أو فاحشة يُقام عليها الحد في الدنيا.

قال الطبري - رحمه الله -:

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال «إلا بمعنى الاستثناء

المنقطع، ووجه معنى الكلام إلى ﴿الَّذِينَ يَحْتَبُونَ كَيْدَ الْإِنَّمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّمَمُ﴾ بما دون

كبائر الإثم، ودون الفواحش الموجبة للحدود في الدنيا، والعذاب في الآخرة، فإن ذلك

معفوٌ لهم عنه، وذلك عندي نظير قوله جل ثناؤه: ﴿إِنْ يَحْتَبِرُوا كَيْدًا مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ

نُكْفِرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١] فوعده جل ثناؤه:

باجتناب الكبائر، العفو عما دونها من السيئات، وهو اللمم الذي قال النبي ﷺ:

«العينان تزنيان، واليدان تزنيان، والرجلان تزنيان ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه»،

وذلك أنه لا حد فيما دون ولُوج الفرج في الفرج، وذلك هو العفو من الله في الدنيا

عن عقوبة العبد عليه، والله جل ثناؤه أكرم من أن يعود فيها قد عفا عنه، كما روى

عن النبي ﷺ.

واللمم في كلام العرب: المقاربة للشيء، ذكر الفراء أنه سمع العرب تقول:

ضربه ما لم القتل، يريدون ضرباً مقارباً للقتل.

قال: وسمعت من آخر: ألم يفعل في معنى: كاد يفعل.



(١) الطبري (٣٢٥٧٠)، (٣٢٥٧٢).

(٢) الطبري (٣٢٥٨٧).

س: قوله تعالى ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ أعلم بكم من من؟

ج: أعلم بكم من أنفسكم، وأعلم بكم من غيره.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - ربكم أعلم بكم في كل وقتٍ وحينٍ، أعلم بكم حين خلق أباكم آدم من تراب، وأعلم بكم وأنتم أجنةٌ في بطون الأمهات.

قال الطبري - رحمه الله -:

وقوله: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ يقول تعالى ذكره: ربكم أعلم بالمؤمن منكم من الكافر، والمحسن منكم من المسيء، والمطيع من العاصي، حين ابتدعكم من الأرض، فأحدثكم منها بخلق أبيكم آدم منها، وحين أنتم أجنة في بطون أمهاتكم، يقول: وحين أنتم حمل لم تولدوا منكم، وأنفسكم بعدما صرتم رجالاً ونساء.



س: اذكر بعض ما يتعلق بتزكية النفس من الفقه؟

ج: إجمالاً لا يجوز لأحد أن يزكي نفسه ولا أن يكثر من الثناء عليها إلا إذا دعت إلى ذلك حاجة وضرورة.

وكذلك شأنه مع الأشخاص لا يبالغ في الثناء عليهم وإطرائهم إلا إذا دعت إلى ذلك حاجة وضرورة.

فقد قال تعالى ﴿فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ﴾ فإذا دعت الحاجة الضرورة فعل، وقد قال النبي ﷺ: أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب.

- وقال ألم أجدكم ضالاً فهداكم الله بي...

- وأثنى النبي على طائفة من أصحابه.

وذكر عثمان رضي الله عنه عندما أرادوا قتله ببعض أفعاله ومناقبه لعلمهم يعرضون عن قتله ويعتبرون ويتعظون.

وفي معرض المنع قول النبي ﷺ «احثوا في وجوه المدّاحين التراب».

وقد تقدمت بعض مباحث ذلك في تفسيري لسورة النساء عند تفسير قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ [النساء: ٤٩].



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾؟

ج: المعنى - والله أعلم - أن الله أعلم بالمتقين، وذلك لأن التقوى محلها القلب، كما في الحديث عن رسول الله ﷺ حيث أشار إلى صدره قائلاً: التقوى ها هنا فلما كان القلب لا يطلع عليه إلا الله، ولا يعلم ما فيه إلا الله فمن ثم كان الله أعلم بالتقى منا دون من سواه.



﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ۖ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ۖ ﴿٣٤﴾ أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى ۖ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُبْنَأْ بِمَا فِي صُحُفٍ مُّوسَى ۖ ﴿٣٦﴾ وَابْتَرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ۖ ﴿٣٧﴾ أَلَا نَزَرُ ۖ ﴿٣٨﴾ وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى ۖ ﴿٣٩﴾ وَأَنْ لِّيسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ۖ ﴿٤٠﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ۖ ﴿٤١﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوَّلَى ۖ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ۖ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ ۖ ﴿٤٤﴾ وَأَبَكَى ۖ ﴿٤٥﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ۖ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۖ ﴿٤٧﴾ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ۖ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشَأَ الْأُخْرَىٰ ۖ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ۖ ﴿٥٠﴾ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَىٰ ۖ ﴿٥١﴾ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ۖ ﴿٥٢﴾ وَثَمُودَ إِذْ أَتَىٰ ۖ ﴿٥٣﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطَىٰ ۖ ﴿٥٤﴾ وَالْمُونِيفَةَ أَهْوَىٰ ۖ ﴿٥٥﴾ فَغَشَّاهَا مَا عَشَىٰ ۖ ﴿٥٦﴾ فَيَأْتِيءُ الْآءَ رَبِّكَ نَتْمَارَىٰ ۖ ﴿٥٧﴾ هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذَرِ الْأُولَىٰ ۖ ﴿٥٨﴾ أَرَفَتِ الْآزِفَةَ ۖ ﴿٥٩﴾ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ۖ ﴿٦٠﴾ أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۖ ﴿٦١﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۖ ﴿٦٢﴾ وَأَنْتُمْ سَعِيدُونَ ۖ ﴿٦٣﴾ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ۖ ﴿٦٤﴾ ﴾ [النجم: ٣٣-٦٢].

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿تَوَلَّى - وَأَكْدَى - يُبْنَأُ - صُحُفٍ مُّوسَى - وَفَّى - أَلَا نَزَرُ - وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى - مَا سَعَى -
 الْأَوَّلَى - الْمُنْتَهَى - تُمْنَى - النَّشَأَ الْأُخْرَى - أَغْنَى - أَقْنَى - الشَّعْرَى - فَمَا أَتَى - وَالْمُونِيفَةَ -
 أَهْوَى - فَغَشَّاهَا مَا عَشَى - الْآءَ - نَتْمَارَى - أَرَفَتِ الْآزِفَةَ - كَاشِفَةٌ - سَعِيدُونَ ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿تَوَلَّى﴾	أدبر - أعرض عن الإيمان بالله وأعرض عن الدين.
﴿وَأَكْذَى﴾	انقطع عطاؤه - بخل.
﴿يَبْتَأْ﴾	يُجْبِر.
﴿صُحُفِ مُوسَى﴾	التوراة، وقيل الألواح.
﴿وَقَى﴾	قام بها أمر به - وقى الله بالبلاغ أدى رسالة الله إلى خلقه ^(١) .
﴿أَلَّا نَزُرُ﴾	لا تحمل.
﴿وَأَزْرَهُ﴾	حاملة.
﴿وَزَرَ﴾	حمل.
﴿أُخْرَى﴾	نفس أخرى.
﴿مَا سَعَى﴾	ما عمل.
﴿الْأَوْفَى﴾	الأكمل - الذي وفاه الله به. لأن الله كان قد وعده بذلك فوفاه الله ما وعده.
﴿الْهَنَى﴾	المرجع والمآب.
﴿تَمْنَى﴾	تُهْرَاق.

(١) ويشهد له قوله تعالى: ﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبَّهُ بِكَلِمَاتٍ فَاتَمَمْنَ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: وقوله: ﴿أَمْ لَمْ يَنْبَأْ بِهَا فِي صُحُفِ مُوسَى﴾ وإبراهيم الذي وقى ﴿قال سعيد ابن جبير، والثوري: أي بلغ جميع ما أمر به. وقال ابن عباس: وقى الله بالبلاغ. وقال سعيد بن جبير: وقى ما أمر به. وقال قتادة: وقى طاعة الله، وأدى رسالته إلى خلقه. وهذا القول هو اختيار ابن جرير، وهو يشمل الذي قبله، ويشهد له قوله تعالى: ﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبَّهُ بِكَلِمَاتٍ فَاتَمَمْنَ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ فقام بجميع الأوامر وترك جميع النواهي، وبلغ الرسالة على التمام والكمال، فاستحق بهذا أن يكون للناس إمامًا يُقْتَدَى به في جميع أحواله وأفعاله وأقواله، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿النَّشَأَ الْآخَرَى﴾	البعث بعد الموت.
﴿أَغْنَى﴾	صيره غنيًا - جعله ذا مال.
﴿وَأَقْنَى﴾	جعله مقتنيًا لأشياء (أصولًا وأموالًا). وقيل: المعنى أخدم (جعل لهم خدمًا) وقيل: المعنى أرضى، وقيل أفقر ^(١) .
﴿الشَّعْرَى﴾	النجم الذي يسمى بالشعري، وقد قيل إن من أهل الجاهلية من كان يعبد.
﴿فَمَا أَبْقَى﴾	فما تركها تعيث في الفساد.
﴿وَالْمُؤْنِفَكَةَ﴾	قرية سدوم التي كان يسكنها قوم لوط اتتوفكت فقلب أعلاها فجعل سافلها وقد قيل إن جبريل - عليه السلام - رفعها إلى السماء السابعة بجناحه ثم أهواها فقلبها ثم ابتعث بأحجار ^(٢) .
﴿أَهْوَى﴾	أهواها من السماء إلى الأرض.
﴿فَفَعَسَها مَا غَشَى﴾	فأصابها ما أصابها، وحلَّ بها ما حلَّ بها.
﴿ءِ الْآءِ﴾	نعم.
﴿نَتَمَارَى﴾	تجادل - ترتاب - تشك.
﴿أَزَفَتِ الْآزِفَةُ﴾	اقتربت القيامة - (وأطلق على القيامة أزفة لاقتها).
﴿كَاشَفَةُ﴾	كاشف يكشفها - دافع يدفعها - صارف يصرفها.
﴿سَمِدُونُ﴾	لاهون - غافلون - مغنون - مُبرطمون



(١) ومستنده ﴿إن ربك يسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾.

(٢) أورد الطبري (٣٢٦٤٩) بإسناد صحيح عن ابن زيد قال في قوله: ﴿وَالْمُؤْنِفَكَةَ أَهْوَى﴾ قال: قرية لوط، أهواها من السماء من أتبعها ذاك الصخر، اقتلعت من الأرض، ثم هوى بها في السماء، ثم قلبت.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم:-

* أن هذا رجلٌ قد تولى وأعرض عن الإيمان بالله، وكان قد قَدَّم خيرًا ثم انقطع عطاؤه ولم يستمر فيه، وجائز أن يكون الخير الذي أعطاه أولاً إظهاره للإيمان، وثناؤه على القرآن، ثم كفره ووصفه بأنه شعر وسحر وأساطير الأولين، أي: أنه لم يستمر على إيمانه وثناؤه على القرآن.

* وجائز أيضًا أن يكون أعطى بعض الناس مالا على كفره ثم انقطع عن هذا العطاء.

أما عن أقوال العلماء في ذلك فقد قال الطبري - رحمه الله -:

يقول تعالى ذكره: أفرأيت يا محمد الذي أدبر عن الإيمان بالله، وأعرض عنه وعن دينه، وأعطى صاحبه قليلاً من ماله، ثم منعه فلم يعطه، فبخل عليه.

وذكر أن هذه الآية نزلت في الوليد بن المغيرة من أجل أنه عاتبه بعض المشركين، وكان قد اتبع رسول الله ﷺ على دينه، فضمن له الذي عاتبه إن هو أعطاه شيئاً من ماله، ورجع إلى شركه أن يتحمل عنه عذاب الآخرة، ففعل، فأعطى الذي عاتبه على ذلك بعض ما كان ضمن له، ثم بخل عليه ومنعه تمام ما ضمن له.

وأورد الطبري^(١) أثراً صحيح الإسناد إلى ابن زيد في قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى﴾... إلى قوله: ﴿فَهُوَ يَرَى﴾ قال: هذا رجل أسلم، فلقى بعض من يُعِيرُهُ فقال: أتركت دين الأشياخ وضللتهم، وزعمت أنهم في النار! كان ينبغي لك أن تنصرهم، فكيف يفعل بابائك؟ فقال: إني خشيت عذاب الله، فقال: أعطني شيئاً، وأنا أحمل كل عذاب عليك عنك، فأعطاه شيئاً، فقال زدني، فتعاسر حتى أعطاه شيئاً، وكتب له كتاباً،

وأشهد له، فذلك قول الله: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ۖ (٢٢) وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ۖ عَاسِرُهُ﴾ ﴿أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ بِرَى ۖ﴾ نزلت فيه هذه الآية.

وقال الطبري رحمه الله:

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول: اشتق قوله: أكدي، من كدية الركية، وهو أن يحفر حتى ييأس من الماء، فيقال حينئذ بلغنا كُدَيْتِهَا.

وقال الحافظ ابن كثير - رحمه الله -:

﴿وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى﴾ قال ابن عباس: أطاع قليلاً ثم قطعه. وكذا قال مجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وقتادة، وغير واحد.

قال عكرمة، وسعيد: كمثل القوم إذا كانوا يحفرون بئراً، فيجدون في أثناء الحفر صخرة تمنعهم من تمام العمل، فيقولون: أكْدَيْنَا، ويتركون العمل.

قال السعدي - رحمه الله -:

يقول تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ ۖ﴾ قبح حالة من أمر بعبادة ربه وتوحيده، فتولى عن ذلك، وأعرض عنه؟

فإن سمحت نفسه ببعض الشيء القليل، فإنه لا يستمر عليه، بل ييخل ويكدي ويمنع. فإن الإحسان ليس سجية له وطبعاً، بل طبعه التولي عن الطاعة وعدم الثبوت على فعل المعروف. ومع هذا، فهو يزكي نفسه، وينزلها غير منزلتها، التي أنزلها الله بها.

س: اذكر بعض الوارد في الحث على مواصلة البر، والمداومة على الخير وإن كان قليلاً، فالقليل المتصل خيرٌ من الكثير المنقطع؟

ج: من ذلك قول عائشة - رضي الله عنها -: وقد سُئِلْتُ عن عمل رسول الله ﷺ فقالت: كان يحب الدائم^(١).

* وفي صحيح مسلم من حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: «أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَدْوُمُهَا وَإِنْ قَلَّ»^(١).

وفي بعض الروايات «كَانَ عَمَلُهُ دِيمَةً»^(٢).

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى﴾؟

ج: تفسير هذه الآية الكريمة مبني على تفسير ما سبقها فإذا حملناها على ما ورد في قصة الوليد بن المغيرة التي أشار إليها الطبري فيكون المعنى على ما ذكره الطبري إذ قال: وقوله: ﴿أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى﴾ يقول تعالى ذكره: أعند هذا الذي ضَمِنَ له صاحبه أن يتحمل عنه عذاب الله في الآخرة علم الغيب، فهو يرى حقيقة قوله، ووفاءه بها وعده.

أما إذا حملناها على الوجه الآخر فقد قال الحافظ بن كثير - رحمه الله - وقوله: ﴿أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى﴾ أي: أعند هذا الذي قد أمسك يده خشية الإنفاق، وقطع معروفة، أعنده علم الغيب أنه سينفذ ما في يده، حتى قد أمسك عن معروفة، فهو يرى ذلك عياناً؟! أي: ليس الأمر كذلك، وإنما أمسك عن الصدقة والمعروف والبر والصلة بخلاً وشحاً وهلعاً.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى﴾ أي أعند هذا المكدي علم ما غاب عنه من أمر العذاب؟ ﴿فَهُوَ يَرَى﴾ أي: يعلم ما غاب عنه من أمر الآخرة، وما يكون من أمره حتى يضمن حمل العذاب عن غيره، وكفى بهذا جهلاً وحمقاً.

وهذه الرؤية هي المتعدية إلى مفعولين، والمفعولان محذوفان؛ كأنه قال: فهو يرى الغيب مثل الشهادة.

(١) مسلم (طرف حديث ٧٨٣).

(٢) البخاري (٦٤٦٦)، ومسلم (٧٨٣).

وقال السعدي - رحمه الله -:

﴿أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهَوْ يَرَى﴾ الغيب، فيخبر به، أم هو متقول على الله، متجرئ عليه، جامع بين المحذورين، الإساءة، والتزكية، كما هو الواقع، لأنه قد علم، أنه ليس عنده علم من الغيب، وأنه لو قدر أنه ادعى ذلك، فالإخبارات القاطعة عن علم الغيب، التي على يد النبي المعصوم، تدل على نقيض قوله، وذلك دليل على بطلانه.



س: اذكر بعض الآيات الدالة على نفي علم الغيب عن العباد؟

ج: من ذلك ما يلي:

* قوله تعالى: ﴿أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهَوْ يَرَى﴾.

* وقوله تعالى: ﴿أَمَّ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ [القلم: ٤٧].

* وقوله تعالى: ﴿أَطْلَعَ الْغَيْبَ أَمْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٧٨].

* وقوله تعالى: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ٢٦].

* وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

* وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ

الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ [الأعراف: ١٨٨].



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى﴾؟

ج: المعنى - والله أعلم - أم لم يخبر هذا الذي ادعى أنه سيحل أوزار الآخرين، وحثهم على الكفر ووعدهم أنه سيغني عنهم، أفلم يخبر بالذي جاء في صحف موسى التي هي التوراة، وكذلك ما جاء به إبراهيم - عليه السلام - بأنه لا تزر وازرة وزر أخرى! أي: لا تحمل نفس جمل نفس أخرى، ولا يؤاخذ أحد بذنب غيره.

قال بعض العلماء: وُخِّصَتْ صحف إبراهيم وموسى بالذكر لأنه كان ما بين نوح وإبراهيم يؤخذ الرجل بجريرة أخيه وابنه وأبيه.



س: ما المراد بقوله تعالى ﴿وَقَى﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: وَقَى بالذي كُلف بتبليغه فقد أمره الله بالبلاغ فبلغ حق البلاغ، وأتم ما كُلف به من تبليغ الرسالات إلى الخلق.

الثاني: وَقَى بما رآه في الرؤية من الأمر بذبح ولده.

الثالث: وَقَى ربه جميع شرائع الإسلام، وقام بما فرضه الله عليه.

الرابع: وَقَى ربه عمل يومه.

قال الطبري - رحمه الله -:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: وَقَى شرائع الإسلام وجميع ما أمر به من الطاعة، لأن الله - تعالى ذكره - أخبر عنه أنه وَقَى فعمَّ بالخبر عن توفيته جميع الطاعة، ولم يخص بعضاً دون بعض.

فإن قال قائل: فإنه خص ذلك بقوله وَقَى ﴿أَلَا نَزَرُ وَأَزِرُّ وَزَرَ﴾ فإن ذلك مما أخبر الله جل ثناؤه أنه في صحف موسى وإبراهيم، لا مما خص به الخبر عن أنه وَقَى.

وأما التوفية فإنها على العموم، ولو صح الخبران اللذان ذكرناهما أو أحدهما عن رسول الله ﷺ، لم نعد القول به إلى غيره، ولكن في إسنادهما نظر يجب التثبت فيهما من أجله.



س: ما الذي في صحف موسى وإبراهيم الذي وثي من المذكور في هذه السورة؟

ج: من ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَا نَزَرُ وَأَزَرُهُ وَزَرَ أُخْرَى﴾ إلى قوله تعالى: ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَى﴾.



س: اذكر من الأدلة ما يفيد أن نفساً لن تحمل إثم نفس أخرى؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿أَلَا نَزَرُ وَأَزَرُهُ وَزَرَ أُخْرَى﴾.

وقوله تعالى: ﴿وإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جِوْشِهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾

[فاطر: ١٨].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلِيَحْمِلُوا أَثْقَالَهُمْ وَأَنْتُمْ لَا مَعْ أَثْقَالِهِمْ وَلَئِنْ لَّمْ يَكُنْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [العنكبوت: ١٢، ١٣].



س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - أن من الموجود في صحف إبراهيم وموسى من الأخبار وأمر الشريعة ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ أي: لا يجازي عامل إلا بعمله خيراً كان ذلك أو شراً.

ومن العلماء من قال إن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الطور: ٢١].

بينما ذهب أكثر أهل التأويل - كما نقل عنهم القرطبي - إلى أن الآية محكمة.

قال القرطبي - رحمه الله -: روى عن ابن عباس أنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١] فيحصل الولد الطفل يوم القيامة في ميزان أبيه، ويُشَفَّعُ الله تعالى الآباء في الأبناء، والأبناء في الآباء؛ يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ [النساء: ١١] وقال أكثر أهل التأويل: هي محكمة ولا ينفع أحدًا عمل أحد، وأجمعوا أن لا يصلي أحد عن أحد.

وقال أيضًا:

قلت: ويحتمل أن يكون قوله: ﴿وَأَنْ لِّسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ خاص في السيئة؛ بدليل ما في صحيح مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «قال الله عز وجل: إذا هم عبدي بحسنة ولم يعملها كتبها له حسنة فإن عملها كتبها له عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف، وإذا هم بسيئة ولم يعملها لم أكتبها عليه فإن عملها كتبها سيئة واحدة».



س: اذكر وجه الجمع بين قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لِّسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١]؟

ج: جمع الشنقيطي بين ذلك فقال:

والجواب من ثلاثة وجوه:

الأول: أن الآية إنما دلت على نفي ملك الإنسان لغير سعيه، ولم تدل على نفي انتفاعه بسعي غيره، لأنه لم يقل: وأن لن ينتفع الإنسان إلا بما سعى، وإنما قال: ﴿وَأَنْ لِّسَ لِلْإِنْسَانِ﴾، وبين الأمرين فرق ظاهر، لأن سعي الغير ملك لساعيه إن شاء بذله لغيره فانتفع به ذلك الغير، وإن شاء أبقاه لنفسه.

وقد أجمع العلماء على انتفاع الميت بالصلاة عليه والدعاء له والحج عنه ونحو ذلك مما ثبت الانتفاع بعمل الغير فيه.

الثاني: أن إيمان الذرية هو السبب الأكبر في رفع درجاتهم، إذ لو كانوا كفارًا لما حصل لهم ذلك. فإيمان العبد وطاعته سعى منه في انتفاعه بعمل غيره من المسلمين، كما وقع في الصلاة في الجماعة، فإن صلاة بعضهم مع بعض يتضاعف بها الأجر زيادة على صلاته منفردًا، وتلك المضاعفة انتفاع بعمل الغير سعى فيه المصلي بإيمانه وصلاته في الجماعة، وهذا الوجه يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَأَتَّبَعْنَاهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ بِإِيمَانٍ﴾.

الثالث: أن السعي الذي حصل به رفع درجات الأولاد ليس للأولاد كما هو نص قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ ولكن من سعي الآباء، فهو سعي للآباء أقر الله عيونهم بسببه، بأن رفع إليهم أولادهم فيمتنعوا في الجنة برؤيتهم. فالآية تصدق الأخرى ولا تنافيها، لأن المقصود بالرفع إكرام الآباء لا الأولاد، فانتفاع الأولاد تبع فهو بالنسبة إليهم تفضل من الله عليهم بما ليس لهم، كما تفضل بذلك على الولدان والحوار العين، والخلق الذين ينشئهم للجنة والعلم عند الله تعالى. اهـ منه.

قال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

قال شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية - رحمه الله -:
من اعتقد أن الإنسان لا ينتفع إلا بعمله فقد خرق الإجماع، وذلك باطل من وجوه كثيرة:

أحدها: أن الإنسان ينتفع بدعاء غيره، وهو انتفاع بعمل الغير.

ثانيها: أن النبي ﷺ يشفع لأهل الموقف في الحساب، ثم لأهل الجنة في دخولها.

ثالثها: لأهل الكبائر في الخروج من النار، وهذا انتفاع بسعي الغير.

رابعها: أن الملائكة يدعون ويستغفرون لمن في الأرض، وذلك منفعة بعمل الغير.

خامسها: أن الله تعالى يخرج من النار من لم يعمل خيراً قط بمحض رحمته وهذا انتفاع بغير عملهم.

سادسها: أن أولاد المؤمنين يدخلون الجنة بعمل آبائهم، وذلك انتفاع بمحض عمل الغير.

سابعها: قال تعالى في قصة الغلامين اليتيمين: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ [الكهف: ٨٢] فانتفعا بصلاح أبيهما وليس من سعيهما.

ثامنها: أن الميت ينتفع بالصدقة عنه، وبالعق بنص السنة والإجماع، وهو من عمل الغير.

تاسعها: أن الحج المفروض يسقط عن الميت بحج وليه بنص السنة، وهو انتفاع بعمل الغير.

عاشرها: أن الحج المنذور أو الصوم المنذور، يسقط عن الميت بعمل غيره بنص السنة، وهو انتفاع بعمل الغير.

حادي عشرها: المدين قد امتنع ﷺ من الصلاة عليه حتى قضى دينه أبو قتادة، وقضى دين الآخر علي بن أبي طالب، وانتفع بصلاة النبي ﷺ، وهو من عمل الغير.

ثاني عشرها: «أن النبي ﷺ قال لمن صلى وحده: «ألا رجل يتصدق على هذا فيصلي معه؟». فقد حصل له فضل الجماعة بعمل الغير.

ثالث عشرها: أن الإنسان تبرأ ذمته من ديون الخلق إذا قضاها قاض عنه، وذلك انتفاع بعمل الغير.

رابع عشرها: أن من عليه تبعات ومظالم إذا حلل منها سقطت عنه، وهذا انتفاع

بعمل الغير.

خامس عشرها: أن الجار الصالح ينفع في المحيا والممات، كما جاء في الأثر، وهذا انتفاع بعمل الغير.

سادس عشرها: أن جليس أهل الذكر يُرحم بهم، وهو لم يكن منهم، ولم يجلس لذلك لحاجة عرضت له، والأعمال بالنيات، فقد انتفع بعمل غيره.

سابع عشرها: الصلاة على الميت والدعاء له في الصلاة انتفاع للميت بصلاة الحي عليه وهو عمل غيره.

ثامن عشرها: أن الجمعة تحصل باجتماع العدد، وكذلك الجماعة بكثرة العدد، وهو انتفاع للبعض بالبعض.

تاسع عشرها: أن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَلُهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣] وقال تعالى: ﴿وَلَوْ لَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ﴾ [الفتح: ٢٥] إلخ. وقال تعالى: ﴿وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمُ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥١] إلخ. فقد رفع الله تعالى العذاب عن بعض الناس بسبب بعض، وذلك انتفاع بعمل الغير.

عشروها: أن صدقة الفطر تجب على الصغير وغيره، ممن يُموّنه الرجل فإنه ينتفع بذلك من يخرج عنه ولا سعي له فيها.

حادي عشرها: أن الزكاة تجب في مال الصبي والمجنون ويثاب على ذلك، ولا سعي له، ومن تأمل العلم وجد من انتفاع الإنسان بما لم يعمله ما لا يكاد يحصى، فكيف يجوز أن تتأول الآية الكريمة على خلاف صريح الكتاب والسنة وإجماع الأمة؟ انتهى كلامه - رحمه الله -.



س: هل ورد عن رسول الله ﷺ أنه كان يقرأ قرآنًا ويهب ثوابه للأموات؟

ج: لا أعلم شيئًا من ذلك واردًا عن رسول الله ﷺ.

وقد قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى - عند تفسير هذه الآية:

ومن هذه الآية الكريمة استنبط الشافعي - رحمه الله - ومن اتبعه أن القراءة لا

يصل إهداء ثوابها إلى الموتى، لأنه ليس من عملهم ولا كسبهم.

ولهذا لم يندب إليه رسول الله ﷺ أمته ولا حثهم عليه، ولا أرشدهم إليه بنص

ولا إيماء، ولم ينقل ذلك عن أحد من الصحابة - رضي الله عنهم - ولو كان خيرًا

لسبقونا إليه، وباب القربات يقتصر فيه على النصوص، ولا يتصرف فيه بأنواع الأقيسة

والآراء، فأما الدعاء والصدقة فذاك مجمع على وصولها، ومنصوص من الشارع

عليها.

وأما الحديث الذي رواه مسلم في «صحيحه»^(١)، عن أبي هريرة قال: قال رسول

الله ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: من ولد صالح يدعو له، أو

صدقة جارية من بعده، أو علم ينتفع به» فهذه الثلاثة - في الحقيقة - هي من سعيه وكده

وعمله، كما جاء في الحديث: «إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه، وإن ولده من كسبه».

والصدقة الجارية كالوقف ونحوه هي من آثار عمله ووقفه، وقد قال تعالى:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآخَرَهُمْ ﴾ ... الآية [يس: ١٢]. والعلم الذي

نشره في الناس فاقتدى به الناس بعده، هو أيضًا من سعيه وعمله، وثبت في

«الصحيح»: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه، من غير أن

ينقص من أجورهم شيئًا»^(٢).



(١) مسلم (١٦٣١).

(٢) مسلم (٢٦٧٤).

س: اذكر بعض ما يلحق الميت بعد وفاته من أعمال البر؟

ج: من ذلك ما يلي:

الاستغفار له: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠].

* وقال ﷺ: «إن الله عز وجل ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول يا رب أنى لي هذه فيقول باستغفار ولدك لك»^(١).

* الصدقة الجارية والعلم الذي ينتفع به والولد الصالح الذي يدعو له: ففي الحديث عن رسول الله ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له»^(٢).

* أداء الدين عن الميت والحج عنه: أخرج البخاري في «صحيحه» من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما -: أن امرأة من جهنية جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: إن أُمِّي نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت أفأحج عنها؟ قال: «نعم حُجِّي عنها، أرأيت لو كان على أمك دينٌ أكنت قاضيته؟! اقضوا الله فإله حق بالوفاء»^(٣).

وفي «الصحيحين» من حديث عائشة - رضي الله عنها - أن رجلاً قال للنبي ﷺ: إن أُمِّي افتللت نفسها، وأراها لو تكلمت تصدقت أفأتصدق عنها؟ قال: «نعم تصدق عنها»^(٤).

* الصوم: وذلك لقول رسول الله ﷺ: «من مات وعليه صيام صام عنه وليه»^(٥).

(١) أحمد في المسند (٥٠٩/٢) بسند حسن.

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (١٦٧/٤) (حديث ١٦٣١).

(٣) البخاري (١٨٥٢).

(٤) البخاري (٢٧٦٠)، ومسلم (١٦٦/٤).

(٥) البخاري (١٩٥٢)، ومسلم (١١٤٧).

* قضاء النذر: أخرج البخاري من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما -: أن سعد بن عبادہ استفتى رسول الله ﷺ في نذر كان على أمه فتوفيت أمه قبل أن تقضيه فأفتاه أن يقضيه عنها فكانت سنة بعد^(١).

* العمرة عنه: ففي الحديث: «احجج عن أبيك واعتمر»^(٢).

* صلة من كان الميت يصلهم: ففي الحديث: «إن أبر البر صلة الولد أهل ود أبيه»^(٣).



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - أن عمل العامل سوف يرى يوم القيامة إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

أما من الذي سيراه، فقد قال تعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].

وقال تعالى: ﴿وَأِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا﴾ وكفى بنا حسيين ﴿[الأنبياء: ٤٧] وسيراه صاحبه أيضاً، قال تعالى: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، وقال تعالى ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٨].

وقال تعالى ﴿وَنُخْرِجْ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ ﴿١٣﴾ أَقْرَأَ كِتَابَكَ... ﴿[الإسراء: ١٣، ١٤] هذا، وقد قال الطبري - رحمه الله -:

قوله جل ثناؤه: ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾ يقول - تعالى ذكره -: وأن عمل كل

(١) البخاري (٦٦٩٨).

(٢) أحمد (١٠/٤).

(٣) مسلم (٢٥٥٢).

عامل سوف يراه يوم القيامة، من ورد القيامة بالجزاء الذي يجازي عليه، خيرًا كان أو شرًا، لا يؤاخذ بعقوبة ذنب غير عامله، ولا يثاب على صالح عمله عامل غيره.

وإنما عُنِي بذلك: الذي رجع عن إسلامه بضمان صاحبه له أن يتحمل عنه العذاب، أن ضمانه ذلك لا ينفعه، ولا يغني عنه يوم القيامة شيئًا، لأن كل عامل فبعمله مأخوذ.

وقد قيل: إن الذي يرى هو جزاء العمل، يُرى يوم القيامة.



س: لماذا وصف الجزاء بالأرض؟

ج: قيل: لأن الله أوفى بما وعد خلقه، فقد وعدهم أن يشيهم على الطاعات فوفى لهم بذلك.

وقيل الأوفى: الأكمل. الذي ليس بناقصٍ وقيل الأوفى: الأوفر.



س: وضع المراد بقوله: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾؟

ج: قال بعض أهل العلم: إن المراد بالمنتهى ها هنا المرجع والمآب، وهو المجازي للعباد على أعمالهم.

قال الطبري - رحمه الله -:

وقوله: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾ يقول - تعالى ذكره - لنبيه، ﷺ: وأن إلى ربك يا محمد انتهاء جمع خلقه ومرجعهم، وهو المجازي جميعهم بأعمالهم، صالحهم وطالحهم، ومحسنهم ومسيئهم.

وقال السعدي - رحمه الله -:

وقوله: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾ أي: إليه تنتهي الأمور: وإليه تصير الأشياء

والخلائق، بالبعث والنشور. وإلى الله المنتهى في كل حال، فإليه ينتهي العلم، والحكم، والرحمة، وسائر الكمالات.



س: وضع المراد بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾؟

ج: المعنى والله تعالى - أعلم - أن الضحك والبكاء كلاهما من عند الله عز وجل، فَضَحِكَ الضاحك، وبكاء الباكي كُلُّ ذلك من عند الله، فلا تنذرف دمعاً ولا تنفج شفاة إلا بإذن الله.

بينما حمل آخرون من أهل العلم هذا الضحك وذاك البكاء على الضحك يوم القيامة، والبكاء يوم القيامة، فقال الطبري رحمه الله: وقوله: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ يقول تعالى ذكره: وأن ربك هو أضحك أهل الجنة في الجنة بدخولهم إياها، وأبكى أهل النار في النار، بدخولهموها، وأضحك من شاء من أهل الدنيا، وأبكى من أراد أن يبكيه منهم.

قال القرطبي - رحمه الله -:

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ ذهب الوسائط وبقيت الحقائق لله سبحانه وتعالى، فلا فاعل إلا هو؛ وفي صحيح مسلم عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: لا والله ما قال رسول الله قطُّ إنَّ الميت يعذب ببكاء أحد، ولكنه قال: (إنَّ الكافر يزيده الله ببكاء أهله عذاباً وإنَّ الله هو أضحك وأبكى وما تزر وازرة وزر أخرى).

وعنها قالت: مرَّ النبي ﷺ على قوم من أصحابه وهم يضحكون، فقال: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً» فنزل عليه جبريل فقال: يا محمد! إن الله يقول لك: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾.

فرجع إليهم فقال: «ما خطوط أربعين خطوة حتى أتاني جبريل فقال: إيت

هؤلاء فقل لهم: إن الله تعالى يقول: ﴿هُوَ أَضْحَكُ وَأَبْكِي﴾ أي: قضى أسباب الضحك والبكاء.

- وقال عطاء بن أبي مسلم: يعني أفرح وأحزن؛ لأن الفرح يجلب الضحك والحزن يجلب البكاء.

- وقيل لعمر: هل كان أصحاب رسول الله ﷺ يضحكون؟ قال: نعم! والإيمان والله أثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي. وقد تقدّم هذا المعنى في «النمل» و«التوبة».

- قال الحسن: أضحك الله أهل الجنة في الجنة، وأبكى أهل النار في النار.

- وقيل: أضحك من شاء في الدنيا بأن سرّه وأبكى من شاء بأن غمّه.

- الضحاك: أضحك الأرض بالنبات وأبكى السماء بالمطر.

- وقيل: أضحك الأشجار بالنّور، وأبكى السحاب بالأمطار.

- وقال ذو النون: أضحك قلوب المؤمنين والعارفين بشمس معرفته، وأبكى قلوب الكافرين والعاصين بظلمة نكرته ومعصيته.

- وقال سهل بن عبدالله: أضحك الله المطيعين بالرحمة وأبكى العاصين بالسخط.

- وقال محمد بن علي الترمذي: أضحك المؤمن في الآخرة وأبكاه في الدنيا.

- وقال بسام بن عبدالله: أضحك الله أسنانهم وأبكى قلوبهم. وأنشد:

السِّنُّ تَضَحُّكُ والأَحْشَاءُ تَحْتَرِقُ وَإِنَّمَا ضَحِكُهَا زَوْرٌ وَمُخْتَلَقُ
يَا رَبِّ بَاكِ بَعَيْنٍ لَا دَمَوْعَ لَهَا وَرَبُّ ضَا حَك سَنٍ مَا بِهِ رَمَقُ

وقيل: إن الله تعالى خصّ الإنسان بالضحك والبكاء من بين سائر الحيوان، وليس في سائر الحيوان. من يضحك ويبكي غير الإنسان. وقد قيل: إن القرد وحده يضحك ولا يبكي، وإن الإبل وحدها تبكي ولا تضحك.

- وقال يوسف بن الحسين: سئل طاهر المقدسي أتضحك الملائكة؟ فقال: ما

ضحكوا ولا كلّ من دون العرش منذ خلقت جهنم.

وقال السعدي - رحمه الله :-

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ أي: هو الذي أوجد أسباب الضحك والبكاء، وهو الخير، والشر، والفرح، والسرور، والهم، والحزن، وهو سبحانه، له الحكمة البالغة في ذلك.



س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾؟

ج: المراد - والله تعالى أعلم - أن الله عزّ وجل هو الذي جعل الحياة تدب في الأجساد، فهو الذي نفخ الروح فيه أو أمر الملك بنفخ الروح فيها - فدبت فيها الحياة وأمر ملك الموت - إذا أراد إماتها - بقبض تلك الأرواح عن الأجساد.

فلا يموت ميت إلا بإذن الله، ولا تحيا نفس زمناً أكثر من الذي قدره الله لها.

قال الطبري - رحمه الله -: يقول تعالى ذكره: وأنه هو أَمَاتَ من مات من خلقه، وهو أَحْيَا من حيي منهم. وعني بقوله: ﴿وَأَحْيَا﴾ نفخ الروح في النطفة الميتة، فجعلها حية بتصيره الروح فيها.

وقال القرطبي - رحمه الله :-

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ أي: قضى أسباب الموت والحياة.

- وقيل: خلق الموت والحياة كما قال: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ [الملك: ٢] قاله ابن

بحر.

- وقيل: أَمَاتَ الكافر بالكفر وأَحْيَا المؤمن بالإيمان؛ قال الله تعالى: ﴿أَوْ مَن كَانَ

مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ الآية [الأنعام: ١٢٢].

- وقال: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتُ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ٣٦] على ما تقدّم،

وإليه يرجع قول عطاء: أَمَاتَ بعدله وأَحْيَا بفضله.

- وقول من قال: أَمَاتَ بِالْمَنْعِ وَالْبَخْلِ وَأَحْيَا بِالْجُودِ وَالْبَذْلِ.

- وقيل: أَمَاتَ النُّطْفَةَ وَأَحْيَا النَّسْمَةَ.

- وقيل: أَمَاتَ الْآبَاءَ وَأَحْيَا الْأَبْنَاءَ.

- وقيل: يريد بالحياة الخصب وبالموت الجذب.

- وقيل: أَنَامَ وَأَيْقَظَ.

- وقيل: أَمَاتَ فِي الدُّنْيَا وَأَحْيَا لِلْبَعْثِ.



س: اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾

(١٥) مِنْ نُّطْفَةٍ إِذَا تَشَاءُ؟

ج: في معناها قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ (٣٦) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُنْتَنَىٰ (٢٧)

ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً فَخُلِقَ فَسَوَّىٰ (٢٨) فَعَمَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿ [القيامة: ٣٦-٣٩].

ونحوه قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ (٥) خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ

وَالْتَرَائِبِ ﴿ [الطارق: ٧].



س: على أي شيء يستدل بخلق الزوجين الذكر والأنثى؟

ج: استدلال بذلك على أمرين:

الأول: الاستدلال بذلك على البعث، وذلك لقوله تعالى: ﴿فَعَمَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ

وَالْأُنثَىٰ﴾ ثم قوله بعد ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾.

الثاني: الاستدلال بذلك على أن الإنسان خلق للتكليف، ومن ثم للعبادة

والطاعة، قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ (٣٦) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُنْتَنَىٰ (٢٧) ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً

فَخُلِقَ فَسَوَّىٰ (٢٨) فَعَمَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿ [القيامة: ٣٦-٣٩].



س: لماذا خُصَّت الشعري بالذكر في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى﴾ مع أن الله عزَّ وجل رب كل شيء؟

ج: قال بعض العلماء، ذلك، والله أعلم، لأن هذا النجم كان مما يعبد من دون الله في الجاهلية، فأخبر الله تعالى أن جنس ما يعبد المشركون مربوب مخلوق، فكيف بمن يتخذ مع الله آلهة أخرى.



س: هل هناك عادٌ أولى وعادٌ أخرى؟

ج: قال ذلك بعض العلماء، وإليه جنح الطبري إذ قال:

وقوله: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾ يعني تعالى ذكره بعاد الأولى: عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح، وهم الذين أهلكهم الله بريح صرصر عاتية، وإياهم عني بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ﴾ [الفجر: ٦-٧].

ثم قال: وإنما قيل لعاد بن إرم: عاد الأولى، لأن بني لقيم بن هزال بن هزِيل بن عَبِيل بن ضِدَّ بن عاد الأكبر، كانوا أيام أرسل الله على عاد الأكبر عذابه سكانًا بمكة مع إخوانهم من العمالقة، وَلَدِ عمليق ابن لاوذ بن سام بن نوح، ولم يكونوا مع قومهم من عاد بأرضهم، فلم يصبهم من العذاب ما أصاب قومهم، وهم عاد الآخرة، ثم هلكوا بعد.

هذا، وقد ذهب بعض العلماء إلى أنه أُطلق على عادٍ (عادًا الأولى) لكونها من أوائل الأمم. والله أعلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَتَمُودًا أَتَقْنَى﴾؟

ج: قال الطبري - رحمه الله -:

وقوله: ﴿وَتَمُودًا أَتَقْنَى﴾ يقول تعالى ذكره: ولم يبق الله ثمود فيتركها على طغيانها وتمرداها على ربها مقيمة، ولكنه عاقبها بكفرها وعتوها فأهلكها.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْعَى﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - أن الله عز وجل أهلك قبل عاد و ثمود قوم نوح فقد كان قوم نوح أشد ظلماً وطغياناً من قوم عاد.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وأنه أهلك قوم نوح من قبل عاد و ثمود، إنهم كانوا هم أشد ظلماً لأنفسهم، وأعظم كفراً بربهم، وأشد طغياناً وتمرداً على الله من الذين أهلكهم من بعد من الأمم، وكان طغيانهم الذي وصفهم الله به، وأنهم كانوا بذلك أكثر طغياناً من غيرهم من الأمم.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة ^(١) قال:

قوله: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْعَى﴾ لم يكن قبيل من الناس هم أظلم وأطغى من قوم نوح، دعاهم نبي الله ﷺ نوح ألف سنة إلا خمسين عاماً، كلما هلك قرن ونشأ قرن دعاهم نبي الله حتى ذكر لنا أن الرجل كان يأخذ بيد ابنه فيمشي به، فيقول: يا بني إن أبي قد مشي بي إلى هذا، وأنا مثلك يومئذ؛ تتابعاً في الضلالة، وتكذيباً بأمر الله.

قال الشنقيطي رحمه الله «أضواء البيان»:

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من كون قوم نوح أظلم وأطغى، أي: أشد ظلمًا وطغيانًا من غيرهم، قد بينه تعالى في آيات أخر كقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَبًّا وَنَهَارًا ۝ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ۝ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَعًا ۝ إِذَا هُمْ وَاسْتَفْتَشَوْا نُيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ [نوح: ٦-٧].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَأَتَّبِعُوا مَلَإَ مِنْ دُونِهِ مَالَهُ، وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا ۝ وَمَكْرُؤًا مَكَرًا كَبِيرًا﴾ [نوح: ٢١، ٢٢] إلى قوله: ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ [نوح: ٢٤].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٧].

وقوله: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلُوكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾ [هود: ٣٨].

ومن أعظم الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَيْتَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت: ١٤] لأن قومًا لم يتأثروا بدعوة نبي كريم ناصح في هذا الزمن الطويل، لا شك أنهم أظلم الناس وأطغاهم.



س: اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى﴾ ؟

ج: المعنى: أن مدائن قوم لوط، وهي المسماة بالمؤتفكات أهلكتها الله، وصورة الإهلاك أنها رفعت إلى السماء ثم هويت إلى الأرض، وقد قلب أعلاها فأصبح أسفلها. قال الشنقيطي رحمه الله تعالى: في كتابه «أضواء البيان» قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى﴾.

المؤتفكة، مفتعلة من الإفك، وهو القلب والصرف، والمراد بها: قرى قوم لوط بدليل قوله في غير هذا الموضع: والمؤتفكات. بالجمع؛ فهو من إطلاق المفرد وإرادة الجمع كما أوضحناه مرارًا، وأكثرنا من أمثلته في القرآن وفي كلام العرب وأحلنا عليه مرارًا، وإنما قيل لها: مؤتفكة، لأن جبريل أفكها فأتفكت، ومعنى أفكها: أنه رفعها نحو

السما ثم قلبها جاعلاً أعلاها أسفلها، وجعل عاليها أسفلها، هو اثفاكها وإفكها.
وقد أوضح تعالى هذا المعنى في سورة هود في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَىٰهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً﴾ الآية (هود: ٨٢).
وقوله تعالى في سورة الحجر: ﴿فَلَاخَذْنَاهُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ﴾ (٧٢) ﴿فَجَعَلْنَا عَلَىٰهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الحجر: ٧٤].

وقد بينا قصة قوم لوط في هود والحجر، وقوله في هذه الآية الكريمة:
أهوى. تقول العرب: هوى الشيء إذا انحدر من عال إلى أسفل.
وأهواه: غيره إذا ألقاه من العلو إلى السفلى، لأن الملك رفع قراهم ثم أهواها أي:
ألقاها تهوى إلى الأرض، منقلبة أعلاها أسفلها.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَفَشْنَاهَا مَآعِشِينَ﴾؟
ج: المعنى، والله أعلم فأصابها الذي أصابها وذلك أنها أتبع بحجارة من
سجيل منضود.
والتنكير في قوله تعالى ﴿فَفَشْنَاهَا مَآعِشِينَ﴾ لبيان عظيم العذاب الذي قد حلَّ بها،
فإنه لا يمكن وصفه.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَبَآئِيَ الْآءَ رَبِّكَ نَتْمَارِي﴾؟
ج: قال السعدي رحمه الله في تفسيرها:
﴿فَبَآئِيَ الْآءَ رَبِّكَ نَتْمَارِي﴾ أي: فبأي نعم الله وفضله، شك أيها الإنسان؟ فإن نعم
الله ظاهرة، لا تقبل الشك، بوجه من الوجوه. فما بالعباد من نعمة، إلا منه تعالى، ولا
يدفع النقم، إلا هو.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذْرِ الْأُولَى﴾ ؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: هذا رسول الله ﷺ نذير من النذر الأولى، منذرٌ محذّرٌ كما أنذرت الرسل من قبله، أي: من جنس النذر الأولى.

أخرج الطبري^(١) بإسنادٍ حسن عن قتادة قال: إنما بعث محمد كما بعث الرسل قبله.

وفي رواية عن قتادة قال: أنذر محمدٌ كما أنذرت الرسل من قبله، هذا وثمّ قول آخر ألا وهو: هذا (الذي بينته لكم في هذه السورة المباركة) نذير مما أنذرت بمثله الأمم من قبلكم وحذرتهم منه كذلك.

قال الطبري - رحمه الله -:

وقال آخرون: معنى ذلك غير هذا كله، وقالوا: معناه هذا الذي أنذرتكم به أيها القوم من الوقائع التي ذكرت لكم أني أوقعتها بالأمم قبلكم من النذر التي أنذرتها الأمم قبلكم في صحف إبراهيم وموسى.

قال السعدي - رحمه الله -:

﴿هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذْرِ الْأُولَى﴾ أي: هذا الرسول القرشي الهاشمي، محمد بن عبد الله،

ليس بدع من الرسل، بل قد تقدمه من الرسل السابقين، ودعوا إلى ما دعا إليه.

فلأي شيء تنكر رسالته؟ وبأي حجة تبطل دعوته؟ أليست أخلاقه أعلى أخلاق الرسل الكرام؟ أليس يدعو إلى كل خير، وينهى عن كل شر؟ ألم يأت بالقرآن الكريم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد؟ ألم يهلك الله من كذب من قبله من الرسل الكرام؟



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - أن الساعة التي هي يوم القيامة قد اقتربت و اقترب موعدها، وليس هناك صارف يصرفها ولا دافع يدفعها.

قال الطبري - رحمه الله -:

وقوله: ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ يقول تعالى ذكره: ليس للآزفة التي قد أزفت، وهي الساعة التي قد دنت من دون الله كاشف، يقول: ليس تنكشف فتقوم إلا بإقامة الله إياها، وكشفها دون من سواه من خلقه، لأنه لم يطلع عليها ملكاً مقرباً، ولا نبياً مرسلًا.

وقيل: كاشفة، فأنثت، وهي بمعنى الانكشاف؛ كما قيل: ﴿فَهَلْ رَأَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٨] بمعنى: فهل ترى لهم من بقاء؛ وكما قيل: العاقبة وما له من ناهية، وكما قيل: ﴿لَيْسَ لَوْفَعِهَا كَازِبَةٌ﴾ [الواقعة: ٢] بمعنى تكذيب، ﴿وَلَا تُرَاوٍ تَطْلُعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ١٣] بمعنى خيانة.

وقيل في معناها: لا يطلع على علمها أحدٌ سواه.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۖ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۚ وَأَنْتُمْ سَعِيدُونَ﴾؟

ج: قال الطبري - رحمه الله -:

يقول تعالى ذكره لمشركي قريش: أفمن هذا القرآن أيها الناس تعجبون؟ أن نزل على محمد ﷺ، وتضحكون منه استهزاءً به، ولا تبكون مما فيه من الوعيد لأهل معاصي الله، وأنتم من أهل معاصيه ﴿وَأَنْتُمْ سَعِيدُونَ﴾ يقول: وأنتم لاهون عما فيه من العبر والذكر، معرضون عن آياته؛ يقال للرجل: دع عنا سمودك، يراد به: دع عنا لهوك؛ يقال

منه: سَمَدٌ فَلَانٌ يَسْمُدُ سُمُودًا.



س: هل يجوز البكاء عند قراءة القرآن؟

ج: نعم يجوز البكاء عند قراءة القرآن.

ومن الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنْ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا نُنزِلُ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُوا بِهِ ؕ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَسْكُوتُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٩].

وقد تقدم بعض ذلك في تفسير سورة المائدة.



س: أهل الكفر كانوا دائمًا يشوشون على الناس حتى لا يستمعون القرآن
دَلِّلْ على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [فُصِّلَتْ: ٢٦].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ سَمِيدُونَ﴾.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾، وبين لماذا حُصِّ السجود دون غيره من أركان الصلاة؟

ج: قال الطبري - رحمه الله - :

وقوله ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ يقول تعالى ذكره: فاسجدوا لله أيها الناس في صلاتكم دون من سواه من الآلهة والأنداد، وإياه فاعبدوا دون غيره، فإنه لا ينبغي أن تكون العبادة إلا له، فأخلصوا له العبادة والسجود، ولا تجعلوا له شريكاً في عبادتكم إياه.

قال السعدي - رحمه الله - :

﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ الأمر بالسجود لله خصوصاً، يدل على فضله وأنه سر العبادة ولُبُّها.

فإن روحها، الخشوع له، والخضوع له. والسجود أعظم حالة يخضع بها العبد، فإنه يُخضع قلبه وبدنه، ويجعل أشرف أعضائه على الأرض المهينة، موضع وطاء الأقدام.

ثم أمر بالعبادة عمومًا، الشاملة لجميع ما يحبه الله ويرضاه، من الأعمال والأقوال الظاهرة، والباطنة.



س: هل ثبت أن النبي ﷺ سجد عند هذه الآية؟

ج: نعم قد ثبت ذلك، وثبت أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية ولم يسجد كذلك أما عن سجوده فيها.



سورة القمر

﴿أَفْتَرَبِ السَّاعَةَ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرَ ①﴾ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ
 ② وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ③ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ ④ وَلَقَدْ
 جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُرْدَجَرٌ ⑤ حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ التَّذَرُّ
 ⑥ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكْرٍ ⑦ خُشْعًا أَبْصَرُهُمْ
 يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ⑧ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ
 عَسِيرٌ ⑨ كَذَبَتْ قُلُوبُهُمْ قَوْمٌ نُوْحٌ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَحْنُونا وَازْدَجَرُوا ⑩ فَدَعَا رَبُّهُ إِنِّي
 مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرْ ⑪ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ⑫ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا
 فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ⑬ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْوَجِّ وَدُسِرَ ⑭ تَجَرَّى بِأَعْيُنِنَا
 جَرَاءً لَمَنِ كَانَ كُفْرٌ ⑮ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ⑯ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي
 وَنَذِيرٌ ⑰ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿[القمر: ١-١٧].

س: اذكر معنى ما يلي: ﴿أَفْتَرَبِ السَّاعَةَ - وَأَنْشَقَّ - آيَةً - مُسْتَمِرٌّ -
 مُسْتَقَرٌّ - الْأَنْبَاءَ - مُرْدَجَرٌ - بَلِغَةٌ - التَّذَرُّ - فَتَوَلَّ عَنْهُمْ - شَيْءٍ نُّكْرٍ - خُشْعًا
 أَبْصَرُهُمْ - الْأَجْدَاثِ - مُهْطِعِينَ - عَسِيرٌ - وَازْدَجَرُوا - مُنْهَمِرٍ - وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا - قُدِرَ -
 ذَاتِ الْوَجِّ وَدُسِرَ - تَجَرَّى بِأَعْيُنِنَا - كُفْرٌ - مُدَكِّرٍ - لِلذِّكْرِ﴾.

ج:

معناها	الكلمة
دَنَتْ - قربت.	﴿أَقْرَبَتْ﴾
الساعة التي تقوم فيها القيامة.	﴿السَّاعَةُ﴾
انفلق - انقسم، وقد انشق.	﴿وَأَنشَقَّ﴾
معجزة.	﴿ءَايَةً﴾
ذاهبٌ - متواصلٌ - باطل مضمحل لا دوام له.	﴿مُسْتَمِرٌّ﴾
له منتهى واستقرار.	﴿مُسْتَقَرٌّ﴾
الأخبار.	﴿الْأَنْبَاءِ﴾
زاجر - رادع.	﴿مُرْدَجِرٌ﴾
واصلة - كاملة.	﴿بَلَّغَةً﴾
جمع نذير.	﴿النُّذُرُ﴾
فأعرض عنهم.	﴿فَوَلَّ عَنْهُمْ﴾
شيء منكر وفظيع، وهو يوم القيامة وموقف الحساب.	﴿شَيْءٍ نُّكْرٍ﴾
ذليلة أبصارهم.	﴿خُسَعًا أَتَصَرُّهُمْ﴾
القبور.	﴿الْأَجْدَاثِ﴾
مسرعين - عامدين - ناظرين مسرعين بنظرهم.	﴿مُهَاطِعِينَ﴾
شاق - شديد الأهوال - عبوس قمطير.	﴿عَيْرٌ﴾
انتهر - زُجِرَ - زجره قومه.	﴿وَأَزْدَجَرَ﴾
متدفق.	﴿مُنْهَمِرٍ﴾
أسلنا الأرض عيوناً فجَرَّناها كلها فكانت عيوناً تتدفق منها المياه.	﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عَيْونًا﴾
قَدَرَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.	﴿فُدِرَ﴾

﴿ذَاتِ الْوَجِّ﴾	سفينة لها ألواح.
﴿وَدُوسٍ﴾	مسامير - قيل جوانب السفينة وقيل: مقدمتها.
﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾	تجري بمرأى منا - وقيل: بحفظنا - وقيل: (بأمرنا) والأول أولى.
﴿كُفْرٍ﴾	جُحد.
﴿مُذَكِّرٍ﴾	مُعْتَبِر - متذكر.
﴿لِلذِّكْرِ﴾	للتذكر - لاعتبار - للاتعاظ.



س: اذكر باختصار ما تضمنته هذه السورة المباركة الطيبة؟

ج: افتتحت هذه السورة الكريمة بالإخبار باقتراب الساعة، والإنباء بمعجزة حدثت زمن رسول الله ﷺ ألا وهي انشقاق القمر، ومع اقتراب الساعة وانشقاق القمر فأهل الكفر في إدبار وإعراض مستمر مع مجيء الأنباء ووصول أخبار الأمم المتقدمة إليهم، ثم يحث الله عز وجل نبيه ﷺ على الإعراض عنهم وعدم المبالاة بهم ما داموا على كفرهم ما داموا لم يستجيبوا ولم يقبلوا والتذكير بمجيء يوم القيامة وبيان لأحوال الناس فيه.

ثم مواصلة رسولنا محمد ﷺ بتذكيره بإخوانه من الأنبياء من قبله وما حدث لهم مع أمهم وكيف وأن الله عز وجل انتقم من الظالمين وأحلَّ بهم بأسه ونقمته، وكيف وأن العاقبة دوماً للتقوى!

فسيقت لذلك قصصٌ، وضربت لذلك أمثلة ثم بيان أن ما حل بهؤلاء الظلمة ليس ببعيد أن يحلَّ أيضًا بكفار قريش المعرضين المكذبين ولكن ذلك بقدر وأجل، وكل عملٍ يعملُه العاملون محسوب ومكتوب ومسطر، ثم ختام السورة الكريمة ببيان مآل المتقين، وأنهم في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر جعلنا الله منهم.



س: ورد أن رسول الله ﷺ كان يقرأ بسورة القمر في بعض المواطن، اذكر الحديث الوارد في ذلك.

ج: الحديث بذلك أخرجه مسلم^(١) في صحيحه من حديث أبي واقد الليثي - رضي الله عنه - قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْأَصْحَى وَالْفِطْرِ بِـ ﴿قَدْ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ [ق: ١] و﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ...﴾.



س: اذكر بعض الأدلة على اقتراب يوم القيامة؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١].

وقوله تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١].

وقوله ﷺ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ».



س: كيف قيل اقتربت الساعة، وذلك من قبل ألف ورأبعمائة عام وأكثر، وللآن لم تقم الساعة؟

ج: وجه الجواب أن يقال: إن هذه المدة الزمنية من زمن رسول الله ﷺ إلى الآن لا تكاد تُذكر بالنسبة لما قد مضى قبلها من الزمان. والله تعالى أعلم.

قال صديق حسن خان في «فتح البيان»: أي: ولا شك أنها قد صارت باعتبار نسبة ما بقي بعد قيام النبوة المحمدية إلى ما مضى من الدنيا قريية، ويمكن أن يقال: أنها لما كانت متحققة الوقوع لا محالة كانت قريية، فكل آتٍ قريب.



س: هل صح لقوله تعالى: ﴿أَقْرَبَ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ سبب نزول؟
 ج: أخرج الترمذي ^(١) بسند صحيح عن أنس قال: سَأَلَ أَهْلُ مَكَّةَ النَّبِيَّ ﷺ آيَةً: فَاَنْشَقَّ الْقَمَرُ بِمَكَّةَ مَرَّتَيْنِ فَنَزَلَتْ: ﴿أَقْرَبَ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ إلى قوله: ﴿سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ أي: ذاهبٌ.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

قلت (مصطفى): ولكنني في ريبٍ من سبب النزول هذه فالحديث في الصحاح وغيرها من حديث أنس بدون قول فنزلت: ﴿أَقْرَبَ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾.



س: وضح المراد بانشقاق القمر، ومتى كان هذا الانشقاق؟

ج: المراد بذلك انفلاقه إلى قطعتين، وكان هذا الانشقاق زمن رسول الله ﷺ.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾: قد كان هذا في زمان رسول الله ﷺ، كما ثبت ذلك ^(٢) في الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة، وقد ثبت في الصحيح عن ابن مسعود أنه قال: «خمس قد مضين: الروم، والدخان، واللزام، والبطشة، والقمر».

وهذا أمر متفق عليه بين العلماء أن انشقاق القمر قد وقع في زمان النبي ﷺ وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات.

ومن العلماء من قال: إن انشقاق القمر سيأتي مع مجيء الساعة فإذا جاءت انشق القمر بعد النفخة الثانية، قلت: ولا دليل على هذا القول.

قال السعدي رحمه الله:

يخبر تعالى أن الساعة وهي: القيامة، أَقْرَبَتْ، وآن أوانها، وحن وقت مجيئها.

(١) الترمذي (حديث ٣٢٨٦).

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٢٠).

ومع هذا، فهؤلاء المكذبون، لم يزالوا مكذبين بها، غير مستعدين لنزولها. ويريهـم الله، من الآيات العظيمة، الدالة على وقوعها، ما يؤمنُ على مثله، البشر.

فمن أعظم الآيات الدالة على صحة ما جاء به محمد بن عبد الله ﷺ، أنه لما طلب منه المكذبون أن يريهم من خوارق العادات، ما يدل على صحة ما جاء به وصدقه، أشار ﷺ، إلى القمر، فانشق بإذن الله، فلقطين، فلقّة على جبل أبي قبيس، وفلقّة على جبل قعيقعان. والمشركون وغيرهم، يشاهدون هذه الآية العظيمة، الكائنة في العالم العلوي، التي لا يقدر الخلق على التمويه بها، والتخيل. فشاهدوا أمرًا، ما رأوا مثله، بل ولم يسمعوا أنه جرى لأحد من المرسلين قبله نظيره. فانبهروا لذلك، ولم يدخل الإيهان في قلوبهم، ولم يرد الله بهم خيرًا. ففزعوا إلى بهتهم وطغيانهم وقالوا: سحرنا محمد. ولكن علامة ذلك، أنكم تسألون من ورد عليكم من السفر، فإنه إن قدر على سحركم، لم يقدر أن يسحر من ليس مشاهدًا مثلكم. فسألوا كل من قدم، فأخبروهم بوقوع ذلك فقالوا: ﴿سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾. سحرنا محمد، وسحر غيرنا. وهذا من البهت، الذي لا يروج إلا على أسفه الخلق وأضلهم عن الهدى والعقل.



س: اذكر بعض الأحاديث الواردة في انشقاق القمر؟

ج: من ذلك ما يلي:

ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ بشقتين فقال رسول الله ﷺ: «اشهدوا»^(١).

* وحديث أنس^(٢) - رضي الله عنه - قال: سأل أهل مكة رسول الله ﷺ أن يريهم آية: فأراهم انشقاق القمر مرتين.

(١) البخاري (٤٨٦٤)، ومسلم (٢٨٠٠).

(٢) البخاري (٤٨٦٨)، ومسلم (٢٨٠٢).

وحديث ابن عباس - رضي الله عنهما - ^(١): «إِنَّ الْقَمَرَ انشَقَّ عَلَى زَمَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْأَحَادِيثُ فِي هَذَا الْبَابِ كَثِيرَةٌ جَدًّا.



س: ما وجه الربط بين اقتراب الساعة وانشقاق القمر؟

ج:

قال بعض العلماء: إن الآية فيها تقديم وتأخير فالمعنى: انشق القمر وأقتربت الساعة، وذلك لأن انشقاق القمر يكون في عهد النبي ﷺ وزمن بعثته، وعهده وزمن بعثته دليلاً على اقتراب الساعة.

وقال آخرون: إن الآية على ظاهرها بلا تقديم ولا تأخير والمعنى: أن الساعة أقتربت، ودليل على اقترابها انشقاق القمر، فالله أعلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾؟

ج: المعنى والله أعلم: أن هؤلاء المشركين الذين طلبوا معجزة من رسول الله ﷺ، ما انتفعوا بالمعجزات لما أتهم فهاهم قد سألوا رسول الله ﷺ آية فأراهم انشقاق القمر، فما انتفعوا بذلك، بل تمادوا في غيهم وكفرهم وتكذيبهم، وقالوا سحرنا محمد، وقالوا أيضاً هذا الذي يصنعه محمد ﷺ ويأتي به من المعجزات إنها هو سحر ذاهب، وسيؤول أمره إلى زوال.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا﴾ يقول تعالى ذكره: وإن ير المشركون علامة تدلهم على حقيقة نبوة محمد ﷺ، ودلالة تدلهم على صدقه فيما جاءهم به عن ربهم، يعرضوا

عنها، فيولوا مكذّبين بها مُنكرين أن يكون حقًا يقينًا، ويقولوا تكذّيبًا منهم بها، وإنكارًا لها أن تكون حقًا: هذا سحر سحرنا به محمد حين خيل إلينا أنا نرى القمر منفلقًا باثنين بسحره، وهو سحر مستمرّ، يعني يقول: سحر مستمرّ ذاهب، من قولهم قد مرّ هذا السحر إذا ذهب.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبُوا وَأَتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾؟
 ج: المعنى، والله أعلم: أن أهل الكفر كذبوا الرسل، وكذبوا بالآيات والمعجزات ووصفوها بأنها سحرٌ ذاهب باطل مضمحل، واتبعوا في ذلك ما أمرتهم به آراؤهم وأهوائهم من جهلهم وسخافة عقولهم. وضلالاتهم واختياراتهم.
 قال السعدي رحمه الله:

﴿وَكَذَّبُوا وَأَتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ كقوله تعالى: ﴿إِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [القصر: ٥٠] فإنه لو كان قصدهم اتباع الهدى، لأمّنوا قطعًا، واتبعوا محمد ﷺ، لأن الله أراهم على يديه، من البينات والبراهين، والحجج القواطع، ما دل على جميع المطالب الإلهية، والمقاصد الشرعية.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾؟
 ج: المعنى، والله أعلم: وكل أمر له نهاية واستقرار فالأمور مهما بلغت يأتيها وقت تركد فيه وتنتهي إليه والخير ينتهي بأهله إلى الجنة، والشر ينتهي بأهله إلى النار أيضًا وقد صح عن قتادة أنه قال قوله: ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ أي: بأهل الخير والخير، وبأهل الشر الشر^(١).

وقال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ يقول تعالى ذكره: وكل أمر من خير أو شر مستقر قراره، ومناه نهايته، فالخير مستقر بأهله في الجنة، والشر مستقر بأهله في النار.

وقال القرطبي رحمه الله:

﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ أي: يستقر بكل عامل عمله، فالخير مستقر بأهله في الجنة، والشر مستقر بأهله في النار.

وقرأ شيبة «مُسْتَقَرَّ» بفتح القاف؛ أي: لكل شيء وقت يقع فيه من غير تقدّم وتأخر.

وقد روي عن أبي جعفر بن القَعْقَاع «وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ» بكسر القاف والراء جعله نعتاً لأمر «وَكُلُّ» على هذا يجوز أن يرتفع بالابتداء والخبر محذوف، كأنه قال: وكل أمر مستقر في أم الكتاب كائن.

ويجوز أن يرتفع بالعطف على الساعة؛ المعنى: اقْتَرَبَتِ الساعة وكل أمر مستقر؛ أي: اقتراب استقرار الأمور يوم القيامة. ومن رفعه جعله خبراً عن «كل».



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ

حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ؟﴾

ج: المعنى، والله تعالى أعلم: ولقد جاء هؤلاء المشركين المكذبين لنبينا محمد ﷺ

من أنباء الأمم السابقة أنباء كافيه لزجرهم ولوعظهم ولنهيهم عما هم فيه من الشرك والكفر والغى والضلال، فقد ذكروا بقوم عادٍ وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط، وأصحاب مدين والمؤتفكات، وقوم فرعون، وغيرهم ممن طغوا وبغوا، وما حلَّ بهم من العذاب والهلاك والدمار.

ووجه آخر: ولقد جاء هؤلاء القوم من الأنباء أصدقها وأحسنها وأجملها، وهو القرآن الذي يحمل أصدق الأنباء، وأجل المواعظ، وأروع القصص.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ يقول تعالى ذكره: ولقد جاء هؤلاء المشركين من قریش الذي كذبوا بآيات الله، واتبعوا أهواءهم من الأخبار عن الأمم السالفة، الذين كانوا من تكذيب رسل الله على مثل الذي هم عليه، وأحلّ الله بهم من عقوباته ما قصّ في هذا القرآن ما فيه لهم مزدجر، يعني: ما يردعهم، يزرهم عما هم عليه مقيمون، من التكذيب بآيات الله، وهم مفتعل من الزجر.

وقال ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ﴾ أي: من الأخبار عن قصص الأمم المكذبين بالرسول، ما حلّ بهم من العقاب والنكال والعذاب، مما يتلى عليهم في هذا القرآن، ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾، أي: ما فيه واعظ لهم عن الشرك والتهادي على التكذيب.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ﴾، أي: من الأنباء؛ فذكر سبحانه من ذلك ما علم أنهم يحتاجون إليه، وأن لهم فيه شفاء. وقد كان هناك أمور أكثر من ذلك، وإنما اقتصر علينا ما علم أن بنا إليه حاجة وسكت عما سوى ذلك؛ وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ﴾ أي: جاء هؤلاء الكفار من أنباء الأمم الخالية ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ أي: ما يزرهم عن الكفر لو قبلوه.

وأصله مُزَجَّر فقلبت التاء دالاً؛ لأن التاء حرف مهموس والزاي حرف مجهور، فأبدل من التاء دالاً توافقها في المخرج وتوافق الزاي في الجهر.

و«مُزْدَجَر» من الزجر وهو الانتهاء، يقال: زجره وازدجره فانزجر وازدجر،

وزجرته أنا فانزجر أي: كفته فكف، كما قال:

فأصبح ما يطلب الغايبا ت مُزَجَّرًا عن هواه ازدجارا

وقريء «مُزَجَّرٌ» بقلب تاء الافتعال زايًا وإدغام الزاي فيها؛ حكاة الزمخشري.

أما قوله تعالى: ﴿حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ﴾ فالمراد بالحكمة البالغة القرآن.

أما ابن كثير رحمه الله فقد قال: وقوله: ﴿حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ﴾ أي في هدايته تعالى لمن هداه، وإضلاله لمن أضله ﴿فَمَا تُغْنِ الْنُذُرُ﴾.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ﴾ أي: في هدايته تعالى لمن هداه وإضلاله لمن أضله، ﴿فَمَا تُغْنِ الْنُذُرُ﴾ يعني: أي شيء تغني النذر عمن كتب الله عليه الشقاوة، وختم على قلبه؟ فمن الذي يهديه من بعد الله؟ وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩]. وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١].

وقال القرطبي رحمه الله:

﴿حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ﴾ يعني القرآن وهو بدل من «ما» من قوله: ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ ويجوز أن يكون خبر ابتداء محذوف؛ أي: هو حكمة. ﴿فَمَا تُغْنِ الْنُذُرُ﴾ إذا كذبوا وخالفوا كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١] فـ «ما» نفي أي: ليست تغني عنهم النذر. ويجوز أن يكون استفهامًا بمعنى التوبيخ؛ أي: فأى شيء تغني النذر عنه وهم معرضون عنها و «النُّذُرُ» يجوز أن تكون بمعنى الإنذار، ويجوز أن تكون جمع نذير.

قال الشنقيطي رحمه الله تعالى «أضواء البيان»: وهنا جمع النذر في قوله:

﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذُرُ﴾، وللعلماء عن هذا أجوبة:

أحدها: أن أقل الجمع اثنان كما هو المقرر في أصول مالك بن أنس رحمه الله، وعقده صاحب مراقي السعود بقوله:

أقل معنى الجمع في المشتهر لاثنتان في رأى الإمام الحمير

قالوا: ومنه قوله تعالى: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤] ولهما قلبان فقط وقوله: ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ﴾ [النساء: ١١] والمراد بالإخوة اثنان فصاعدًا كما عليه الصحابة فمن بعدهم خلافاً لابن عباس، وقوله: ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ وله طرفان ومنها: ما ذكره الزمخشري وغيره من أن المراد بالنذر موسى وهارون وغيرهما من الأنبياء، لأنها عرضا عليهم ما أنذر به المرسلون. ومنها أن النذر مصدر بمعنى الإنذار.

قال مقيده عفا الله عنه وغفر له:

التحقيق في الجواب: أن من كذب رسولاً واحداً فقد كذب جميع المرسلين، ومن كذب نذيراً واحداً فقد كذب جميع النذر، لأن أصل دعوة جميع الرسل واحدة، وهي مضمون لا إله إلا الله كما أوضحه تعالى بقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقوله تعالى: ﴿وَسَلِّ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥].

وأوضح تعالى أن من كذب بعضهم فقد كذب جميعهم في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُوا نَزَّلْنَا نَزْلاً مِنْ بَعْضِ نَجْمٍ وَنَكْثُ بَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ۝ ١٥٠﴾ [النساء: ١٥٠، ١٥١].

وأشار إلى ذلك في قوله: ﴿لَا تُفَرِّقْ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقوله: ﴿لَا تُفَرِّقْ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٤].

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجُورَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٢] الآية.

وقد أوضح تعالى في سورة الشعراء: أن تكذيب رسول واحد تكذيب لجميع الرسل، وذلك في قوله: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥] ثم بين أن تكذيبهم للمرسلين إنما وقع بتكذيبهم نوحاً وحده، حيث فرد ذلك بقوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٠٦] إلى قوله: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّابُونَ﴾ [الشعراء: ١١٧] وقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٢٣]، ثم بين أن ذلك بتكذيب هود وحده، حيث فرد به بقوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٢٤] ونحو ذلك. في قوله تعالى في قصة صالح وقومه، ولوط وقومه، وشعيب وأصحاب الأيكة، كما هو معلوم، وهو واضح لا خفاء فيه، ويزيده إيضاحاً قوله ﷺ: «إنا معاشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد» يعني: أنهم كلهم متفقون في الأصول وإن اختلفت شرائعهم في بعض الفروع.



س: أهل الكفر الذين كُتبت عليهم الشقاوة لا تنفعهم الآيات ولا تُجدي معهم المعجزات دُلّ على ذلك؟
ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

- * قوله تعالى: ﴿وَمَا تَغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١].
- * وقوله تعالى: ﴿أَقْرَبَ السَّاعَةِ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ۖ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾.
- * وقوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ۚ وَإِنَّا لَمُعِدُونَ لَكُمْ لَآيَاتٍ ۚ وَلَٰكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٩].
- * وقوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ ۚ إِنِّي مَفْضَلْتُ فَلْيَسْتَكْبِرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٣].



س: هل قوله تعالى ﴿فَقَوْلَ عَنْهُمْ﴾ منسوخ؟

ج: قال بذلك بعض أهل العلم، وقالوا إنه منسوخ بآية السيف.

وقال آخرون: بل هو محكم، قالوا: وهو من تمام الكلام.

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿فَقَوْلَ عَنْهُمْ﴾ أي: أعرض عنهم.

قيل: هذا منسوخ بآية السيف.

وقيل: هو تمام الكلام.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَقَوْلَ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ

نُكْرٍ﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم فأعرض يا محمد عن هؤلاء المكذبين المعاندين الذين تمادوا

بالكفر ولم ينتفعوا بالآيات والمعجزات، ووصفوها بأنها سحرٌ مستمر، وانتظر بهم إلى

أن يأتي يوم يدع فيه الداع إلى شيء نكر.

قال الطبري رحمه الله:

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿فَقَوْلَ عَنْهُمْ﴾: فأعرض يا محمد عن هؤلاء المشركين من

قومك، الذين إن يروا آية يعرضوا ويقولوا: سحرٌ مستمر، فإنهم يوم يدعوا داعي الله إلى

موقف القيامة، وذلك هو الشيء النكر ﴿خُشْعًا أَبْصَرُهُمْ﴾ يقول: ذليلة أبصارهم

خاشعة، لا ضرر بها ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ وهي جمع جدث، وهي القبور، وإنما وصف

جل ثناؤه بالخشوع الأبصار دون سائر أجسامهم، والمراد به جميع أجسامهم، لأن أثر

ذلة كل ذليل، وعزة كل عزيز، تتبين في ناظره دون سائر جسده، فلذلك خص الأبصار

بوصفها بالخشوع.

قال السعدي رحمه الله:

يقول تعالى لرسوله ﷺ: قد بان أن المكذبين، لا حيلة في هداهم، فلم يبق، إلا الإعراض عنهم فقال: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ وانتظر بهم يوماً عظيماً وهولاً جسيماً. وذلك ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعُ﴾ وهو: إسرافيل عليه السلام ﴿إِلَى شَيْءٍ نُّكِّرٍ﴾ أي: إلى أمر فظيع، تنكره الخليقة، فلم تر منظراً أفظع ولا أوجع منه. فينفخ إسرافيل، نفخة، يخرج بها الأموات من قبورهم لموقف القيامة.



س: وصف الناس عند خروجهم من القبور بأنهم كالجراد المنتشر وفي آيات أخر وصفوا بغير ذلك، فقد قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ فكيف الجمع؟
ج:

قال القرطبي رحمه الله:

﴿كَانَهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ ٧ ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ﴾ وقال في موضع آخر: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة: ٤] فهما صفتان في وقتين مختلفين. أحدهما: عند الخروج من القبور، يخرجون فزعين لا يهتدون أين يتوجهون، فيدخل بعضهم في بعض؛ فهم حيثئذ كالفراش المبثوث بعرضه في بعض لا جهة له يقصدها.

الثاني: فإذا سمعوا المنادي قصدوه فصاروا كالجراد المنتشر؛ لأن الجراد له جهة يقصدها.



س: هل العُسر في هذا اليوم على الكافرين فقط أم أنه عام؟

ج: قال بعض العلماء: عسيرٌ على الجميع لكن عسره وشدته تزول عن المؤمنين وتتواصل على الكافرين كما قال تعالى: ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ [المذثر: ١٠].



س: ما فائدة التذكير بقوم نوح وما حلَّ بهم؟

ج: ذلك لأمر، منها: تبصير النبي ﷺ كما قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَرْشِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وكذلك تذكير القرشيين المشركين بما حلَّ بالأمم المكذبة من قبلهم.

قال الطبري رحمه الله:

هذا وعيد من الله تعالى ذكره، وتهديد للمشركين من أهل مكة وسائر من أرسل إليه رسوله محمدًا ﷺ على تكذيبهم إياه، وتقدم منه إليهم إن هم لم يُنبيوا من تكذيبهم إياه، أنه مُحَلٌّ بهم ما أحل بالأمم الذين قصَّ قصصهم في هذه السورة من الهلاك والعذاب، ومنجٍ نبيه محمدًا والمؤمنين به، كما نجَّى من قبله الرسل وأتباعهم من نقمه التي أحلَّها بأمتهم، فقال جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: «كَذَّبْتَ يَا مُحَمَّدُ قَبْلَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَّبُوكَ مِنْ قَوْمِكَ، الَّذِينَ إِذَا رَأَوْا آيَةَ أَعْرَضُوا وَقَالُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ، قَوْمَ نُوحٍ، فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا نُوحًا إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَيْهِمْ، كَمَا كَذَّبْتَكَ قَرِيشٌ إِذْ أَتَيْتَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا وَقَالُوا: هُوَ مَجْنُونٌ وَازْدَجَرَ، وَهُوَ افْتَعَلَ مِنْ زَجَرْتِ، وَكَذَا تَفْعَلُ الْعَرَبُ بِالْحَرْفِ إِذَا كَانَ أَوَّلُهُ زَايَاً صَيَّرُوا تَاءً الْافْتَعَالُ مِنْهُ دَالًّا؛ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ: اَزْدَجَرَ مِنْ زَجَرْتِ، وَازْدَلَفَ مِنْ زَلَفَتْ، وَازْدِيدَ مِنْ زَدَتْ.



س: ما وجه التكرير في قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾ بعد قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾؟

ج: قال بعض أهل العلم: أي كذبوه تكذيباً عقب تكذيب، وقيل لما كانوا مكذبين للرسالات جاحدين للنبوات كذبوا نوحاً لأنه من جملة المرسلين.



س: هل من دعاء آخر دعا به نوح على قومه؟
ج: نعم فقد دعا فقال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦].



س: ما صور الزجر الذي زجر به قوم نوح نبيهم ﷺ؟
ج: من صور الزجر التي زجر بها نوح عليه السلام ما يلي:
قولهم عنه مجنون.

تهديدهم له بالرجم والشتم، وذلك كما قالوا: ﴿إِن لَّمْ تَنْتَهِ يَنْتُحُوا لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ [الشعراء: ١١٦].



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرْ﴾؟

ج: قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرْ﴾ يقول تعالى ذكره: فدعا نوح ربه: إن قومي قد غلبوني، تمرّدوا وعتوّا، ولا طاقة لي بهم، فانتصر منهم بعقاب من عندك على كفرهم بك.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: أي: إني ضعيفٌ عن هؤلاء وعن مقاومتهم ﴿فَأَنْتَصِرْ﴾ أنت لدينك.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾؟

ج: قال الطبري رحمه الله:

وإنما قيل: فالتقى الماء على أمر قد قدر، والالتقاء لا يكون من واحد، وإنما يكون من اثنين فصاعداً، لأن الماء قد يكون جمعاً وواحدًا، وأريد به في هذا الموضع: مياه السماء ومياه الأرض، فخرج بلفظ الواحد ومعناه الجمع.

وقيل: التقى الماء على أمر قد قدر، لأن ذلك كان أمراً قد قضاه الله في اللوح المحفوظ.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾.

قال السدي هو الكثير. ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾، أي نبعت جميع أرجاء الأرض، حتى التناير التي هي محالّ النيران نبعت عيونًا، ﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ﴾ أي: من السماء ومن الأرض ﴿عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾، أي: أمر مقدر.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْأَوْجِ وَدُسِّرَ﴾؟

ج: المعنى والله تعالى أعلم: وحملنا نوحًا عليه السلام ومن آمن به - على سفينة صنعت من الألواح (ألواح الخشب) وربطت تلك الألواح وُضِمت إلى بعضها بالدُّسر.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿جَزَاءً لِمَن كَانَ كُفِرَ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: فعلنا بهم ما فعلنا انتصارًا لنبينا نوح عليه السلام، الذي جُحد وجُحدت نبوته وكُذِّب.

الثاني: فعلنا بهم ما فعلناه لكفرهم بالله عز وجل وجحدهم إلهيته ووحدانيته.
 الثالث: فعلنا بهم ذلك جزاء لهم على كفرهم بالله وانتصاراً لنوح عليه السلام
 وهذا الأخير قول الحافظ ابن كثير رحمه الله.
 أما الطبري رحمه الله فقال:

والصواب من القول في ذلك عندي ما قاله مجاهد، وهو أن معناه: ففتحنا أبواب
 السماء بقاء منهمر، وفجّرنا الأرض عيوناً، فغرقنا قوم نوح ونجيناً نوحاً، عقاباً من الله
 وثواباً للذي جُحِدَ وكُفِرَ، لأن معنى الكفر: الجحود، والذي جحد ألوهته ووحدانيته
 قوم نوح، فقال بعضهم لبعض: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ
 وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣] ومن ذهب به إلى هذا التأويل، كانت من الله، كأنه قيل: عوقبوا
 الله ولكفرهم به.

ولو وجّه موجه إلى أنها مراد بها نوح والمؤمنون به كان مذهباً، فيكون معنى
 الكلام حينئذ: فعلنا ذلك جزاء لنوح ولمن كان معه في الفلك، كأنه قيل: غرقناهم لنوح
 ولصنيعهم بنوح ما صنعوا من كفرهم به.
 وقال القرطبي رحمه الله:

﴿جَزَاءً لِمَن كَانَ كُفِرًا﴾ أي: جعلنا ذلك ثواباً ونوح على صبره على أذى
 قومه وهو المكفور به؛ فاللام في «لَمَن» لام المفعول له؛ وقيل: «كُفِرًا» أي: جحد؛ ف«من»
 كناية عن نوح.

وقيل: كناية عن الله والجزاء بمعنى العقاب؛ أي: عقاباً لكفرهم بالله تعالى.
 وقرأ يزيد بن رومان وقتادة ومجاهد وحيد ﴿جَزَاءً لِمَن كَانَ كُفِرًا﴾ بفتح الكاف
 والفاء بمعنى: كان الغرق جزاءً وعقاباً لمن كفر بالله.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدْرِكٍ﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم، ولقد تركنا سفينة نوح عليه السلام التي أنجيناه عليها هو ومن معه دون تلفٍ زمناً طويلاً كدلالة على قدرتنا وعلى إنجائنا لعبادنا المؤمنين وانتقامنا من أهل الكفر والعناد.

قال الطبري رحمه الله تعالى:

يقول تعالى ذكره: ولقد تركنا السفينة التي حملنا فيها نوحاً ومن كان معه آية، يعني: عِرة وعظة لمن بعد قوم نوح من الأمم ليعتبروا ويتعظوا، فينتهوا عن أن يسلكوا مسلكهم في الكفر بالله، وتكذيب رسله، فيصيبهم مثل ما أصابهم من العقوبة.

وقال ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَهَا آيَةً﴾، قال قتادة: أبقى الله سفينة نوح حتى أدركها أول هذه الأمة.

والظاهر أن المراد من ذلك جنس السفن، كقوله تعالى: ﴿وَأَيُّ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ⑪﴾ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿[يس: ٤١، ٤٢].

وقال: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكِ فِي الْجَارِيَةِ ⑫﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِبَهَا أُنْثَىٰ وَبَعِيَّةٌ ﴿[الحاقة: ١١، ١٢]. ولهذا قال هاهنا: ﴿فَهَلْ مِنْ مُدْرِكٍ﴾، أي: فهل من يتذكر ويتعظ؟



س: كثيراً ما ترك للظالمين المالكين آثار كي يتعظ بها من اتعظ ويعتبر بها من اعتبر، ويتذكر بها من تذكر دُلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى في شأن سفينة نوح التي أنجى الله عليها أهل الإيمان، وأغرق من سواهم: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدْرِكٍ﴾.

وقوله تعالى في شأن جسد فرعون بعد أن أهلكه الله: ﴿فَالْيَوْمَ تُنْجِيكَ يَدُنَا وَلَوْ أَنَّكَ لَمِنَ خَلْقِكَ آيَةً﴾ [يونس: ٩٢].

وقوله تعالى في شأن ديار ثمود: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا﴾ [النمل: ٥٢].

وقوله تعالى في شأن قوم لوط وديارهم: ﴿وَإِنَّكَ لَنُزَوِّجُهُمْ مُّصْهِرِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبَالِيلٍ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الصافات: ١٣٧، ١٣٨].



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾؟

ج: قال الطبري رحمه الله تعالى في معنى ذلك:

وقوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ يقول تعالى ذكره: فكيف كان عذابي لهؤلاء الذين كفروا بربههم من قوم نوح، وكذبوا رسوله نوحًا، إذ تمادوا في غيهم وضلالهم، وكيف كان إنذاري بما فعلت بهم من العقوبة التي أحللت بهم بكفرهم بربههم، وتكذيبهم رسوله نوحًا، صلوات الله عليه.

وهو إنذار لمن كفر من قومه من قريش، وتحذير منه لهم، أن يحلّ بهم على تماديهم في غيهم، مثل الذي حلّ بقوم نوح من العذاب.

وقوله: ﴿وَنُذْرِي﴾ يعني: وإنذاري، وهو مصدر.

وقال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ﴾ يقول: فهل من ذي تذكّر يتذكّر ما قد فعلنا بهذه الأمة التي كفرت بربها، وعصت رسوله نوحًا، وكذّبت فيه أتاها به عن ربهم من النصيحة، فيعتبر بهم، ويحذر أن يحلّ به من عذاب الله بكفره بربه، وتكذيبه رسوله محمدًا ﷺ، مثل الذي حلّ بهم، فينبى إلى التوبة، ويراجع الطاعة.

وأصل مذكّر: مفتعل من ذكر، اجتمعت فاء الفعل، وهي ذال وتاء، وهي بعد

الذال، فصيرتا دالاً مشددة، وكذلك تفعل العرب فيما كان أوله ذالاً يتبعها تاء الافتعال يجعلونها جميعاً دالاً مشددة، فيقولون: اذكرت اذكاراً، وإنما هو اذكرت اذكاراً، وفهل من مذتكر، ولكن قيل: اذكرت ومذكر لما قد وصفت، قد ذكر عن بعض بني أسد أنهم يقولون في ذلك: مذكر، فيقبلون الدال ويعتبرون الدال والتاء ذالاً مشددة.

وذكر عن الأسود بن يزيد أنه قال: قلت لعبد الله بن مسعود: فهل من مذكر، أو مذكر، فقال: أقرأني رسول الله ﷺ: «مذكر» يعني بذال مشددة.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ ؟
ج: المعنى، والله أعلم، ولقد سهلنا القرآن على من أراد تلاوته وحفظه، وسهلناه لمن أراد الاتعاظ به والاعتبار، وبيناه وفصلناه.
قال ابن كثير رحمه الله:

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾، أي: سهلنا لفظه، ويسرنا معناه لمن أرادته، ليتذكر الناس.

كما قال: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَذَرُوا آيَاتِهِ وَلِيَسْتَذَكِّرَ أُولَ الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].
وقال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ [مريم: ٩٧].

وقال القرطبي رحمه الله:
﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ متعظ خائف، وأصله مُذَكِّرٌ مُفْتَعِلٌ من الذكر، فثقلت على الألسنة فقلبت التاء دالاً لتوافق الذال في الجهر وأدغمت الذال فيها. ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ﴾ أي: إنذاري؛ قال الفراء: إنذاري؛ قال: مصدران: وقيل: «نُذْرٌ» جمع نذير ونذير بمعنى الإنذار كنكير بمعنى الإنكار.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ أي: سهلناه للحفظ وأعنا عليه من أراد حفظه؛ فهل من طالب لحفظه فيعان عليه؟ ويجوز أن يكون المعنى: ولقد هيأناه للذكر مأخوذ من يَسَّرَ ناقته للسفر: إذا رَحَّلها وَيَسَّرَ فرسه للغزو إذا أسرجه وألجمه؛ قال:

وَقُمْتُ إِلَيْهِ بِاللَّجَامِ مِسْرًا هُنَالِكَ يَجْزِينِي الَّذِي كُنْتُ أَصْنَعُ

وقال سعيد بن جبیر: ليس من كتب الله كتاب يقرأ كله ظاهراً إلا القرآن؛ وقال غيره: ولم يكن هذا لبني إسرائيل: ولم يكونوا يقرءون التوراة إلا نظراً، غير موسى وهارون ويوشع بن نون وعزير صلوات الله عليهم، ومن أجل ذلك افتتنوا بعزير لما كتب لهم التوراة عن ظهر قلبه حين أحرقت؛ على ما تقدّم بيانه في سورة «التوبة» فيسرّ الله تعالى على هذه الأمة حفظ كتابه ليذكروا ما فيه؛ أي يفتعلوا الذكر، والافتعال هو أن ينجع فيهم ذلك حتى يصير كالذات والتركيب. فيهم: ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ قارئ يقرؤه.

وقال أبو بكر الوراق وابن شوذب: فهل من طالب خير وعلم فيعان عليه، وكرّر في هذه السورة للتنبيه والإفهام.

وقيل: إن الله تعالى اقتص في هذه السورة على هذه الأمة أنباء الأمم وقصص المرسلين، وما عاملتهم به الأمم، وما كان من عُقبى أمورهم وأمور المرسلين؛ فكان في كل قصة نبأً ذكراً للمستمع أن لو أذكر، وإنما كرّر هذه الآية عند ذكر كل قصة بقوله: ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ لأن «هَلْ» كلمة استفهام تستدعي أفهامهم التي ركبت في أجوافهم وجعلها حجة عليهم؛ فاللام من «هَلْ» للاستعراض والهاء للاستخراج.

وقال السعدي رحمه الله:

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ أي: ولقد يسرنا وسلهنا هذا القرآن الكريم، ألفاظه للحفظ والأداء، ومعانيه للفهم والعلم، لأنه أحسن الكلام لفظاً، وأصدق معنى، وأبين تفسيراً.

فكل من أقبل عليه، يسّر الله عليه مطلوبه غاية التيسير، وسهله عليه.
والذكر، شامل لكل ما يتذكر به العاملون، من الحلال، والحرام، وأحكام الأمر والنهي، وأحكام الجزاء والمواظ، والعبر، والعقائد النافعة، والأخبار الصادقة.
ولهذا كان علم القرآن، حفظًا وتفسيرًا، أسهل العلوم، وأجلها على الإطلاق.
وهو العلم النافع، الذي إذا طلبه العبد، أُعِينَ عليه.
وقال بعض السلف عند هذه الآية: هل من طالب علم فيعانَ عليه؟
ولهذا يدعو الله عباده إلى الإقبال عليه والتذكر بقوله: ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾.



﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [القمر: ١٨ - ٢٢].

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿عَادٌ - وَنُذْرٍ - صَرْصَرًا - يَوْمِ نَحْسٍ - مُسْتَمِرٍّ - تَنْزِعُ - أَعْجَازُ - مُنْقَعِرٍ - يَسَّرْنَا - لِلذِّكْرِ﴾؟

ج:

الكلمة	معناها
﴿عَادٌ﴾	هي قبيلة نبي الله هود عليه السلام، وقومه الذين أرسل إليهم.
﴿وَنُذْرٍ﴾	إنذاري.
﴿صَرْصَرًا﴾	شديدة الهبوب والعصف ^(١) - شديدة البرد ^(٢) بردها شديد مُحرق - مسموع لها صوت.
﴿يَوْمِ نَحْسٍ﴾	يوم شؤم - يوم شرّ وقيل: يوم شديد ^(٣) .

(١) قال بعض العلماء: لشدتها سُمع لها صرير، فقال لها صَرْصَرٌ، كما في قوله تعالى ﴿فَكَبِكُوا﴾ أي: فكبوا.

(٢) ومنه قوله تعالى: ﴿رِيحٌ فِيهَا صُرٌّ﴾، وأخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة قال: ﴿صَرْصَرٌ﴾ الصرصر الباردة.

(٣) وهذا الأخير مبني على قراءة ﴿يَوْمٍ﴾ أي: بتنين يوم مع خفضها، وقد قيل إن هذا اليوم هو يوم الأربعاء، وقال بعضهم إنه يوم نحس، وقد ورد بذلك خبر عن النبي صلى الله عليه وسلم ولكنه لا يصح.

﴿مُسْتَمِرٌّ﴾	متواصل - متهادى بهم - مستمرٌ بهم إلى نار جهنم ^(١) وقيل: مستمر بهم سبع ليالٍ وثمانية أيام حسومًا.
﴿تَزَعُ﴾	تقتلع.
﴿أَعْجَازُ﴾	بقايا - فلق.
﴿مُنْفَعِرٍ﴾	منقلعٌ من أصله، ومنه: قعر الشيء أي: أصله وقعر الإناء أي: قاعه.
﴿سَرَرْنَا﴾	سهّلنا - هَوّنا.
﴿لِلذِّكْرِ﴾	للتذكّر - للاتعاظ.



س: ما وجه التذكير بقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٢٣]؟
ج: لذلك وجوه:

أحدها: تذكير القرشيين بما حدث للأمم المكذبة من قبلهم، وتحذيرهم من أن يحلّ بهم مثل ما حلّ بالأمم من قبلهم من العقاب والبلاء والنكال، إذا هم فعلوا مثل فعلهم واستمروا على التكذيب والعناد كما استمر أولئك.

الثاني: تصبير أهل الإيمان وتذكيرهم بأن العاقبة للتقوى، وبأن الله ينتقم من أهل الظلم والشر.

الثالث: مواساة النبي محمد ﷺ، فإن كنت كذبت، فقد كُذّب من هو قبلك من إخوانك الأنبياء والمرسلين، فاصبر كما صبروا فإن الله سينتقم ممن عاداك وخالفك. والله أعلم.



س: استدل بعض العلماء بقوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ نَخْتَسِرُ﴾ على عذاب القبر فما وجه الدلالة؟

ج: وجه الدلالة أن قوله (مستمر) معناه. كما تقدم يتواصل أي: أن عذاب الدنيا تواصل بعذاب الآخرة، فمنذ أن حلَّ بهم العذاب لم يفارقهم لا في قبورهم ولا في أخرهم، وذلك كما قال تعالى في شأن قوم نوح عليه السلام ﴿مِمَّا خَطَبْتَهُمْ أُعْرِقُوا فَأَذِلُّوهُم نَارًا﴾ [نوح: ٢٥] والله أعلم.



س: كيف وصف اليوم بأنه (يوم نحس) وقد نهينا عن سبِّ الدهر في حديث رسول الله ﷺ؟

ج: هذا (أي قوله تعالى ﴿يَوْمٍ نَخْتَسِرُ﴾ ليس بسبِّ للدهر، إنما هو وصف لذلك اليوم كما قال تعالى: ﴿فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ﴾ [فُصِّلَتْ: ١٦].

هذا، وقد أورد القرطبي كلاماً لا تعويل عليه لعدم ثبوت الخبر فيه فقال: فإن قيل فإذا كان يوم الأربعاء يوم نحس مستمر فكيف يستجاب فيه الدعاء؟ وقد جاء أن النبي ﷺ استجيب له فيه فيما بين الظهر والعصر. وقد مضى في «البقرة» حديث جابر بذلك.

فالجواب - والله أعلم - ما جاء في خبر يرويه مسروق عن النبي ﷺ أنه قال: (أتاني جبريل فقال: إن الله يأمرك أن تقضي باليمين مع الشاهد وقال: يوم الأربعاء يوم نحس مستمر)^(١) ومعلوم أنه لم يرد بذلك أنه نحس على الصالحين، بل أراد أنه نحس على الفجار والمفسدين؛ كما كانت الأيام النحسات المذكورة في القرآن؛ نحسات على الكفار من قوم عاد لا على نبيهم والمؤمنين به منهم، وإذا كان كذلك لم يبعد أن يمهل الظالم من أول يوم الأربعاء إلى أن تزول الشمس، فإذا أدبر النهار ولم يحدث رجعة

(١) هذا ضعيف لا يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم.

استجيب دعاء المظلوم عليه، فكان اليوم نحسًا على الظالم؛ ودعاء النبي ﷺ إنما كان على الكفار، وقول جابر في حديثه: «لم ينزل بي أمر غليظ» إشارة إلى هذا. والله أعلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿تَنْزِعُ النَّاسَ﴾؟

ج: قال الطبري رحمه الله: ﴿تَنْزِعُ النَّاسَ كَانْتَهُمُ أَعْبَازُ نَحْلِ مُنْقَعِرٍ﴾ يقول: تقتلع الناس ثم ترمي بهم على رؤوسهم فتندق رقابهم وتبين من أجسامهم. وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿تَنْزِعُ النَّاسَ كَانْتَهُمُ أَعْبَازُ نَحْلِ مُنْقَعِرٍ﴾، وذلك أن الريح كانت تأتي أحدهم فترفعه حتى تغيبه عن الأبصار، ثم تنكسه على أم رأسه، فيسقط إلى الأرض، فتثلع رأسه فيبقى جثة بلا رأس، ولهذا قال: ﴿تَنْزِعُ النَّاسَ كَانْتَهُمُ أَعْبَازُ نَحْلِ مُنْقَعِرٍ﴾ ﴿١٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿١١﴾ وَلَقَدْ يَسْرَأُ الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ .

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿تَنْزِعُ النَّاسَ﴾ في موضع الصفة للريح أي: تَقْلَعُهُمْ من مواضعهم. قيل: قلعتههم من تحت أقدامهم اقتلاع النخلة من أصلها.

وقال السعدي رحمه الله:

﴿تَنْزِعُ النَّاسَ﴾ من شدتها، فترفعهم إلى جو السماء ثم تدفعهم بالأرض فتهلكهم، فيصبحون ﴿كَانْتَهُمُ أَعْبَازُ نَحْلِ مُنْقَعِرٍ﴾ أي: كأن جثثهم بعد هلاكهم، مثل جذوع النخل الخاوي الذي اقتلعت الرية فسقط على الأرض. فما أهون الخلق على الله، إذا عصوا أمره!.



س: لماذا قيل ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾ ولم يقل منقعة؟

ج: قال القرطبي رحمه الله: للفظ النخل وهو من الجمع الذي يذكر ويؤنث، وأورد القرطبي عن أبي بكر بن الأنباري قال: سُئِلَ المبرّد بحضرة إسماعيل القاضي عن ألف مسألة هذه من جملتها، ف قيل له: ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿وَلَسَلَيَمَنَّ الرِّيحُ عَاصِفَةً﴾ [الأنبياء: ٨١] و ﴿جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ [يونس: ٢٢]، وقوله: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧] و ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾؟ فقال: كُلُّ ما ورد عليك من هذا الباب فإن شئت رددته إلى اللفظ تذكيراً، أو إلى المعنى تأنيثاً.

وقيل: إن النخل بمعنًى يذكر ويؤنث كما ذكرنا. ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ (١١) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّذَكِّرٍ ﴿ تقدّم.



﴿كَذَبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾ (٢٣) فَقَالُوا أَبَشْرًا مِمَّا وَحَدَّا تَتَّبِعُهُ إِنَّآ إِذَا لَفَى ضَلَلٍ وَسُعْرٍ ﴿٢٤﴾
 أُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرُّ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْآشِرُّ
 ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ
 شَرْبٍ مُخَضَّرٌ ﴿٢٨﴾ فَادَّوْا صَاحِبَهُمْ فَنَعَاطَى فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿٣٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا
 عَلَيْهِمْ صَيَّحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُخْتَطِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ
 مُدَّكِرٍ ﴿[القمر: ٢٣- ٣٢].﴾

س: وضح معنى ما يلي: ﴿ثَمُودُ ضَلَلٍ - وَسُعْرٍ - أُلْقِيَ - الذِّكْرُ - أَشِرُّ - مُرْسِلُوا
 النَّاقَةِ - فِتْنَةً - فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ - وَنَبِّئْهُمْ - شَرْبٍ مُخَضَّرٌ - فَنَعَاطَى - فَعَقَرَ - كَهَشِيمِ الْمُخْتَطِرِ -
 مُدَّكِرٍ﴾:

ج:

الكلمة	معناها
﴿ثَمُودُ﴾	قبيلة نبي الله صالح عليه السلام، وقومه الذين أرسل إليهم.
﴿ضَلَلٍ﴾	بعد عن الحق والصواب - ذهب عن الحق بعيد.
﴿وَسُعْرٍ﴾	جمع سكير - عناء وتعب ومشقة وعذاب.
﴿أُلْقِيَ﴾	وقيل: جنون، من قولهم ناقة سعورة كأنها من شدة نشاطها مجنونه.
﴿الذِّكْرُ﴾	الوحي - النبوة.

﴿أَشْرُ﴾	قروح - ذا تجبر وكبرياء - متكبر متجبّر نشطٌ في دعواه - لا يبالي بما قال - يكذب ولا يبالي.
﴿مُرْسِلُوا النَّاقَةَ﴾	باعثوا الناقة.
﴿فِنَّةٌ لَهُمْ﴾	ابتلاء واختبارًا.
﴿فَارْتَقِبْهُمْ﴾	فانتظرهم، وانظر ماذا سيصنع بهم وماذا سيحلّ بهم.
﴿وَأَصْطَبِرْ﴾	اصطبر على ارتقابهم ولا تعجل.
﴿وَنَبِّهِمْ﴾	أخبرهم.
﴿شَرِبِ﴾	الشيء المشروب، إما اللبن وإما الماء، (فإذا غابت حضروا الماء) وإذا جاءت حضروا اللبن.
﴿مُحَضَّرٌ﴾	محضوّر - مشهوّد (يحضرون الماء إذا غابت الناقة، وإذا جاءت حضروا اللبن).
﴿فَعَاطَى﴾	تناول الناقة بيده، وقيل: انقاد لما أمره به.
﴿فَعَقَرَ﴾	عقر الناقة.
﴿كَهَشِيمٍ﴾	اليابس من ورق الشجر، ومن النبات وقيل الهشيم كل شيء كان رطبًا فييس. وقيل: الذي ادخر في الحظيرة كالتبن ونحوه وقيل الشوك الذي يحظر به العرب حول مواشيها. وقيل: الورق المتناثر من خشب الحطب.
﴿الْمُحْطَرِّ﴾	صاحب الحظيرة - المحترق وقيل: التراب الذي يتناثر من أحاسن
﴿مُذَكِّرٍ﴾	منعظ - معتبر.



س: ما النذر التي كذبت بها ثمود؟

ج: هي العقوبات التي أحلها الله بقوم نوح وقوم عاد.

وقيل: المراد رسول الله صالح الذي أنذرهم وخوفهم.



س: وضح معنى قولهم ﴿أَبشَرَكُمَا وَحَدًّا نَنْبَعُهُ﴾؟

ج: المعنى والله أعلم: أن قوم صالح عليه السلام استنكروا ما يدعوهم إليه من وجهين:

أولهما: كونه بشرٌ مثلهم، وهذا الاستنكار مطردٌ من أمثالهم، فمن أمثالهم من قال ﴿أَبشَرِيْهُدُونَا﴾ [التغابن: ٦] وقول الآخرين ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِكَ﴾ [المؤمنون: ٤٧].

الثاني: كونه فردٌ واحد وهم جماعةٌ كبيرة أي وكيف نتبعه وهو واحد منا، وليس بجماعة.

قال ابن كثير رحمه الله:

وهذا إخبار عن ثمود أنهم كذبوا رسولهم صالحًا: ﴿فَقَالُوا أَبَشْرًا مِثْلًا وَحَدًّا نَنْبَعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِئَ صُلَّالٍ وَشُعْرٍ﴾، يقولون: لقد خبنا وخسرنا إن سلمنا كُلُّنا قيادنا لواحد منا! ثم تعجبوا من إلقاء الوحي عليه خاصة من دونهم.



س: وضح المراد بقوله ﷺ «من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة

جاهلية»؟

ج: المعنى، والله أعلم، أن من مات ولم يكن دخل في جماعة المسلمين وانقاد لإمامهم مات كما يموت أهل الجاهلية، فقد كانوا يستكفون أن ينقادوا لشخصٍ واحد وإمام واحد.

وقد يستل هذا المعنى من قول قوم ثمود ﴿أَبَشْرًا مِّثَّا وَاحِدًا نَبِّعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِئَ ضَلَّلِ
وَسُعِرِ﴾ والله أعلم.



س: وضح المراد بقولهم ﴿أَلَمْ يَلْقَ الذِّكْرَ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَابٌ أَشِرٌّ﴾؟

ج: قال السعدي رحمه الله:

﴿أَلَمْ يَلْقَ الذِّكْرَ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾ أي: كيف يخصه الله من بيننا وينزل عليه الذكر؟ فأي
مزية خصه من بيننا؟ وهذا اعتراض من المكذبين على الله، لم يزالوا يدلون به، ويصولون
ويردون به دعوة الرسل.

وقد أجاب الله عن هذه الشبهة بقول الرسل لأممهم: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ
إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [إبراهيم: ١١].

فالرسل من الله عليهم بصفات وأخلاق وكمالات، بها صلحوا برسالات ربهم،
والاختصاص بوحية.

ومن رحمته وحكمته، أن كانوا من البشر. فلو كانوا من الملائكة، لم يكن البشر أن
يتلقوا عنهم. ولو جعلهم من الملائكة، لعاجل المكذبين لهم بالعقاب العاجل.

والمقصود من هذا الكلام الصادر من ثمود لنبيهم صالح، تكذيبه، ولهذا حكموا
عليه بهذا الحكم الجائر فقالوا: ﴿بَلْ هُوَ كَذَابٌ أَشِرٌّ﴾ أي: كثير الكذب والشر.

قلت: (مصطفى): وهذا الذي قاله المشركون ﴿أَلَمْ يَلْقَ الذِّكْرَ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ
كَذَابٌ أَشِرٌّ﴾ يتضمن حسداً منهم لهذا النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه.



س: ما وجه قوله تعالى: ﴿سَيَعْلَمُونَ عَدَا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُّ﴾؟

ج: هذا تهديد شديد ووعيد أكيد لهؤلاء القوم الذين عاندوا رسولهم ووصفوه

بأنه كذاب أشر.

وكذلك فهو تصبير للنبي ﷺ أي: لا يحزنك ما قالوه لك فستستبين الأمور غداً،
وسيعلم المحقُّ من المبطل، والمصيب من المخطئ.



س: ما المراد بقوله تعالى ﴿غَدًا﴾:

ج: المراد يوم القيامة، وقيل: المراد بغد اليوم الذي سينزل فيه عليهم العذاب في الدنيا.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَبِعْهُمْ وَأَصْطِرْ﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم، إنا مجيئون هؤلاء القوم، قوم ثمود إلى ما سألوه وطلبوه،
فقد سألوا نبيهم صالحاً أن يخرج لهم ناقةً عظيمة من بطن صخرة يكفيهم لبنها كحجة
ودليل وبرهان على صدق نبوته فسنجيئهم إلى ما سألوه وطلبوه لنعلم أيتبعون نبيهم
ويصدقون نبوته أم لا.

قال الشنقيطي رحمه الله تعالى في «أضواء البيان»:

قوله: مرسلوا الناقة: أي: مخرجوها من الهضبة، فتنة لهم أي: ابتلاء واختباراً،
وهو مفعول من أجله، لأنهم اقترحوا على صالح إخراج ناقة من صخرة، وأنها إن
خرجت لهم منها آمنوا به واتبعوه، فأخرج الله الناقة من تلك الصخرة معجزة لصالح،
وفتنة لهم أي: ابتلاء واختباراً، وذلك أن تلك الناقة معجزة عاينوها، وأن الله حذرهم
على لسان نبيه صالح من أن يمسوها بسوء وأنهم إن تعرضوا لها بأذى أخذهم الله
بعذابه.

والمفسرون يقولون: إنهم قالوا له: إن أخرجت لنا من هذه الصخرة ناقة وبراء

عشراء اتبعناك.

وما دلت عليه هذه الآية الكريمة من أن الله أرسل لهم هذه الناقة امتحانًا واختبارًا، وأنهم إن تعرضوا لآية الله هذه، التي هي الناقة بسوء أهلكتهم، جاء موضحًا في آيات آخر من كتاب الله كقوله تعالى في سورة الأعراف ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أََرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٧٣]، وقوله تعالى في سورة هود عن صالح: ﴿وَيَا وَيَقَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أََرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ قَرِيبٍ ﴿٦٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ [هود: ٦٤، ٦٥]، وقوله تعالى في الشعراء: ﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةُ هَآ شَرِبْتُ وَلَكُمْ شَرِبْتُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٥٥، ١٥٦].

وقد بين تعالى: أنهم عقروا الناقة فجاءهم العذاب المستأصل في آيات من كتابه كقوله تعالى في الأعراف: ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ [الأعراف: ٧٧] إلى قوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ﴾ [الأعراف: ٧٨]، وقوله: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمُ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾ [الشمس: ١٤].



س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَنَبِّئَهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ﴾؟

ج: المراد، والله أعلم، وأخبر قومك يا نبي الله، يا صالح عليك السلام، أن (ماء البئر) قسمة بينهم.

قيل في ذلك قولان:

أحدهما: أن قبيلة ثمود تقسم الماء فيما بينها، وذلك في اليوم المخصص لهم، فلا يعتلي قوم منهم على آخرين، بل لكل منهم قدر معين من الماء.

والوجه الثاني: أن الماء قسمة بين القبيلة وبين الناقة فللناقة يومٌ، ولهم يومٌ كما قال تعالى: ﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةُ هَآ شَرِبَ هَآ وَلَكُم شَرِبَ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الشعراء: ١٥٥].

وقد يرد على هذا القول تعقب حاصله: إن كلمة (بينهم) تعني أبناء القبيلة والقوم فما الذي جعلكم تحملونه على القبيلة والناقة، فجواب ذلك: أن هذا أطلق تغليبا كما تقول بين كل أذنين صلاة، وتريد بذلك الأذان والإقامة، وكما تقول الشمسان، وتريد الشمس والقمر وتقول العُمران، وتريد أبا بكر وعمر رضي الله عنهما.

قوله تعالى: ﴿وَنَبِّئَهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرِبٍ مُحْضَرٌ﴾ أي: أخبر يا صالح ثمود أن الماء - وهو ماء البئر التي كانت تشرب منها الناقة - قسمة بينهم، فيوم للناقة ويوم لثمود، فقوله: بينهم أي: بين الناقة وثمود، وغلب العقلاء على الناقة.

كل شرب محتضر أي: يحضره صاحبه، فتحضر الناقة شرب يومها وتحضر ثمود شرب يومها.

وما تضمنته هذه الآية الكريمة جاء موضحا في آية أخرى وهي قوله تعالى في الشعراء: ﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةُ هَآ شَرِبَ هَآ وَلَكُم شَرِبَ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الشعراء: ١٥٥] وشرب الناقة هو الذي حذرهم منه صالح لئلا يتعرضوا له في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾ [الشمس: ١٣].

قال القرطبي رحمه الله: وإنما قال (بينهم) لأن العرب إذا أخبروا عن بني آدم مع البهائم غلبوا بني آدم.



س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم فنادت قبيلة ثمود صاحبها (الذي هو عاقر الناقة)، وهو أشقى رجل في قبيلة ثمود، وكما قال رسول الله ﷺ «انبعث لها رجلٌ شرير عارمٌ».

وقيل: قيل إن اسمه قِدار بن سالف، فدعته قبيلته، ومَرْضَته على هذا الفعل
بحر الذي هو قتل الناقة..

(قيل): تناول الناقة بيده فغرقها.

قال الشنقيطي رحمه الله تعالى:

قوله: فغاطي، قال أبو حيان في البحر: فتعاطى هو مطاوع عاطا، وكأن هذه
السلسلة تدلنا على الناس وعاطلها بعضهم بعضاً، فتعاطاها قدار وتناول العقر بيده. انتهى
تحليل الغرض منه.

والعرب تقول: تعاطى كذا إذا فعله أو تناوله، وعاطاه إذا تناوله، ومنه قول
مسان رضي الله عنه:

تَلَمَّسَهُمَا حَلَبَ الْعَصِيرِ فَعَاطَنِي بِزُجَاجَةٍ أَرْخَاهُمَا لِلْمِفْصَلِ

وقوله: فعقر أي: تعاطى عقر الناقة فعقرها، فمفعولاً الفاعلين محذوفان تقديرهما
كما ذكرنا، وعبر عن عاقر الناقة هنا بأنه صاحبهم، وعبر عنه في الشمس بأنه أشقاهم
وذلك في قوله: ﴿إِذْ أُنْبِئَتْ أَشَقُّهَا﴾ [الشمس: ١٢].



س: كيف الجمع بين قوله تعالى: ﴿فَعَاطَى فَعَقَرَ﴾ فدل ذلك على أن العاقر
واحد، وقوله تعالى: ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ فدل هذا على أن
العاقرين القبيلة كلها؟

ج: ذلك بأن يقال: إن القبيلة لما كانت متواطئة مع العاقر، ومقرّة له على فعله
وصنيعه نُسب إليها جميعها الفعل.

قال الشنقيطي رحمه الله تعالى (في «أضواء البيان»:

وهذه الآية الكريمة تشير إلى إزالة إشكال معروف في الآية، وإيضاح ذلك أن الله

تعالى فيها نسب العقر لواحد لا لجماعة، لأنه قال: فتعاطى فعقر، بالإنفراد مع أنه أسند عقر الناقة في آيات أخر إلى ثمود كلهم كقوله في سورة الأعراف: ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ الآية، وقوله تعالى في هود: ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتُّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ [هود: ٦٥] وقوله في الشعراء: ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَدِيمِينَ﴾ [الشعراء: ١٥٧]، وقوله في الشمس: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾ [الشمس: ١٤].

ووجه إشارة الآية إلى إزالة هذا الإشكال هو أن قوله تعالى: ﴿فَنَادُوا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾ يدل على أن ثمود اتفقوا كلهم على عقر الناقة، فنادوا واحداً منهم لينفذ ما اتفقوا عليه، أصالة عن نفسه ونيابة عن غيره.

ومعلوم أن المتماثلين على العقر كلهم عاقرون، وصحت نسبة العقر إلى المنفذ المباشر للعقر، وصحت نسبته أيضاً إلى الجميع، لأنهم متماثلون كما دل عليه ترتيب تعاطي العقر بالفاء في قوله: فتعاطى فعقر على ندائهم صاحبهم لينوب عنهم في مباشرة العقر في قوله تعالى: فنادوا صاحبهم أي: نادوه ليعقروها.

وجمع بعض العلماء بين هذه الآيات بوجه آخر، وهو أن إطلاق المجموع مراداً به بعضه أسلوب عربي مشهور، وهو كثير في القرآن وفي كلام العرب.

وقد قدمنا في سورة الحجرات أن منه قراءة حمزة في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ قَتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ﴾ [البقرة: ١٩١] بصيغة المجرد في الفعلين، لأن من قتل ومات لا يمكن أن يؤمر بقتل قاتله، بل المراد في إن قتلوا بعضكم فيليقتلهم بعضكم الآخر، ونظيره قول ابن مطيع:

فَإِنْ تَقْتُلُونَا عِنْدَ حَرَّةٍ وَأَقِمِ فَإِنَّا عَلَى الْإِسْلَامِ أَوَّلُ مَنْ قُتِلَ

أي: فإن قتلوا بعضنا، وأن منه أيضاً: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنَا قُل لَّمْ تَزِمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤] لأن هذا في بعضهم دون بعض.

بدليل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ إلى

قوله: ﴿سَيَذِلُّهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ٩٩].

وقد قدمنا في الحجرات وغيرها، أن من أصرح الشواهد العربية في ذلك قول الشاعر:

فَسَيْفُ بَنِي عَبْسٍ وَقَدْ ضَرَبُوا بِهِ نَبَا بَيْدِي وَرَقَاءَ عَنْ رَأْسِ خَالِدٍ

وقوله تعالى: فعقر: أي قتلها. والعرب تطلق العقر على القتل والنحر والجرح.

ومنه قول امرئ القيس:

تَقُولُ وَقَدْ مَالَ الْغَبِيطُ بِنَا مَعَا عَقَرْتَ بَعِيرِي يَامرأَ الْقَيْسِ فَانْزِلِ

ومن إطلاق العقر على نحر الإبل لقري الضيف قول جرير:

تعدون عقر الذيب أفضل مجدكم بني ضوطرا لولا الكمي المقنعا



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم، انظروا كيف كانت عقوبتي لمن عاند رسلي وكذب أنبيائي، لقد كانت عقوبة شديدة، ولقد كان عذاباً أليماً.

أما قوله تعالى: ﴿وَنُذْرِي﴾ فالمعنى أيضاً، وكذا فانظروا كيف كان إنذاري لمن سلك طريقتهم، لقد أنذرت من سلك طريقتهم إنذاراً واضحاً لا غموض فيه وذلك ببيان ما حلَّ بمن كان قبله.

قال الطبري رحمه الله تعالى:

قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ يقول جل ثناؤه لقريش: فكيف كان عذابي إياهم معشر قريش حين عذبتهم ألم أهلكتهم بالرجفة؟

ونُذر: يقول: فكيف كان إنذاري من أنذرت من الأمم بعدهم بما فعلت بهم وأحللت بهم من العقوبة؟

﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ لُوطٍ بِالنَّذْرِ﴾ (٣٣) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحْرِ (٣٤)
 نِعْمَةٍ مِّنْ عِندِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ (٣٥) وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنَّذْرِ
 (٣٦) وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ صَيْفِهِ، فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ (٣٧) وَلَقَدْ
 صَبَحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقَرٌّ (٣٨) فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ (٣٩) وَلَقَدْ يَسْرَأُ الْقُرْءَانَ
 لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ ﴿[القمر: ٣٣-٤٠].

س: وضع معنى ما يلي:

حَاصِبًا - آل لُوطٍ - سَحْرِ - نِعْمَةٌ مِّنْ عِندِنَا - أَنْذَرَهُمْ - بَطْشَتْنَا - فَتَمَارَوْا - بِالنَّذْرِ
 - رَاودُوهُ عَنْ صَيْفِهِ - فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ - بُكْرَةً - مُّسْتَقَرٌّ :

ج:

معناها	الكلمة
حجارة - ريحا شديدة ترميهم بالحصباء وهي الحصا .	﴿حَاصِبًا﴾
الذين صدقوه واتبعوه على دينه ممن هم (وقيل لم يؤمن به إلا بناته) على دينه وطريقته.	﴿آلَ لُوطٍ﴾
آخر الليل إلى طلوع الفجر.	﴿سَحْرِ﴾
كرامة أكرمناهم بها - نعمة أنعمناها عليهم	﴿نِعْمَةٌ مِّنْ عِندِنَا﴾
خوفهم.	﴿أَنْذَرَهُمْ﴾
انتقامنا الذي انتقمنا - عقوبتنا	﴿بَطْشَتْنَا﴾
فكذبوا - تشككوا - تجادلوا.	﴿فَتَمَارَوْا﴾
بالرسل - بالآيات - بصور العذاب.	﴿بِالنَّذْرِ﴾

﴿رَوَدُّهُ عَنْ ضَيْفِهِ﴾	طلبوا منه فعل الفاحشة مع أضيافه والمرادة من الإرادة.
﴿فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾	أعميناهم - صرنا أعينهم كسائر الوجه لا يرى لها شق ^(١) ، وليس لها فتحات.
﴿بُكْرَةً﴾	صباحًا - عند البكور - عند الفجر.
﴿مُسْتَقَرًّا﴾	ملازم لهم لا يفارقهم - استقر بهم إلى نار جهنم.



س: ما النذر التي كذبت بها قوم لوط؟

ج: هذه النذر منها: الآيات التي خوفهم بها وذكركم بها ومنها: صور العذاب التي حلت بالأمم من قبلهم ومنها: نبي الله لوط عليه السلام، وجمعت النذر لأن من كذب نبيًا فقد كذب الأنبياء جميعًا لأن دعوتهم واحدة.



(١) قال الطبري: ومنه طمست الريح الأعلام إذا دفتها بما تسفي عليها من التراب، وقد أورد أثر قتادة وفيه (بإسناد حسن) قال: وذكر لنا أن جبريل عليه السلام استأذن ربه في عقوبتهم ليلة أتوا لوطًا وأنهم عاجلوا الباب ليدخلوا عليه فصفعهم بجناحه وتركهم عميًا يترددون.

وأثر ابن زيد (٣٢٨٠٧) بسند صحيح، وفيه أن ابن زيد قال: هؤلاء قوم لوط حين راودوه عن ضيفه، طمس الله أعينهم، فكان ينههم عن عملهم الخبيث الذي كانوا يعملون، فقالوا: إنا لا نترك عملنا فإياك أن تُنزل أحدًا أو تضيفه، أو تدعه ينزل عليك، فإنه لا نتركه ولا نترك عملنا. قال: فلما جاء المرسلون، خرجت امرأته الشقية من الشق، فأتتهم فدعتهم، وقالت لهم: تعالوا فإنه قد جاء قوم لم أر قط أحسن وجوهًا منهم، ولا أحسن ثيابًا، ولا أطيب أرواحًا منهم، قال: فجاءوه يهرعون إليه، فقال: إن هؤلاء ضيفي، فاتقوا الله ولا تخزوني في ضيفي، قالوا: أو لم ننهك عن العالمين؟ أليس قد تقدمنا إليك وأعذرنا فيما بيننا وبينك؟ قال: هؤلاء بناتي هن أطهر لكم. فقال له جبريل عليه السلام: ما يهلك من هؤلاء؟ قال: أما ترى ما يريدون؟ فقال: إنا رسل ربك لن يصلوا إليك، لا تخف ولا تحزن إنا سنجوك وأهلك إلا امرأتك، لتصنعن هذا الأمر سرًا، وليكونن في بلاء؛ قال: فنشر جبريل عليه السلام جناحًا من أجنحته، فاختلس به أبصارهم، فطمس أعينهم، فجعلوا يحول بعضهم في بعض، فذلك قول الله: ﴿فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرْ﴾.

س: اذكر باختصار أمر قوم لوط؟

ج: أوجز الحافظ ابن كثير القول في ذلك فقال:

يقول تعالى مخبراً عن قوم لوط كيف كذبوا رسولهم وخالفوه، وارتكبوا المكروه من إتيان الذكور، وهي الفاحشة التي لم يسبقهم بها أحد من العالمين.

ولهذا أهلكهم الله هلاكاً لم يهلكه أمة من الأمم. فإنه تعالى أمر جبريل - عليه السلام - فحمل مدائنهم حتى وصل بها إلى عَنَانَ السماء، ثم قلبها عليهم وأرسلها، وأتبع بحجارة من سجيل منضود، ولهذا قال هاهنا: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾، وهي الحجارة، ﴿إِلَّا آءَالَ لُوطٌ بَخْتَهُمْ بِسَحَرٍ﴾، أي: خرجوا من آخر الليل فنجوا مما أصاب قومهم، ولم يؤمن بلوط من قومه أحد ولا رجل واحد، حتى ولا امرأته، أصابها ما أصاب قومها، وخرج نبي الله لوط وبنات له من بين أظهرهم سالمًا لم يمسه سوء.

ولهذا قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ۖ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا﴾، أي: ولقد كان قبل حلول العذاب بهم قد أنذرهم بأس الله وعذابه، فما التفتوا إلى ذلك، ولا أصغوا إليه، بل شكوا فيه وتमारوا به، ﴿وَلَقَدْ رَوَدُّوهٗ عَنْ صَيْفِيهِ﴾، وذلك ليلة ورد عليه الملائكة: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل في صورة شباب مرد حسان محنة من الله بهم، فأضافهم لوط وبعثت امرأته العجورُ السوءُ إلى قومها، فأعلمتهم بأضياف لوط فأقبلوا يُهَرَّغُونَ إليه من كل مكان، فأغلق لوط دونهم الباب، فجعلوا يحاولون كسر الباب، وذلك عشية، ولوط - عليه السلام - يدافعهم ويبانعهم دون أضيافه، ويقول لهم: ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾ [هود: ٧٨] يعني: نساءهم، ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَعِلِينَ﴾ [الحجر: ٧١] ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ [هود: ٧٩]، أي: ليس لنا فيهن إرب، ﴿وَأِنَّكَ لَلْعَلَمُ مَا تُرِيدُ﴾ [هود: ٧٩]، فلما اشتد الحال وأبوا إلا الدخول، خرج عليهم جبريل - عليه السلام - فضرب أعينهم بطرف جناحه، فانطمست أعينهم.

يقال: إنها غارت من وجوههم.

وقيل: إنه لم تبق لهم عيون بالكلية، فرجعوا على أدبارهم يتحسسون بالحيطان، ويتوعدون لوطاً عليه السلام إلى الصباح.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَبَحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ﴾، أي: لا محيد لهم عنه، ولا انفكاك لهم منه، ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْفُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾.

وقال السعدي رحمه الله:

أي: ﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ لُوطٌ﴾ لوطاً عليه السلام، حين دعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ونهاهم عن الشرك والفاحشة، التي ما سبقهم بها أحد من العالمين.

فكذبوه، واستمروا على شركهم وقبائحهم، حتى إن الملائكة الذين جاءوه بصورة أضياف، حين سمع بهم قومه، جاءوا مسرعين، يريدون إيقاع الفاحشة فيهم، لعنهم الله وقبحهم، وراودوه عنهم.

فأمر الله جبريل عليه السلام، فطمس أعينهم، وأنذرهم نبيهم بطشة الله وعقوبته. ﴿فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾.

﴿وَلَقَدْ صَبَحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ﴾ قلب الله عليهم ديارهم، وجعل أسفلها أعلاها، وتبعهم بحجارة من سجيل منضود، مسومة عند ربك للمسرفين.

ونجى الله لوطاً وأهله، من الكرب العظيم، جزاءً لهم على شكرهم لربهم، وعبادته وحده لا شريك له.

قال تعالى: ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المذثر: ١٠] مفهوم ذلك، أنه يسير سهل على المؤمنين.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم، وكما أنجينا لوطاً ومن معه فدوماً ننجي من شكر نِعَمَانَا عليه، وَحَمْدُنَا على ما مننا به عليه.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾ يقول: وكما أثبتنا لوطاً وآله، وأنعمنا عليه، فأنجيناهم من عذابنا بطاعتهم إيانا كذلك نثيب من شكرنا على نعمتنا عليه، فأطاعنا وانتهى إلى أمرنا ونهينا من جميع خلقنا.
وأجرى قوله بسحر، لأنه نكرة، وإذا قالوا: فعلت هذا سحر بغير باء لم يجره.



س: في كثير من الأحيان يخرج الخبر من حيز الخصوص إلى العموم، وذلك لتعميم الأحكام والجزاءات حتى لا تفهم القصص أنها خاصة بمن حدثت لهم، دَلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾. أي: وكما جازينا آل لوط بالإنجاء فكل من شكر نعمنا نجازيه أيضاً.

وقوله تعالى: بعد ذكر نبين كريمين، يوسف وموسى عليهما السلام: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأنعام: ٨٤].

وقوله تعالى في شأن نبيه أيوب وما حلَّ به ثم ما مَنَّ الله عليه بها من الشفاء ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٤] أي: ذِكرى يتذكرها العباد.



س: ما البطشة التي أُنذر لوطُ قومه بها؟

ج: قيل: هي البطشة التي أحلَّها الله عزَّ وجل بمن هم قبل قوم لوط كعادي وشمود.

ويبدو - والله أعلم - أن البطشة هي طمس أعين فريق منهم، وهم الذين راودوا

لوطاً عليه السلام عن ضيفه فلم يرتدع الباؤون، ولم يتوبوا، ولم يقلعوا عن ذنوبهم، بل تبادوا في الغي والضلال.



س: كيف طُمست أعينهم؟

ج: قيل: إن جبريل عليه السلام ضربهم بجناحه فعموا.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرِي﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم، فذوقوا عذابي الذي حلّ بكم ونزل عليكم ثم إني جعلتكم عبرةً يعتبر بها غيركم، وموعظةً يتعظ بها غيركم.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ يقول تعالى ذكره: فذوقوا معشر قوم لوط من سدوم، عذابي الذي حلّ بكم، وإنذاري الذي أنذرت به غيركم من الأمم من النكال والمثلاث.

قال القرطبي رحمه الله:

﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ أي: فقلنا لهم ذوقوا، والمراد من هذا الأمر الخبر؛ أي: فأذقتهم عذابي الذي أنذرهم به لوط.



س: لماذا تكرر قوله: ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرِي﴾؟

ج: قال القرطبي رحمه الله تعالى: العذاب الذي نزل بهم من طمس الأعين غير العذاب الذي أهلكوا به فلذلك حسن التكرير.



س: هل النذر يذاق، إذ الله قال: ﴿فَذُوقُوا عَذَابِيَ وَنَذِيرِ﴾؟

ج: وجه ذلك، والله أعلم، أن الشخص إذا جعل عبرةً لغيره ومثلاً به لغيره، فإنه يتألم بذلك التمثيل بلا شك فإن قيل: إنهم قد ماتوا، فجواب ذلك أن العذاب مازال يلزمهم حتى بعد موتهم، سواء في القبر أو في الآخرة والله أعلم.



س: العذاب إذا حلَّ بالكفار فماتوا تهادى بهم بلا انقطاع دَلَّ على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى في شأن قوم نوح: ﴿مِمَّا خَطِيئَتُهُمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ [نوح: ٢٥].

قوله تعالى في شأن قوم عاد: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾.

قوله تعالى في شأن قوم فرعون: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦].

قوله تعالى في شأن قوم لوط: ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ﴾.



﴿ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذِيرُ ﴾ (٤١) كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٍ مُّقْدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكَ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ ﴿٤٦﴾ إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مَذَكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ النَّافِثِينَ فِي جَنَّتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْدِرٍ ﴿٥٥﴾ [القمر: ٤١ - ٥٥].

س: وضح معنى ما يلي: ﴿آلَ فِرْعَوْنَ﴾ - بِآيَاتِنَا - مُّقْدِرٍ - أُولَئِكَ - بَرَاءَةٌ - الزُّبُرِ - نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ - الْجَمْعُ - وَيُولُونَ الدُّبُرَ - السَّاعَةُ - أَذْهَى - وَأَمْرٌ - ضَلَالٍ - وَسُعُرٍ - سَقَرَ - بِقَدَرٍ - إِلَّا وَاحِدَةٌ - أَشْيَاعَكُمْ - الزُّبُرِ - مُسْتَطَرٌ - وَنَهْرٍ - مَقْعَدٍ صِدْقٍ - مَلِكٍ - مُّقْدِرٍ ؟

ج:

الكلمة	معناها
﴿آلَ فِرْعَوْنَ﴾	أتباع فرعون.
﴿بِآيَاتِنَا﴾	بحججنا الدالة على قدرتنا ووحدانيتنا.
﴿مُّقْدِرٍ﴾	قادر على فعل ما يشاء، غير عاجز ولا ضعيف. شديد لا يُغلب.

عزیزٌ فی نعمته إذا انتقم.	
یعنی الکفار الذین ذهبوا ومضوا وهلكوا.	﴿أُولَٰئِكَ﴾
نجاه من النار.	﴿بَرَاءَةٌ﴾
الكتب المنزلہ من عند الله.	﴿الزُّبُرِ﴾
نحن مجتمعون لن نغلب ولن نُهزم، بل سننتصر علی من یرید بنا سوءًا.	﴿تَحْنُ جَمِيعٌ مُّنْصِرٌ﴾
جمع کفار قریش - کفار مکة.	﴿الْجَمْعُ﴾
يفرون (أمام المؤمنین) ويهريون .	﴿وَيَوَلُّونَ الذُّبُرَ﴾
الساعة التي تقوم فيها القيامة.	﴿السَّاعَةُ﴾
أعظم، والداھية هي الأمر العظيم - أشق.	﴿أَذْهَى﴾
أشق علیهم من الهزيمة التي هُزموها يوم بدر.	﴿وَأَمْرٌ﴾
ذهاب عن الحق - بُعدٌ عن الحق.	﴿صَلَلِ﴾
احتراق من شدة العناء - جنون.	﴿وَسُعْرٍ﴾
جهنم - وقيل: اسم باب من أبوابها.	﴿سَقَرٍ﴾
بمقدار قدرناه وقضيناه.	﴿بِقَدَرٍ﴾
إلا قوله واحدة (كن فيكون) ^(١) - لا مراجعة فيها.	﴿إِلَّا وَاحِدَةً﴾
أمثالكم وأشباهكم فيما أنتم عليه من الکفر من الأمم الماضية.	﴿أَشْيَاعَكُمْ﴾
الكتب التي كتبها الملائكة الحفظة وقيل: المراد (اللوح المحفوظ).	﴿الزُّبُرِ﴾
مُسَطَّرٌ - مكتوبٌ - محفوظ ^(٢) .	﴿مُسْتَطَرٌّ﴾

(١) كقوله تعالى: ﴿إِنَّا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

(٢) أخرج الطبري بسند صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿وكل صغير وكبير مستطر﴾ قال: مكتوب، وقرأ: ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين﴾ [هود: ٦٠] وقرأ ﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ [الأنعام: ٣٨] إنها هو مفتعل من سطرت: إذا كتبت سطرًا.

﴿وَنَهْرٍ﴾	أنهار، وقيل: (في سعة وضوء يوم القيامة) ^(١) .
﴿مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾	مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم وهو الجنة دار كرامة الله عز وجل ورضوانه وفضله وامتنانه وجوده وإحسانه ^(٢) .
﴿مَلِكٍ﴾	ذي مُلك - الملك العظيم الخالق.
﴿مُقَدِّرٍ﴾	قادر على فعل ما يشاء.



س: ما المراد بالنذر التي أتت قوم فرعون؟

ج: هذه النذر نبي الله موسى وأخوه هارون عليهما السلام ومن النذر أيضًا التذكير بمصارع الغابرين ومنها: ما ذكره الله إذ قال: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجُرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَاءَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٣].
ومنها ما ذكره الله تعالى إذ قال: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٠] أي: بسنوات الشدة.
ولقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَمَثَلٌ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ﴾ [الإسراء: ١٠١].

ومن العلماء من قال: النذر موسى وهارون عليهما السلام أما ما ذكر فهو الآيات التي عناها الله بقوله ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا﴾.



(١) قال الطبري رحمه الله: ووحد النهر في اللفظ ومعناه الجمع كما وحد الدبر ومعناه الأدبار في قوله: ﴿ويولون الدبر﴾.

(٢) وقد أورد بعض المفسرين عند تفسير الآية الكريمة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المقسطون عند الله يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن، وكلنا يديه يمين».

س: اذكر من الأدلة ما يدل على أن قوم فرعون كذبوا بكل الآيات؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقَدِّرٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا تَخُنْ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾

[الأعراف: ١٣٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلِّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى﴾ [طه: ٥٦].

وقوله تعالى: ﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى ۖ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَى﴾ [النازعات: ٢٠، ٢١].

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ ءَايَتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾

وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٣-١٤].



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكَ﴾؟

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أكفاركم يا معشر قريش خير من الكفار السابقين

الذين أحللت بهم نقمتي وأنزلت بهم عقوبتي، بل كلکم يا أهل الكفر سواء في حلول العقوبات عليكم على كفركم وشرككم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لكفار قريش الذين أخبر الله عنهم أنهم: ﴿وَإِنْ يَرَوْا ءَايَةَ يُعْرِضُوا

وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ أكفاركم معشر قريش خير من أولئكم الذين أحللت بهم نقمتي

من قوم نوح وعاد وثمود، وقوم لوط وآل فرعون، فهم يأملون أن ينجوا من عذابي،

ونقمتي على كفرهم بي، وتكذيبهم رسولي؟ يقول: إنما أنتم في كفركم بالله وتكذيبكم

رسوله، كبعض هذه الأمم التي وصفت لكم أمرهم، وعقوبة الله بكم نازلة على كفركم

به، كالذي نزل بهم إن لم تتوبوا وتنبوا.

قال ابن كثير رحمه الله:

﴿أَكْفَارُكُمْ﴾، أي: أيها المشركون من كفار قريش ﴿حَيْرٌ مِّنْ أَوْلَئِكَ﴾ يعني: من الذين تقدم ذكرهم ممن أهلكوا بسبب تكذيبهم الرسل، وكفرهم بالكتب: أنتم خير أم أولئك؟

والمفاد: أن قريشاً كانوا لا يتوقعون عذاباً فقيلاً لهم لِمَ لا تتوقعون هذا العذاب. أنتم خيرٌ ممن نزل عليهم العذاب، أم أن عندكم كتاب من عند الله مكتوبٌ فيه أن النار لن تمسكم، أو ستنجون من عذاب الله إن أراد بكم العذاب؟ أم أنكم تظنون أنكم ستنصرون ممن يريدكم بسوء ومكروه؟



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمْرُكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾؟

ج: قال السعدي رحمه الله تعالى في تفسيرها:

﴿أَمْرُكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ أي: أم أعطاكم الله عهداً وميثاقاً، في الكتب التي أنزلها على الأنبياء، فتعتقدون حينئذ، أنكم الناجون بأخبار الله ووعدته؟ وهذا غير واقع، بل غير ممكن، عقلاً وشرعاً، أن تكتب براءتهم في الكتب الإلهية، المتضمنة للعدل والحكمة.

فليس من الحكمة، نجاة أمثال هؤلاء المعاندين المكذبين، لأفضل الرسل وأكرمهم على الله، فلم يبق إلا أن يكون بهم قوة ينتصرون بها فأخبر تعالى، أنهم يقولون: ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرُونَ﴾.



س: متى هُزِمَ الجمع وولوا الأدبار؟

ج: كانت هذه الهزيمة يوم بدر.

قال الطبري رحمه الله: يقول تعالى ذكره: أيقول هؤلاء الكفار من قريش: نحن جميعٌ منتصر من قصدنا بسوءٍ ومكروه، وأراد حربنا وتفريق جمعنا. فقال الله جل ثناؤه: ﴿سَيَهْرُمُ الْجَمْعُ﴾ يعني: جمع كفار قريش ﴿وَيُولُونَ الدُّبْرَ﴾ يقول: ويولون أديبارهم المؤمنين بالله عند انهزامهم عنه.

وقيل: الدبر فوحد والمراد به الجمع كما يقال ضربنا منهم الرأس: أي ضربنا منهم الرؤوس؛ إذ كان الواحد يؤدي عن معنى جمعه.

ثم إن الله - تعالى ذكره - صدق وعده المؤمنين به فهزم المشركين به من قريش يوم بدر وولوهم الدبر.

وأورد الطبري جملة آثار عن السلف أن هذا الجمع - جمع المشركين - هزم يوم بدر وولوا الأديبار.

وأخرج البخاري من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال: وهو في قبة له يوم بدر: «أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم أبداً». فأخذ أبو بكر رضي الله عنه بيده وقال: حسبك يا رسول الله، ألححت على ربك. فخرج وهو يشب في الدرع وهو يقول: ﴿سَيَهْرُمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبْرَ﴾ (٤٥) بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ.



س: أين نزلت هذه الآيات: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ﴾؟

ج: نزلت بمكة، وذلك لما أخرجه البخاري^(١) من حديث عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها -

إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا تاب

الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل لا تزنا لقالوا: لاندع الزنا أبداً، لقد نزل بمكة على محمد ﷺ وإني لجارية ألعب: بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر.

وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده. قال: فأخرجت له المصحف، فأملت عليه آي السور.



س: هل لذكر السَّحْبِ على الوجه في النار من فائدة؟

ج: نعم ذلك يفيد بيان الإهانة التي يتعرضون لها والذل الذي هم فيه.

قال السعدي رحمه الله:

﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ﴾ التي هي أشرف ما بهم من الأعضاء، وألمها أشد من غيرها، فيهانون بذلك، ويخزون ويقال لهم: ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ أي: ذوقوا ألم النار وأسفها، وغيظها ولهبها.



س: هل صح لقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ سبب نزول؟

ج: نعم قد صح لها سبب نزول، وهو ما أخرجه مسلم^(١).

من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر فنزلت ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ (٤٨) إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم، أن الله سبحانه وتعالى يخبر بأن قدر الأشياء عند خلقها، فهذا ابن آدم له طول معين ولكل عضو من أعضائه طول مثلاً، فهذا الطول قدره الله. وهذا الماء من السماء لا ينزل إلا بقدر، كما قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَهُ فِي الْأَرْضِ﴾ [المؤمنون: ١٨].

وكما قال تعالى: ﴿وَلِنْ مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١] وهكذا كل الأشياء.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾، كقوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢] وكقوله: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَىٰ ۝ (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ (٢) وَالَّذِي قَدَرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى: ١-٣] أي: قدر قدرًا، وهدى الخلائق إليه.

ولهذا يستدل بهذه الآية الكريمة أئمة السنة على إثبات قدر الله السابق لخلقه، وهو علمه الأشياء قبل كونها، وكتابته لها قبل برئها، وردوا بهذه الآية وبها شاكلها من الآيات، وما ورد في معناها من الأحاديث الثابتات على الفرقة القدرية الذين نبغوا في أواخر عصر الصحابة.

قال القرطبي رحمه الله:

الذي عليه أهل السنة أن الله سبحانه قدر الأشياء؛ أي علم مقاديرها وأحوالها وأزمانها قبل إيجادها، ثم أوجد منها ما سبق في علمه أنه يوجده على نحو ما سبق في علمه، فلا يحدث حدث في العالم العلوي والسفلي إلا وهو صادر عن علمه تعالى وقدرته وإرادته دون خلقه، وأن الخلق ليس لهم فيها إلا نوع اكتساب ومحاولة ونسبة وإضافة، وأن ذلك كله إنما حصل لهم بتيسير الله تعالى وبقدرته وتوفيقه وإلهامه، سبحانه لا إله إلا هو، ولا خالق غيره؛ كما نص عليه القرآن والسنة، لا كما قالت

القدرية وغيرهم من أن الأعمال إلينا والآجال بيد غيرنا.



س: اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم، أن أمر الله لا يرد، بل ينفذ في الحال، وكذا فإذا أراد الله أمراً نُفِذَ هذا الأمر بقوله واحدة لا تتكرر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾. وهذا إخبار عن نفوذ مشيئته في خلقه كما أخبر بنفوذ قدره فيهم، فقال: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ﴾، أي: إنها نأمر بالشيء مرة واحدة، لا نحتاج إلى تأكيد بثنائية، فيكون ذلك الذي نأمر به حاصلاً موجوداً كلمح البصر، لا يتأخر طرفة عين، وما أحسن ما قال بعض الشعراء:

إِذَا مَا أَرَادَ اللَّهُ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ: كُنْ، قَوْلُهُ فَيَكُونُ

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ﴾ أي: إلا مرة واحدة.

﴿كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ أي: قضائي في خلقي أسرع من لمح البصر.



س: اذكر بعض ما يدل على أن الأمور مقدره؟

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمُ فِي الدُّنْيَا﴾ [الحشر: ٣].

وقوله تعالى: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٨].

ونحوها من الآيات التي ذكر فيها أن الأمور مقدرة مكتوبة.

وقوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلُ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ [الحديد: ٢٢].

وقوله ﷺ «كل شيء بقدر حتى العجز والكيس»^(١).

وقوله ﷺ: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة»^(٢).

وقول آدم عليه السلام لموسى عليه السلام: «أتلومني على أمرٍ قد قُدِّرَ عليَّ قبل أن أُخلق»^(٣).

وقوله ﷺ: «إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة...»^(٤).

وقوله ﷺ: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وأن تؤمن بالقدر خيره وشره»^(٥).

وقوله ﷺ^(٦) «إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها».

(١) مسلم (٢٦٥٥).

(٢) مسلم (٢٦٥٣).

(٣) البخاري (٦٦١٤)، ومسلم (٢٦٥٢).

(٤) البخاري (٦٢٤٣)، ومسلم (٢٦٥٧).

مسلم (حديث ٨).

(٦) البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣).

وقول النبي ﷺ^(١) : «وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا و كذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل» والأحاديث في هذا كثيرة جداً.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾؟

ج: هذا والله أعلم يحتمل معنيين:

أحدهما: وكل شيء فعله الناس مكتوب عليهم في الكتب التي بأيدي الملائكة الكتبة عليهم السلام.

الثانية: وكل شيء فعله الناس مكتوب عليهم اللوح المحفوظ قبل أن يفعلوه.

قال الشنقيطي «في أضواء البيان»:

الصحيح في معنى الآية أن كل شيء فعله الناس مكتوب عليهم في الزبر، التي هي صحف الأعمال، وكل صغير و كبير مستطر، أي: مكتوب عليهم لا يترك منه شيء.

وهذا المعنى جاء موضحاً في آيات من كتاب الله كقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ نَوَيْلُنَا مَالٍ هَذَا الْكِتَابُ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ [الكهف: ٤٩] وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّخَضَّرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠].

والزبر: جمع زبور، وهو الكتاب. والمستطر معناه المسطور، أي: المكتوب، والآيات بمثل هذا كثيرة معلومة.



س: اذكر ما يدل على أن الأعمال تكتب وتُسطر على ابن آدم؟

ج: على ذلك جملة أدلة، منها:

قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ٥٥﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ.

وقوله تعالى: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ [الانفطار: ١٠، ١١].

وقوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِ

هَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ

أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾؟

ج: قال السعدي رحمه الله تعالى:

﴿فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ أي: في جنات النعيم، التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن

سمعت، ولا خطر على قلب بشر، من الأشجار اليانعة، والأنهار الجارية، والقصور

الرفيعة، والمنازل الأنيقة، والمآكل والمشارب اللذيذة والخور الحسان، والروضات

البهية في الجنان ورضا الملك الديان، والفوز بقربه، ولهذا قال: ﴿فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ

مَلِكٍ مُّقْدِرٍ﴾.

فلا تسأل بعد هذا، عما يعطيهم ربهم من كرامته وجوده، ويمدهم به من

إحسانه ومنته.

جعلنا الله منهم، ولا حرمننا خير ما عنده، بشر ما عندنا.

قال الشنقيطي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾.

أي: في جنات وأنهار كما أوضح تعالى ذلك في قوله: ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾

[الحديد: ١٢].

وقوله تعالى: ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ، وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ

لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ [محمد: ١٥].



تفسير سورة الرحمن

﴿الرَّحْمَنُ ١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ٢ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ٤
الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ٥ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ٦ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا
وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ٧ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ٨ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا
تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ٩ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ١٠ فِيهَا فَكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ
الْأَكَامِ ١١ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ١٢ فَبِأَيِّ آيَةِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ١٣
خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ١٤ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ
نَّارٍ ١٥ فَبِأَيِّ آيَةِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ١٦ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ١٧ فَبِأَيِّ آيَةِ
رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ١٨ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ٢٠ فَبِأَيِّ آيَةِ
رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ٢١ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَاتُ ٢٢ فَبِأَيِّ آيَةِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ
٢٣ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ٢٤ فَبِأَيِّ آيَةِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ٢٥ كُلُّ مَنْ
عَلَيْهَا فَانٍ ٢٦ وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ٢٧ فَبِأَيِّ آيَةِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ٢٨﴾

س : وضع معنى مايلي :

(الْبَيَانَ - بِحُسْبَانٍ - وَالنَّجْمُ - الْمِيزَانَ - أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ - وَأَقِيمُوا
الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ - وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ - وَضَعَهَا - لِلْأَنَامِ - الْأَكَامِ - وَالْحَبُّ - ذُو
الْعَصْفِ - وَالرَّيْحَانُ - آيَةِ - صَلْصَلٍ - مَّارِجٍ مِنْ نَّارٍ - مَرَجَ - بَرْزَخٌ - لَا يَبْغِيَانِ - اللُّؤْلُؤُ
- وَالْمَرْجَاتُ - الْجَوَارِ - الْمُنشَآتُ - كَالْأَعْلَامِ - فَانٍ - ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ) .

ج :

الكلمة	معناها
﴿الْبَيَانَ﴾	بيان الحلال والحرام ، بيان الخير والشر بيان ما يفعل وما يترك - الكلام - النطق ^(١) - وقيل من البيان أيضًا تعليم الكتابة .
﴿مُحْسَبَانِ﴾	بحساب ومنازل لهما يجريان ولا يعدوانها يمشيان في مسارات لا يتخطيانها - بحساب وأجل ^(٢) يمشيان بأجل ، ويسيران إلى أجل لا يتعدياه .
﴿وَالنَّجْمِ﴾	قيل : النجم الذي في السماء ^(٣) - وقيل : النبات الذي ليس له ساق ^(٤) ، والشجر ماله ساق .
﴿الْمِيزَانِ﴾	العدل بين الخلق ^(٥)
﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾	لا تتجاوزوا الحد - لا تظلموا ولا تبخسوا .
﴿وَأَقِمْوْا لِّلْوِزْنِ بِالْقِسْطِ﴾	أقيموا لسان الميزان بالعدل .

- (١) وهذا اختيار الحافظ ابن كثير فقال : هذا أحسن وأقوى لأن السياق في تعليمه تعالى القرآن وهو أداء تلاوته وإنما يكون ذلك بتيسير النطق على الخلق وتسهيل خروج الحروف من مواضعها من الخلق واللسان والشفنتين على اختلاف مخارجها وأنواعها
- (٢) الطبري (٢٣٨٦٢) بإسناد حسن عن قتادة .
- (٣) بإسناد حسن عن قتادة عند الطبري (٣٢٨٧٤)
- (٤) هذا اختيار الطبري فقد قال :

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال : عُنِيَ بالنجم : ما نجم من الأرض من نبت لعطف الشجر عليه ، فكان بأن يكون معناه لذلك : ما قام على ساق وما لا يقوم على ساق يسجدان لله ، بمعنى : أنه تسجد له الأشياء كلها المختلفة الهيئات من خلقه ، أشبه وأولى بمعنى الكلام من غيره . وأما قوله ﴿وَالشَّجَرِ﴾ فإن الشجر ما قد وصفت صفته قبل .

وهذا ، وإن رجحه الطبري لا يمنع من كون النجوم تسجد لله ، قال تعالى : ﴿الَّذِينَ رَأَوْا أَنَّهُ يُسْجَدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّجَرِ وَالْأَنْجَامِ﴾ [الحج : ١٨] .

(٥) كما قال تعالى : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد : ٢٥] .

﴿وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾	ولا تنقصوا الوزن إذا وزنتم للناس ولا تظلموهم .
﴿وَضَعَهَا﴾	وطأها - سهلها - بسطها .
﴿إِلَّا نَامِ﴾	للخلق - كل شيء فيه روح - للإنس والجن .
﴿الْأَكْمَامِ﴾	الليف الذي يكون عليها - الرُّفَات - الطلع المتكمم في كمامه ^(١) .
﴿وَالْحَبِّ﴾	حب الشعير ، وحب البر .
﴿ذُو الْعَصْفِ﴾	ذو الورق ومنه (فجعلهم كعصف مأكول) ، وقيل: ذو التبن، وهو ورق الزرع الأخضر ^(٢) إذا يبس . وقيل: العصف هو الحب نفسه .
﴿وَالرَّيْحَانُ﴾	الرزق ^(٣) - وقيل: الريحان الذي يشم ^(٤) وقيل: خضرة الزرع .
﴿ءَالَاءِ﴾	نعم
﴿صَلَّصِلِ﴾	الصلصال الطين الذي لم يطبخ (أي: لم يدخل النار) وأطلق عليه

(١) أورد الطبري بإسناد صحيح (٣٢٩٠٣) عن ابن زيد قال :

في قوله : ﴿وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ وقيل له : هو الطلع ؟ قال نعم ، وهو في كم منه حتى ينفق عنه : قال : والحب أيضًا في أكمام . وقرأ ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا﴾ [فصلت : ٤٧] .

قال الطبري : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله وصف النخل بأنها ذات أكمام ، وهي متكمة في ليفها ، وطلعها متكمم في جُفء ، ولم يخص الله الخبر عنها بتكممها في ليفها ولا تكمم طلعها في جفء ، بل عمّ الخبر عنها بأنها ذات أكمام .

(٢) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله :

ومعنى هذا ، والله أعلم ، أن الحب كالقمح والشعير ونحوهما له في حال نباته عصف ، وهو ما على السنبلة ، وريحان وهو الورق الملتف على ساقها .

(٣) ومنه الحديث عن الحسن والحسين رضي الله عنهما ، وقول النبي ﷺ فيها : «هما ريحانتان من الدنيا» ، وقال الطبري : وأولى الأقوال قول من قال عُني به الرزق ، وهو الحب الذي يؤكل منه .

(٤) وفي الحديث : من عُرض عليه ريحان فلا يردّه .

(٥) قال الطبري رحمه الله : فإنه من يبسه له صلصلة إذا حُرِّك ونقر كالفخار يعني أنه من يبسه ، وإن لم يكن مطبوخًا كالذي قد طبخ بالنار فهو يصلصل كما يصلصل الفخار ، والفخار هو الذي قد طبخ من الطين

صلصال لسام صلبة له إذا احتك ببعضه ^(١) ، وقيل: الصلصال التراب المدق وقيل: ما عُصر فخرج من بين الأصابع .	
الطين الذي أدخل النار .	﴿كَالْفَخَّارِ﴾
المارج المختلط بعضه ببعض ^(٢) والمارج من النار هو النار التي اختلط بعضها ببعض من بين أحمر وأصفر وأخضر ، من قولهم: مرج أمر القوم إذا اختلط .	﴿مَّارِجٍ﴾
وقيل: المارج من النار هو طرف النار ولسانها وهذا اللهب من أحسن النار وأخلصها وأصفها .	
أرسل - خلى - أهمل .	﴿مَرَجٍ﴾
حاجز .	﴿بَرْزَخٍ﴾
لا يبغي أحدهما على الآخر - لا يختلطان ^(٣) لا يبغيان على اليس .	﴿لَا يَبْغِيَانِ﴾
ما عَظُم من الدر (الدر الكبير)	﴿اللُّؤْلُؤُ﴾
ما صغر من الدر . وقيل: المرجان أجود اللؤلؤ وقيل: المرجان حجرٌ ، وقيل: نوع من الجواهر أحمر اللون .	﴿وَالْمَرْجَانُ﴾
السفن العظيمة الجارية في البحار .	﴿الْجَوَارِ﴾
الظواهرات في مسيرها ، السائرات مرفوعات القلاع ، وقيل: المنشآت يعني المخلوقات للجري .	﴿الْمُنَشَّاتُ﴾
كالجبال الطويلة .	﴿كَالْأَعْلَمِ﴾
هالك .	﴿فَانٍ﴾

بالنار .

(١) وفي الحديث: «مرجت عهدهم» .

(٢) قال القرطبي رحمه الله : وقيل: البرزخ ما بين الدنيا والآخرة أي: بينهما مدة قَدَّرها الله ، وهي مدة الدنيا فيها لا يبغيان ، فإذا أذن الله في انقضاء الدنيا صار البحرين شيئاً واحداً ، وهو كقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ فَجَرَّتْ﴾ [الانفطار: ٣] .

﴿ذُو الْجَلَالِ﴾	قيل: ذو العظمة والكبرياء - صاحب الجلال (أهل لأن يُجَلَّ فلا يُعَصَّ، وأن يُطَاع فلا يُخَالَف فالجلال اسمٌ من جَلَّ أي: عَظُمَ، ومنه أَجَلَّتْه أي: عَظُمَتْه .
﴿وَالْإِكْرَامِ﴾	الإكرام عما لا يليق به من الشرك - أهل لأن يكرم عما يليق به .



س: اذكر إجمالاً ما تضمنته هذه السورة المباركة .

ج : افتتحت هذه السورة المباركة بالتذكير بـ (اسم الله) الرحمن ، ثم ببيان بعض مننه ونعمه على خلقه ومن أعظمها تعليمه القرآن ثم ببيان سائر النعم والمنن وإشارة إلى قدرة الله عزَّ وجلَّ على الخلق ، والتذكير بأن الخلق سيفنى ، ويبقى وجه ربنا عزَّ وجلَّ ذو الجلال والإكرام .

ثم يبين في السورة الكريمة ضعف الإنسان وكذا الجآن وعجزهما عن الخروج عن سلطان الله وملكه ثم بيان سريع لبعض العقوبات التي يُعاقب بها المجرمون ، ثم بيانٌ لبعض ما أعدّه الله عزَّ وجلَّ من فسيح الجنان لأهل الإيمان ، للمقربين الذين هم في الدرجات العلى ثم الذين يلونهم وهم أصحاب اليمين، جعلنا الله والقارئ من السابقين المقربين . والحمد لله رب العالمين .



س : اذكر بعض الوارد في اسم الله الرحمن .

ج : وردت في هذا الاسم جملة من الآيات والأحاديث ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿وَسَأَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهَةً يُعْبُدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥] . وقال تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] . وقال تعالى : ﴿قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء: ١١٠] .

وفي صحيح مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله

ﷻ: « إن أحب أسمائكم إلى الله عبدالله وعبد الرحمن »^(١).

س: هناك من أهل الشرك من كان يثبت اسم (الرحمن) لله عز وجل ومنهم من كان ينكره ، اذكر ما يدل على ذلك .

ج : أما الذين أنكروه، فقد قال تعالى في شأنهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ [الفرقان: ٦٠].

ومن ذلك أيضًا قول سهيل بن عمرو - يوم الحديبية ، وكان يومها كافر- لرسول الله ﷺ لما قال رسول الله ﷺ: «اكتب باسم الله الرحمن الرحيم» فقال سهيل: أما (الرحمن) فوالله ما أدري ما هي^(٢).

أما الذين أثبتوه ، فقد قال تعالى: ﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ﴾ .



س: ما وجه التذكير باسم الله (الرحمن) في هذا المقام ؟

ج : قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره : الرحمن أيها الناس برحمته إياكم علمكم القرآن . فأنعم بذلك عليكم ، إذ بصركم به ما فيه رضا ربكم ، وعرفكم ما فيه سخطه ، لتطيعوه باتباعكم ما يرضيه عنكم ، وعملكم بما أمركم به ، وبتجنبكم ما يسخطه عليكم ، فتستوجبوا بذلك جزيل ثوابه ، وتنجوا من أليم عقابه .

قال القرطبي رحمه الله:

فافتتح السورة باسم الرحمن من بين الأسماء ليعلم العباد أن جميع ما يصفه بعد هذا من أفعاله ومن ملكه وقدرته خرج إليهم من الرحمة العظمى من رحمانيته فقال : ﴿الرَّحْمَنُ ۝ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝﴾ .

(١) مسلم (٢١٣٢)

(٢) البخاري (٢٧٣١ ، ٢٧٣٢) وانظر مسلم كذلك (١٢ / ١٣٨ مع النووي) .

وقال السعدي رحمه الله :

هذه السورة الكريمة الجليلة ، افتتحها باسمه « الرحمن » الدال على سعة رحمته ، وعموم إحسانه ، وجزيل بره وواسع فضله . ثم ذكر ما يدل على رحمته وأثرها ، الذي أوصله الله إلى عباده ، من النعم الدينية والدنيوية والأخروية .



س : قوله تعالى : ﴿ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴾ فيه ردُّ على الكفار وضح هذا الرد .

ج : هذا الرد يتمثل في نفي التهمة عن رسول الله ﷺ فقد كان الكفار يزعمون أن هذا القرآن من تعليم بشرٍ للنبي محمد ﷺ ، ويقول : ﴿ وَقَالُوا أَأَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ أَكُتِّبَهَا فِيهِ نُمُلِّي عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ .

فمن ثم قال تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴾ .

قال الشنقيطي رحمه الله تعالى : « في كتابه أضواء البيان » :

وقوله تعالى : ﴿ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴾ :

أي : علَّم نبيه ﷺ القرآن فتلقته أمته عنه ، وهذه الآية الكريمة تتضمن رد الله على الكفار في قوخم : إنه تعلم هذا القرآن من بشر كما تقدم في قوله : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ فَقَالَ إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ﴾ أي : يرويه محمد عن غيره .

وقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ۝ ﴾ وَقَالُوا أَأَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ أَكُتِّبَهَا فِيهِ نُمُلِّي عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الفرقان: ٤ - ٥] .

فقوله تعالى هنا ﴿ الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴾ أي : ليس الأمر كما ذكرتم من أنه تعلم القرآن من بشر ، بل الرحمن جل وعلا هو الذي علمه إياه ، والآيات الدالة على هذا كثيرة جدًا ، كقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ الرَّكَنُ أَكْثَمَ أَتَيْنَهُ ثُمَّ فَضِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود: ١] .

وقوله تعالى : ﴿حَمْدٌ ۝١ نَزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝٢ كَتَبَ فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [فُصِّلَتْ: ١-٤] .

وقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عَلَيْهِ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٥٢] .

وقوله تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ [طه: ١١٣] .

وقوله تعالى : ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣] .

وقوله تعالى ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَانصتْ ۝١٨﴾ [القيامة: ١٧-١٨] .
وقوله تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢] .

وقوله تعالى : ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْءَانُ وَإِن كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف: ٣] .

وقوله تعالى : ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۖ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣] ومن أعظم ذلك هذا القرآن العظيم .



س : ذكر بعض أهل العلم أن أول المفصل في مصحف ابن مسعود (سورة الرحمن) اذكر ما يدل لهم على ذلك .

ج : الدليل على ذلك ما أخرجه ^(١) أحمد بسند حسن عن زرّ أن رجلاً قال لابن مسعود : كيف تعرف هذا الحرف : (ماء غير ياسن) أو آسن ؟ فقال : كل القرآن قد قرأت . قال : إني لأقرأ المفصل أجمع في ركعة واحدة . فقال : أهذا كهذا الشعر . لا أبا لك ؟ قد علمت قرائن النبي ﷺ التي كان يقرن قريتين قريتين من أول المفصل ،

وَكَانَ أَوَّلَ مَا يَسْمَعُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴿الرَّحْمَنُ﴾ .



س : قوله تعالى : (عَلَّمَ الْقُرْآنَ) عَلَّمَ من ؟ وما المراد بقوله : ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ ؟

ج : عَلَّمَ من شاء من خلقه .

وقوله عَلَّمَ الْقُرْآنَ أي : سهله لأن يُذكر ويُتَرَأَّ كما قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: ١٧] .

قال السعدي رحمه الله : ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ أي : علم عباده ، ألفاظه ومعانيه ، ويسرها على عباده . وهذا أعظم منة ورحمة ، رحم بها العباد ، حيث أنزل عليهم قرآنًا عربيًّا ، بأحسن الألفاظ ، وأوضح المعاني ، مشتمل على كل خيرٍ زاجرٍ عن كل شر .



س : من المراد بالإنسان في قوله تعالى : ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ ؟

ج : قيل : المراد بالإنسان آدم عليه السلام وقيل : المراد الناس عموماً .

قال الطبري رحمه الله : والقولان كلاهما غير بعيدٍ عن الصواب لاحتفال ظاهر الكلام إياهما .



س : اذكر أطوار خلق الإنسان .

ج : اتضح تلك الأطوار من قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ۝ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ۝ ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤] .

فبين الله عزَّ وجلَّ أصل خلق الإنسان ، وهو آدم عليه السلام ثم خلق سائر الخلق .



س : هل من وجهٍ للتذكير بقوله تعالى : ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ عقب قوله : ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ ؟

ج : نعم ، وجه ذلك نهي الإنسان الذي خلقه الله عن الجدل في آيات الله ، والإلحاد في أسماء الله . فأنت أيها الإنسان قد خلقك الله عزَّ وجلَّ وسوّاك ثم علمك النطق شيئاً فشيئاً ثم لما اكتمل معك النطق إذا أنت تخاصم وتجادل أفلا ذكرت خلقك وأصل منشئك قال تعالى : ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ٤] وقال تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٧٧].



س : اذكر بعض صور البيان .

ج : من صور البيان بيان باللسان ، قال تعالى : ﴿لَمْ يَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾ ① ﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ ② [البلد: ٨] ، ومنه بيان بالقلم (أي : بالكتاب) قال تعالى : ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ ③ ﴿الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ ④ ﴿أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ ⑤ ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ [العلق: ١ - ٤] .
ومنه بيان بالإشارة ، قال تعالى : ﴿ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا﴾ [آل عمران: ٤١] .

وقال تعالى : ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [مريم: ٢٩] .



س : اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى قوله تعالى : ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ .

ج : قال الحافظ ابن كثير رحمه الله :

وقوله : ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ ، أي : يجريان متعاقبين بحساب مُقَنَّ لا يختلف ولا يضطرب ، ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ وكلُّ في فَلَكَ يَسْبَحُونَ ﴿ [يس: ٤٠] وقال تعالى : ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [الأنعام: ٩٦] .



س: كيف يسجد النجم؟ وكيف يسجد الشجر؟

ج: قيل: ذلك سجود لا يعلم كيفيته إلا الله، كما قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

وقيل: الذي يسجد ظللها، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظُلُمًا لَهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [الرعد: ١٥] أي: وظلالهم تسجد.

قال الطبري رحمه الله:

وأما قوله: ﴿تَسْجُدَانِ﴾ فإنه عني به سجود ظللها، كما قال جل ثناؤه: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظُلُمًا لَهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [الرعد: ١٥].



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾.

ج: قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: أي: خلق السموات والأرض بالحق والعدل لتكون الأشياء كلها بالحق والعدل.

أما السعدي رحمه الله فقال: ﴿وَوَضَعَ أَلْمِيزَانَ﴾ أي: العدل بين العباد، في الأقوال والأفعال. وليس المراد به، الميزان المعروف وحده، بل هو كما ذكرنا، يدخل فيه الميزان المعروف، والمكيال الذي تكال به الأشياء، والمقادير، والمساحات التي تضبط بها المجهولات، والحقائق التي يفصل بها بين المخلوقات ويقام بها العدل بينهم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾.

ج: قال السعدي رحمه الله تعالى في تفسيرها:

﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾ أي: أنزل الله الميزان، لئلا تتجاوزوا الحد في الحقوق والأمور. فإن الأمر لو كان يرجع إلى عقولكم وآرائكم لحصل من الخلل ما الله به عليم. ولفسدت السموات والأرض ومن فيهن.



س: اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾.

ج: قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ ، أي: كما رفع السماء وضع الأرض ومهدّها، وأرسلها بالجبال الراسيات الشاخات ، لتستقر لما على وجهها من الأنام ، وهم : الخلائق المختلفة أنواعهم وأشكالهم وألوانهم وألسنتهم ، في سائر أقطارها وأرجائها .



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾.

ج: قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

﴿وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ : أفردته بالذكر لشرفه ونفعه ، رطبًا ويابسًا . والأكمام قال ابن جريج: عن ابن عباس - : هي أوعية الطلع .

وهكذا قال غير واحد من المفسرين ، وهو الذي يطلع فيه القنوط ثم ينشق عن العنقود ، فيكون بسرًا ، ثم رطبًا ، ثم ينضج ويتناهى نفعه واستواؤه .

قال السعدي رحمه الله :

﴿وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ : أي: ذات الوعاء ، الذي ينفلق عن القنوان ، التي تخرج شيئًا فشيئًا حتى تتم ، فتكون قوتا يدخر، ويؤكل ، ويتزود منه المقيم والمسافر ، وفاكهة لذيدة من أحسن الفواكه .



س: اذكر بمزيد من الإيضاح معنى الريحان .

ج: قال السعدي رحمه الله :

﴿وَالرَّيْحَانُ﴾ : يحتمل أن المراد به جميع الأرزاق التي يأكلها الآدميون . فيكون هذا من باب عطف العام على الخاص ، ويكون الله ، قد امتن على عباده بالقوت

والرزق، عمومًا وخصوصًا . ويحتمل أن المراد بالريحان المعروف ، وأن الله امتن على عباده ، بما يسره في الأرض من أنواع الروائح الطيبة ، والمشام الفاخرة ، التي تسر الأرواح ، وتنشرح لها النفوس .



س : اذكر بعض ما ورد في الريحان من السنة .

ج : من ذلك مايلي :

قول النبي ﷺ : « مثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب ^(١) وطعمها مر » . وقول النبي ﷺ : « من عُرض عليه ريحان فلا يردّه فإنه طيب الريح خفيف المحمل ^(٢) » . وقول النبي ﷺ في الحسن والحسين رضي الله عنهما : « هما ريحانتان من الدنيا » ^(٣) .



س : اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى : ﴿ فَبَايَءَ الْآلَاءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانَ ﴾ .

ج : قال الحافظ ابن كثير رحمه الله :

وقوله : ﴿ فَبَايَءَ الْآلَاءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانَ ﴾ ، أي : فبأي الآلاء - يامعشر الثقلين ، من الإنس والجن - تكذبان ؟ قاله مجاهد ، وغير واحد . ويدل عليه السياق بعده ، أي : النَّعْمُ ظاهرة عليكم وأنتم مغمورون بها ، لا تستطيعون إنكارها ولا جحودها ، فنحن نقول كما قالت الجن المؤمنون : اللّهُمَّ ؛ ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب ، فلك الحمد . وكان ابن عباس يقول : لا بأياها يارب . أي : لا نكذب بشيء منها .



(١) البخاري (حديث ٥٤٢٧) ومسلم (٧٩٧) .

(٢) مسلم (حديث ٢٢٥٣) .

(٣) البخاري (٥٩٩٤) .

س : هل ورد عن رسول الله ﷺ ذِكْرُ يقال عند تلاوة أو سماع قوله تعالى : ﴿فَيَأْتِي ٱلْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ؟

ج : لا أعلم في ذلك خبراً ثابتاً عن رسول الله ﷺ وقد ورد عن ابن عباس عند الطبري من طريق الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس في قوله : ﴿فَيَأْتِي ٱلْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ قال : لا يأتيها يارب^(١)

وأخرج الطبري بسنده إلى عبد الله ابن عمر - رضي الله عنهما - قال :

إن رسول الله ﷺ قرأ سورة الرحمن ، أو قرئت عنده ، فقال : « ما لي أسمع الجن أحسن جواباً لربها منكم ؟ » قالوا : ماذا يا رسول الله ؟ قال : « ما أتيت على قول الله : ﴿فَيَأْتِي ٱلْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ إلا قالت الجن : لا بشيء من نعمة ربنا نكذب » .

وأخرج الترمذي من حديث جابر - رضي الله عنه - :

عن جابر ؛ قال : خرج رسول الله ﷺ على أصحابه فقرأ عليهم : « سورة الرحمن » ، من أولها إلى آخرها ، فسكتوا فقال : « لقد قرأتها على الجن ليلة الجن ، فكانوا أحسن مردوداً منكم ، كنت كلما أتيت على قوله : ﴿فَيَأْتِي ٱلْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ، قالوا : لا بشيء من نعمك - ربنا - نكذب ، فلك الحمد » .



س : لماذا ثنى الخطاب في قوله تعالى : ﴿تُكَذِّبَانِ﴾ ؟

ج : قيل : لأن الخطاب موجه للجن والإنس^(٢) .

قال الطبري رحمه الله :

فإن قال لنا قائل : وكيف قيل : ﴿فَيَأْتِي ٱلْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فخاطب اثنين ، وإنما ذكر في أول الكلام واحد ، وهو الإنسان ؟ قيل : عاد بالخطاب في قوله : ﴿فَيَأْتِي ٱلْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ إلى الإنسان والجان .

(١) الطبري (٣٢٩٢٨) .

(٢) روى الطبري (٣٢٩٣٠) بإسناد حسن عن قتادة ﴿فَيَأْتِي ٱلْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ يقول للجن والإنس .

بأي نعم الله تكذبان ؟

ويدل على أن ذلك كذلك ما بعد هذا الكلام ، وهو قوله : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ۝١٤ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ ۝١٥ ﴾ .

وقد قيل : إنما جعل الكلام خطاباً لاثنين ، وقد ابتدئ الخبر عن واحد ، لما قد جرى من فعل العرب ، تفعل ذلك وهو أن يخاطبوا الواحد بفعل الإثنين ، فيقولون : خليها يا غلام ، وما أشبه ذلك مما قد بيناه في كتابنا هذا في غير موضع .



س : من المراد بالإنسان في قوله تعالى : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ۝١٤ ﴾ ؟

ج : قال الطبري رحمه الله :

﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴾ باتفاق من أهل التأويل يعني : آدم عليه السلام .



س : لماذا وصف الصلصال بأنه كالفخار ؟

ج : قال الطبري رحمه الله :

فإنه من ييسه له صلصلة إذا حُرِّك ونقر كالفخار .



س : استدل بعض العلماء على فضيلة آدم على الحجة بهاتين الآيتين :

﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ۝١٤ ﴾ ما وجه الدلالة في ذلك ؟

ج : وجه الدلالة عند من ذهبوا إلى ذلك أن الطين أفضل من النار .

قال السعدي رحمه الله : ﴿ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ ۝١٥ ﴾ أي : من لهب النار الصافي ، أو

الذي قد خالطه الدخان . هذا يدل على شرف عنصر الآدمي المخلوق من الطين والتراب ، الذي هو محل الرزاة والثقل والمنافع . بخلاف عنصر الجان ، وهو النار ، التي هي محل الخفة والطيش ، والشر والفساد .



س: كيف يجمع بين قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ﴾ وبين ما ورد من خلق الإنسان من طين لازب ومن حمأ مسنون؟

ج: وجه الجمع بأن يقال: هذه مراحل الطين، فالتراب يخلط بالماء فيصبح طيناً ثم يترك فيصبح طيناً لازباً أي متيناً متغيراً ثم يترك فينشف ويتجمد ويصبح كالفخار والله أعلم.

وأحب أن أنقل هنا ما أورده الإمام الشنقيطي رحمه الله تعالى: «في أضواء البيان» إذ قال:

الصلصال: الطين اليابس الذي تسمع له صلصلة، أي: صوت إذا قرع بشيء، وقيل: الصلصال المتين، والفخار الطين المطبوخ، وهذه الآية بيّن الله فيها طوراً من أطوار التراب الذي خلق منه آدم، فبين في آيات أنه خلقه من تراب كقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ [آل عمران: ٥٩] وقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّنْ تُرَابٍ﴾ [الحج: ٥]. وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ [الروم: ٢٠]. وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُطْفَةٍ﴾ [غافر: ٦٧] وقوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ [طه: ٥٥].

وقد بينا في قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ﴾ وقوله: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ﴾ أن المراد بخلقهم منها هو خلق أبيهم آدم منها، لأنه أصلهم وهم فروعه، ثم إن الله تعالى عجن هذا التراب بالماء فصار طيناً، ولذا قال: ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء: ٦١] وقال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢] وقال تعالى: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِّنْ طِينٍ﴾ [السجدة: ٧]. وقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّنْ طِينٍ﴾ [الصافات: ١١]. وقال تعالى: ﴿إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ﴾ [ص: ٧١].

ثم خمر هذا الطين فصار حمأ مسنوناً، أي طيناً أسود متغير الريح، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٦] الآية.

قال تعالى: ﴿إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾.

وقال عن إبليس : ﴿ قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ، مِنْ صَلَاصِلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ [الحجر: ٣٣] والمسنون قيل: المتغير وقيل: المصور وقيل: الأملس، ثم يبس هذا الطين فصار صلصالا. كما قال هنا : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلَاصِلٍ كَالْفَخَّارِ ﴾ وقال : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلَاصِلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾.

فالآيات يصدق بعضها بعضًا، ويتبين فيها أطوار ذلك التراب كما لا يخفى .



س: اذكر ما ورد من الحديث عن رسول الله ﷺ في شأن خلق آدم عليه السلام.

ج : من ذلك مايلي :

قول رسول الله ﷺ : « خلقت الملائكة من نور وخلق الجآن من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم » ^(١) . ومن ذلك قوله ﷺ : « خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعًا... » ^(٢) . وقد خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وعلمه أسماء كل شيء، وتقدمت بعض الأمور المتعلقة به وذكر ﷺ في سورة البقرة.



س : ما المراد بالجآن الذي خلق من مارج من نار ؟

ج : قال بعض العلماء: هو إبليس ، وقال آخرون: إبليس وذريته وهو الصواب، والله أعلم .



س: في بعض الآيات ذكرت المشارق ، وفي بعضها ذكر المشرقين وفي أخرى ذكر المشرق فما المعنى ؟ وما المراد ؟

ج : ذهب بعض العلماء إلى أن المراد بالمشرق والمغرب مشرق الشمس ومغربها.

(١) مسلم (حديث ٢٩٩٦).

(٢) البخاري (٣٣٢٦) ومسلم (٢٨٤١).

والمشرقين والمغربين للشمس والقمر.

والمشارك والمغرب للشمس والقمر والنجوم .

وقال آخرون : تلك مشارق الشمس ومغاربها ففي كل يوم تشرق من مشرق غير الذي أشرقت منه وكذا الغروب .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ ، يعني شرقي الصيف والشتاء ، ومغربي الصيف والشتاء .

وقال في الآية الأخرى : ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ [المعارج: ٤٠] ، وذلك باختلاف مطالع الشمس وتنقلها في كل يوم ، وبروزها منه إلى الناس .

وقال في الآية الأخرى : ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: ٩] ، وهذا المراد منه جنس المشارق والمغارب .



س : ما المراد بالمشرقين والمغربين ؟

ج : قال بعض أهل العلم : مشرق الشمس في الشتاء ومشرقها في الصيف .

ومغرب الشمس في الشتاء ومغربها في الصيف .



س : وضع المراد بقوله تعالى : ﴿فَبَآئِيَ ءَالًا رَّبِّكُمَا تَكْذِبَانِ﴾ في هذا المقام .

ج : قال الطبري رحمه الله :

وقوله : ﴿فَبَآئِيَ ءَالًا رَّبِّكُمَا تَكْذِبَانِ﴾ يقول : فبأي نعم ربكما معشر الجن والإنس من هذه النعم التي أنعم بها عليكم من تسخير الشمس لكم في هذين المشرقين والمغربين تجري لكما دابة بمرافقكما ، ومصالح دنياكما ومعاشكما تكذبان .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : ولما كان في اختلاف هذه المشارق والمغارب مصالح للخلق من الجن والإنس قال : ﴿فَبَآئِيَ ءَالًا رَّبِّكُمَا تَكْذِبَانِ﴾ .



س : ما المراد بالبحرين ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال :

أحدها : بحر في السماء ، وبحر في الأرض يلتقيان (والله أعلم أين يلتقيان ؟) .

الثاني : أن المراد بحر فارس والروم .

الثالث : البحر المالح والنهر العذب ، وأطلق البحر على النهر تغليبا ، واختار

ابن جرير الطبري - رحمه الله - الرأي الأول .

لكن تعقبه الحافظ ابن كثير بقوله :

والمراد بقوله : ﴿الْبَحْرَيْنِ﴾ : الملح والحلو ، فالحلو هذه الأنهار السارحة بين

الناس . وقد قدمنا الكلام على ذلك في « سورة الفرقان » عند قوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي

مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا

مَحْجُورًا﴾ [الفرقان: ٥٣] . وقد اختار ابن جرير هاهنا أن المراد بالبحرين : بحر السماء وبحر

الأرض . وهو يروى عن مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعطية ، وابن أبي

قال ابن جرير : لأن اللؤلؤ يتولد من ماء السماء وأصداف بحر الأرض .

وهذا وإن كان هكذا ليس المراد ما ذهب إليه ؛ فإنه لا يساعده اللفظ ، فإنه تعالى

قد قال : ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾ ، أي : وجعل بينهما برزخا ، وهو :

الحاجز من الأرض ، لئلا يبغي هذا على هذا ، وهذا على هذا ، فيفسد كل واحد منهما

الآخر ، ويزيله عن صفته التي هي مقصودة منه . وما بين السماء والأرض لا يسمى

برزخا وحجرا محجورا .



س : ما المراد بالبرزخ ؟

ج : البرزخ : هو الحاجز ، وقيل : المراد به هذه الأرض التي بين البحرين ، قال

نحوه قتادة ^(١) .

(١) أخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة قال : والبرزخ هذه الجزيرة ، هذا اليبس .

قال الطبري رحمه الله : وقوله : ﴿يَنْهَمَا بَرَزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ يقول تعالى ذكره : بينهما حاجز وبعْدٌ ، لا يفسد أحدهما صاحبه فيبغى بذلك عليه . وكل شيء كان بين شيتين فهو برزخ عند العرب ، وما بين الدنيا والآخرة برزخ .

ونقل قول من قال : لا يبغيان على اليس .

وقول آخرين : لا يبغيان أن يلتقيا .

ثم قال وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله وصف البحرين اللذين ذكرهما في هذه الآية أنها لا يبغيان ، ولم يخص وصفهما في شيء دون شيء ، بل عم الخبر عنهما بذلك ، فالصواب أن يعم كما عمّ جل ثناؤه ، فيقال : إنها لا يبغيان على شيء ، ولا يبغى أحدهما على صاحبه ، ولا يتجاوزان حدّ الله الذي حدّه لهما ؟

وقوله : ﴿فَيَأَيَّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ يقول تعالى ذكره : فبأي نعم الله ربكما معشر الجن والإنس تكذبان من هذه النعم التي أنعم عليكم من مَرَجِه البحرين ، حتى جعل لكم بذلك حلية تلبسونها كذلك .



س : كيف قيل يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ، وقد ذكر البعض أن اللؤلؤ والمرجان يخرجان من المالح فقط ؟!

ج : أولاً ذهب بعض أهل العلم إلى أن اللؤلؤ والمرجان يخرجان من العذب والمالح ، وإن لم يكتشف الناس ذلك الآن .

أما الذين ذهبوا إلى أن اللؤلؤ والمرجان يستخرجان من المالح فقط ، فقد أجابوا على ذلك بما حاصله أن هذا الإطلاق في قوله ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا﴾ إطلاق أغلبي .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : وقوله : ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ ، أي : من مجموعهما ، فإذا وجد ذلك لأحدهما كفى ، كما قال تعالى : ﴿يَمْعَشَرُ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٠] . والرسول إنما كانوا في الإنس خاصة دون الجن ، وقد صح هذا الإطلاق .

وقال أيضًا : وأما قوله : ﴿وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ [فاطر: ١٢] فاللحم من كل من الأجاج والعذب ، والحلية إنما هي من الملح دون العذب.

قال الشنقيطي رحمه الله : اعلم أن جماعة من أهل العلم قالوا : إن المراد بقوله في هذه الآية يخرج منهما أي: من مجموعهما الصادق بالبحر الملح ، وأن الآية من إطلاق المجموع وإرادة بعضه ، وأن اللؤلؤ والمرجان لا يخرجان من البحر الملح وحده دون العذب. وهذا القول الذي قالوه في هذه الآية مع كثرتهم وجلالتهم لا شك في بطلانه ، لأن الله صرح بنقيضه في سورة فاطر ، ولا شك أن كل ما ناقض القرآن فهو باطل ، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ، وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ [فاطر: ١٢] فالتنوين في قوله: من كل تنوين عوض أي: من كل واحد من العذب والملح تأكلون لحمًا طريًّا وتستخرجون حلية تلبسونها، وهي اللؤلؤ والمرجان ، وهذا مما لا نزاع فيه.

وقد أوضحنا هذا في سورة الأنعام في الكلام على قوله تعالى: ﴿يَمْعَشَرُ الْجِنَّ وَالْإِنْسُ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٠] الآية واللؤلؤ الدر ، والمرجان الخرز الأحمر . وقال بعضهم : المرجان صغار الدر واللؤلؤ كباره.



س : وضح المراد بقوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ عقب قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾.

ج : قال الطبري رحمه الله:

وقوله : ﴿فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ يقول تعالى ذكره : فبأي نعم ربكما معشر الجنّ والإنس التي أنعمها عليكم بإجرائه الجوارى المنشآت في البحر جارية بمنافعكم تكذبان.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: وقوله : ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ﴾ يعني : السفن التي تجري في البحر ، قال مجاهد : ما رفع قلعه من السفن فهي مُنشأة ، وما لم يرفع قلعه

فليس بمنشأة . وقال قتادة : ﴿الْمُنشَأْتُ﴾ : يعني المخلوقات . وقال غيره : المنشآت - بكسر الشين - : يعني البادات .

﴿كَأَلَعَلِّمْ﴾ ، أي : كالجبال في كبرها ، وبها فيها من المتاجر والمكاسب المنقولة من قطر إلى قطر ، وإقليم إلى إقليم ، مما فبه صلاح للناس في جلب ما يحتاجون إليه من سائر أنواع البضائع ، ولهذا قال : ﴿فَإِنِّي ، أَلَا رَيْكُمْ أَتَكْذِبَانِ﴾ .



س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ .

ج : قال الطبري رحمه الله : كل من على ظهر الأرض من جن وإنس فإنه هالك . قلت : ومن المعنى قوله تعالى : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص : ٨٨] .



س : اذكر بعض الفوائد من الإخبار بقوله تعالى : ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ .

ج : في ذلك من الفوائد ما يلي :

- الزهد في الدنيا وعدم الاغترار بها فيها ، وذلك لكونها زائلة وفانية .
- الصبر على الضر في الأبدان والأموال والأولاد .
- الحث على فعل الباقيات الصالحات ، والحث على العبادة عمومًا
- الحث على التوحيد وإخلاص العمل لله ، فكل ما خلا الله باطل وهذه الآلهة المعبودة مع الله عز وجل ستزول وتنتهي وتنفى .



س : قوله تعالى : ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ هل هي وصف للوجه أم ماذا ؟

ج : نعم هي هنا وصف للوجه ، فلذلك قيل (ذو) ..

، وبنحوه قال الطبري : قال : وذو الجلال والإكرام من نعت الوجه ، فلذلك رفع (ذو) .



س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾.

ج: قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ ، أي: هو أهل أن يحل فلا يعصى، وأن يطاع فلا يخالف،
كقوله: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾
[الكهف: ٢٨].

وكقوله إخباراً عن المتصدقين: ﴿إِنَّمَا تُطْعَمُونَ لَوَجْهِ اللَّهِ﴾ [الإنسان: ٩].

قال السعدي رحمه الله: ويبقى الحي الذي لا يموت: ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾
أي: ذو العظمة والكبرياء، والمجد الذي يعظم ويُجل، ويُجل لأجله.
والإكرام، الذي هو سعة الفضل، والجود، الذي يكرم أوليائه، وخواص خلقه
بأنواع الإكرام، الذي يكرمه أوليائه ويجلونه، ويعظمونه ويحبونه، وينيبون إليه ويعبدونه.



س: ما مدى صحة هذا الحديث: «الظُّوب: يا ذا الجلال والإكرام»؟^(١) وما معناه؟

ج: الحديث ثابت صحيح.

ومعنى الظُّوب أي: أَلْحُوا، والإلظاظ الإلحاح والمعنى: قولوا داعين الله، وسائلين:
يا ذا الجلال والإكرام. والله أعلم.



س: وضع وجه إيراد قوله تعالى: ﴿فَيَأْتِيْءَ الْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ عقب
قوله: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ...﴾

ج: قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: ولما أخبر عن تساوي أهل الأرض كلهم
في الوفاة، وأنهم سيصيرون إلى الدار الآخرة، فيحكم فيهم ذو الجلال والإكرام بحكمه
العدل قال: ﴿فَيَأْتِيْءَ الْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.



(١) صحيح بمجموع طرقه، أخرجه أحمد (٤ / ١٧٧) وغيره. وانظر كذلك الترمذي (٣٥٢٣).

﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ (٣٠) ﴿فَإِيَّاءِ الْآلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٣١) ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ (٣٢) ﴿فَإِيَّاءِ الْآلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٣٣) ﴿يَمْعَشَرِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمَا لَنفَعُهُمْ أَنْ تَفْعُدُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَنِ﴾ (٣٤) ﴿فَإِيَّاءِ الْآلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٣٥) ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْصَرَانِ﴾ (٣٦) ﴿فَإِيَّاءِ الْآلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٣٧) ﴿فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ (٣٨) ﴿فَإِيَّاءِ الْآلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٣٩) ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُشْعَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ (٤٠) ﴿فَإِيَّاءِ الْآلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٤١) ﴿يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسْمِهِمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَفْدَامِ﴾ (٤٢) ﴿فَإِيَّاءِ الْآلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٤٣) ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ (٤٤) ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِئٍ آوٍ﴾ (٤٥) ﴿فَإِيَّاءِ الْآلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٤٦).

س : وضع معنى ما يلي :

(﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ - الثَّقَلَانِ - يَمْعَشَرُ - أَقْطَارِ - سُلْطَنِ - شَوْاظٌ - وَنُحَاسٌ - فَلَا تَنْصَرَانِ - وَرْدَةً كَالدِّهَانِ - بِسْمِهِمْ - بِالنَّوَصِي - وَالْأَفْدَامِ - يَطُوفُونَ بَيْنَهَا - حَمِئٍ آوٍ ﴾)

ج :

الكلمة	معناها
﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾	سنحاسبكم.
﴿الثَّقَلَانِ﴾	الجن والإنس.
﴿يَمْعَشَرُ﴾	المعشر؛ أي : الأهل، الجماعة، القوم. وقيل : كل جماعة أمرهم واحد.

﴿أَقْطَارِ﴾	أطراف
﴿رُسُلَٰتِنِ﴾	بحجة - بينة - هلك
﴿سُؤَاطِ﴾	لهبٌ ، وقيل : هو السبب الأخضر المتقطع .
﴿وَنُحَاسٍ﴾	وقيل : النحاس المعرّف (يصهر ويصب فوق الرؤوس) - وقيل : الدخان .
﴿فَلَا تَنْصِرَانِ﴾	فلا تستنقذان .
﴿وَرَدَّةٌ كَالِدِهَانِ﴾	وردةٌ كلون الدهن - مشرقة لونها صافية يتغير لونها كما يتغير لون الدهن إذا سخّن .
﴿رِسِمَهُمْ﴾	بعلاماتهم .
﴿يَا نَوَاصِي﴾	جمع ناصية ، وهي مقدم الرأس (شعر الرأس) .
﴿وَالْأَقْدَامِ﴾	جمع قدم .
﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا﴾	أي تارة يُعَدُّون في الجحيم وتارة يسقون من الحميم .
﴿حَمِيرَآءِ﴾	ماء سُخِّنَ وبلغ منتهى الغليان ، وبلغ أعلى درجات غليانه - بلغ نضجه واستواءه ^(١) . - وقيل : آن بمعنى حاضر مُعدُّ جاهز .



س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ .

ج : المعنى ، والله تعالى أعلم أن كلّ من في السموات والأرض من إنسٍ وجنٍ وملائكة ، وسائر المخلوقات من دوابٍ وطيور وحشرات وحياتان ، وسباع ، وكل ماله نفس يسأل ربه أن يقضي حاجته لا يستغنون عنه ، بل كلهم في احتياج إليه ، وهو يسمعهم جميعاً ويحييهم إن شاء ، ويقضي حاجة من أراد أن يقضي حاجته ، لا يملُ من

(١) ومنه قوله تعالى : ﴿غَيْرَ نَظِيرٍ إِنَّهُ﴾ أي : غير منتظرين نضجه واستواءه .

سؤالهم ولا يعجز عن إجابة دعائهم .

وهذا بلا شك دالٌّ على عظمة الله عزَّ وجل وقدرته وكرمه وواسع عطائه ، ودالٌّ على احتياج العباد إليه . فالفقير يسأله سعة الرزق ، والمريض يسأله العافية والشفاء ، والمبتلى يسأله العافية ، وذو الحاجة يسأله قضاء حاجته .
قال السعدي رحمه الله :

﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ يغني فقيرًا ، ويجبر كسيرًا ، ويعطي قومًا ، ويمنع آخرين ، ويميت ويحيي ، ويخفض ويرفع ، لا يشغله شأن عن شأن ، ولا تغلظه المسائل ، ولا يبرمه إلحاح الملحين ، ولا طول مسألة السائلين . فسبحان الكريم الوهاب ، الذي عمت مواهبه أهل الأرض والسموات . وعم لطفه جميع الخلق في كل الآنات واللحظات . وتعالى الذي لا يمنعه من الإعطاء معصية العاصين ، ولا استغناء الفقراء الجاهلين به وبكرمه .

وهذه الشئون التي أخبر أنه كل يوم هو في شأن ، هي تقاديره وتدبيره التي قدرها في الأزل وقضاها ، لا يزال تعالى يمضيها وينفذها في أوقاتها ، التي اقتضتها حكمته . وهي أحكامه الدينية ، التي هي الأمر والنهي . والقدرية ، التي يجريها على عباده مدة مقامهم في هذه الدار . حتى إذا تمت هذه الخليقة وأفناهم الله تعالى ، وأراد أن ينفذ فيهم أحكام الجزاء ، ويريمهم من عدله وفضله ، وكثرة إحسانه ، ما به يعرفونه ، ويوحدونه ، نقل المكلفين من دار الابتلاء والامتحان ، إلى دار الحيوان .



س : ما الذي يسأله أهل السموات ربهم عزَّ وجل ؟

ج : قال بعض أهل العلم: أهل السموات يسألون ربهم المغفرة والعون على العبادة ، ويسألونه أيضًا للصالحين من بني آدم المغفرة ، كما قال تعالى : ﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ أَعْرَشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَفَهُم عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا

وَأَدْخَلَهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَفَهُمُ السَّكِينَاتُ وَمَنْ تَقَى السَّكِينَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ [غافر: ٧-٩]. وكذلك يسألونه كل ما يحتاجون إليه.



س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ .

ج : قال كثير من العلماء : أي : في تدبير شئون خلقه ، يفرج كرب ذي الكرب ، يرفع أقوامًا ويخفض آخرين يفاك عانيًا (أي : أسيرًا وسجينًا) ويحبب داعيًا ومضطربًا ، يحيي ويميت - يعز ويذل ، يرفع ويخفض - يهين ويكرم .

أورد الطبري بإسناد حسن عن قتادة قال : قوله : ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ لا يستغني عنه أهل السماء ولا أهل الأرض ، يحيي حيًا ، ويميت ميتًا ويربي صغيرًا ، ويذل كبيرًا ، وهو مسأل حاجات الصالحين ، ومنتهى شكاوهم ، وصريح الأختيار .



س : ما مدى صحة الوارد عن رسول الله ﷺ أنه تلا هذه الآية : ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ قالوا يا رسول الله ، وما ذلك الشأن قال : « يغفر ذنبًا ويفرج كربًا ويرفع أقوامًا ويخفض آخرين » ؟

ج : أخرج ذلك الطبري ^(١) في تفسيره من طريق عن منيب بن عبد الله الأزدي ، عن أبيه قال : تلا رسول الله ﷺ هذه الآية : ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ فقلنا : يا رسول الله ، وما ذلك الشأن ؟ قال : « يَغْفِرُ ذَنْبًا ، وَيَفْرَجُ كَرْبًا ، وَيَرْفَعُ أَقْوَامًا ، وَيَضَعُ آخَرِينَ » ^(٢) .



^(١) الطبري (٣٣٠١٢) .

^(٢) إسناده ضعيف جدًا .

س : كيف قيل يرفع أقوامًا ويخفض آخرين ، وقد قُدِّرَت المقادير من قبل ؟
 ج : قيل في الإجابة على ذلك أنه سبحانه قدر الأمور من قبل بلا شك ، ولكن يفعل ما قدره في الوقت الذي أراد فيه وقوع الشيء ، والله أعلم .



س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ الوارد عقب قوله : ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ .

ج : قال الطبري رحمه الله تعالى :
 وقوله : ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ يقول تعالى ذكره : فبأي نعم ربكما معشر الجن والإنس التي أنعم عليكم من صرفه إياكم في مصالحكم ، وما هو أعلم به منكم من تقلبيه إياكم فيما هو أنفع لكم تكذبان .



س : هل هناك قراءات في قوله تعالى : ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ ؟
 ج : هناك قراءتان ، ذكرهما العلماء إحداهما (سَنَفْرُغُ) والأخرى (سَيَفْرُغُ) أي : إحداهما بالنون ، والأخرى بالياء .

قال الطبري رحمه الله :

اختلفت القراء في قراءة قوله : ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيَّهَ الثَّقَلَانِ﴾ فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض المكيين ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ بالنون . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة « سَيَفْرُغُ لَكُمْ » بالياء وفتحها ردًا على قوله : ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ولم يقل : يسألنا من في السموات ، فأتبعوا الخبر الخبر .

والصواب من القول في ذلك عندنا : أنها قراءتان معروفتان متقاربتا المعنى ، فبأيتها قرأ القارئ فمصيب .



س : هل الله عز وجل مشغول عن خلقه حتى قيل : ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ ؟
 ج : ورد بسند^(١) فيه ضعف عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيْهِ الثَّقَلَانِ﴾ قال : وعيد من الله للعباد ، وليس بالله شغل ، وهو فارغ .

أما الطبري رحمه الله تعالى فقد قال :

وأما تأويله : فإنه وعيد من الله لعباده وتهدد ، كقول القائل الذي يتهدد غيره ويتوعده ، ولا شغل له يشغله عن عقابه : لأتفرغن لك ، وسأتفرغ لك ، بمعنى : سأجد في أمرك وأعاقبك ، وقد يقول القائل الذي لا شغل له : قد فرغت لي ، وقد فرغت لستمي ، أي : أخذت فيه وأقبلت عليه ، وكذلك قوله جل ثناؤه : ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ سنحاسبكم ، ونأخذ في أمركم أيها الإنس والجن ، فنعاقب أهل المعاصي ، ونثيب أهل الطاعة .



س : لماذا أطلق على الجن والإنس ثقلان ؟

ج : نقل القرطبي عن جعفر الصادق قوله : سُمِّيَا ثقلان لأنها مثقلان بالذنوب ، والله أعلم .



س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿يَمْعَثِرَ الْجَنِّ وَالْإِنسِ إِنَّ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَفْعُلُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَأَنْفَعُوا﴾ .

ج : هذا الخطاب للجن والإنس يتضمن تهديدا لهم ويتضمن أيضا تحديا ، وإظهارا للضعفهم وعجزهم .

أما عن معناه فللعلماء فيه وجوه :

أحدهما : أن ذلك يوم القيامة ، يقال لهم : هذا أمر الله قد حلّ بكم فإن كان لكم

(١) أخرجه الطبري (٣٣٠١٤) ، وفي سنده أبو صالح وهو عبد الله بن صالح كاتب الليث ، وهو ضعيف ، وفيه أيضا الخلاف في سماع علي بن أبي طلحة من ابن عباس .

سبيل إلى الفرار والهروب من أية ناحية من السماء والأرض كي تهربوا من عذاب الله وحسابه فاهربوا وفروا إن استطعتم .

وحجة أصحاب هذا القول أن الآية الكريمة سُبِقَتْ بقوله تعالى : ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيَّهَ الثَّقَلَيْنِ﴾ .

الثاني: أن المراد بقوله : ﴿إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: في الدنيا إذا حُلَّ بكم الموت فإن استطعتم الفرار منه والهرب ففروا واهربوا فإن الموت مُدْرِككم ولن تستطيعوا الفرار منه ، وكما قال تعالى : ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾ [الجمعة: ٨] فلو هربتم إلى أي مكان كان لكتنم في سلطان الله .

الثالث : قال بعض العلماء: إن المعنى إن استطعتم أن تتجاوزوا أطراف السموات والأرض فتعلموا ما في السموات والأرض وما ورائها من علم فانفذوا واعلموا ، ولن تستطيعوا علم ذلك إلا بإذن الله ، وببينه من الله عز وجل .
ولخص الطبري هذا المعنى فقال: إن استطعتم أن تعلموا ما في السموات والأرض فاعلموا .

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله -:

﴿فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ ، أي : لا تستطيعون هرباً من أمر الله وقدره ، بل هو محيط بكم ، لا تقدرون على التخلص من حكمه ، ولا النفوذ عن حكمه فيكم ، أينما ذهبتم أحيط بكم .

وهذا في مقام المحشر ؛ الملائكة مُحْدَقَةٌ بالخلائق ، سبع صفوف من كل جانب ، فلا يقدر أحد على الذهاب . ﴿إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ ، أي : إلا بأمر الله ، ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَنَّىٰ أَعْرِضُ﴾ ١٠ ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ ١١ ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ [القيامة: ١٠] .

وقال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ كَانَمَا أَغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنْ لَيْلٍ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: ٢٧] ؛ ولهذا قال : ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاطِئُ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْصِرَانِ﴾ .

قوله تعالى : ﴿يَمْعَشَرُ الْجِنُّ وَالْإِنسُ﴾ الآية . ذكر ابن المبارك : وأخبرنا جوير عن الضحاك قال : إذا كان يوم القيامة أمر الله السماء الدنيا فتشقت بأهلها ، فتكون الملائكة على حافاتها حتى يأمرهم الرب ، فينزلون إلى الأرض فيحيطون بالأرض ومن فيها ، ثم يأمر الله السماء التي تليها كذلك فينزلون فيكونون صفًا من خلف ذلك الصف ، ثم السماء الثالثة ثم الرابعة ثم الخامسة ثم السادسة ثم السابعة ، فينزل الملك الأعلى في بهائه وملكه ومجنته اليسرى جهنم ، فيسمعون زفيرها وشهيقها ، فلا يأتون قُطْرًا من أقطارها إلا وجدوا صفوفًا من الملائكة ، فذلك قوله تعالى : ﴿يَمْعَشَرُ الْجِنُّ وَالْإِنسُ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ والسلطان العذر . وقال الضحاك أيضًا : بينما الناس في أسواقهم انفتحت السماء ، ونزلت الملائكة ، فتهرب الجن والإنس ، فتحقق بهم الملائكة ، فذلك قوله تعالى : ﴿لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ ذكره النحاس .

قلت : فعلى هذا يكون في الدنيا ، وعلى ما ذكر ابن المبارك يكون في الآخرة ، وعن الضحاك أيضًا : إن استطعتم أن تهربوا من الموت فاهربوا .

وقال ابن عباس : إن استطعتم أن تعلموا ما في السموات وما في الأرض فاعلموه ، ولن تعلموه إلا بسلطان أي بيينة من الله تعالى . وعنه أيضًا أن معنى : ﴿لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ لا تخرجون من سلطاني وقدرتي عليكم .

قتادة : لا تنفذون إلا بملك وليس لكم ملك . وقيل : لا تنفذون إلا إلى سلطان ، الباء بمعنى إلى ، كقوله تعالى : ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بَيِّنَاتٍ﴾ [يوسف : ١٠٠] أي : إلي . قال الشاعر :

أَسِينِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لَا مَلُولَةَ لَدَيْنَا وَلَا مَقْلِيلَةَ إِنْ ثَقَلَتْ
وقوله : ﴿فَانْفُذُوا﴾ أمر تعجيز .

وقال السعدي - رحمه الله - :

﴿يَمْعَشَرُ الْجِنُّ وَالْإِنسُ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي : لا تجدون مسلکًا ومنفذًا ، تخرجون به عن ملك الله وسلطانه .

﴿فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُوا إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ أي : لا تخرجون منه إلا بقوة ، وتسلبت منكم ، وكمال قدرة ، وأتت لهم ذلك ، وهم لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا ، ولا موتا ولا حياة ، ولا نشورا ؟!

ففي ذلك الموقف ، لا يتكلم أحد إلا بإذنه ، ولا تسمع إلا همسا . وفي ذلك الموقف ، يستوي الملوك والماليك ، والرؤساء والمرءوسون ، والأغنياء والفقراء .



س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿لَا تَنْفُذُوا إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾

ج : قيل المعنى : لن تعلموا ما في السموات والأرض إلا ببينة من الله - عز وجل - .

وقيل المعنى : لا تنفذون إلا بملك منكم وليس لكم ملك وقيل : إلا بقدرة وقوة ولا قدرة ولا قوة لكم إلا بالله .

وقيل المعنى : لا تخرجوني من سلطاني . وانظر ما تقدم أيضا .

قال الرازي في تفسيره :

ما معنى : ﴿لَا تَنْفُذُوا إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ ؟

نقول : ذلك يحتمل وجوها (أحدها أن يكون بيانا بخلاف ما تقدم أي : ما تنفذون ولا تنفذون إلا بقوة وليس لكم قوة على ذلك .

(ثانيها) أن يكون على تقدير وقوع الأمر الأول ، وبيان أن ذلك لا ينفعكم ، وتقديره ما تنفذوا وإن نفذتم ما تنفذون إلا ومعكم سلطان الله . كما بقول خرج القوم بأهلهم أي معهم .

(ثالثها) أن المراد من النفوذ ما هو المقصود منه ؟ وذلك لأن نفوذهم إشارة إلى طلب خلاصهم فقال : لا تنفذون من أقطار السموات . لا تتخلصون من العذاب ولا تجدون ما تطلبون من النفوذ وهو الخلاص من العذاب إلا بسلطان من الله يجيركم وإلا فلا يجير لكم ، كما تقول لا ينفعك البكاء إلا إذا صدقت وتريد به أن الصدق وحده ينفعك . لا إنك إن صدقت فينفعك البكاء .

(رابعها) أن هذا إشارة إلى تقرير التوحيد ، ووجهه هو كأنه - تعالى - قال : يا أيها الغافل لا يمكنك أن تخرج بذهنك عن أقطار السموات والأرض فإذا أنت أبداً تشاهد دليلاً من دلائل الوحدانية ، ثم هب أنك تنفذ من أقطار السموات والأرض ، فاعلم أنك لا تنفذ إلا بسلطان تجده خارج السموات والأرض قاطع دال على وحدانيته تعالى والسلطان هو القوة الكاملة .



س : متى هذا الإرسال للشواظ والنحاس ؟

ج : قيل هذا يوم القيامة، وقد قيل : إنه في الدنيا ، واستدل له بقوله تعالى : ﴿ أَمَّ لَهُم مِّلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴾ (١٠) جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ ﴿ [ص: ١٠- ١١] .

قال ابن كثير - رحمه الله - :

والمعنى على كل قول : لو ذهبتم هاربين يوم القيامة لردتكم الملائكة والزبانية بإرسال اللهب من النار والنحاس المذاب عليكم لترجعوا ، ولهذا قال : ﴿ فَلَا تَنْصِرَانِ ﴾ (٣٥) فَيَأْتِيءُ الْآءَ رَيْكُمَا تَكْذِبَانِ ﴿ .



س : اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ ﴾ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ؟

ج : قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - :

يقول : ﴿ فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ ﴾ يوم القيامة ، كما دلت عليه هذه الآية مع ما شاكلها من الآيات الواردة في معناها ؛ كقوله : ﴿ وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴾ [الحاقة : ١٦] ، وقوله : ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَمِ وَتُزَلُّ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا ﴾ [الفرقان : ٢٥] . وقوله : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ أَنْشَقَّتْ ﴾ (١) وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُفَّتْ ﴿ [الانشقاق : ١- ٢] .

وقوله : ﴿ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴾ ، أي : تذوب كما يذوب الذردي والفضة في

السبك ، وتتلون كما تتلون الأصباغ التي يدهن بها ، فتارة حمراء وصفراء وزرقاء وخضراء ، وذلك من شدة الأمر وهول يوم القيامة العظيم .

قال الشنقيطي - رحمه الله - :

ذكر - جلا وعلا - في هذه الآية الكريمة أن السماء ستتشق يوم القيامة ، وأنها إذا انشقت صارت وردة كالدهان ، وقوله : وردة : أي حمراء كلون الورد ، وقوله كالدهان : فيه قولان معروفان للعلماء :

الأول منهما : أن الدهان هو الجلد الأحمر ، وعليه فالمعنى : أنها تصير وردة متصفة بلون الورد مشابهة للجلد الأحمر في لونه .

والثاني : أن الدهان هو ما يدهن به ، وعليه ، فالدهان ، قيل : هو جمع دهن ، وقيل : هو مفرد ، لأن العرب تسمي ما يدهن به دهاناً ، وهو مفرد ، ومنه قول امرئ القيس :

كأنهم ما مزادنا متعجل فريان لما تدهنى بدهان

وحقيقة الفرق بين القولين أنه على القول بأن الدهان هو الجلد الأحمر ، يكون الله وصف السماء عند انشقاقها يوم القيامة بوصف واحد وهو الحمرة فشبهها بحمرة الورد . وحمرة الأديم الأحمر .

قال بعض أهل العلم : إنها يصل إليها حُرُّ النار فتحمر من شدة الحرارة .

وقال بعض أهل العلم : أصل السماء حمراء إلا أنها - لشدة بعدها وما دونها من الحواجز - لم تصل العيون إلى إدراك لونها الأحمر على حقيقته ، وأنها يوم القيامة ترى على حقيقة لونها .

وأما على القول بأن الدهان هو ما يدهن به ، فإن الله وقد وصف السماء عند انشقاقها بوصفين أحدهما : حمرة لونها ، والثاني : أنها تذوب وتصير مائعة كالدهن .

أما على القول الأول ، فلم نعلم آية من كتاب الله تبين هذه الآية ، بأن السماء ستحمر يوم القيامة حتى تكون كلون الجلد الأحمر .

وأما على القول الثاني - الذي هو أنها تذوب وتصير مائعة - فقد أوضحه الله في غير هذا الموضع، وذلك في قوله تعالى في «المعارج»: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۖ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ۖ﴾ (٧) **يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ** ، والمهل شيء ذائب على كلا القولين سواء قلنا: إنه دردي الزيت وهو عكره ، أو قلنا: إنه الذائب من حديد أو نحاس أو نحوهما .

وقد أوضح تعالى في «الكهف» أن المهل شيء ذائب يشبه الماء شديد الحرارة ، وذلك في قوله تعالى : ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ الشَّرَابُ ۖ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ۖ﴾ [الكهف: ٢٩] .

والقول بأن الوردة تشبيه بالفرس الكमित وهو الأحمر لأن حمرة تتلون باختلاف الفصول، فتشتد حمرتها في فصل ، وتميل إلى الصفرة في فصل ، وإلى الغبرة في فصل .

وأن المراد بالتشبيه كون السماء عند انشقاقها تتلون بألوان مختلفة واضح البعد عن ظاهر الآية ، وقول من قال : إنها تذهب وتحجب معناه له شاهد في كتاب الله ، وذلك في قوله تعالى : ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ۖ﴾ الآية ، ولكنه لا يخلو عندي من بعد .

وما ذكره تعالى في هذه الآية الكريمة من انشقاق السماء يوم القيامة ، جاء موضحاً في آيات كثيرة كقوله تعالى : ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ۖ﴾ [الانشقاق: ١] وقوله تعالى : ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۖ﴾ (١٥) **وَأَنشَقَّتِ السَّمَاءُ** ، وقوله : ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَمِ﴾ [الفرقان: ٢٥] الآية ، وقوله : ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ۖ﴾ [الانفطار: ١] ، وقد قدمنا الآيات الموضحة لهذا في سورة «ق» في الكلام على قوله تعالى : ﴿وَمَا لَهُا مِنْ فُرُوجٍ ۖ﴾ [ق: ٦] .



س: وضح معنى قوله تعالى : ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ۖ﴾ ؟

ج: في ذلك أقوال لأهل العلم :

الأول : لا تسأل الملائكة المجرمين عن ذنوبهم ، لأن الله قد حفظها عليهم وأحصاها ، كما قال : ﴿وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ۖ﴾ [القصص: ٧٨] .

الثاني : لا يسأل الله سبحانه بعضهم عن ذنوب بعض، إنما يسأل كل شخص عن ذنبه الذي اقترف.

الثالث : أنهم لا يسألون عن ذنوبهم لأنها ظاهرة بادية على وجوههم ، كما قال تعالى : ﴿يَعْرِفُ الْمَجْرِمُونَ بِسَبْتِهِمْ﴾ أي بالعلامات التي علّموا بها ووسموا بها، وكما قال تعالى : ﴿وَنَحْشُرُ الْمَجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ ^(١) وكما قال تعالى : ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦]، وقيل : لأن الأيدي تتكلم ، وكذا الجوارح تتكلم ، وكذا فقد أحصاها الله .

وقال الحافظ ابن كثير - رحمه الله :-

وقوله : ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ وهذه كقوله : ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المسلات: ٣٥] فهذا في حال ، وثم حال يسأل الخلائق فيها عن جميع أعمالهم ، قال الله تعالى : ﴿قَوْرَيْكَ لَسْتُ لَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ^(١٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢] . ولهذا قال قتادة : ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ ، قال : قد كانت مسألة ، ثم ختم على أفواه القوم ، وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون .

وقال القرطبي - رحمه الله :-

قوله تعالى : ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ هذا مثل قوله تعالى : ﴿وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [الفصص : ٧٨] وأن القيامة مواطن لطول ذلك اليوم ، فيسأل في بعض ولا يسأل في بعض ، وهذا قول عكرمة . وقيل : المعنى لا يسألون إذا استقروا في النار . وقال الحسن وقتادة : لا يسألون عن ذنوبهم ، لأن الله حفظها عليهم ، وكتبها عليهم الملائكة ، رواه العوفي عن ابن عباس . وعن الحسن ومجاهد أيضًا : المعنى لا تسأل الملائكة عنهم ، لأنهم يعرفونهم بسيماهم ، دليله ما بعده . وقاله مجاهد عن ابن عباس ، وعنه أيضًا في قوله تعالى : ﴿قَوْرَيْكَ لَسْتُ لَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٩٢] وقوله : ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ وقال : لا يسألهم ليعرف ذلك منهم ، لأنه أعلم بذلك منهم ، ولكنه يسألهم لم عملتموها سؤال توبيخ . وقال أبو العالية : لا يسأل غير المجرم عن ذنب المجرم . وقال قتادة : كانت المسألة قبل ، ثم ختم على أفواه

(١) زرق العيون سود الوجوه .

القوم وتكلمت الجوارح شاهدة عليهم .

قال الشنقيطي - رحمه الله تعالى :-

ذكر - جل وعلا - في هذه الآية الكريمة ، أنه يوم القيامة لا يسأل إنسًا ولا جانًا عن ذنبه ، وبين هذا المعنى في قوله تعالى في «القصص»: ﴿وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ .

وقد ذكر جل وعلا - في آيات آخر - أنه يسأل جميع الناس يوم القيامة الرسل والمرسل إليهم ، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦] ، وقوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٩٢) ﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢-٩٣] .

وقد جاءت آيات من كتاب الله مبينة لوجه الجمع بين هذه الآيات ، التي قد يظن غير العالم أن بينها اختلافًا ، اعلم أولاً أن للسؤال المنفي في قوله هنا: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ﴾ ، وقوله: ﴿وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ أخص من السؤال المثبت في قوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٩١) ﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢-٩٣] ، لأن هذه فيها تعميم السؤال في كل عمل ، والآيتان قبلها ليس فيهما نفي السؤال إلا عن الذنوب خاصة ، وللجمع بين هذه الآيات أوجه معروفة عند العلماء .

الأول منها: وهو الذي دل عليه القرآن ، وهو محل الشاهد عندنا من بيان القرآن بالقرآن هنا ، هو أن السؤال نوعان: أحدهما: سؤال التوبيخ والتقريع وهو من أنواع العذاب ، والثاني: هو سؤال الاستخبار والاستعلام .

فالسؤال المنفي في بعض الآيات هو سؤال الاستخبار والاستعلام ، لأن الله أعلم بأفعالهم منهم أنفسهم كما قال تعالى: ﴿أَخَصَّنَا اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦] . وعليه فالمعنى لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان ، سؤال استخبار واستعلام ، لأن الله أعلم بذنبه منه .

والسؤال المثبت في الآيات الأخرى هو سؤال التوبيخ والتقريع ، سواء كان عن ذنب أو غير ذنب ، ومثال سؤا لهم عن الذنوب سؤال توبيخ وتقريع قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا

الَّذِينَ أَسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١١﴾ [آل عمران: ١٠٦]، ومثاله عن غير ذنب قوله تعالى: ﴿وَقَفُّوهُمْ إِنَّمَا مَسْئُولُونَ ﴿١٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿١٥﴾ بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَا ﴿١٣﴾ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَذَا﴾ [الطور: ١٣ - ١٥] الآية، قوله: ﴿الْمَ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٠].

أما سؤال الموءودة في قوله: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُدَةُ سُئِلَتْ﴾ [التكوير: ٨] فلا يعارض الآيات النافية السؤال عن الذنب، لأنها سئلت عن أي ذنب قتلت وهذا ليس من ذنبها، والمراد بسؤالها توبيخ قاتلها وتقريعه، لأنها هي تقول لا ذنب لي، فيرجع اللوم على من قتلها ظلماً.

وكذلك سؤال الرسل، فإن المراد به توبيخ من كذبهم وتقريعه، مع إقامة الحجة عليه بأن الرسل قد بلغته، وباقي أوجه الجمع بين الآيات لا يدل عليه قرآن، وموضوع هذا الكتاب بيان القرآن بالقرآن، وقد بينّا بقيتها في كتابنا «دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب» في أول سورة «الأعراف».

وقد قدمنا طرفاً من هذا الكتاب المبارك في سورة الأعراف في الكلام على قوله تعالى: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦].

وذكر الرازي - رحمه الله - وجهين في هذه الآية فقال:

(أحدهما) لا يسأله أحد عن ذنبه، فلا يقال له أنت المذنب أو غيرك، ولا يقال من المذنب منكم بل يعرفونه بسواد وجوههم وغيره، وعلى هذا فالضمير في ذنبه عائد إلى مضمّر مفسر بما يعده، وتقديره لا يسأل إنس عن ذنبه ولا جان يسأل، أي عن ذنبه.

(وثانيهما) معناه قريب من المعنى قوله تعالى: ﴿وَلَا نَزِرُ وَازِرَةٌ وَزَرَ أُخْرَىٰ﴾ [الإسراء: ١٥] كأنه يقول: لا يسأل عن ذنبه مذنّب إنس ولا جان. وفيه إشكال لفظي، لأن الضمير في ذنبه إن عاد إلى أمر قبله يلزم استحالة ما ذكرت من المعنى بل يلزم فساد المعنى رأساً لأنك إذا قلت لا يسأل مسؤل واحد أو إنسي مثلاً عن ذنبه فقولك بعد إنس ولا جان، يقتضي تعلق فعل بفاعلين وإنه محال.

والجواب عنه من وجهين:

(أحدهما) أن لا يفرض عائداً وإنما يجعل بمعنى المظهر لا غير ويجعل عن ذنبه كأنه قال عن ذنب مذنب .

(ثانيهما) وهو أدق وبالقبول أحق أن يجعل ما يعود إليه الضمير قبل الفعل فيقال تقديره فالمذنب يومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان .



س: كيف الجمع بين قوله تعالى: ﴿فَوَرَّيْكَ لَنَسْتَلَنَّهٗمْ أَجْمَعِينَ﴾ وقوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾؟
ج: أجب على ذلك الرازي بقوله:

كيف الجمع بين هذا وبين قوله تعالى: ﴿فَوَرَّيْكَ لَنَسْتَلَنَّهٗمْ أَجْمَعِينَ﴾ وبينه وبين قوله تعالى: ﴿وَقَفُّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾؟ [الصفات: ٢٤] نقول على الوجه المشهور جوابان:

(أحدهما) أن للآخرة مواطن . فلا يسأل في موطن ، ويسأل في موطن .
(وثانيهما) وهو أحسن لا يسأل عن فعله أحد منكم ، ولكن يسأل بقوله لم فعل الفاعل فلا يسأل سؤال استعمال ، بل يسأل سؤال توبيخ ، وأما على الوجه الثاني، فلا يرد السؤال ، فلا حاجة إلى بيان الجمع .



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِمَتِهِمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - أن أهل الإجماع يعرفون بالعلامات التي علموا بها والتي رُسموا بها ، وذلك لكونهم زرق العيون سود الوجوه ، وعلى وجوههم غبرة ، وترهق وجوههم قفرة فتأخذ الزبانية بنواصيهم وأقدامهم فتسحبهم إلى جهنم وتقذفهم فيها .

قال الشنقيطي - رحمه الله :-

قوله بسيماهم: أي بعلامتهم المميزة لهم ، وقد دَلَّ القرآن على أنها هي سواد وجوههم وزرقة عيونهم ، كما قال تعالى : ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ الآية ، وقال تعالى : ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ ، وقال تعالى : ﴿وَرَهَقُهُمْ ذُلٌّ مِّمَّا لَمَمُوا مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ كَانَمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنْ لَيْلٍ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: ٢٧] ، وقال تعالى : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ غَيْرٌ ﴿٤٠﴾ تَرَهَقَهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ [عبس: ٤٠-٤٢] ؛ لأن معنى قوله ترهقها قتره أي يعلوها ويغشاها سواد كالدخان الأسود .

وقال تعالى في زرقة عيونهم: ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه: ١٠٢] ولا شيء أقبح وأشوه من سواد الوجوه وزرقة العيون ، ولذا لما أراد الشاعر أن يقبح علل البخل بأسوأ الأوصاف وأقبحها ، فوصفها بسواد الوجوه وزرقة العيون حيث قال:

وللبخل على أمواله عللٌ زرق العيون عليها أوجه سود

ولا سيما إذا اجتمع مع سواد الوجه اغبراره ، كما في قوله : ﴿عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرَهَقَهَا قَتَرَةٌ﴾ [عبس: ٤٠-٤١] فإن ذلك يزيده قبحاً على قبح .

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأُقْدَامِ﴾ ، وقد قدمنا تفسيره والآيات الموضحة له في سورة الطور في الكلام على قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارٍ جَهَنَّمَ دَعَا﴾ [الطور: ١٣] .



س : وضع معنى قوله تعالى: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيرٍ إِنِّي﴾ ؟

ج : قال الطبري - رحمه الله :-

وقوله : ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيرٍ إِنِّي﴾ يقول - تعالى ذكره - : يطوف هؤلاء المجرمون - الذين وصف صفتهم - في جهنم بين أطباقها ﴿وَبَيْنَ حَمِيرٍ إِنِّي﴾ يقول : وبين ماء قد أسخن وأغلي حتى انتهى حرّه وأنى طبخه، وكل شيء قد أدرك وبلغ فقد أنى، ومنه قول: ﴿غَيْرَ

نَظِيرِينَ إِنَّهُ ﴿[الأحزاب: ٥٣] يعني: إدراكه وبلوغه، كما قال نابغة بني ذبيان:

وَيُخْضَبُ لِحْيَةُ غَدَرَتْ وَخَانَتْ بِأَهْمَرٍ مِنْ نَجِيعِ الْجَوْفِ آيِ

يعني: مدرك.

وقال الحافظ ابن كثير - رحمه الله -:

وقال قتادة: قد أنى طبخه منذ خلق الله السماوات والأرض. وقال محمد بن كعب القرظي: يؤخذ العبد فيحرّك بناصيته في ذلك الحميم، حتى يذوب اللحم ويبقى العظم والعينان في الرأس، وهي كالتي يقول الله تعالى: ﴿فِي الْحَمِيمِ ثَمَرٌ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ [غافر: ٧٢]. والحميم الآن: يعني: الحار. وعن القرظي رواية أخرى: ﴿حَمِيمٌ أَيْ﴾، أي: حاضر. وهو قول ابن زيد أيضًا، والحاضر، لا ينافي ما روي عن القرظي أولاً أنه الحار، كقوله تعالى: ﴿تُثْقَلُ مِنْ عَيْنٍ أَيْنَةٍ﴾ [الغاشية: ٥]، أي: حارة شديدة الحر لا تستطيع، وكقوله: ﴿غَيْرَ نَظِيرِينَ إِنَّهُ﴾؛ يعني استواءه ونضجه. فقوله: ﴿حَمِيمٌ أَيْ﴾، أي: حميم حار جدًا.



بحث موسع عن النار وأهلها الأشرار

س : اذكر بمزيد من التفصيل أوصاف النار وأهلها الأشرار، وما أعد لهم من أليم العقاب ، وكذا شيئاً كثيراً مما يتعلق بها والتحذير منها ؟

ج : ابتداءً فقد حذر الله - عزَّ وجل - من النار أشد التحذير وأمر نبيه ﷺ أن يحذر منها ، ويذَّكر ، وتوالت النصوص المحذرة من هذا الخطر العظيم - خطر النار - حذر الله من النار ، وأنذر ، فقال سبحانه : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحریم: ٦]، وقال تعالى : ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ [الليل: ١٤] وحذر النبي ﷺ منها وكرَّر التحذير :

فقد أخرج الإمام أحمد^(١) بسند حسن عن النعمان بن بشير - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أنذرتكم النار، أنذرتكم النار، أنذرتكم النار» حتى لو أن رجلاً كان بالسوق لسمعه من مقامبي هذا .

قال : حتى وقعت خميصة كانت على عاتقه عند رجله .

وقال رسول الله ﷺ: « اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فمن لم يجد فبكلمة طيبة »^(٢) .

وفي الحديث: « ولو يعلم المسلم بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن النار »^(٣) .

وفي الصحيح^(٤) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : لما أنزلت هذه

الآية: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] دعا رسول الله ﷺ قريشاً .

فاجتمعوا . فعَمَّ وخصَّ ، فقال : « يا بني كعب بن لؤي ! أنقذوا أنفسكم من النار .

يا بني مرة بن كعب ! أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد شمس ! أنقذوا أنفسكم من

النار . يا بني عبد مناف ! أنقذوا أنفسكم من النار . يا بني هاشم ! أنقذوا أنفسكم من

(١) أحمد (٤ / ٢٧٢)

(٢) البخاري (٦٥٦٣) ، ومسلم (١٠١٦) .

(٣) البخاري (٦٤٦٩) .

(٤) مسلم (حديث ٢٠٤) .

النار . يا بني عبد المطلب ! أنقذوا أنفسكم من النار . يا فاطمة ! أنقذي نفسك من النار .
فإني لا أملك لكم^(١) من الله شيئاً . غير أن لكم رحمًا يابلها ببلالها^(٢) .

أما عن أسماء النار . أعاذنا الله منها

للنار عدة أسماء ، منها :

جَهَنَّمُ : قال تعالى : ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴾ [عم : ٢١]

الجَحِيمُ : قال تعالى : ﴿ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ ﴾ [التكوير : ١٢] .

السَّعِيرُ : قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾

[الملك : ١٠] .

سَقَرٌ : قال تعالى : ﴿ سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ ﴾ [الدثر : ٢٦] ، وقال سبحانه : ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴾ [الدثر : ٤٢] .

الْحُطْمَةُ : قال تعالى : ﴿ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطْمَةِ ﴾ وَمَا أَذْرَكَ مَا الْحُطْمَةُ ﴿ نَارُ اللَّهِ

الْمُوقَدَةُ ﴾ [الهمزة : ٤ - ٦] .

الْهَآوِيَةُ : قال تعالى : ﴿ فَأَمُّهُ هَآوِيَةٌ ﴾ وَمَا أَذْرَكَ مَا هِيَ ﴿ نَارُ حَامِيَةٍ ﴾ [القارعة : ٩ - ١١] .

سَجِينٌ : قال تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سَجِينٍ ﴾ [المطففين : ٧ ، ٨] .

لَطَى : قال تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّا لَطَى ﴾ [المعارج : ١٥] .

ولقد وُصف عذابها بأنه : أليمٌ ، وعظيم ، ومهين ، وكذلك وصف بأنه شديد !!

إن صبغةً في النار تُنسي الشخص كل نعيم الدنيا الذي تمتع به :

ففي الصحيح^(٣) من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله

ﷺ : «يُؤْتَى بِأَنَعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ النَّارِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً. ثُمَّ يُقَالُ:

(١) إني لا أملك لكم : معناها لا تتكلموا على قرايتي ، إني لا أقدر على دفع مكروه يريده الله تعالى بكم .

(٢) (سابلها ببلالها) : بفتح الباء الثانية وكسر ها . وهما وجهان مشهوران ، ذكرهما جماعات من العلماء ، والبال : الماء . ومعنى الحديث : سائلها . شبهت قطعة الرحم بالحرارة ، ووصلها بإطفاء الحرارة ببرودة . ومنه : بلوا أرحامكم ، أي : صلوها . قاله النووي .

(٣) مسلم (٢٨٠٧) .

يَا بَنَ آدَمَ! هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لا والله يا رَبِّ! وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ. فَيُصْنَعُ صَبْغَةٌ فِي الْجَنَّةِ فَيُقَالُ لَهُ: يَا بَنَ آدَمَ! هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لا، والله يا رَبِّ! مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ. وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ.

وإذا أردت بعض الاطلاع على عظيم عذابها: فاقرا قول رسول الله ﷺ: «نَارُكُمْ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ» قيل: يا رسول الله، إن كانت لكافية، قال: «فُضِّلْتُ عَلَيْهِنَّ بِتِسْعَةٍ وَبَسْتَيْنِ جُزْءًا كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا»^(١).

وقال الله - عز وجل - عنها: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ ﴿١٦﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٢٥]. وقال عنها: ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَأَطْفَاءُ لِّلنَّارِ﴾ [المعارج: ١٥، ١٦].

وَلَقَدْ حُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ

أخرج الترمذي^(٢) بسند حسن عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، أَرْسَلَ جِبْرِيلَ إِلَى الْجَنَّةِ، فَقَالَ: انْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا» قال: «فَجَاءَهَا، فَانْظَرَ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَّ اللهُ لِأَهْلِهَا فِيهَا» قال: «فَرَجَعَ إِلَيْهِ قَالَ: فَوَعَزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا، فَأَمَرَ بِهَا فُحِفَّتْ بِالْمَكَارِهِ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهَا فَانْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا» قال: «فَرَجَعَ إِلَيْهَا، فَإِذَا هِيَ قَدْ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ: فَوَعَزَّتِكَ لَقَدْ خِفْتُ أَلَّا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ. قَالَ: أَذْهَبَ إِلَى النَّارِ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، وَإِلَى مَا أَعَدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا. فَإِذَا هِيَ يَرْكَبُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ: وَعَزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلُهَا. فَأَمَرَ بِهَا فُحِفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهَا. فَرَجَعَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: وَعَزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَلَّا يَنْجُو مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا».

وفي صحيح مسلم من حديث أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ»^(٣).

(١) صحيح: وسيأتي إن شاء الله.

(٢) الترمذي (٧/ ٢٨١).

(٣) مسلم (٢٨٢٢). قال النووي - رحمه الله -: قال العلماء: هذا من بديع الكلام وفصيحه، وجوامع التي

ونحوه في الصحيحين من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعاً بلفظ: «حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، وَحُجِبَتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ»^(١).

أبواب النار

للنار أبواب:

فقد قال الله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتِيَحَتْ أَبْوَابُهَا...﴾ [الزمر: ٧١].

أما عن عدد هذه الأبواب، فهي سبعة:

قال تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر: ١٥].
ولهذه الأبواب خزنة:

قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتِيَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا...﴾ [الزمر: ٧١]. وقال تعالى: ﴿كُلَّمَا أَلْقَىٰ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ [تبارك: ٨].

وعدد هؤلاء الخزنة لا يعلمهم إلا الله:

قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١].

أما كبارهم وقادتهم فهم تسعة عشر:

قال تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر: ٣٠].

وكبير هؤلاء جميعاً هو مالك خازن النار، قال تعالى: ﴿وَنَادَوْا يَمَلِكُ لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ مِّنَكُوثٌ﴾ [الزخرف: ٧٧].

أوتيتها ﷺ من التمثيل الحسن، ومعناه: لا يوصل إلى الجنة إلا بارتكاب المكاره، والنار إلا بالشهوات، وكذلك محجوبتان بهما، فمن هتك الحجاب وصل إلى المحبوب، فهتك حجاب الجنة باقتحام المكاره، وهتك حجاب النار بارتكاب الشهوات.

(١) البخاري (٦٤٨٧)، ومسلم (٢٨٢٣).

ولقد رأى النبي ﷺ مالكا خازن النار كريمة المرأة كأكره ما أنت راء رجلا امرأة وإذا عنده نارٌ يحشها ويسعى حولها^(١).

والنار دركات

ثم إن هذه النار - أعادنا الله منها - دركات:
فهناك قومٌ يعذبون عذاباً أشد من قوم آخرين:
قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦].
وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْفِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥].
وقال تعالى في شأن من يكفر بالمائدة بعد نزولها: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ فَلِيَّ أَعَذِبُهُ عَذَابًا لَّا أَعَذِبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ١١٥].
وقال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾ [البقرة: ٨٥].

وهذه منازل الناس في النار، أعادنا الله منها:
أخرج مسلم في صحيحه^(٢) من حديث سَمُرَةَ بن جُنْدَب أن النبي ﷺ قال: «مِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى كَعْبِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى حُجْرَتِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى تَرْقُوتِهِ».

وهذا أهون أهل النار عذاباً

في الصحيح^(٣) من حديث النعمان بن بشير - رضي الله عنهما - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَرَجُلٌ تَوَضَّعَ فِي أَخْصَرِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاعُهُ».

(١) وسيأتي الحديث بذلك إن شاء الله.

(٢) مسلم (٢٨٤٥).

(٣) مسلم (٢١٣).

وفي رواية: «إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا مَنْ لَهُ نَعْلَانِ وَشِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ. يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاعُهُ. كَمَا يَغْلِي الْمَرْجُلُ مَا يَرَى أَنَّ أَحَدًا أَشَدُّ مِنْهُ عَذَابًا، وَإِنَّهُ لَأَهْوَنُهُمْ عَذَابًا».

وفي الصحيح^(١) من حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ أَذْنَى أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَنْتَعِلُ بِنَعْلَيْنِ مِنْ نَارٍ يَغْلِي دِمَاعُهُ مِنْ حَرَارَةِ نَعْلَيْهِ».

وفي الصحيح^(٢) من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ، وَهُوَ مُتْنَعِلٌ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاعُهُ».

أخرج مسلم^(٣) من حديث عن العباس بن عبد المطلب أنه قال: يا رسول الله، هل نَفَعَتْ أَبَا طَالِبٍ بَشِيءٌ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحْوَطُكَ^(٤) ويغضب لك؟ قال: «نَعَمْ، هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ^(٥) مِنْ نَارٍ، وَلَوْ لَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ^(٦) الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ».

أما عن سعة النار

أخرج الإمام أحمد^(٧) بسند صحيح عن مجاهد قال: قال ابن عباس: أتدري ما سعة جهنم؟ قلت: لا. قال: أجل، والله ما تدري، إن بين شحمة أذن أحدهم وبين عاتقه، مسيرة سبعين خريفًا، تجري فيها أودية القيقح والدم؟ قلت: أنهارًا؟ قال: لا بل أودية. ثم قال: أتدرون ما سعة جهنم؟ قلت: لا. قال: أجل، والله ما تدري، حدثني عائشة أنها سألت رسول الله ﷺ عن قوله: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧] فأين الناس يومئذ يا رسول الله؟ قال: «هُمْ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ».

(١) مسلم (حديث ٢١١).

(٢) مسلم (٢١٢).

(٣) مسلم (حديث ٢٠٩).

(٤) (بحوطك): قال أهل اللغة: يقال: حاظه يحوطه حوطًا وحياطة إذا صانه وحفظه وذبح عنه وتوفر على مصالحه.

(٥) (ضحضاح) الضحضاح مارق من الماء على وجه الأرض إلى نحو الكعبين، واستعير في النار.

(٦) (الدرك) فقال جميع أهل اللغة والمعاني والغريب وجاهير المفسرين: الدرك الأسفل قعر جهنم، وأقصى أسفلها. قالوا: ولجهنم أدراك، فكل طبقة من أطباقها تسمى دركًا. نقلًا عن النووي.

(٧) أحمد (١١٦/٦).

امتلاء جهنم:

قال تعالى: ﴿وَلَيْكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾

[السجدة: ١٣].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠].

وفي «الصحيحين»^(١) عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال النبي ﷺ: «لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ تَقُولُ: هَلْ مِن مَّزِيدٍ، حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ، فَتَقُولُ: قَطُّ... قَطُّ وَعِزَّتِكَ، وَيُزَوَّى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ».

أما عن عمق نار جهنم:

فالنار عميقة جداً!!

أخرج مسلم^(٢) في صحيحه من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: كنا مع رسول الله ﷺ إِذْ سَمِعَ وَجِبَةً فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تَدْرُونَ مَا هَذَا؟» قَالَ: قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا. فَهُوَ يَنْهَوِي فِي النَّارِ الْآنَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا».

ولقد قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَحْمِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾ [طه: ٨١].

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٩٠﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة: ٨، ٩].

وفي الصحيحين^(٣) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَّبِعُ مَا فِيهَا يَنْهَوِي بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ».

أما عن وقودها:

فوقودها الناس والحجارة، فقد قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَوْزًا أَنفُسُهُمْ

(١) البخاري (٦٦٦١)، ومسلم (٢٨٤٨).

(٢) مسلم (٢٨٤٤).

(٣) البخاري (٦٤٧٧)، ومسلم (٢٩٨٨).

وَأَهْلِكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴿التحریم: ٦﴾.

وقال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٠].

أمور في الدنيا تُذكر بنار الآخرة

ولقد جعل الله في الدنيا أموراً تُذكر بنار الآخرة.

فإن الدنيا تذكر بنار الآخرة:

قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ

﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقِيمِينَ﴾ [الواقعة: ٧١-٧٣].

أي: جعلنا نار الدنيا تُذكر بنار الآخرة، مع أن نار الدنيا جزء من سبعين جزءاً من نار الآخرة، ففي الصحيحين^(١) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «نَارُكُمْ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ» قيل: يا رسول الله، إن كانت لكافية؟! قال: «فُضِّلَتْ عَلَيْهِنَ بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا».

وهذا الحر الشديد الذي نجده في الدنيا إنما هو من حر جهنم، ومن فيج جهنم، ففي الصحيح^(٢) من حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال النبي ﷺ: «أَبْرِدُوا بِالصَّلَاةِ فَإِنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ مِنْ فِيجِ جَهَنَّمَ».

في الصحيح^(٣) كذلك من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «اشْتَكَّتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا فَقَالَتْ: رَبِّ أَكُلْ بَعْضِي بَعْضًا، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفْسَيْنِ: نَفْسٍ فِي الشِّتَاءِ وَنَفْسٍ فِي الصَّيْفِ، فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الرَّمْهِيرِ».

(١) البخاري (٣٢٦٥)، ومسلم (٢٨٤٣).

(٢) البخاري (٣٢٥٩) وله عدة طرق عن النبي ﷺ، ومسلم (حديث ٦١٥).

(٣) البخاري (٣٢٦٠)، ومسلم (٦١٧).

وكذا الحمى التي يُصاب بها الناس في الدنيا، فإنها من فيح جهنم: فقد ورد من عدة طرق^(١) عن النبي ﷺ أنه قال: «الْحُمَى مِنْ فَيحِ جَهَنَّمَ، فَأَبْرِدُوهَا بِالمَاءِ».

وأهل النار يرون مقاعدهم فيها قبل دخولها

ففي الصحيحين^(٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ. إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ. يُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وفي الصحيحين^(٣) من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال النبي ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ» قال: «يَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيَقْعِدَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ» قال: «فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ» قال: «فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ. قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ» قال النبي ﷺ: «فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا».

وأخرج ابن ماجه^(٤) بسند حسن عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْمَيِّتَ يَصِيرُ إِلَى الْقَبْرِ، فَيَجْلِسُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فِي قَبْرِهِ غَيْرَ فَرِحٍ وَلَا مَشْعُوفٍ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: فِيمَ كُنْتَ؟ فَيَقُولُ: كُنْتُ فِي الْإِسْلَامِ. فَيُقَالُ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَصَدَقْنَا. فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ رَأَيْتَ اللَّهَ؟ فَيَقُولُ: مَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَرَى اللَّهَ. فَيُفْرَجُ لَهُ فَرَجَةٌ قَبْلَ النَّارِ، فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا يَحِطُّ بِعَظْمٍ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَا وَقَاكَ اللَّهُ. ثُمَّ يُفْرَجُ لَهُ قَبْلُ الْجَنَّةِ، فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِهَا وَمَا فِيهَا، فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ. وَيُقَالُ: عَلَى الْيَقِينِ كُنْتَ، وَعَلَيْهِ مِتَّ، وَعَلَيْهِ

(١) انظر البخاري (٣٢٦١-٣٢٦٢-٣٢٦٣-٣٢٦٤)، ومسلم (٢٢٠٩).

(٢) البخاري (١٣٧٩)، ومسلم (٢٨٦٦).

(٣) البخاري (حديث ٢٨٧٠)، ومسلم (١٣٧٤).

(٤) ابن ماجه (١٤٢٦/٢).

تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. وَيَجْلِسُ الرَّجُلُ السُّوءُ فِي قَبْرِهِ فَرِجًا مَشْعُوفًا، فَيُقَالُ لَهُ: فِيمَ كُنْتَ؟ فيقول: لا أدري. فيقال: ما هذا الرجل؟ فيقول: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ قَوْلًا فَقُلْتُه. فَيُفْرَجُ لَهُ قَبْلُ الْجَنَّةِ، فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِهَا وَمَا فِيهَا، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَا صَرَفَهُ اللَّهُ عَنْكَ. ثُمَّ يُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قَبْلَ النَّارِ، فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا يَحْطُمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ، عَلَى الشُّكِّ كُنْتَ، وَعَلَيْهِ مِتَّ، وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

وأخرج الإمام أحمد^(١) في مسنده من حديث البراء بن عازب - رضي الله عنهما - قال: خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة... فذكر الحديث وقال: «وإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ مَعَهُمُ الْمُسُوحُ، فَيُجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ، أَخْرِجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَغَضَبٍ» قال: «فَتَفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ، فَيَنْتَرِعُهَا كَمَا يُنْتَرَعُ السَّفُودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرَفَةً عَيْنٍ، حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنَّ رِيحَ جَيْفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَضَعُدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَاٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، بِأَفْجَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ، فَلَا يُفْتَحُ لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْبِغَ الْجَمَلُ فِي سَمَرِ الْخَيْطِ﴾ [الأعراف: ٤٠] فَيَقُولُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ -: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سَجِّينَ، فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرَحًا، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنْ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١] فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ، لا أدري، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ، لا أدري، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لا أدري فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ كَذَبَ، فَأَفْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا،

وَيُصَيِّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ أَضْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ، قَبِيحُ الثِّيَابِ، مُنْتِنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ أَبَشِّرْ بِالَّذِي يَسْوُوكُ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهَكَ الْوَجْهُ يُجِيءُ بِالشَّرِّ؟ فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ. فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ.

وفي النار منازل ومقاعد فلكل منزل في النار ولكن!!

وأخرج الإمام ابن ماجه^(١) بسند صحيح عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا لَهُ مَنْزِلَانِ: مَنْزِلٌ فِي الْجَنَّةِ، وَمَنْزِلٌ فِي النَّارِ، فَإِذَا مَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ وَرِثَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنْزِلَهُ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ هُمْ الْوَارِثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠]». وفي صحيح مسلم^(٢) من حديث أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ دَفَعَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - إِلَى كُلِّ مُسْلِمٍ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا، فَيَقُولُ: هَذَا فِكَائِكَ مِنَ النَّارِ».

وهذا بعض العلم عن جهنم أيضاً

إنها تتكلم!!، إنها تنغيظ على أهلها!!

إنها تتوعد!!

يُسْمَعُ لَهَا شَهِيقٌ!! يُسْمَعُ لَهَا زَفِيرٌ!!

لقد قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتَ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿إِذَا رَأَوْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْطًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان: ١٢].

وقال تعالى: ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ﴾ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ ﴿

[الملك: ٨، ٧].

وقال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَأَطَىٰ ﴿١﴾ نَزَاعَةٌ لِّلشَّوٰى ﴿٢﴾ تَدْعُوا مِنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ﴿٣﴾

[المعارج: ١٥-١٧].

(١) ابن ماجه (٢/ ١٤٥٣).

(٢) مسلم (٢٧٦٧).

أما عن أهلها

فلقد أعدت للكافرين: قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١]. وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

أعدت للمكذبين بالآيات: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِفَاتِنَتَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٩].

أعدت للمرتدين عن دينهم أيضاً: قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ - فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧].

يدخلها أيضاً كفره الجن: فقد قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٩]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩]. وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَنْمَعَشَرُ الْجِنُّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوًى لَكُمْ...﴾ [الأنعام: ١٢٨].

بعث النار

في الصحيحين^(١) من حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ -: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدُكَ! والخيرُ في يَدِكَ! قال: يَقُولُ: أَخْرِجْ بَعَثَ النَّارِ^(٢). قَالَ: وَمَا بَعَثَ النَّارُ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعِمِائَةٍ وَتِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ. قَالَ فَذَلِكَ حِينَ يَشِيبُ الصَّغِيرُ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ» قال: فاشتدَّ ذلك عليهم. قالوا: يا رسول الله، أينا ذلك الرَّجُلُ؟ فقال: «أَبْشُرُوا، فَإِنَّ مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا، وَمِنْكُمْ رَجُلٌ».

(١) البخاري (١٣٨، ١٦٩)، ومسلم (٢٢٢).

(٢) أي المبعوثين الموجهين إلى النار، وقوله: «أَخْرِجْ بَعَثَ النَّارَ» أي: ميز أهل النار عن غيرهم.

ومن أهل النار ، بل ومن أشدهم عذاباً فرعون وآله ، قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٦].

منهم هامان وقارون ، ومنهم أبو لهب وامراته ، وعافر ناقة نبي الله صالح - عليه السلام - ، وأبو جهل ، وعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة ، وأبي بن خلف ، وأمّية بن خلف ، ورأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول .
وغير هؤلاء من أئمة الكفر والضلال .

والنساء أكثر أهل النار : ففي الصحيح ^(١) من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - عن رسول الله ﷺ أنه قال : « يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ ، وَأَكْثِرْنَ مِنَ الْاسْتِغْفَارِ ؛ فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ ... » الحديث .

وهؤلاء أيضاً قوم رآهم النبي ﷺ في النار

أخرج مسلم ^(٢) في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله قال : كَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي يَوْمٍ شَدِيدِ الْحَرِّ ، فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَصْحَابِهِ ، فَأَطَالَ الْقِيَامَ ، حَتَّى جَعَلُوا يَخْرُون . ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ . ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ . ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ . ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ . ثُمَّ سَجَدَ سَجْدَتَيْنِ ، ثُمَّ قَامَ فَصَنَعَ نَحْوًا مِنْ ذَلِكَ . فَكَانَتْ أَرْبَعُ رَكَعَاتٍ وَأَرْبَعُ سَجَدَاتٍ ، ثُمَّ قَالَ : « إِنَّهُ عُرِضَ عَلَيَّ كُلُّ شَيْءٍ تُوجُوهُهُ . فَعُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ حَتَّى لَوْ تَنَاوَلْتُ مِنْهَا قِطْفًا أَحَدْتُهُ » ^(٣) (أَوْ قَالَ : تَنَاوَلْتُ مِنْهَا قِطْفًا) فَقَصُرَتْ يَدَيَّ عَنْهُ . وَعُرِضَتْ عَلَيَّ النَّارُ . فَرَأَيْتُ فِيهَا امْرَأَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ تُعَذِّبُ فِي هَرَّةٍ لَهَا ^(٤) . رَبَطَتْهَا فَلَمْ تُطْعَمْهَا . وَلَمْ تَدْعُهَا تَأْكُلْ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ ^(٥) . وَرَأَيْتُ أَبَا ثُمَامَةَ عَمْرَو بْنَ مَالِكٍ يُجِرُّ قُصْبَهُ ^(٦) فِي

(١) مسلم (حديث ٧٩).

(٢) مسلم (حديث ٩٠٤).

(٣) (لو تناولت منها قطعاً لأخذته) : معنى تناولت ، مددت يدي لأخذه ، والقطف العنقود ، وهو فعل بمعنى مفعول . كالذبح بمعنى المذبح .

(٤) (في هرة لها) أي : بسبب هرة لها .

(٥) (خشاش الأرض) هي هوامها وحشراتنا ، وقيل : صغار الطير ، وحكى القاضي فتح الخاء وكسرهما وضمها ، والفتح هو المشهور .

(٦) (يجر قصبه) القصب هي الأمعاء .

النَّارِ. وَإِنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ: إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَخْسِفَانِ إِلَّا لِمَوْتٍ عَظِيمٍ. وَإِنَّهُمَا آيَاتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ يُرِيكُمُوهَا فَإِذَا خَسَفَا فَصَلُّوا حَتَّى يَنْجَلِيَ».

وفي رواية لمسلم: «مَا مِنْ شَيْءٍ تُوعَدُونَهُ إِلَّا قَدْ رَأَيْتُهُ فِي صَلَاتِي هَذِهِ. لَقَدْ جِئْتُ بِالنَّارِ. وَذَلِكُمْ حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَأَخَّرْتُ خِشَاءً أَنْ يُصِيبَنِي مِنْ لَفْحِهَا. وَحَتَّى رَأَيْتُ فِيهَا صَاحِبَ الْمُحْجَنِ يَجْرُ قُضْبُهُ فِي النَّارِ. كَانَ يَسْرِقُ الْحَاجَّ بِمُحْجَنِهِ^(١) فَإِنْ فُطِنَ لَهُ قَالَ: إِنَّمَا تَعَلَّقَ بِمُحْجَنِي، وَإِنْ غُفِلَ عَنْهُ ذَهَبَ بِهِ. وَحَتَّى رَأَيْتُ فِيهَا صَاحِبَةَ الْهَرَّةِ الَّتِي رَبَطْنَهَا فَلَمْ تُطْعَمْهَا. وَلَمْ تَدْعُهَا تَأْكُلْ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ. حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا، ثُمَّ جِئْتُ بِالْجَنَّةِ، وَذَلِكُمْ حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَقْدَمْتُ حَتَّى قُمْتُ فِي مَقَامِي. وَلَقَدْ مَدَدْتُ يَدِي وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَتَنَاوَلَ مِنْ ثَمَرِهَا لِنَنْظُرُوا إِلَيْهِ. ثُمَّ بَدَأَ لِي أَنْ لَا أَفْعَلَ، فَمَا مِنْ شَيْءٍ تُوعَدُونَهُ إِلَّا قَدْ رَأَيْتُهُ فِي صَلَاتِي هَذِهِ».

وهذا رجلٌ حرمت عليه الجنة

أخرج مسلم^(٢) من طريق جندب عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِنَّ رَجُلًا مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ خَرَجَتْ بِهِ قَرْحَةٌ^(٣)، فَلَمَّا آذَنُوهُ انْتَزَعَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ^(٤)، فَنَكَأَهَا^(٥)، فَلَمْ يِرْقَأَ الدَّمُ^(٦) حَتَّى مَاتَ. قَالَ رَبُّكُمْ: قَدْ حَرَمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ» ثم مدَّ يده إلى المسجد فقال: إِي وَ اللَّهِ لَقَدْ حَدَّثَنِي هَذَا الْحَدِيثُ جُنْدَبٌ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ..

يدخلها أيضًا مرتكبو الكبائر الذين لم تغفر لهم كبائرهم، ولكنهم إذا كانوا من أهل التوحيد فإنهم يخرجون بعد ذلك منها

فالقِتلة، قال الله فيهم: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾^(٧) [النساء: ٩٣].

(١) المحجن: عصا معقوفة الطرف.

(٢) مسلم (حديث ١١٣).

(٣) خَرَجَتْ بِهِ قَرْحَةٌ: القرحة واحدة القروح، وهي حبات تخرج في بدن الإنسان.

(٤) كِنَانَتِهِ: الكنانة هي جعبة الشباب. سميت كنانة لأنها تكن السهام أي تسترها.

(٥) فَنَكَأَهَا: أي قشرها وخرقها وفتحها.

(٦) (لم يِرْقَأَ الدَّمُ): أي لم ينقطع، يقال: رِقَأَ الدَّمُ والدمع يِرْقَأُ رِقْوًا، مثل ركع يركع ركوعًا، إذا سكن وانقطع.

(٧) وهذا في المستحل (أعني الخلود للمستحل) أما مجرد القتل فلقد قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ.

وأكلة الربا^(١) كذلك إذا لم يغفر الله لهم، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٠، ١٣١].

وكذلك الزناة والزواني والظلمة وأكلة أموال الناس بالباطل، والطاعنون في الأعراس، والفلسون عموماً الذين أخذت حسناتهم لغيرهم فلم تبق لهم حسنات، ثم قذفوا في النار، وكذلك الذين أخذ من سيئات غيرهم فطرحوا عليهم ثم طرحوا في النار. يدخلها أيضاً تاركو الصلاة وتاركو الزكاة، والمطففون، وآكلو أموال الناس بالباطل، والكذبة على الله وعلى رسوله ﷺ، والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا، ومن حلف يميناً فاجرة عند منبر رسول الله ﷺ، ومن جر ثوبه خيلاء، والمتألي على الله^(٢). إلى غير هؤلاء ممن ذكرهم الله ورسوله أنهم من أهل النار، أو يدخلونها.

ولقد أوشرت النار بالمتكبرين والمتجبرين

أخرج البخاري ومسلم^(٣) في صحيحيهما من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ. فَقَالَتِ النَّارُ: أُوشِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ، وَالتَّجَبَّرِينَ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: فَمَا لِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ وَغَرَّتُهُمْ. قَالَ اللَّهُ لِلْجَنَّةِ: إِنَّمَا أَنْتِ رَحْمَتِي، أَرْحَمُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي، أُعَذِّبُ بِكَ مَنْ

وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ».

- (١) وأكل الربا لا يخلد في النار إذا كان من أهل التوحيد.
- (٢) أما المتألي على الله فيتضح بما أخرجه أبو داود (٢٤٣/١٣) بسند حسن عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كان رجلان في بني إسرائيل متواخيين، فكان أحدهما يذنب، والآخر مجتهد في العبادة، فكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب فيقول: أقصر. فوجده يوماً على ذنب فقال له: أقصر. فقال خلني وربي، أبعث علي رقيقاً؟ فقال: والله لا يغفر الله لك» أو «لا يدخلك الله الجنة. فقبض أرواحهما، فاجتمعا عند رب العالمين، فقال لهذا المجتهد: أكنت بي عالماً، أو كنت على ما في يدي قادراً؟ وقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي. وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار».
- قال أبو هريرة: والذي نفسي بيده، لتكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته.
- (٣) البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم في طرق حديث (٢٨٤٦).

أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي. وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مَلُؤُهَا. فَأَمَّا النَّارُ فَلَا تَمْتَلِي حَتَّى يَضَعَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رِجْلَهُ تَقُولُ: قَطُّ قَطُّ قَطُّ فَهَنَالِكَ تَمْتَلِي. وَيُزَوَّى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ. وَلَا يَظْلِمُ اللَّهُ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا. وَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللَّهَ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا.

وفي صحيح مسلم^(١) من حديث عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله ﷺ قال: «وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ: الضَّعِيفُ الَّذِي لَا زَبْرَ لَهُ، الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعًا لَا يَتَّبِعُونَ أَهْلًا وَلَا مَالًا وَالْحَائِنُ الَّذِي لَا يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ - وَإِنْ دَقَّ - إِلَّا خَانَهُ. وَرَجُلٌ لَا يُصْبِحُ وَلَا يُمَسِي إِلَّا وَهُوَ يُجَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ» وَذَكَرَ الْبُخْلُ أَوْ الْكَذِبُ «وَالشَّنْظِيرُ الْفَحَّاشُ».

وفي صحيح مسلم^(٢) من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا. قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ. وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَّاتٌ تُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ. رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَخْرُجُنَّ رِجْلَهَا. وَإِنْ رِيحَهَا لِيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةٍ كَذَا وَكَذَا».

وفي الصحيحين^(٣) من حديث حارثة بن وهب الخزاعي قال: سمعتُ النبي ﷺ يقول: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ^(٤) مُتَضَعِّفٍ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرِهِ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ عَتَلٍ^(٥) جَوَاطٍ^(٦) مُسْتَكْبِرٍ».

وينبغي التفطن إلى أمرٍ ألا وهو أن عصاة الموحدين سيخرجون من النار، وذلك لقول الله - عز وجل - في الحديث القدسي: «أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ زَرَّةَ...» الحديث.

(١) مسلم (٢٨٦٥).

(٢) مسلم (٢١٢٨).

(٣) البخاري (٤٩١٨) ومسلم (٢٨٥٣).

(٤) يَبْدُو - والله أعلم - أن المراد به المتواضع، وإلا فالنبي ﷺ يقول المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف.

(٥) العتل شديد الخصومة - المعرض عن الإيمان والخبر.

(٦) الجواط: كثير اللحم، الفاجر المختال.

الحشر إلى النار وبعض مشاهد

إن النار تتربص بأهلها وتنتظرهم، وتتوعدهم وتتغيظ عليهم ويؤتى بها تعرض، وقد قال تعالى: ﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بُعْثُهُمْ﴾ [الفجر: ٢٣].

وفي الحديث: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَحْرِقُونَهَا»^(١).

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۖ لِلطَّٰغِينَ مَقَابًا﴾ [النبا: ٢١، ٢٢].

وقال تعالى: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرَضًا﴾ [الكهف: ١٠٠].

وقال سبحانه: ﴿وَبُرِزَتِ الْجَنِّيمُ لِلْعَاوِينَ﴾ [الشعراء: ٩١].

وفي الحديث^(٢): «فَيَحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ كَأَنَّهُا سَرَابٌ يَخْطُمُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَيَسْأَقُطُونَ فِي النَّارِ...».

إن النار - عيادًا بالله منها - تأتي مستقبلة أهلها متغيظة عليهم تتذف الشرر العظيم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا تَرْمِي بِشَرِّ كَالْفَصْرِ ۖ كَأَنَّهُ جَمَلٌ صُفَرٌ﴾ [المرسلات: ٣٢، ٣٣] وهم الآخرون يدفعون إليها دفعًا شديدًا ويساقون إليها سوقًا عنيفًا فلا مفر، ولا محيص.

يدفعون إليها دفعًا شديدًا كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَا﴾ [الطور: ١٣] أي يدفعون إليها دفعًا شديدًا.

كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [فصلت: ١٩].

يساقون إليها وقد حملوا أحمالًا ثقيلة على ظهورهم، وهي تلك الذنوب التي عملوها في دنياهم، قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۖ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [الأنعام: ٣١].

وقال تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنْقَالًا ۖ مَعَ أَنْفَالِهِمْ ۖ وَلَيَسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [العنكبوت: ١٣].

(١) أخرجه مسلم (٢٨٤٢) وبه علة، فقد زعم قوم أنه موقوف.

(٢) صحيح: وسيأتي إن شاء الله.

وقال تعالى : ﴿وَقَدْ أَتَيْنَكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴿١٠١﴾ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٢﴾ خَلِيدٍ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا﴾ [طه: ٩٩-١٠١].

إنهم من ثقل هذا الحمل الذي على ظهورهم ينادون من يظنونه سيساعدهم في حمل شيء عنهم فلا يجيب، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جَمِلِهَا لَا يَحْمِلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [فاطر: ١٨].

إن الأب ينادي ولده كي يحمل عنه شيئاً من وزره ولكن لا يجيب.
وكذا الولد ينادي والده، والأم تنادي ولدها، والبنت تناشد أباهما أن يحمل عنها شيئاً من هذا الوزر، ولكن لا يجيب، فكلٌّ مُشغَلٌ بها هو فيه.

إن أهل النار يُساقون إليها عَمِيًّا وَبِكَمًّا وَصَمًّا، كما قال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عَمِيًَّا وَنُكْمًا وَصَمًّا فَأُولَٰئِهِمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧].

إنهم يساقون إليها عطاشاً كما قال تعالى: ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِثًا﴾ [مریم: ٨٦].

إنهم يُسحبون إليها سحباً كما قال تعالى: ﴿إِذِ الْأَغْلُلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ [غافر: ٧١].

بل ويسحبون على وجوههم، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ نَحْشُرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٤].

إنهم يصنفون كل صنف مع قرنائه ونظرائه وأمثاله، كل صنف وفريق يتقدمه إمامه في الضلال، قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ [الزمر: ٧١].

وقال تعالى في شأن فرعون: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَيَنْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ [هود: ٩٨].

(١) في الصحيحين [البخاري (٤٧٦)، ومسلم (٢٨٠٦)] من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن رجلاً قال: يا رسول الله، كيف يُحْشَرُ الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: «أليس الذي أُنْشِأَ عَلَىٰ رِجْلَيْهِ فِي الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَىٰ أَنْ يُنْشِئَهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟!!» قال قتادة: بلى وعزة ربنا.

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِتَتَّبِعْ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، فَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ...» الحديث^(١).

إنهم يحضرون حول النار جثاة على الركب، كما قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًا﴾ [مريم: ٦٨].

ويبدأ بكبيرهم وإمامهم في الضلال فيلقى في النار، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًا﴾ [مريم: ٦٩].

وهؤلاء أول الناس يقضى عليهم يوم القيامة

وقد قيل: إنهم أول من تسعربهم النار

أخرج مسلم^(٢) في صحيحه من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ، رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ فَأَيُّ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا. قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ. قَالَ: كَذَبْتَ. وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ. فَأَيُّ بِهِ. فَعَرَفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا. قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ. فَأَيُّ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا. قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ. قَالَ: كَذَبْتَ. وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ. فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ. ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ».

وأهل النار يلقون فيها أفواجاً بعد أئمتهم في الضلال قال تعالى: ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ

(١) صحيح: وسيأتي إن شاء الله.

(٢) مسلم (١٩٠٥).

فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ [الملك: ٨]، وقال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف: ٣٨].

وانظر إلى طريقة الإلقاء

قال تعالى: ﴿يُعْرِفُ الْمَجْرِمُونَ بِسَمِهِمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن: ٤١].

وقال تعالى: ﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ [الدخان: ٤٧].

وقال تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٦﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة: ٣٠-٣٢].

وقال تعالى: ﴿كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ [العلق: ١٥].

وهناك يُستقبلوا بأسوأ استقبال:

قال تعالى: ﴿هَذَا وَابٌّ لِّلطَّغْيَيْنِ لَشَرٌّ مَّقَابٍ ﴿١٠﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَنَسَّ آلِهَاتُ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿١١﴾ وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴿١٢﴾ هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ ﴿١٣﴾ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴿١٤﴾ قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ أَنْتُمْ قَدْ مَتَمُّوهُ لَنَا فَنَسَّ الْقَرَارُ ﴿١٥﴾ [ص: ٥٥-٦٠]. وقوله: ﴿لَشَرٌّ مَّقَابٍ﴾ إلى شر مرجع يرجعون إليه يوم القيامة، وشر مزد يُردون إليه. وقوله تعالى: ﴿حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ الحميم الذي بلغ أعلى درجات الغليان، والغساق البارد أشد البرودة، فيتناولون هذا بعد ذاك، فتخيل ماذا يحدث لأسنانهم وأفواههم إذا تناولوا البارد بعد الحار. وقوله تعالى: ﴿وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ﴾ أي: وصور آخر من صور العذاب على هذه الشاكلة.

أما قوله تعالى: ﴿هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ..﴾ فأحاول تقريب المعنى بما يحدث في الدنيا بما حاصله أن الشخص في الدنيا قد يتلى بسجن ضيقٍ مظلّم وهو فيه يكاد أن يختنق فينتظر من يفتح الباب كي يتنفسوا أو يخرجوا أو يخرج بعضهم ليخفف على الآخرين فإذا بالباب يفتح، وإذا بقوم آخرين يدخلون عليهم يزيدونهم ضيقاً إلى ما هم فيه من الضيق، وبلاءً إلى ما هم فيه من بلاء، فيقال لهم: هذا فوج مقتحم معكم، فيردون قائلين: ﴿لَا مَرْحَبًا بِهِمْ﴾ فالسجناء الجدد ينتظرون مواساة من سبقهم، فإذا

بمن سبقهم يدعو عليهم وكما قال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتُ أُحْتَبَا﴾ [الأعراف: ٣٨] فيرد الداخلون الجدد على من سبقوهم إلى النار بقولهم: ﴿بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدْ مَتَمُّوهُ لَنَا فَيُنْسَ الْقُرَآءُ﴾. أي أنتم الذين تسببتم لنا في هذا العذاب، وفي هذا النكد فبئس المستقر تستقرون فيه.

فهناك يدعو الجميع على من كان السبب، فيقولون ﴿رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرِّدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾ [ص: ٦١]. نعوذ بالله من النار، ونعوذ بالله من غضبه وعقابه.

ضيافة أهل النار

إن ضيافتهم في جهنم مباشرة، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٢].

ضيافتهم الأكل من شجرة الزقوم، ثم شرب الحميم بعده.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمَكْذِبُونَ ﴿١﴾ لَا كُؤُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ ﴿٢﴾ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٣﴾ فَشَرِبُوا عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٤﴾ فَشَرِبُوا شَرْبَ أَلْهِيمٍ ﴿٥﴾ هَذَا نُزْلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الواقعة: ٥١-٥٦].

أما عن أوصاف أهل النار فهي بعض أوصافهم:

أما عن وجوه أهل النار:

فوجوه سوداء مظلمة علاها الغبار، وأرهقها الذل، ملأتها البُسور والتجاعيد.

لقد قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر: ٦٠].

وقال - سبحانه -: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

وقال - عز وجل -: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿١﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٢﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ [عبس: ٤٠-٤٢].

وقال تعالى: ﴿وَتَرَاهُمْ ذُلًّا مَّا هُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا﴾ [يونس: ٢٧].

وقال - عز وجل -: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٥﴾ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٤، ٢٥].
وقال تعالى: ﴿وَتَرْنَهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعَاتٍ مِنَ الدُّلَىٰ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيفٍ﴾ [الشورى: ٤٥].

إنها وجوه قد علاها الدُّل، وأبصارٌ قد خشعت وذلت:

قال تعالى: ﴿خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ [القلم: ٤٣].

وقال سبحانه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَشِيعَةٌ ﴿٢٦﴾ غَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٢٧﴾ تَصَلَّىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾ [الغاشية: ٢٢-٤].

إنها وجوه قد علاها الحزى وغشيها السوء:

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الملك: ٢٧].

فهكذا الوجوه.

أما الأعين فزرقاء قال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه: ١٠٢] أي: زرق العيون، وكأنها عيون لا ترى، فهم لا يرون إلا ما يسوءهم. قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤]. وقال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمًى وَنُكْمًا وَصُغًا﴾ [الإسراء: ٩٧].

فهذه الصفات المتقدمة صفات الوجوه والأعين.

وأما ما يحل بها من العذاب فاقراً هذه الآيات

﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾

[الأحزاب: ٦٦].

وكذا قوله تعالى: ﴿سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطَرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهُهُمُ النَّارُ﴾ [إبراهيم: ٥٠].

وكذا قوله - جل ذكره - : ﴿تَلْفَحُ وُجُوهُهُمْ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾

[المؤمنون: ١٠٤]. وكذا قوله تعالى: ﴿فَكَبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ [النمل: ٩٠].

فهكذا يُصنع بتلك الوجوه.

إن العبد في الدنيا إذا قاتله آخر فإنه يحرص على دفع العذاب والضربات عن

وجهه، فكيف به يوم القيامة وهو يستقبل العذاب أسوأ العذاب.

قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَتَّقِ بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [الزمر: ٢٤]. وقال سبحانه: ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُرُونَ عَنْ وُجُوهِِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٩].
فهكذا يصنع بالوجه.

وكذلك الأنوف التي أبت أن تسجد لخالقها وباريها، توسم بمياسم من نار
قال تعالى: ﴿سَنَسْنِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ [القلم: ١٦].

وعموم مكارم الوجوه تُهان وتزل، فقد قال سبحانه عن سقر أنها: ﴿لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٩].

وقد قيل في تفسير قوله تعالى: ﴿لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ﴾ أنها تلفح الجلد فتدعه أسود
كالليل البهيم، وقال تعالى: ﴿تَرَاغَاةً لِلشَّوَى﴾ [المعارج: ١٦].

أما عن الرقاب والأعناق:

ففيها الأغلال، قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ﴾ [يس: ٨].

فالطوق الذي في العنق طوق كبير بلغ الذقن، فلم يعد الشخص يستطيع أن ينزل
ذقنه إلى أسفل، فدوماً بصره شاخص إلى أعلى، وذلك بسبب الغل الذي وُضع في
رقبته.

ولقد قال تعالى في شأن امرأة أبي لهب: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ [المسد: ٥] أي
في عنقها حبل من نار قد طُوِّقَتْ به.

ولقد قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾
[الرعد: ٥].

إن أمعاء أهل النار تتقطع، بل وبطن الكثير منهم تنفجر:

قال تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ﴾ [محمد: ١٥].

وعند البخاري^(١) من حديث أسامة بن زيد - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: أَيُّ فُلَانٍ مَا سَأَلْنَاكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ: كُنْتُ أَمُرُّكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَاكُمُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ».

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «رَأَيْتُ عَمْرُو بْنَ لُحْيٍ بْنَ قَمْعَةَ بْنَ خِنْدَفٍ أَبَا بَنِي كَعْبٍ هَوْلَاءٍ يَجُرُّ قُضْبَهُ فِي النَّارِ».

وفي رواية: «رَأَيْتُ عَمْرُو بْنَ عَامِرِ الْخَزَاعِيِّ يَجُرُّ قُضْبَهُ فِي النَّارِ وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّيُوبَ» وفي رواية السوائب^(٢).

وفي الصحيح من حديث^(٣) أبي هريرة - رضي الله عنه -، عن النبي ﷺ قال: «يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ أَزَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَعَلَى وَجْهِهِ أَزَرٌ قَرَّةٌ وَغَبَرَةٌ، فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لَا تَعْصِنِي؟ فَيَقُولُ أَبُوهُ: فَالْيَوْمَ لَا أَغْصِيكَ. فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: يَا رَبِّ إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ، فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَى مِنْ أَبِي الْأَبْعَدُ؟ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: إِنِّي حَرَمْتُ الْجَنَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا إِبْرَاهِيمُ مَا تَحْتَ رِجْلَيْكَ؟ فَيَنْظُرُ فَإِذَا هُوَ بِدِيخٍ مُلْتَطَخٍ، فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ، فَيُلْقَى فِي النَّارِ».

وهذا مزيد من أوصاف أهل النار

أخرج مسلم^(٤) في صحيحه من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ضَرَسُ الْكَافِرِ، أَوْ نَابُ الْكَافِرِ مِثْلُ أُحُدٍ، وَغِلْظُ جِلْدِهِ مَسِيرَةُ ثَلَاثٍ»^(٥).

أخرج الإمام الترمذي^(٦) بسند صحيح عن أبي هريرة - رضي الله عنه -، عن النبي

(١) البخاري (٣٢٦٧).

(٢) مسلم (٢٨٥٦)، والبخاري (٣٥٢١).

(٣) البخاري (٣٣٥٠).

(٤) مسلم (٢٨٥١).

(٥) قال بعض العلماء: وذلك حتى تنزل عليه صنوف العذاب ويزداد له في النكال.

(٦) الترمذي (مع التحفة ٣٠١/٧).

عَلَيْهِ قَالَ: «إِنَّ غِلَظَ جِلْدِ الْكَافِرِ اثْنَانِ وَأَرْبَعُونَ ذِرَاعًا، وَإِنَّ ضَرْسَهُ مِثْلُ أَحَدٍ، وَإِنَّ مَجْلِسَهُ مِنْ جَهَنَّمَ مَا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ».

وفي الصحيحين^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه - يرفعه - قال: «مَا بَيْنَ مَنْكَبِي الْكَافِرِ فِي النَّارِ مَسِيرَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ لِلرَّاكِبِ الْمُسْرِعِ».

أما طعام أهل النار فممنه ما يلي:

الضريع: قال تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ^(٢)﴾ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴿[الغاشية: ٦٠، ٧].

الغسلين: وهو صديد أهل النار، كذا قال بعض العلماء، قال تعالى: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينَ﴾ [الحاقة: ٣٦].

شجر الزقوم: قال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُومِ^(٣) طَعَامُ الْأَثِيمِ^(٤) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ^(٥)﴾ [الدخان: ٤٣-٤٥].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الْأَصَّالُونَ الْمَكْذُبُونَ^(٦) لَا كِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ^(٧) فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ^(٨) فَشَرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ^(٩) فَشَرِبُوا شَرِبَ أَهْلِيمٍ^(١٠)﴾ [الواقعة: ٥١-٥٥].

وقد وصف الله سبحانه وتعالى هذه الشجرة بقوله: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ [الصافات: ٦٥].

إن من طعام أهل النار طعامٌ يَنْشَبُ بالحلق، يتعلق بها فلا يدخل إلى الجوف، ولا يخرج خارج الفم، قال تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَحِمِيمًا^(١١) وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ [المزمل: ١٢، ١٣].

أما شراهم:

فالماء المغلي الذي قد بلغ أعلى درجات الغليان، قال تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ^(١٢)﴾ [حمد: ١٥].

(١) البخاري (٦٥٥١)، ومسلم (٢٨٥٢).

(٢) أي أنهم في وقت من الأوقات طعامهم طعام واحد لا يتغير، وهو الضريع الذي لا يسمن ولا يغني من جوع، وفي أوقات آخر يشربون على طعام واحد آخر وهو الغسلين الذي لا يأكله إلا الخاطئون.

وقال تعالى: ﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾
 [الأنعام: ٧٠]. وقال تعالى: ﴿وَيُسْقَىٰ مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ ۖ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِغُهُ﴾
 [إبراهيم: ١٦، ١٧]. وقال تعالى: ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ عَاطِيَةٍ﴾ [الغاشية: ٥]. أي: من عين حارة
 شديدة الحرارة، قد بلغت أعلى درجات غليانها.

ثم إن هذا الماء الذي يشربونه من شدة حرارته يخرج منه بخار، هذا البخار
 يشوي الوجوه قبل أن يصل الماء إلى الشفاه.

قال تعالى: ﴿وَأَن يَسْتَفِغُوا يَغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ
 وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩].

أما عن طريقة شربهم: فإنهم يشربون بكثرة وشراسة، قال تعالى: ﴿فَشَرِبُوا
 شَرْبَ أَهْلِيمٍ﴾ [الواقعة: ٥٥] أي: شرب كما تشرب الإبل العطاش الظماء، المصابة أيضًا
 بمرض يجعلها تشرب ولا تروى فتشرب وتشرب وقيل كما يوضع الماء في الرمال، فإن
 الرمال تمتصه ولا يثبت عليها، بل تبتلع وتبتلع.

فإن قال قائل: ولماذا يُقدمون على هذا الشراب مع كونه يقطع الأمعاء ويشوي
 بخاره الوجوه؟

فجواب ذلك أن ما يدور في بطونهم من الألم وما يعتصرها من سيئ الطعام
 يدفعهم إلى هذا الشراب ظانين أنه يغني عنهم شيئًا.

ثم إنهم بعد هذا الشراب الحار الشديد الحرارة يشربون شرابًا باردًا
 شديد البرودة، قال تعالى: ﴿هَذَا فَلْيَذُقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ ۖ وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ﴾
 [ص: ٥٨، ٥٧].

فالشخص في دنيانا إذا شرب كوبًا من الشاي الساخن، ثم أعقبه بكوب من الماء البارد
 تكاد أسنانه أن تتساقط ولسانه أن يحترق، فما ظنك بعذاب الآخرة: حميم وعساق!!

أما عن ثياب أهل النار: فثيابهم من نار، قال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ
 ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ...﴾ [الحج: ١٩].

وقال تعالى: ﴿سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطَرَانٍ ^(١) وَتَعَشَىٰ وُجُوهُهُمْ النَّارُ﴾ [إبراهيم: ١٤].

وقال النبي ﷺ: «وَالنَّارُ حَسَّةٌ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطَرَانٍ وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ» ^(٢).

أما عن غسل أهل النار:

قال تعالى: ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ^(٣) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ^(٤) وَهُمْ مَقْمِعٌ مِنْ حَدِيدٍ﴾ [الحج: ١٩-٢١].

أما عن فراش أهل النار:

ففراشهم من نارٍ وغطاؤهم من نار، قال تعالى: ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ^(٥) وَكَذَٰلِكَ نُجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤١].

وقال تعالى: ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ [الزمر: ١٦].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنَ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٥].

أما عن ظلهم الذي يستظلون به، فإنه ظلٌ من دخانٍ أسود شديد السواد، حار شديد الحرارة، فليس على الحقيقة بظل، بل نوع من أنواع العذاب هو الآخر، قال تعالى: ﴿أَنْطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ^(٦) أَنْطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ^(٧) لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ﴾ [المرسلات: ٢٩-٣١].

وقال تعالى: ﴿وِظْلٍ مِنْ مَحْمُومٍ ^(٨) لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ [الواقعة: ٤٣، ٤٤].

شدة الحصار الذي فيه أهل النار

إن أهل النار في حصار شديد، لا يستطيعون بحال الخروج منه، فإنهم أولاً مقيدون بقيود شديدة.

(١) القطران هو الزيت.

(٢) مسلم (حديث ٩٣٤).

قال تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ۖ وَلَا يُوثِقُ وِثْقَهُ أَحَدٌ﴾ [الفجر: ٢٥، ٢٦].

فوثاقهم شديد.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفرقان: ١٣]. وقال تعالى: ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ [إبراهيم: ٤٩]. وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَلْنَا وُسْعِيمًا﴾ [الإنسان: ٤]. ثم انظر إلى هذا القيد الغريب العجيب الفظيع المؤلم الشديد، قال تعالى: ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة: ٣٢].

ثم قال بعض أهل العلم: إن هذه السلسلة تدخل من أنوفهم فتخرج من أديبارهم.

ثم إن هذه النار على أهلها مغلقة، قال تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ﴾ [البلد: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ ۖ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ [الهمزة: ٨، ٩].

قال بعض العلماء في تفسير العمدة الممددة ما حاصله: إن أهل الكفر موضوعون في أعمدة محيطية بهم، كما تسقط شخصاً في عمود يحيط به من كل جانب.

وقال آخرون: إنهم في النار التي أغلقت أبوابها بعمد ممددة، كما كانوا يغلقون المحلات في الدنيا بأعمدة طويلة تأتي على الباب بكامله حتى لا ينفتح، مع الفارق بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة.

ومع ذلك كله فالنار قد أحاطت بهم من كل جانب، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٤٩، والعنكبوت: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩].

فنعوذ بالله من النار، ومن حرّ النار، ومن عذاب النار.

ومن صور العذاب

الكي بالنار: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي

سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٥﴾ يَوْمَ نُحْمِي عَلَيْهَا فِي نَارٍ جَهَنَّمَ فُتُكُوتُ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ لَا تَفْسِكُمْ فَدُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿[التوبة: ٣٤، ٣٥]

الحر الشديد جدًا، وكذا السموم:

قال تعالى: ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ٨١].

وقال أهل الإيمان: ﴿فَمَنْ أَلَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَيْنَا عَذَابُ السُّمُومِ﴾ [الطور: ٢٧].

ومن ذلك إرهاب أهل النار بالصعود:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجن: ١٧].

قال بعض العلماء: هذا جبل يكلف بصعوده، وقيل غير ذلك.

وقال الله تعالى: ﴿سَازِهَقُهُ صَعُودًا﴾ [المدثر: ١٧].

وفيها أيضًا الذلُّ، والخزي والمهانة:

قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص: ٤٧].

وقال أهل الإيمان: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾ [آل عمران: ١٩٢].

وكم من آية فيها وصف للعذاب بأنه مهين، وأليم وعظيم:

وقال تعالى في شأن بعض أهل النار: ﴿يُضَعَّفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلَدُ فِيهِ

مُهَانًا﴾ [الفرقان: ٦٩].

وقال أهل النار: ﴿رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا

لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ [فصلت: ٢٩].

ولقد تواعد الله قومًا بالويل، وتواعد أقوامًا بالغي، فكم من آية فيها (ويل)...

(للمطففين - لكل همزة لمرة - يومئذ للمكذبين).

وقال تعالى: ﴿خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ

يَلْقَوْنَ عَذَابًا﴾ [مريم: ٥٩].

وقد قيل في الويل: إنها توعّد بالعذاب الشديد، وقيل: إنه وادٍ في جهنم يسيل إليه صديد أهل النار.

إن أهل النار يهملون فيها ويُنسون فيها:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء: ٣٩].

وقال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نَنسِفُهُمْ كَمَا نَسْفَعُ لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [الأعراف: ٥١].

الشجاع الأقرع^(١) يوم القيامة

أخرج البخاري ومسلم^(٢) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ، مُثِّلَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعًا، لَهُ رَبِيبَتَانِ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِلَهْرَمَتَيْهِ - يَعْنِي: شِدْقَيْهِ - ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا مَالِكٌ، وَأَنَا كَنْزُكَ» ثُمَّ تَلَا: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْتَخُلُونَ...﴾ [آل عمران: ١٨٠].

وهؤلاء قوم لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم:

أخرج مسلم^(٣) في صحيحه من حديث أبي ذر - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ^(٤)، وَلَا يُزَكِّيهِمْ^(٥)، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ^(٦)» قال: فقرأها رسول الله ثلاث مرار. قال أبو ذر: خابوا وخسروا، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الْمُسْبِلُ^(٧)، وَالْمَنَانُ، وَالْمُنْتَقِ سِلْعَتُهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ».

(١) هو حية عظيمة ضخمة، تساقط شعر رأسها من شدة السم الذي بها.

(٢) البخاري (١٤٠٣)، ومسلم (٩٨٨).

(٣) مسلم (حديث ١٠٦).

(٤) ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم: معناه: الإعراض عنهم.

(٥) (ولا يزكيهم): لا يظهرهم من دنس ذنوبهم.

(٦) (ولهم عذاب أليم): أي: مؤلم. قال الواحدي: هو العذاب الذي يخلص إلى قلوبهم وجعه.

(٧) (المسبل): هو المرخي إزاره، الجارّ طرفه خيلاء.

وفي الصحيح^(١) من حديث أبي هريرة أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: رَجُلٌ عَلَى فَضْلِ مَاءٍ بِالْفَلَاءِ يَمْنَعُهُ مِنْ ابْنِ السَّبِيلِ، وَرَجُلٌ بَايَعَ رَجُلًا بِسِلْعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ فَحَلَفَ لَهُ بِاللَّهِ لَا أَخَذَهَا بِكَذَا وَكَذَا فَصَدَّقَهُ وَهُوَ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ. وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا لَا يُبَايِعُهُ إِلَّا لِدُنْيَا، فَإِنْ أَعْطَاهُ مِنْهَا وَفَى، وَإِنْ لَمْ يُعْطِهِ مِنْهَا لَمْ يَفِ».

ومن أهوال النار أيضًا

إنهم في النار مقمحون جعلت في رقابهم أغلالٌ كبيرة بلغت إلى الأذقان، فدومًا أبصارهم شاخصة إلى أعلى ورقابهم مشنئة.

إنهم جثاء على الركب، قال تعالى: ﴿وَنَذَرَ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًا﴾ [مريم: ٧٢].

وقبل ذلك فإنهم حضور حول النار، جثاء على الركب كما قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًا﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ﴿[مريم: ٦٨، ٦٩].

لهم فيها زفير وهم أيضًا شهيق، قال تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٠].

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ [هود: ١٠٦].

يسمع لهم الجوار والصياح:

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْتَرُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَجْتَرُوا أَيُّومَ ۖ إِنكُم مِّنَّا لَا تَنْصُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٤، ٦٥].

إنهم يُسحبون في النار على وجوههم يُقال لهم ذوقوا مس سقر!!

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٦٦﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ [القمر: ٤٧، ٤٨].

إنهم يطوفون بين جهنم وبين الحميم الآن (الماء الحار الشديد).

قال تعالى: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمَجْرُمُونَ ﴿٣٧﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانِ﴾ [الرحمن: ٤٣، ٤٤].

إن النار من شدتها تقذف بهم أحياناً إلى أعلى، فهناك يطرقون بمطراق من حديد تردهم مرة ثانية إلى قاع الحميم.

قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ مَقْمِعٌ مِّنْ حَدِيدٍ ﴿٣٨﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن تَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [الحج: ٢١، ٢٢].

وهذا أيضاً مشهد من المشاهد:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتُنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِقَايَتِ رَبِّنَا وَنَكُونَنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام: ٢٧].

أي: ولو ترى أهل النار وهم وقوف عليها لرأيت منظرًا عظيمًا وكرهًا شديدًا، وهو لا فظيعة، فكلهم يتمنى الرجوع إلى الدنيا، والإيمان بالله وتصديق آياته.

ولكن - ومع رؤيتهم النار وما فيها - ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا هُمْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨].

وهذا حديث عظيم في رؤيا رآها النبي ﷺ يبين صوراً من العذاب:

أخرج البخاري^(١) من حديث سمرة بن جندب - رضي الله عنه - قال: كان رسول الله ﷺ يعني مما يكثر أن يقول لأصحابه: «هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ رُؤْيَا؟» قَالَ: فَيَقْصُّ عَلَيْهِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقْصُ. وَإِنَّهُ قَالَ لَنَا ذَاتَ غَدَاةٍ: «إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ وَإِنَّهُمَا ابْتَعَنَانِي وَإِنَّهُمَا قَالَا لِي: انْطَلِقْ وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا، وَإِنَّا أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُّضْطَجِعٍ، وَإِذَا آخِرُ قَائِمٍ عَلَيْهِ بَصَخَرَةٌ، وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ فَيُلْغُ رَأْسُهُ فَيَتَدَهَّدُ الْحَجَرُ هَاهُنَا، فَيَتْبَعُ الْحَجَرَ فَيَأْخُذُهُ فَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ حَتَّى يَصْغَ رَأْسُهُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِهِ الْمَرَّةَ الْأُولَى». قَالَ: «قُلْتُ لَهُمَا: سُبْحَانَ اللَّهِ، مَا هَذَا؟» قَالَ:

«قَالَ لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا فَاتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ، وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِكُلُوبٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقَيَّ وَجْهِهِ فَيُشْرِشِرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمِنْخَرَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنَهُ إِلَى قَفَاهُ، قَالَ: رَبُّمَا قَالَ أَبُو رَجَاءٍ فَيَشُقُّ. قَالَ: ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالْجَانِبِ الْأَوَّلِ، فَمَا يَفْرُغُ مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ حَتَّى يَصَحَّ ذَلِكَ الْجَانِبُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةَ الْأُولَى». قَالَ: «قُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ! مَا هَذَا؟» قَالَ: «قَالَ لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا فَاتَيْنَا عَلَى مِثْلِ التَّنُورِ» قَالَ: وَأَحْسَبُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «فَإِذَا فِيهِ لَغَطٌ وَأَصْوَاتٌ». قَالَ: «فَانْطَلَعْنَا فِيهِ فَإِذَا فِيهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاءٌ، وَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ لَهَبٌ مِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ، فَإِذَا آتَاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ ضَوْضُوا». قَالَ: «قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَؤُلَاءِ؟» قَالَ: «قَالَ لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ». قَالَ: «فَانْطَلَقْنَا فَاتَيْنَا عَلَى نَهْرٍ حَسِبْتُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ أَحْمَرُ مِثْلَ الدَّمِ، وَإِذَا فِي النَّهْرِ رَجُلٌ سَابِغٌ يَسْبِغُ، وَإِذَا عَلَى شَطِ النَّهْرِ رَجُلٌ قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ حِجَارَةٌ كَثِيرَةٌ، وَإِذَا ذَلِكَ السَّابِغُ يَسْبِغُ مَا يَسْبِغُ، ثُمَّ يَأْتِي ذَلِكَ الَّذِي قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ الْحِجَارَةَ فَيَفْغَرُ لَهُ فَاهُ فَيُلْقِمُهُ حَجَرًا فَيَنْطَلِقُ يَسْبِغُ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ، كُلَّمَا رَجَعَ إِلَيْهِ فَغَرَّ لَهُ فَاهُ فَأَلْقَمَهُ حَجَرًا»، قَالَ: «قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَا؟» قَالَ: «قَالَ لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ». قَالَ: «فَانْطَلَقْنَا فَاتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ كَرِيهِ الْمَرْأَةِ كَأَكْرَهٍ مَا أَنْتَ رَأَيْتَ رَجُلًا مَرَأَةً، وَإِذَا عِنْدَهُ نَارٌ يُحْشِهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا». قَالَ: «قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَا؟» قَالَ: «قَالَ لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا فَاتَيْنَا عَلَى رَوْضَةٍ مُعْتَمَةٍ فِيهَا مِنْ كُلِّ لَوْنِ الرَّبِيعِ، وَإِذَا بَيْنَ ظَهْرِي الرَّوْضَةِ رَجُلٌ طَوِيلٌ لَا أَكَادُ أَرَى رَأْسَهُ طَوْلًا فِي السَّمَاءِ، وَإِذَا حَوْلَ الرَّجُلِ مِنْ أَكْثَرِ وَلَدَانٍ رَأَيْتُهُمْ قَطُ»، قَالَ: «قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَا؟ مَا هَؤُلَاءِ؟» قَالَ: «قَالَ لِي: انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا فَاَنْتَهَيْنَا إِلَى رَوْضَةٍ عَظِيمَةٍ لَمْ أَرِ رَوْضَةً قَطُ أَعْظَمُ مِنْهَا وَلَا أَحْسَنَ». قَالَ: «قَالَ لِي: اِرْقَ، فَارْتَقَيْتُ فِيهَا». قَالَ: «فَارْتَقَيْنَا فِيهَا فَاَنْتَهَيْنَا إِلَى مَدِينَةٍ مَبْنِيَّةٍ بِلَبْنٍ ذَهَبٍ وَلَبْنٍ فِضَّةٍ، فَاتَيْنَا بَابَ الْمَدِينَةِ فَاسْتَفْتَحْنَا فُتِّحَ لَنَا، فَدَخَلْنَاهَا فَتَلَقَّانَا فِيهَا رِجَالٌ، شَطَرٌ مِنْ خَلْقِهِمْ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَأَيْتَ وَشَطَرٌ كَأَفْجَحَ مَا أَنْتَ رَأَيْتَ»، قَالَ: «قَالَ لَهُمْ: اذْهَبُوا فَقَعُوا فِي ذَلِكَ النَّهْرِ»، قَالَ: «وَإِذَا نَهْرٌ مُعَرِّضٌ يَجْرِي كَأَنَّ مَاءَهُ الْمَخْضُ مِنَ الْبَيَاضِ، فَذَهَبُوا فَوَقَعُوا فِيهِ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَيْنَا قَدْ ذَهَبَ ذَلِكَ السُّوءُ عَنْهُمْ فَصَارُوا فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ». قَالَ: «قَالَ لِي: هَذِهِ جَنَّةُ عَدْنٍ وَهَذَاكَ مَنْزِلُكَ. قَالَ: فَسَمَا بَصْرِي صُعْدًا فَإِذَا قَصْرٌ مِثْلَ الرَّبَابَةِ الْبَيْضَاءِ»، قَالَ: «قَالَ لِي:

هَذَاكَ مَنْزِلُكَ»، قَالَ: «قُلْتُ لَهُمَا: بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمَا، ذَرَانِي فَأَدْخُلْهُ! قَالَا: أَمَّا الْآنَ فَلَا، وَأَنْتَ دَاخِلُهُ». قَالَ: «قُلْتُ لَهُمَا: فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مِنْذُ اللَّيْلَةِ عَجَبًا، فَمَا هَذَا الَّذِي رَأَيْتُ؟» قَالَ: «قَالَا لِي: أَمَّا إِنَّا سَنُخْبِرُكَ: أَمَّا الرَّجُلُ الْأَوَّلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُنْلَعُ رَأْسُهُ بِالْحَجَرِ فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَأْخُذُ بِالْقُرْآنِ فَيَرُفُّهُ وَيَنَامُ عَنِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ. وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يَشْرَسُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ وَمِنْخَرُهُ إِلَى قَفَاهُ وَعَيْنُهُ إِلَى قَفَاهُ فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ فَيَكْذِبُ الْكَذِبَةَ تَبْلُغُ الْآفَاقَ. وَأَمَّا الرَّجَالُ وَالنِّسَاءُ الْعُرَاءُ الَّذِينَ فِي مِثْلِ بِنَاءِ التَّنُورِ فَهُمْ الرِّزَاءُ وَالزَّوَانِي. وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يَسْبَحُ فِي النَّهْرِ وَيُلْقِمُ الْحَجَرَ فَإِنَّهُ آكِلُ الرِّبَا. وَأَمَّا الرَّجُلُ الْكَرْبِيُّ الْمَرَاةَ الَّذِي عِنْدَ النَّارِ يَحْشُشُهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا فَإِنَّهُ مَالِكُ خَازِنٍ جَهَنَّمَ. وَأَمَّا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ الَّذِي فِي الرُّوضَةِ فَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام، وَأَمَّا الْوِلْدَانُ الَّذِينَ حَوْلَهُ فَكُلُّ مَوْلُودٍ مَاتَ عَلَى الْفِطْرَةِ». قَالَ: فَقَالَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ. وَأَمَّا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَانُوا شَطْرَ مِنْهُمْ حَسَنًا وَشَطْرَ قَبِيحًا فَإِنَّهُمْ قَوْمٌ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا نَبَّأَ اللَّهُ عَنْهُمْ».

كلام أهل النار

إنهم أحياناً يتكلمون، ولكن لا نفع من وراء هذا الكلام، كلامهم كله طلباً للخروج أو تخفيف العذاب، أو الاعتذار.

يكلمون ربهم يسألونه الخروج مما هم فيه، ولكن هيهات هيهات.

قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِّحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۖ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٧].

قال تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا آثْنَتَيْنِ وَأَخْيَرْتَنَا آثْنَتَيْنِ فَأَعَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِن سَبِيلٍ﴾ [غافر: ١١].

وقال تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٥﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِن عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٦﴾﴾ قَالَ أَحْسَبُوا فِيهَا وَلَا تَكَلِّمُونَ ﴿١٧﴾﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ

مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَأَعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٠﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوْكُم ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١١﴾ [المؤمنون: ١٠٦ - ١١٠].

وهذا أيضًا كلام لأهل النار مع الخزنة، وكلام الخزنة معهم:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴿١١٢﴾ قَالُوا أَوْلَمْ نَأْتِكُمْ رُسُلَكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فادْعُوا وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [غافر: ٤٩، ٥٠].

وقال تعالى: ﴿كَلَّمَآ أَلْفَىٰ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتُم خَزَنَتَهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿١١٣﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ [الملك: ٨، ٩].

وقال تعالى أيضًا: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿١١٤﴾ [الزمر: ٧١].

أما عن خطاب أهل النار مع أهل الجنة:

فقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [الأعراف: ٥٠].

كلامهم مع ألهتهم التي كانوا يعبدون:

قال تعالى: ﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿١١٦﴾ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١٧﴾ إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٨﴾﴾ [الشعراء: ٩٦ - ٩٨].

كلام الشيطان مع أهل النار:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي إِنْ كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

كلام أهل النار مع بعضهم:

إنهم يتلاعنون فيما بينهم ويتخاصمون أشد الخصومة ويتعادون أشد العداوة.
وقال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا آذَرَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَئِهِمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَغَايِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَئِهِمْ لِأَخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُم عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٣٨، ٣٩].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ يَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [العنكبوت: ٢٥].

قال تعالى: ﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَنِجٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدْ مَتَمَّمْتُمْهُ لَنَا فَيَنْسُ الْقَرَارُ﴾ [ص: ٥٩، ٦٠].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَاوَرُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضَّعِيفُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ﴿٤٨﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾ [غافر: ٤٧، ٤٨].

وقال تعالى: ﴿وَبَرِّزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضَّعِيفُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُّغْنُونَ عَنَّا مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَّيْنَا اللَّهُ لَهَدَيْتُكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرٌ عَنَّا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ﴾ [إبراهيم: ٢١].

دعاء أهل النار على أنفسهم بالويل والهلاك:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّبِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَا تَدْعُوا أَلْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ١٣، ١٤].

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أَوْبَقَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا﴾ [الانشقاق: ١٠، ١١].

ومع كل نداءات أهل النار، ومع كل هذه الاستغاثات فلا محيب، ولا نصير ولا شافع.

قال تعالى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٢٣]، وقال تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِن حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]، وقال

تعالى: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ﴾ [الحاقة: ٣٥]، وقال سبحانه: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ ﴿سَدْعُ الزَّبَانِيَةِ﴾ [العلق: ١٧، ١٨].

بل إن اللوم ينصب على أهل النار من كل جانب
قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء: ٣٩].

وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْآعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء: ١٨].
إن الحزنة تقول لهم: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ [الملك: ٨].

إن الرجل من أهل الجنة ينادي من كان يحاول إغواءه في الدنيا قائلاً: ﴿تَاللَّهِ إِنْ كِدْتُ لِتُزَيِّنَ لِيَ ﴿١﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ [الصافات: ٥٦، ٥٧].
وكذلك لو افتدى بأي فدية فلن تقبل منه:

قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعَدِلْ كُلُّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذَ مِنْهَا﴾ [الأنعام: ٧٠].
وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَبَتْ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٦].
وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْقًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفْعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ١٢٣].

ففي الصحيحين^(١) من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «يَقُولُ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - لِأَهْلِ النَّارِ عَذَابًا: لَوْ كُنْتَ لَكَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، أَكُنْتَ مُفْتَدِيًا بِهَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. فَيَقُولُ: قَدْ أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ: أَنْ لَا تُشْرِكَ - أَحْسِبُهُ قَالَ: وَلَا أَدْخَلَكَ النَّارَ - فَأَبَيْتَ إِلَّا الشُّرْكَ».

حرمان أهل النار من رؤية ربهم يوم القيامة:
إن أهل النار يحرمون من رؤية ربهم - عزَّ وجلَّ -، ويحرمون من تكليمه لهم، إلا

كلّامًا يزيدهم عذابًا، ويحرمون من نظره إليهم، ومن تركيته لهم وتطهيرهم، قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥].

وقال سبحانه: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٧٧].

خلود أهل النار، وبقاؤهم فيها وعدم تخفيف العذاب عنهم، وبقاء النار وعدم فنائها:

قال الله تعالى: ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ ﴿١٥﴾ لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ وَنَادَوْا يَنْمَلِكْ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِيدُونَ﴾ [الزخرف: ٧٤-٧٧].

وقال تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٥٦]. وقال تعالى: ﴿كُلَّمَا حَبَتِ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧]. وقال تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]. وقال تعالى: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ تَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [الحج: ٢٢]. وقال تعالى: ﴿وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [المائدة: ٨٠]. وقال سبحانه: ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ [إبراهيم: ١٧]. وقال تعالى: ﴿لَا يَقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ [النحل: ٨٥]. وقال سبحانه: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [طه: ٧٤]. وقال تعالى: ﴿الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ﴾ ﴿١٨﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [الأعلى: ١٢، ١٣]. وقال تعالى: ﴿وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [المائدة: ٨٠]. وقال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ لَا تَخْرُجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [الجاثية: ٣٥].

ومن الدليل على خلود أهل النار فيها ما أخرجه البخاري ومسلم^(١) من حديث أبي سعيد - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «يُجَاءُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

كَأَنَّهُ كَبِشُّ أَمْْلَحٍ - رَادَ أَبُو كَرِيبٍ : فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ (واتفقا في باقي الحديث) -
 فَيَقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَشْرَيْبُونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ»
 قَالَ: «وَيُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ، هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟» قَالَ: «فَيَشْرَيْبُونَ وَيَنْظُرُونَ
 وَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ» قَالَ: «فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيَذْبَحُ» قَالَ: «ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، خُلُودٌ
 فَلَا مَوْتَ. وَيَا أَهْلَ النَّارِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ» ثُمَّ قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ
 إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩] وأشار بيده إلى الدنيا.

وفي الصحيحين^(١) من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: إن رسول الله ﷺ
 قال: «يَدْخُلُ اللَّهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَيَدْخُلُ أَهْلَ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَقُومُ مُؤَدِّنٌ بَيْنَهُمْ فَيَقُولُ:
 يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، لَا مَوْتَ. وَيَا أَهْلَ النَّارِ، لَا مَوْتَ. كُلُّ خَالِدٍ فِيهَا هُوَ فِيهِ».

أما من احتج على فناء النار بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ ثَبَاتٌ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ [النبا: ٢٣] وذلك
 أنه قال (أعني المستدل على فنائها): إنهم بعد هذه الأحقاب يخرجون أو أنها تنفى.

فذلك مردود بالنظر إلى الآيات التي تلتها، فإن الله قال: ﴿لَيْسَ ثَبَاتٌ فِيهَا أَحْقَابًا﴾
 لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَاقًا﴾ ﴿جَزَاءً وَفَاقًا...﴾ إلى قوله:
 ﴿قَدْ وَقُوهَا فَلَنْ تَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبا: ٢٣ - ٣٠].

فليس بعد الأحقاب إلا زيادة في العذاب - عيادًا بالله من النار ومن كل عذاب.
 وكذا الاستدلال بقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ هُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهيقٌ﴾
 خَلِيدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾
 [هود: ١٠٦، ١٠٧].

فلا يتم الاستدلال بها على فناء النار؛ وذلك لأن الله - سبحانه وتعالى - بين في
 آيات أخر مشيئته في عدم خروجهم، وذلك في الآيات التي أوردناها.
 ثم إن من أهل العلم من قال: إن هذه الآيات في عصاة الموحدين الذين أدخلوا
 النار، فهؤلاء سيأتي عليهم يوم يخرجون منها في الوقت الذي قدره الله وقضاه.
 وفي ذلك أقوال أخر أيضًا لأهل العلم، ليس هذا موضعها.

وهذه طينة الخبال، عصارة أهل النار، لمن شرب المُسكر في الحياة الدنيا.

أخرج مسلم في صحيحه^(١) من حديث جابر - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ، إِنَّ عَلَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - عَهْدًا لِمَنْ يَشْرِبُ الْمُسْكِرَ، أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَا طِينَةُ الْخَبَالِ؟ قَالَ: «عَرَقُ أَهْلِ النَّارِ، أَوْ عُصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ».

وفي الصحيح^(٢) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَتَوَجَّأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ^(٣) فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخْلَدًا فِيهَا أَبَدًا. وَمَنْ شَرِبَ سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَحَسَّاهُ^(٤) فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخْلَدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَرَدَّى فِي نَارِ جَهَنَّمَ^(٥) خَالِدًا مُخْلَدًا فِيهَا أَبَدًا».

قلت: وعمومًا فمن قتل نفسه بشيء عُدَّ به يوم القيامة كما ورد في الصحيح^(٦) عن رسول الله ﷺ.

وهذا رجلٌ غُلٌّ مِنَ الْغَنِيمَةِ (سرق من الغنيمة شيئًا قبل قسمتها) تشتعل عليه نارًا

أخرج مسلم^(٧) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: خرجنا مع النبي ﷺ إلى خيبر، ففتح الله علينا، فلم نغنم ذهبًا ولا وِرْقًا، غنمنا المتاع والطعام والثياب. ثم انطلقنا إلى الوادي، ومع رسول الله ﷺ عبدٌ له، وَهَبَهُ رَجُلٌ مِنْ جُذَامٍ يُدْعَى رِفَاعَةَ بْنِ زَيْدٍ، مِنْ بَنِي الضُّبَيْبِ، فَلَمَّا نَزَلْنَا الْوَادِي قَامَ عَبْدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُحِلُّ رَحْلَهُ^(٨)، فَرُمِيَ بِسَهْمٍ، فَكَانَ فِيهِ حَتْفُهُ^(٩). فَقُلْنَا: هَنِيئًا لَهُ الشَّهَادَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَلَّا، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ

(١) مسلم (حديث ٢٠٠٢).

(٢) مسلم (حديث ١٠٩).

(٣) يتوجأ: يطعن.

(٤) يتحساه: يشربه في تمهل ويتجرعه.

(٥) يتردى: ينزل، يسقط هاوياً.

(٦) مسلم (حديث ١١٠).

(٧) مسلم (حديث ١١٥).

(٨) يحل رحله: الرحل هو مركب الرجل على البعير.

(٩) فكان فيه حتفه: أي موته، وجمعه حتوف، ومات حتف أنفه أي من غير قتل ولا ضرب.

بِيَدِهِ إِنَّ الشَّمْلَةَ^(١) لَتَلْتَهُبُ عَلَيْهِ نَارًا، أَخَذَهَا مِنَ الْغَنَائِمِ يَوْمَ خَيْبَرَ. لَمْ تُصْنَعْهَا الْمَقَاسِمُ^(٢) قَالَ: فَفَزَعَ النَّاسُ، فَجَاءَ رَجُلٌ بِشْرَاكِ^(٣) أَوْ شِرَاكَيْنِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَصَبْتَ^(٤) يَوْمَ خَيْبَرَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «شِرَاكِ مِنْ نَارٍ أَوْ شِرَاكَيْنِ مِنْ نَارٍ».

وهذا مشهد مروع^(٥) من المشاهد

أخرج مسلم في صحيحه من حديث حذيفة وأبي هريرة - رضي الله عنهما - قالوا: قال رسول الله ﷺ: «يَجْمَعُ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - النَّاسَ. فَيَقُومُ الْمُؤْمِنُونَ حَتَّى تَزُلْفَ^(٦) هُمُ الْجَنَّةُ، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: يَا أَبَانَا اسْتَفْتِحْ لَنَا الْجَنَّةَ. فَيَقُولُ: وَهَلْ أَخْرَجَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا خَطِيئَةُ أَبِيكُمْ آدَمَ! لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ. أَذْهَبُوا إِلَى ابْنِي إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ. قَالَ: فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ. إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلًا مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ^(٧). اْعْمِدُوا إِلَى مُوسَى ﷺ الَّذِي كَلَّمَهُ اللَّهُ تَكْلِيمًا. فَيَأْتُونَ مُوسَى ﷺ فَيَقُولُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ. أَذْهَبُوا إِلَى عِيسَى كَلِمَةَ اللَّهِ وَرُوحِهِ. فَيَقُولُ عِيسَى ﷺ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ. فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا ﷺ، فَيَقُومُ فَيُؤَدِّنُ لَهُ، وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ^(٨)، فَتَقُومَانِ جَنْبَتِي الصِّرَاطِ^(٩) يَمِينًا وَشِمَالًا، فَيَمُرُّ أَوَّلَكُمْ كَالْبَرْقِ^(١٠) قَالَ قُلْتُ: أَبَايَ أَنْتَ وَأُمِّي! أَيُّ شَيْءٍ كَمَرَّ الْبَرْقِ؟ قَالَ: «أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ؟ ثُمَّ كَمَرَّ الرِّيحِ. ثُمَّ كَمَرَّ الطَّيْرُ وَشَدَّ الرَّجَالُ^(١١). تَحْجِرِي بِهِمْ

(١) الشملة: كساء صغير يؤتزربه.

(٢) بشراك: الشراك هو السير المعروف الذي يكون في النعل على ظهر القدم.

(٣) أصبت يوم خيبر: فيه حذف المفعول أي: أصبت هذا.

(٤) مسلم (حديث ١٩٥).

(٥) تزلف: أي تقرب. كما قال الله تعالى: ﴿وَأَزْلَفْتُ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي: قربت.

(٦) من وراء وراء: قال الإمام النووي: قد أفادني هذا الحرف الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن أمية أدام الله نعمه عليه، وقال: الفتح صحيح. وتكون الكلمة مؤكدة كَشَدَّرَ مَدَّرَ، وَشَغَرَ بَغَرَ، نَسَقَطُوا بَيَّنَّ، فَزَكَبَهَا وَبَنَاهَا عَلَى الْفَتْحِ.

(٧) وترسل الأمانة والرحم: إرسال الأمانة والرحم لعظم أمرهما وكثير موقعهما. فتصوران مشخصتين على الصفة التي يريدها الله تعالى.

(٨) جنبتي الصراط: معناهما جانباه، ناحيتهما اليمنى واليسرى.

(٩) وشد الرجال: الشد هو العدو البالغ والجري.

أَعْمَاهُمْ^(١). وَبَيِّكُم قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ. حَتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ. حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا. قَالَ: «وَفِي حَافَتِي الصِّرَاطِ^(٢) كَلَالِيْبٌ مُعَلَّقَةٌ. مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أَمَرْتُ بِهِ. فَمَخْذُوشٌ نَاجٍ وَمَكْذُوسٌ^(٣) فِي النَّارِ».

والذي نفسُ أبي هريرة بيده، إِنَّ قَعَرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعُونَ خَرِيفًا.

وفي هذا الخبر المتقدم أمرٌ مهم ألا وهو أن الرحم والأمانة تقفان بجانب الصراط، قال بعض العلماء: إنها تستوقفان من قطعهما وخانها، فالرحم إذا مرَّ بها قاطعٌ قالت: يا رب هذا قطعني، وإذا وصلها واصلٌ وشهدت له بذلك ودعت له بالسلامة والأمان.

وكذلك الأمانة تقف على جانب الصراط تستوقف من خانها، فتقول: يا رب هذا قد خان الأمانة فانتصر لي منه، وإذا كان قد أدى الأمانة شهدت له بخير، ودعت له بخير، وساعدته في المرور على الصراط.

وهذه أخبار في وصف الصراط والنار

وفيها بيان لخروج الموحدين من النار

وفي الصحيح^(٤) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ. فَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ^(٥) الطَّوَاغِيتَ. وَتَبْقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ. فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا

(١) تجري بهم أعمالهم: هو تفسير لقوله ﷺ: فيمر أولكم كالبرق ثم كمر الريح إلى آخره.

(٢) حافتي الصراط: هما جانباه.

(٣) ومكدوس: قال في النهاية: أي مدفوع، وتكدس الإنسان إذا دُفِعَ من ورائه فسقط.

(٤) مسلم (١٨٢)، والبخاري (٧٤٣٧)، ومطلعه أن الصحابة قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم

القيامة؟ فقال: «هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب...».

(٥) الطواغيت جمع طاغوت، وهو كل من عبد من دون الله ورضي بذلك.

رَبَّنَا، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمْ اللهُ تَعَالَى فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ. فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا. فَيَتَّبِعُونَهُ. وَيَضْرِبُ الصَّرَاطَ بَيْنَ ظَهْرَي جَهَنَّمَ^(١)، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيرُ^(٢). وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ. وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ. وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ^(٣). هَلْ رَأَيْتُمُ السَّعْدَانِ؟» قَالُوا: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «إِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ» غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا قَدَرُ عِظَمِهَا إِلَّا اللهُ، تَخَطَّفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ. فَمِنْهُمْ الْمُؤْمِنُ بِقِيَّيِ بَعْمَلِهِ^(٤). وَمِنْهُمْ الْمُجَارَى حَتَّى يُنْجَى، حَتَّى إِذَا فَرَّغَ اللهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، مِمَّنْ أَرَادَ اللهُ تَعَالَى أَنْ يَرْحَمَهُ، مِمَّنْ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. فَيَعْرِفُونَهُمْ فِي النَّارِ. يَعْرِفُونَهُمْ بِأَثَرِ السُّجُودِ، تَأْكُلُ النَّارُ مِنْ ابْنِ آدَمَ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ. حَرَّمَ اللهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيُخْرِجُونَ مِنَ النَّارِ وَقَدْ امْتَحَشُوا^(٥). فَيَصَّبُ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ. فَيَنْبَتُونَ مِنْهُ^(٦) كَمَا تَنْبَتُ الْحَبَّةُ فِي حِمِلِ السَّيْلِ^(٧). ثُمَّ يَفْرُغُ اللهُ - تَعَالَى - مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَيَبْقَى رَجُلٌ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ، وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةِ. فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ! أَصْرَفَ وَجْهِي عَنِ النَّارِ. فَإِنَّهُ قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا وَأَحْرَقَنِي ذَكَأُهَا^(٨)، فَيَدْعُو اللهُ مَا

(١) يُضْرِبُ: أَيُّ يُمْد.

(٢) أَكُونُ أَوَّلُ مَنْ يَمُرُ عَلَيْهِ وَيَمْضِي عَلَيْهِ وَيَتَجَاوَزُهُ.

(٣) وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ: أَمَّا الْكَلَالِبُ فَجَمْعُ كُلُوبٍ، وَهِيَ حَدِيدَةٌ مَعْطُوفَةٌ الرَّأْسِ، يَعْلَقُ فِيهَا اللَّحْمُ، وَتُرْسَلُ فِي التَّنُورِ، قَالَ صَاحِبُ الْمَطَالَعِ: هِيَ خَشَبَةٌ فِي رَأْسِهَا عُقَاقَةُ حَدِيدٍ، وَقَدْ تَكُونُ حَدِيدًا كُلِّهَا، وَيُقَالُ لَهَا أَيْضًا: كَلَابٌ، وَأَمَّا السَّعْدَانُ فَهُوَ نَبْتُ لَهْ شَوْكَةٍ عَظِيمَةٍ مِثْلُ الْحَسَكِ مِنْ كُلِّ الْجَوَانِبِ.

(٤) بَقِيَ بَعْمَلِهِ: ذَكَرَ الْقَاضِي أَنَّهُ رَوَى عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ: أَحَدُهَا الْمُؤْمِنُ بَقِي، وَالثَّانِي الْمَوْتَى، وَالثَّالِثُ الْمَوْتَى يَعْنِي بَعْمَلِهِ.

(٥) قَدْ امْتَحَشُوا: مَعْنَاهُ: احْتَرَقُوا.

(٦) فَيَنْبَتُونَ مِنْهُ: مَعْنَاهُ يَنْبَتُونَ بِسَبَبِهِ.

(٧) كَمَا تَنْبَتُ الْحَبَّةُ فِي حِمِلِ السَّيْلِ: الْحَبَّةُ هِيَ بَذَرُ الْبَقُولِ وَالْعُشْبِ، تَنْبَتُ فِي الْبَرَارِيِّ وَجَوَانِبِ السِّيْلِ، وَجَمْعُهَا حَبَبٌ. وَحِمِلُ السَّيْلِ مَا جَاءَ بِهِ السَّيْلُ مِنْ طِينٍ أَوْ غَثَاءٍ، وَمَعْنَاهُ مَحْمُولُ السَّيْلِ. وَالْمُرَادُ التَّشْبِيهُ فِي سُرْعَةِ النَّبَاتِ وَحُسْنِهِ وَطَرَاوَتِهِ.

(٨) قَشَبَنِي رِيحُهَا وَأَحْرَقَنِي ذَكَأُهَا: قَشَبَنِي مَعْنَاهُ سَمَنِي وَأَذَانِي وَأَهْلِكَنِي، كَذَا قَالَ الْجَاهِلِيُّ مِنَ أَهْلِ اللُّغَةِ وَالْغَرِيبِ، وَقَالَ الدَّائِدِيُّ: مَعْنَاهُ غَيْرُ جَلْدِي وَصُورَتِي. وَأَمَّا «ذَكَأُهَا» فَمَعْنَاهُ لَهَبُهَا وَاشْتَعَالُهَا وَشِدَّةُ وَهْجِهَا. وَالْأَشْهُرُ فِي اللُّغَةِ «ذَكَاهَا» مَقْصُورٌ. وَذَكَرَ جَمَاعَاتُ أَنَّ الْمَدَّ وَالْقَصْرَ لِقَتَانِ.

شاء الله أن يدعوه، ثُمَّ يَقُولُ اللهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -: هَلْ عَسَيْتَ^(١) إِنْ فَعَلْتُ ذَلِكَ بِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ! فيقول: لا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ. وَيُعْطِي رَبُّهُ مِنْ عَهْدٍ وَمَوَاقِيقَ مَا شَاءَ اللهُ. فَيَصْرِفُ اللهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ. فَإِذَا أَقْبَلَ عَلَى الْجَنَّةِ وَرَأَاهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَسْكُتَ. ثُمَّ يَقُولُ: أَيُّ رَبِّ قَدَّمَنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ. فيقول اللهُ لَهُ: أَلَيْسَ قَدْ أُعْطِيتَ عَهْدَكَ وَمَوَاقِيقَكَ لَا تَسْأَلُنِي غَيْرَ الَّذِي أُعْطَيْتُكَ. وَبِلَكَ يَا بَنَ آدَمَ! مَا أَغْدَرُكَ! فيقول: أَيُّ رَبِّ! ويدعو الله حَتَّى يَقُولَ لَهُ: فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ أُعْطَيْتُكَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ؟! فيقول: لا. وَعِزَّتِكَ! فيُعْطِي رَبُّهُ مَا شَاءَ اللهُ مِنْ عَهْدٍ وَمَوَاقِيقَ. فَيَقْدُمُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ. فَإِذَا قَامَ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ انْفَهَقَتْ^(٢) لَهُ الْجَنَّةُ. فَرَأَى مَا فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ وَالسُّرُورِ. فَيَسْكُتُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَسْكُتَ. ثُمَّ يَقُولُ: أَيُّ رَبِّ! أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ. فيقول اللهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - لَهُ: أَلَيْسَ قَدْ أُعْطِيتَ عَهْدَكَ وَمَوَاقِيقَكَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَ مَا أُعْطِيتَ؟. وبِلَكَ يَا بَنَ آدَمَ! مَا أَغْدَرُكَ! فيقول: أَيُّ رَبِّ! لا أَكُونُ أَشَقَى خَلْقِكَ. فَلَا يَزَالُ يَدْعُو الله حَتَّى يَضْحَكَ اللهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - مِنْهُ. فَإِذَا ضَحِكَ اللهُ مِنْهُ، قَالَ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ. فَإِذَا دَخَلَهَا قَالَ اللهُ لَهُ: تَمَتَّه. فَيَسْأَلُ رَبُّهُ وَيَتَمَنَّى. حَتَّى إِنَّ الله لَيُذَكِّرُهُ مِنْ كَذَا وَكَذَا^(٣) حَتَّى إِذَا انْقَطَعَتْ بِهِ الْأَمَانِيُّ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ذَلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ».

وفي الصحيحين^(٤) من حديث أبي سعيد الخدري: أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذَنٌ مُؤَذِّنٌ: لِيَتَّبِعَ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللهِ سُبْحَانَهُ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْصَابِ، إِلَّا يَتَسَاقُطُونَ فِي النَّارِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ وَغَيْرِ أَهْلِ الْكِتَابِ^(٥). فَيُدْعَى الْيَهُودُ فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟

(١) هل عسيت: لغتان يفتح السين وكسرها. قال في الكشاف عند قوله تعالى: ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾ وخبر عسيتم أن لا تقاتلوا. والشرط فاصل بينهما، والمعنى: هل قاربتم أن لا تقاتلوا، يعني هل الأمر كما أتوقعه أنكم لا تقاتلون: أراد أن يقول: عسيتم أن لا تقاتلوا، بمعنى أتوقع جنكم عن القتال، فأدخل هل مستفهما عما هو متوقع عنده ومظنون، وأراد بالاستفهام التقرير وتثبيت أن المتوقع كائن، وأنه صائب في توقعه.

(٢) انفهقت: معناه انفتحت واتسعت.

(٣) ليذكره من كذا وكذا: معناه يقول له: تمنّ من الشيء الفلاني، ومن الشيء الآخر، يسمي له أجناس ما يتمنى.

(٤) مسلم (حديث ١٨٣).

(٥) وغبر أهل الكتاب: معناه بقاياهم، جمع غابر.

قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ بْنِ اللَّهِ. فَيَقَالُ: كَذَبْتُمْ! مَا اخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ. فَمَاذَا تَبْغُونَ؟ قَالُوا: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا! فَنَشَارُ إِلَيْهِمْ: أَلَا تَرُدُّونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّهُا سَرَابٌ^(١) يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا. فَيَسْأَلُونَ فِي النَّارِ: ثُمَّ يُدْعَى النَّصَارَى. فَيَقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ بْنَ اللَّهِ. فَيَقَالُ لَهُمْ: كَذَبْتُمْ. مَا اخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ. فَيَقَالُ لَهُمْ: مَاذَا تَبْغُونَ؟ فَيَقُولُونَ: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا فَنَشَارُ. قَالَ: فَنَشَارُ إِلَيْهِمْ: أَلَا تَرُدُّونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ كَأَنَّهُا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا^(٢)، فَيَسْأَلُونَ فِي النَّارِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ أَنَا هُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي أَدْنَى صُورَةٍ مِنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا. قَالَ: فَمَا تَنْتَظِرُونَ؟ تَتَّبِعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ. قَالُوا: يَا رَبَّنَا، فَارَقْنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا أَفْقَرًا مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ^(٣) وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ. فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: نَعُودُ بِاللَّهِ مِنْكَ. لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ شَيْئًا (مرتين أو ثلاثاً) حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَكَادُ أَنْ يَنْقَلِبَ^(٤). فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ آيَةٌ تَفَرِّقُونَهُ بَهَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ^(٥)، فَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَّا أَذِنَ اللَّهُ لَهُ بِالسُّجُودِ. وَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءَ وَرِيَاءَ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً^(٦) كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَى قَفَاةٍ. ثُمَّ يَرْفَعُونَ رُءُوسَهُمْ، وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا

(١) كأنها سراب: السراب ما يترامى للناس في الأرض القفر والقاع المستوي وسط النهار في الحر الشديد لامعاً مثل الماء يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاء لم يجده شيئاً.

(٢) يحطم بعضها بعضاً: معناه لشدة اتقادها وتلاطم أمواج لهبها. والخطم الكسر والإهلاك، والخطمة اسم من أسماء النار لكونها تحطم ما يلقى فيها.

(٣) فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم:

معنى قولهم التضرع إلى الله تعالى في كشف هذه الشدة عنهم، وأنهم لزموا طاعته سبحانه وتعالى، وفارقوا في الدنيا الناس الذين زاغوا عن طاعته سبحانه من قرابتهم وغيرهم ممن كانوا يحتاجون في معاشهم ومصالح دنياهم إلى معاشرتهم للارتفاق بهم.

(٤) ليكاد أن ينقلب: هكذا هو في الأصول بإثبات أن، وإثباتها مع كاد لغة، كما أن حذفها مع عسى لغة، ومعنى ينقلب: أن يرجع عن الصواب للامتحان الشديد الذي جرى.

(٥) فيكشف عن ساق: ضبط يكشف بفتح الياء وضمها، وهما صحيحان، وفسر ابن عباس وجهور أهل اللغة وغريب الحديث الساق هنا بالشدة، أي يكشف عن شدة وأمر مهول.

(٦) طبقة واحدة: قال الهروي وغيره: الطبقة فقار الظهر، أي صار فقارة واحدة كالصفحة، فلا يقدر على السجود لله تعالى.

أَوَّلَ مَرَّةٍ. فَقَالَ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبَّنَا، ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ، وَتَحُلُّ الشَّفَاعَةُ^(١)، وَيَقُولُونَ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ قيل: يا رسول الله، وما الجسر؟ قَالَ: «دَحْضُ مَزَلَّةٍ^(٢) فِيهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ وَحَسَكٌ^(٣)، تَكُونُ بِنَجْدٍ فِيهَا شَوْيْكَةٌ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانِ، فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرَّيْحِ، وَكَالطَّيْرِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ، وَالرَّكَابِ^(٤)، فَتَنَاجٍ مُسَلِّمٌ، وَتَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ^(٥)، حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ النَّارِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشِدَةً لِلَّهِ، فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ^(٦)، مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ. يَقُولُونَ: رَبَّنَا، كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحْجُونَ. فَيُقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مِنْ عَرَفْتُمْ. فَتَحْرَمُ صُورُهُمْ عَلَى النَّارِ. فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدْ أَخَذَتِ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقِيهِ وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ، فَيَقُولُ: ارْجِعُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ^(٧) فَأَخْرِجُوهُ. فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا. ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا، لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا. ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا. فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ.

- (١) ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة: الجسر بفتح الجيم وكسرها، لغتان مشهورتان، وهو الصراط، ومعنى تحل الشفاعة: بكسر الحاء وقيل بضمها: أي تقع ويؤذن فيها.
- (٢) دحض مزالة: الدحض والمزالة بمعنى واحد، وهو الموضع الذي تزل فيه الأقدام ولا تستقر. ومنه: دحضت الشمس أي مالت، وحجة داحضة أي: لا ثبات لها.
- (٣) فيها خطاطيف وكلاليب وحسك: أما الخطاطيف فجمع خطاف، بضم الحاء في المفرد، والكلاليب بمعناه، وقد تقدم بيانها، وأما الحسك فهو شوك صلب من حديد.
- (٤) وكأجاويد الخيل والركاب: من إضافة الصفة إلى الموصوف، قال في النهاية: الأجاويد جمع أجواد، وهو جمع جواد، وهو الجيد الجري من المطي. والركاب أي: الإبل، واحداً راحلة من غير لفظها، فهو عطف على الخيل، والخيل جمع الفرس من غير لفظه.
- (٥) فتناج مسلم وتخدوش مرسل، ومكدوس في نار جهنم: معناه أنهم ثلاثة أقسام: قسم يسلم فلا يناله شيء أصلاً، وقسم يخدش ثم يرسل فيخلص، وقسم يكرس ويلقى فيسقط في جهنم. قال في النهاية: وتكدس الإنسان إذا دُفِعَ من ورائه فسقط. ويروى بالشين المعجمة، من الكدش وهو السوق الشديد، والكدش: الطرد والجرح أحياناً.

(٦) في استقصاء الحق: أي تحصيله من خصمه والمتعدي عليه.

- (٧) من خير: قال القاضي عياض - رحمه الله -: قيل: معنى الخير هنا اليقين. قال: والصحيح إن معناه شيء زائد على مجرد الإيمان؛ لأن مجرد الإيمان الذي هو التصديق لا يتجزأ، وإنما يكون هذا التجزؤ لشيء زائد عليه من عمل صالح أو ذكر خفي، أو عمل من أعمال القلب من شفقة على مسكين أو خوف من الله تعالى، ونية صادقة.

فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا. ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَدْرُ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْنَا أَحَدًا. ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا. فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأُخْرِجُوهُ. فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا. ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا، لَنْ نَدْرُ فِيهَا خَيْرًا»^(١).

وكان أبو سعيد الخدري يقول: إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقراءوا إن شئتم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤] «فَيَقُولُ اللَّهُ - عزَّ وجلَّ -: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ. وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ^(٢) فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمًّا^(٣). فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهْرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ^(٤) يُقَالُ لَهُ نَهْرُ الْحَيَاةِ. فَيُخْرِجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحَبَّةُ فِي حِمْلِ السَّيْلِ^(٥)، أَلَا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الْحَجَرِ أَوْ إِلَى الشَّجَرِ. مَا يَكُونُ إِلَى الشَّمْسِ أَصْفَرُ وَأُخْيَضَرُ. وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ يَكُونُ أَبْيَضُ^(٦)؟»

فقالوا: يا رسول الله، كَأَنَّكَ كُنْتَ تَرَعَى بِالْبَادِيَةِ. قَالَ: «فَيُخْرِجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِمُ^(٧)، يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ هَؤُلَاءِ عِتْقَاءُ اللَّهِ^(٨) الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ

(١) لم نذر فيها خيراً: هكذا هو خير بإسكان الباء، أي: صاحب خير.

(٢) فيقبض قبضة من النار: معناه يجمع جماعة.

(٣) قد عادوا حمماً: معنى عادوا صاروا، وليس بلام في عاد أن يصير إلى حالة كان عليها قبل ذلك، بل معناه صاروا، أما الحمم فهو الفحم، واحدته حممة، كحطمة.

(٤) في أفواه الجنة: الأفواه جمع فوهة، وهو جمع سمع من العرب على غير قاييس، وأفواه الأزقة والأنهار أوائلها، قال صاحب المطالع: كأن المراد في الحديث مفتاح من مسالك قصور الجنة ومنازلها.

(٥) الحبة في حمل السيل: الحبة بالكسر بذور البقول وحب الرياحين، وقيل: هو نبت صغير ينبت في الحشيش، وحمل السيل هو ما يجيء به السيل من طين أو غثاء وغيره، فعيل بمعنى مفعول. فإذا انفقت فيه حبة واستقرت على شط مجرى السيل فإنها تنبت في يوم وليلة، فشبها بها سرعة عود أبدانهم وأجسامهم إليهم بعد إحراق النار لها.

(٦) ما يكون إلى الشمس أصيفر وأخيفر وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض: أما يكون في الموضعين الأولين فتامه. ليس لها خبر. معناها ما يقع. وأصيفر وأخيفر مرفوعان. وأما يكون أبيض فيكون فيه ناقصة، وأبيض منصوب وهو خبرها.

(٧) فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم: الخواتم جمع خاتم، بفتح التاء وكسرهما، قال صاحب التحرير: المراد بالخواتم هنا أشياء من ذهب أو غير ذلك تعلق في أعناقهم، علامة يُعرفون بها، قال: معناه تشبيه صفائهم وتلألؤهم باللؤلؤ.

عَمَلٍ عَمِلُوهُ وَلَا خَيْرَ قَدَّمُوهُ. ثُمَّ يَقُولُ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ. فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ. فَيَقُولُ: لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا. فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا! أَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا؟ فَيَقُولُ: رِضَايَ فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا».

وأخرج مسلم^(١) من حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله: «أما أهل النار الذين هم أهلها، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمْ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ (أَوْ قَالَ بِخَطَايَاهُمْ) فَأَمَاتَهُمُ إِمَاتَةً. حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحِمًا، أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ. فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرُ ضَبَائِرٍ^(٢). فَبُثُّوا عَلَى^(٣) أَنْهَارِ الْجَنَّةِ. ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ. فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحَبَّةِ تَكُونُ فِي حِمِلِ السَّيْلِ» فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: كَانَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ كَانَ بِالْبَادِيَةِ.

وأخرج مسلم^(٤) من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ أَرْبَعَةٌ فَيُعَرِّضُونَ عَلَى اللَّهِ. فَيَلْتَفِتُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ! إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنْهَا فَلَا تُعَذِّبْنِي فِيهَا. فَيُنْجِيهِ اللَّهُ مِنْهَا».

وفي الصحيحين^(٥) من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً. ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ ذَرَّةً».

ونجتزئ بهذا البحث ونسأل الله أن يعيذنا من النار.



(١) هؤلاء عتقاء الله: أي يقولون: هؤلاء عتقاء الله.

(٢) مسلم (حديث ١٨٥).

(٣) ضبائر: أي جماعات في تفرقة.

(٤) فبثوا: معناه فَرَّقُوا.

(٥) مسلم (حديث ١٩٢).

(٦) مسلم في طرق حديث (١٩٣).

﴿وَلَمَنْ حَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ٤٦﴾ فَإِنِّي ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَإِنِّي ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَإِنِّي ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَإِنِّي ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَكَبِّرِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَاطِنُهَا مِنْ إِسْتَرْفٍ وَحَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَإِنِّي ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِلَيْهِنَّ قَبْلَهُمْ وَلَا جِآنٌ ﴿٥٦﴾ فَإِنِّي ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَإِنِّي ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴿٦٠﴾ فَإِنِّي ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَإِنِّي ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَمَمَتَانِ ﴿٦٤﴾ فَإِنِّي ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَاحَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَإِنِّي ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرَمَاقٌ ﴿٦٨﴾ فَإِنِّي ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَإِنِّي ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَإِنِّي ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِلَيْهِنَّ قَبْلَهُمْ وَلَا جِآنٌ ﴿٧٤﴾ فَإِنِّي ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَكَبِّرِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَإِنِّي ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ نَبْرُكٌ أَسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾

س : اذكر معنى ما يلي :

(﴿مَقَامَ رَبِّهِ﴾ - ذَوَاتَا أَفْنَانٍ - عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ - مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ - بَطَاطِنُهَا - إِسْتَرْفٍ - وَحَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ - قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ - لَمْ يَطْمِئِنَّ إِلَيْهِنَّ - وَالْمَرْجَانُ - وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ - مُدْهَمَمَتَانِ - نَضَاحَتَانِ - خَيْرَاتٌ حِسَانٌ - حُورٌ - مَقْصُورَاتٌ - الْخِيَامِ - رَفْرَفٍ - وَعَبْقَرِيٍّ - ذِي الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾)

ج :

معناها .	الكلمة
قيام العبد بين يدي ربه في الآخرة ، وقيل : مقام العبد بين يدي ربه في الدنيا ، وقيل : اضطلاع الله عليه .	﴿مَقَامَ رَبِّهِ﴾
ذواتا ألوانٍ. وقيل : المراد ألوان الفاكهة أي : صنف من الفاكهة، وقيل : ذواتا أغصان ^(١) ، وقيل : ذواتا فضل وسعة على ما سواهما .	﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾
عينا ماءٍ تجريان .	﴿عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾
من كل صنف من أصناف الفاكهة نوعان، كل صنف له لذة ولون ليس للنوع الآخر .	﴿مِنْ كُلِّ فَنَكْهَةٍ زَوْجَانِ﴾
حشوها الداخلي .	﴿بَطَائِنُهَا﴾
غليظ الديباج .	﴿إِسْتَرْقٍ﴾
ثمر البساتين - ثمر الحديقتين	﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ﴾
قريب منهم ^(٢) يناله القائم والقاعد والمضطجع .	﴿دَانٍ﴾
النساء اللواتي قد قُصِر طرفهن على أزواجهن، فلا ينظرن إلى غيرهم من الرجال ، ولا يردن غير الأزواج ^(٣) .	﴿قَصَصَتْ أَلْطَرَفِ﴾

(١) قيل يمس بعضها بعضاً كالمعروشات .

(٢) قال الطبري: لأنهم لا يتعبون بصعود نخلها وشجرها لاجتناء ثمرها ولكنهم يجتنبونها من قعود بغير عناء ، وأورد الطبري بسند حسن عن قتادة (٣٣١٠٩) قوله (وجنى الجنتين دان) قال : ثمارهم دانية لا يرد أيديهم عنه بُعد ولا شوك . ذكر لنا أن نبي الله ﷺ قال : « والذي نفسي بيده لا يقطع رجل ثمرة من الجنة فتصل إلى فيه حتى يبدل الله مكانها خيراً منها » .
والجزء المرفوع من هذا الحديث ضعيف لإرساله .

(٣) أورد الطبري بإسناد صحيح عن ابن زيد (٣٣١١٤) قال في قوله : ﴿ قَصَصَتْ أَلْطَرَفِ ﴾ قال : لا ينظرن إلا إلى أزواجهن ، تقول : وعزة ربي وجلاله وجماله ، إن أرى في الجنة شيئاً أحسن منك ، فالحمد لله الذي جعلك زوجي ، وجعلني زوجك .

﴿لَمْ يَطْمِئِنَّ﴾	لم يجمعهن - لم يمسهن ، وقد قيل: إن الطمث هو النكاح بالتدنية (أي فض غشاء البكارة بالجماع) .
﴿الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾	صفاء الياقوت في بياض المرجان .
﴿وَمِنْ دُونِهِمَا﴾	أقل منهما درجة ومنزلة وفضلاً ، وذلك لأصحاب اليمين ، والأول للمقربين ^(١) .
﴿مُدَّاهِمَاتَانِ﴾	سوداوان من شدة الخضرة، خضراوان من شدة الرِّي (كثرة ما أخذته الأشجار من الماء) ناعمتان .
﴿فَضَاحَتَانِ﴾	فوارتان - ينتضخان الماء - ممتلئتان لا تنقصان .
﴿خَيْرَتٌ﴾	خيرات الأخلاق. ^(٢)
﴿حِسَانٌ﴾	حسان الوجوه .
﴿حُورٌ﴾	حور العين (جمع حوراء) - بيض .
﴿قَصَصَتْ أَطْرَفٌ﴾	قصرن النظر على أزواجهن .
﴿مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾	محبوسات في الحجال - لا يغادرن الخيام بمحض إرادتهن - لسن بطوافات في الطرقات . البيوت - الدر المجوف ^(٣) - بيوت اللؤلؤ

(١) أخرج الطبري (٣٣١٣٨) بسند عن ابن عباس في قوله ﴿وَكَاثَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود : ٧] قال: كان عرش الله على الماء ، ثم اتخذ لنفسه جنة ، ثم اتخذ دونها جنة أخرى ، ثم أطبقها بلؤلؤة واحدة قال: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّاتٌ﴾ وهي التي لا تعلم ، أو قال: وهما التي لا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرّة أعين جزاء ، بها كانوا يعملون . قال : وهي التي لا تعلم الخلائق ما فيها ، أو ما فيها ، يأتيهم كل يوم منها أو ومنها تحفة .

(٢) قاله قتادة بسند حسن عنه (عند الطبري ٣٣١٦٧) .

(٣) وفي الحديث الخيمة درة مجوفة ، ففي الصحيح (٣٢٤٣) من حديث أبي موسى - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « إن في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة ، عرضها ستون ميلاً ، في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخريين ، يطوف عليهم المؤمنون » . ورواه أيضاً من حديث أبي عمران به ، وقال : « ثلاثون ميلاً » . وأخرجه مسلم من حديث أبي عمران به ولفظه : « إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة ، طولها ستون ميلاً ، للمؤمن فيها أهله ، يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً » ومسلم (٢٨٣٨) .

﴿رَقَرَفٍ﴾	الررف رفاض الجنة - المجالس والبُسُط (السجاجيد) وقيل المرافق .
﴿وَعَبَقَرِي﴾	الطنافس الثخان - السجاجيد السمكة - الديباج .
﴿الْجَلَلِ﴾	العظمة
﴿وَالْإِكْرَامِ﴾	من له الإكرام من جميع خلقه - الكبرياء .



س: اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ .

ج: لأهل العلم أقوال في ذلك:

أحدها: أن الشخص يهيم بالذنب والمعصية ، فيذكر الله فيدعها مخافة الله .

الثاني: أنه يذنب الذنب فيذكر مقام ربه فيستغفر الله وقد أورد الطبري بإسناد صحيح^(١) عن إبراهيم النخعي قال في هذه الآية: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ قال: إذا أراد أن يذنب أمسك مخافة الله .

وبإسناد حسن^(٢) عن قتادة قال: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ قال: إن المؤمنين خافوا ذاكم المقام فعملوا له ، ودانوا له وتعبدوا بالليل والنهار .

قال الشنقيطي - رحمه الله -:

هذه الآية الكريمة فيها وجهان معروفان عند العلماء ، كلاهما يشهد له قرآن .

أحدهما: أن المراد بقوله: مقام ربه: أي قيامه بين يدي ربه ، فالمقام اسم مصدر بمعنى القيام ، وفاعله على هذا الوجه هو العبد الخائف ، وإنما أضيف إلى الرب لوقوعه بين يديه ، وهذا الوجه يشهد له قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠]، فإن قوله: ونهى النفس عن الهوى:

(١) الطبري (٣٣٠٨٤).

(٢) الطبري (٣٣٠٨٥).

قرينة دالة على أنه خاف عاقبة الذنب، حين يقوم بين يدي ربه، فنهى نفسه عن هواها.
والوجه الثاني : أن فاعل المصدر الميمي الذي هو المقام ، هو الله تعالى : أي خاف هذا العبد قيام العبد قيام الله عليه ومراقبته لأعماله وإحصاءها عليه ويدل لهذا الوجه الآيات الدالة على قيام الله على جميع خلقه وإحصائه عليهم أعمالهم كقوله تعالى : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله تعالى : ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣]، وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١] الآية . إلى غير ذلك من الآيات.

وقد قدمنا في سورة الأحقاف في الكلام على قوله تعالى في شأن الجن : ﴿يَقَوْمًا أٰجِبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ [الأحقاف: ٣١] الآية ، أن قوله : ولن خاف مقام ربه جنتان ، وتصريحه بالامتنان بذلك على الإنس والجن في قوله : ﴿فَإِنِّي ءَالَا رِيكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ، نص قرآني على أن المؤمنين الخائفين مقام ربهم من الجن يدخلون الجنة.

أما قوله : (جنتان) أي : بستانان . هذا ، وقد أورد الطبري بإسناد صحيح ^(١) عن ابن زيد قال في قوله : ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ قال : جنتا السابقين ، فقرأ ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ فقرأ حتى بلغ ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ ثم رجع إلى أصحاب اليمين ، فقال : ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ فذكر فضلها وما فيها.



س : هل صح عن رسول الله ﷺ حديث في تفسير قوله تعالى : ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾

ج : ابتداءً فقد أخرج الطبري ^(٢) من حديث أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : «﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : وإن زنى وإن سرق وإن رَغِمَ أَنْفُ أَبِي الدرداء ».

(١) الطبري (٣٣٠٩٣).

(٢) الطبري (٣٣٠٨٧).

س : هل ورد في وصف الجنتين شيء من سنة رسول الله ﷺ ؟

ج : ورد في ذلك ما أخرجه البخاري^(١) من حديث أبي موسى - رضي الله عنه - قال : أن رسول الله ﷺ قال : « جنتان من فضة ، آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم - عز وجل - إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن » .



بحث موسع حول الجنة جعلنا الله من أهلها

س: اذكر بمزيد من التفصيل شيئاً مما يتعلق بالجنة وأسمائها وأهلها وما أُعد فيها من النعيم ؟

تعريف بالجنة وأسمائها

وما وصفت به في كتاب الله عز وجل

أما عن معنى الجنة ، فالجنة الحديقة ذات الشجر والنخل ، وقد قال بعض أهل اللغة: لا تكون الجنة في كلام العرب إلا وفيها نخلٌ وعنب ، وقال بعض العلماء : سميت جنةً لتكاثف أشجارها وتظليلها بالتفاف أغصانها ، والجنة التي نتناول ذكرها ها هنا إن شاء الله هي دار النعيم في الآخرة .

أما عن أسماء الجنة وما أُطلق عليها :

دار السلام: قال تعالى : ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ﴾ [الأنعام : ١٢٧] ، وقال تعالى : ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾ [يونس : ٢٥] .

قال بعض أهل العلم : سميت بذلك ، لأنها دار السلامة من كل بلية وكل آفة وكل مكروه .

وقيل أيضاً: هي دار الله ^(١) لأن الله هو السلام ، فالسلام اسم من أسماء الله عز وجل .

- ولأن أهل الجنة دائماً يُلقون فيها التحية والسلام ، كما قال تعالى : ﴿حَيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْتُهُ سَلَامٌ﴾ [الأحزاب : ٤٤] ، وكما قال تعالى : ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ ﴿سَلَامٌ عَلَيْهِمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد : ٢٣ ، ٢٤] ، وكما قال تعالى : ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾ [يس : ٥٨] ، وكما قال : ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا﴾ ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ [الواقعة : ٢٥ ، ٢٦] .

(١) وفي الحديث: فاستأذن على ربي في داره. أخرجه البخاري (٧٤٤٠).

وهي أيضًا جنة الخلد:

قال تعالى: ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمِ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ [الفرقان: ١٥]،
وسميت بهذا الاسم؛ لأن أهلها يُخلَّدون فيها ولا يتحولون عنها، ولا يبعثون عنها حولاً
(أي: تحولاً).

ولأن نعيمهم فيها لا ينقطع ولا يفنى ولا يبسد، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ
مِنْ نَفَادٍ﴾ [ص: ٥٤]، قال تعالى: ﴿عَطَاءٌ غَيْرٌ مَجْدُودٍ﴾ [هود: ١٠٨]، وقال تعالى: ﴿أَكُلُهَا
دَائِمًا وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾
[الحجر: ٤٨].

يرأسدي أيضًا جنة المأوى:

قال تعالى: ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ۖ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ [النجم: ١٤، ١٥].

قيل: لأن أرواح الشهداء وأرواح المؤمنين تأوي إليها.
ومن أسمائها دار المقامة:

قال أهل الإيمان: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ
الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمَقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ ۖ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾
[فاطر: ٣٤، ٣٥].

وقيل عنها دار المقامة - والله أعلم -؛ لكون أهلها يقيمون فيها ويستوطنونها ولا
يخرجون منها.

ومنها أيضًا جنات عدن:

قال تعالى: ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ﴾ [مريم: ٦١]، وقال
تعالى: ﴿وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾ [الصف: ١٣].
وقوله عدن أي: إقامة.

ومنها مقعد صدق: قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ۖ فِي مَقْعَدٍ صَدِيقٍ عِنْدَ
مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٤، ٥٥].

ومنها قدم صدق: قال تعالى: ﴿وَنَشَرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس: ٢].

ويطلق عليها أيضاً: المقام الأمين: قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾. لكونه آمن من كل آفة وسوء ومكروه.

وهي جنات النعيم أيضاً: قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾ [لقمان: ٨].

وذلك لما فيها من صنوف النعيم.

والفردوسُ جنَّةٌ من الجنان وهي أفضلها وأعلاها، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٧].

وقد قال النبي ﷺ: «لَأَمْ حَارِثَةُ: «إِنَّهَا جَنَانٌ وَإِنَّ ابْنَتِكَ قَدْ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ مِنْهَا» (١). وقال النبي ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَعْلَى الْجَنَّةِ وَأَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَمِنْهُ تُفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ» (٢).

وصفٌ موجزٌ للجنة وما فيها من النعيم المقيم وبيان عظمتها:

إن الواصف للجنة مهما وصف، بل والمتخيل لها مهما تخيل فلن يأتي على شيء مما فيها، فضلاً عن بعضه، وفضلاً عن كله، فليس الخبر كالمعاينة، وفي الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ففي الصحيحين (٣) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «قَالَ اللَّهُ: أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَءُوا إِن شِئْتُمْ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا

(١) البخاري بنحوه (٣٩٨٢)، وأحمد (٣/ ١٢٤، ٢١٠، ٢١٥) وغيرهم من حديث أنس ولفظه عند البخاري: قال: أصيب حارثة يوم بدر وهو غلام، فجاءت أمُّه إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله قد عَرَفْتُ مَنْزِلَةَ حَارِثَةِ نَنِي، فَإِنْ يَكُنْ فِي الْجَنَّةِ أَصْبِرْ وَأَخْتَسِبْ وَإِنْ تَكُنْ الْآخَرَى تَرَى مَا أَصْنَعُ، فقال: «وَيْحَكَ - أَوْ هَيْلَتِ - أَوْ جَنَّةٌ وَاحِدَةٌ هِيَ؟ إِنَّهَا جَنَانٌ كَثِيرَةٌ وَإِنَّهُ فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ».

(٢) البخاري (مع الفتح ٦/ ١١).

(٣) البخاري (حديث ٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤).

أَخْفَى لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴿[السجدة: ١٧]﴾ .

وأخرج مسلم^(١) من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: شهدت من رسول الله ﷺ مجلساً وصف فيه الجنة. حتى انتهى. ثم قال ﷺ في آخر حديثه: «فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ» ثم أقرأ هذه الآية: ﴿تَجَنَّفَا جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٢﴾ فَلَا نَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿[السجدة: ١٦، ١٧]﴾ .

وفي الجنة كل ما يريده المرء ويتمناه، بل وفوق ما يتمناه، وله فيها أيضاً ما تشتهي نفسه وتلذُّ به عينه.

قال تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا كَشَفْتَهُ بِمِثْلِ الْإِنْفُسِ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿[الزخرف: ٧١]﴾ .

وقد تقف على شيء من عظيم قدر الجنة إذا علمت حديث رسولك محمد ﷺ: «مَوْضِعٌ سَوَاطِئُ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»^(٢).

وكذلك تعرف شيئاً من عظيم قدرها إذا علمت ما أعد لأدنى أهل الجنة من المنازل:

فقد روى مسلم^(٣) في صحيحه من طريق الشعبي عن المغيرة بن شعبه قال: سمعته على المنبر، يرفعه إلى رسول الله ﷺ قال: وحدثني بشر بن الحكم، «واللفظ له». حدثنا سفيان بن عيينة، حدثنا مطرف وابن أبي جَرٍّ سَمِعَا الشَّعْبِيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ الْمَغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ يُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ عَلَى الْمَنْبَرِ، قَالَ سَفِيَانُ: رَفَعَهُ أَحَدُهُمَا (أَرَاهُ ابْنَ أَبِي جَرٍّ) قَالَ: «سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ: مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يُجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ فَيَقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ. فيقول: أَيُّ رَبِّ! كَيْفَ؟ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ؟ فيقال له: أَنْ تَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكٍ مُلْكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فيقول:

(١) مسلم (٢٨٢٥).

(٢) البخاري (حديث ٣٢٥٠).

(٣) مسلم (١٨٩).

رَضِيتُ، رَبِّ! فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ. فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ: رَضِيتُ، رَبِّ! فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشْرَةُ امثاله. وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَذَّتْ عَيْنُكَ. فَيَقُولُ: رَضِيتُ، رَبِّ! قَالَ: رَبِّ! فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةٌ؟ قَالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ، عَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا. فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٌ قَالَ: وَمِصْدَاقُهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧] الآية.

أما عن وصف الجنة إجمالاً فأقول وبالله التوفيق:

إن الجنة عالية القدر عالية المكان كذلك، فقد قال تعالى: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾، وهي فوق السماء السابعة، وذلك لقوله تعالى: ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾، [النجم: ١٤، ١٥]، وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه صلوات الله وسلامه عليه رأى سدرة المنتهى بعد تجاوز السماء السابعة ثم إن رائحة هذه الجنة تُشَمُّ عن بُعد وتشتاق إلى أهلها وأهلها يشتاؤون إليها وتقرب منهم ويقترّبون منها ويشمون رائحتها عن بُعد ويُزفون إليها معرزين مكرمين، يتقدمهم رسول الله ﷺ إذ الجنة لا تفتح لأحد قبله، فيطرق الباب فيستأذن فيؤذن له فيدخل.

أما عن أبواب الجنة فهي ثمانية أبواب.

أما بناؤها فلبنة من ذهب، ولبنة من فضة، وهناك أيضًا جنتان من ذهب آتيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آتيتهما وما فيهما.

أما عن عَرْضِ الجنة وطولها، فعرضها كعرض السماء والأرض.

وأما طولها فلا يعلم مداه إلا الله سبحانه وتعالى، فإذا دخلها النبي ﷺ - كما أسلفنا - فأتمته أول الأمم بعده دخولاً صلوات الله وسلامه عليه فإذا دخلوها وجدوا تربتها مسكًا خالصًا أبيض وزعفرانًا، أما الحصباء (الحصى) فقطع اللؤلؤ الكبيرة التي هي في الغاية من الروعة والجمال.

إذا دخلوها سلمت عليهم الملائكة عند دخولها، وأعظم من ذلك وأجل فتحيتهم يوم يلقون ربهم سلام.

أما عن صفاتهم عند دخولها فوجوههم بيضاء مسفرة ضاحكة مستبشرة،

وجوههم كالقمر ليلة البدر، نزع من صدورهم الغل، أزيل عنهم التشاحن والتباغض والاختلاف، قلوبهم متألّفة كأنها قلب رجلٍ واحدٍ، طولهم عند دخولها ستون ذراعاً في السماء.

والجنة درجات، ودخلوها جماعات جماعات، أي على دفعات في أوقات. وأعلى درجاتها الوسيلة، وهي منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله يرجوها رسولنا محمد ﷺ لنفسه، ثم بعد ذلك الفردوس الذي فوقه عرش الرحمن، ثم سائر الجنان.

في الجنة سادة وشيوخ - بعد الأنبياء والمرسلين - : شيوخ كأبي بكر وعمر رضي الله عنه سيدا شيوخ أهل الجنة ما خلا الأنبياء والمرسلين - ، وسيدا الشباب حسنٌ وحسينٌ - رضي الله عنهما - وسيد الشهداء حمزة رضي الله عنه، وسيدة النساء فاطمة رضي الله عنها.

وأهل الجنة في الجملة قسمان:

﴿السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة: ١٠، ١١].

والقسم الثاني: أصحاب اليمين، وكل قسم ينقسم إلى أقسام عديدة. إذا دخلوها وجدوا فيها أنهاراً كثيرة، وجدوا فيها أنهاراً من ماءٍ غير آسن، وأنهاراً من لبن لم يتغير طعمه، وأنهاراً من خمر لذة للشاربين، وأنهاراً من عسلٍ مصفى!!!

وجدوا فيها كذلك النيل والفرات وسيحان وجيحان!!

وجدوا كذلك فيها نهر الحياة، الذي يلقي فيه من خرج من النار مسوداً محترقاً فيُلقي في النهر فيرجع أجمل ما كان وأحسن ما كان.

وجدوا كذلك الحوض والكوثر، وجدوا حوض النبي محمد ﷺ ماؤه أبيض من اللبن وأحلى من العسل، وعدد أنيته أكثر من عدد نجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً.

وجدوا الترع والعيون الجارية، والعيون الفوارة.

وجدوا روضات الجنات، وجدوا الجداول، وجدوا رَوْحًا ورِيحًا وجنة نعيم.
 وجدوا القصور التي لا يعلم حسنُها وجمالُها إلا الله فقد بنيت بالذهب والفضة،
 أنيتها وصحافها وقُدورها وقواريرها وما فيها من ذهب وفضة.
 وكذلك فهناك المساكن والبيوت والغرف والخيام الخيمة درة مجوفة طولها في
 السماء ستون ميلًا للمؤمن فيها أهلون لا يراهم الآخرون.
 ثم هم على تفاوت في الدرجات: فأقوام في أعلى عليين، وأقوام دون ذلك في
 الفضل والنعيم كذلك، قال تعالى: ﴿وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٢١].
 أما شجر الجنة:

فكبير وطويل وظله ممدود.

شجرة من شجرها يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها!!
 ظل دائم لا يفسح ولا يزول ﴿أَكُلْهَا دَائِمًا وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥] فاكهة الجنة قريبة
 من أهلها دانية منهم.
 أما عن سررها:

فمرفوعة عالية، سرر منسوجة بالذهب مرصعةً بالجواهر، الحشو الذي حُشيت
 به فُرُشها من استبرق، فإذا كانت البواطن من استبرق (وهو الحرير الخالص) فكيف
 بالظواهر!!

إن أمرها لعجيب، وإن شأنها لعظيم. هناك الأرائك التي يتكئون عليها والسرر التي
 ينامون عليها منها سررٌ في الحجال (أي: السرير فوقه خيمة تستر من يجلس عليه ويتكى).
 الأرضيات قد فُرشت بأبهى وأفخر الحرير وأجمله، أما الزرابي فمبثوثة منتشرة
 وهنالك الرفارف الخضر والعبقري الحسان.

إن سألت عن لباس أهل الجنة:

فمن حرير، سندس وإستبرق، ثياب خضر من أجمل الثياب وأحسن الثياب
 لونًا.

أما عن الحلي:

فلقد قال تعالى: ﴿يُحْتَلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: ٢٣].

أما صنوف الفاكهة:

فكلها هنالك بالجنة يتنعم بها أهلها كيف شاءوا، كما قال تعالى: ﴿فِيهَا مِنْ كُلِّ ثَمَرٍ أَكْثَرُ مِمَّا يَحْتَسِبُ﴾ [الرحمن: ٥٢]، وكما قال: ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨]، وكما قال: ﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ﴾ [يس: ٥٧]، فكل صنوف الفاكهة موجودة التي عرفناها والتي لم نعرفها.

وكذلك كل صنوف الحلوى وما يستلذ به من الطعام والشراب فهناك بالجنة، إذ الله قال: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١]، وقال تعالى: ﴿وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٢].

أما عن سائر طعام أهل الجنة:

فأول طعام يأكلونه زيادة كبد النون، والنون الحوت ففي الكبد زيادات هي أحب الطعام تؤخذ من الكبد ويكرم بها أهل الجنة، ثم ينحر لهم ثور الجنة الذي أكل من أطرافها.

وهناك اللحم: ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الواقعة: ٢١].

وهناك النسوة الحسنات: حور العين: واسعة العين، شديدة البياض، مع شدة سوادٍ مع اتساعٍ وحسنٍ وبهاءٍ وجمالٍ.

إنهن يبيضات كاللؤلؤ المكنون.

إن مخ سوقهن يُرى من وراء اللحم من الحسن.

إنهن متحبيات للأزواج عاشقات للأزواج.

قاصرات الطرف، لا تنظر إلا إلى زوجها.

قد جعلهن الله أبكارًا، وإن كن في الدنيا صرن عجائز لكنهن في الآخرة أبكارًا، عُرَبًا: محبيات للأزواج مدللات سعيدات بالأزواج، أترابًا: في سن واحدة كذلك فهن

كواعب: لم يتدلّ منهنّ الثدي؛ كالبنات، بل الثدي مستدير.

أما عن الجماع والشهوة: فقد أُعْطِيَ الواحد من أهل الجنة قوة مائة شخص في الجماع والشهوة، والحمل والإنجاب ممكن إن أَرَادَهُ الشخص واشتَهِاه ولكن ليس كحمل الدنيا، ولا وقته كوقته إنما كل ذلك على وجه حسنٍ وجميل وسريع. وكذلك هنالك مراضع لمن يشاء الله لها ذلك.

إن أهل الجنة لا يبولون ولا يتنخمون ولا يتغوطون ولا يبرزقون بل تخرج منهم فضلاتهم كعرق رائحته رائحة المسك.

أما عن خدم أهل الجنة: فكاللؤلؤ المكنون في حسنهم وجمالهم وعددهم في غاية من الكثرة يلبسون كل الطلبات ولا يتأخرون، وكما وصفهم ربي ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنثورًا﴾ [الإنسان: ١٩].

لا يتسرب إليهم المشيب، ولا تتقدم بهم الأعمار ولا يتغيرون عن حالتهم لسنٍ تقدم بهم.

أما عن سماعهم وكلامهم: فلا لغو في الجنة، ولا تأثيم فإذا سمعوا سمعوا كل خير، وإذا تكلموا تكلموا بكل خير، بالهم هادي، قلوبهم مطمئنة أذهب الله عنهم الحزن، ورزقهم الله الأمن والأمان.

هناك أماكن وأسواق للفسح والزيارات: يأتونها كل جمعة فيرجعون إلى أهاليهم، وقد ازدادوا حسنًا وجمالًا، فيجدون أهاليهم قد ازدادوا أيضًا من بعدهم حسنًا وجمالًا.

يتحدثون فيما بينهم بما كان منهم في دنياهم ويطلعون أحيانًا على أهل النار ليزدادوا شكرًا على ما امتن الله به عليهم: من السلامة والنجاة وفسيح الجنان وواسع المنازل.

إن نعيمهم لا يزول ولا يتحول: وهم الآخرون لا يبغون عن الجنة حولًا، ولا يريدون عنها تحولًا.

لقد حبيت إليهم الجنة وأحببتهم هي الأخرى، لقد رضوا عن معيشتهم فهم في

عيشة راضية.

إنهم في نعيم مقيم لا موت ولا شيخوخة ولا هرم، ينعمون بتكليم الله لهم، أجل تنعم ويسعدون بذلك أعظم سعادة.

يتلذذون بالنظر إلى وجه الله الكريم، وتلك أعظم لذة وأتمها وأكملها. يُحِلُّ الله عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم بعده أبدًا.

فنسأل الله أن يُحِلَّ علينا رضوانه فلا يسخط علينا بعده أبدًا، ونسأله سبحانه لذة النظر إلى وجهه والشوق إلى لقائه في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة. ونسأله سبحانه أن يسكننا الفردوس، وإلى التفصيل لما قد ذكر، وبالله التوفيق.

أين الجنة؟

أما عن مكان الجنة فهي فوق السماء السابعة، وذلك لما تقدمت الإشارة إليه من أن النبي ﷺ رآها ليلة المعراج بعد أن تجاوز السماء السابعة، فقد رأى سدرة المنتهى^(١)، وقال تعالى: ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ [النجم: ١٤، ١٥].

- فوق الجنة عرش الرحمن كما جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ وقد تقدم، ففيه أن النبي ﷺ قال في شأن الفردوس: «... وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ».

ورائحة الجنة توجد عن بُعد وتشم كذلك عن بُعد:

ففي الحديث: «وإنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا»^(٢)

ولقد قال أنس بن النضر يوم أحد: وأما لريح الجنة أجده دون أحد^(٣). وهناك روايات أخرى.

(١) في الحديث: ثم عرج إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقبل من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: وقد بعث إليه، قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم ﷺ مُسْنَدًا ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه، ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى، وإذا ورقها كآذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال، قال: فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها، (مسلم، حديث ١٦٢)، والبخاري (٧٥٠٧).

(٢) البخاري (٣١٦٦).

(٣) البخاري (٢٨٠٥).

فمن الناس من يشم رائحة الجنة عن بُعد، ومنهم من يشمها عن مسافة أقرب وأقرب.

وأهل الجنة يعرفونها قبل دخولها:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَلُهُمْ﴾ ﴿١٠٠﴾ سَيِّئِهِمْ وَيُصْلِحْ بَاهُمْ ﴿١٠١﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ﴾ [محمد: ٤-٦].

وقال رسول الله ﷺ: ^(١) «إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ حُبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَيَتَقَاصُونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا نَقُّوا وَهَذَّبُوا أُذُنَ لَهُمْ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَأَحَدُهُمْ بِمَسْكَنِهِ فِي الْجَنَّةِ أَدْلُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا».

وفي الصحيحين ^(٢) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ فَإِنَّهُ يُعْرَضُ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، فَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ».

ويُحْشَرُونَ إِلَيْهَا وَفَوْدًا مَكْرَمِينَ:

قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥].

ويُسَاقُونَ إِلَيْهَا جَمَاعَاتٍ جَمَاعَاتٍ:

قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ [الزمر: ٧٣].

ثم إن الجنة تقرب من أهلها وتشتاق إليهم وتفتح لهم أبوابها وتستقبلهم الحزنة بحفاوة وترحيب، فقد قال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [ق: ٣١] أي: أنها أدنيت وقُرِّبت.

وقال تعالى: ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُمْتَعَةٍ هُمُ الْأَبْوَابُ﴾ [ص: ٥٠]، وقال سبحانه: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣].

(١) البخاري (٢٤٤٠).

(٢) البخاري (٣٢٤٠)، ومسلم (٢٨٦٦).

أما عرض الجنة وطولها:

فطولها لا يعلمه إلا الله عزَّ وجلَّ، أما عرضها فقد قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [آل عمران: ١٣٢]، وقال تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢١].

فإذا كان هذا العرض فما ظنك بالطول.

أما عن بناء الجنة:

فلبنة من ذهب، ولبنة من فضة، وهناك جنتان بناؤهما كله من ذهب، وأخريان بناؤهما كله من فضة، ففي الحديث وسيأتي: «جَنَّتَانِ مِّن ذَهَبٍ آتِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا وَجَنَّتَانِ مِّن فِضَّةٍ آتِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا».

وعند ابن راهويه^(١) بسندٍ قد يُحَسَّن مثله عن أبي هريرة قال: قلت يا رسول الله ما بناء الجنة؟ قال: «لَبْنَةٌ مِّن ذَهَبٍ، وَلَبْنَةٌ مِّن فِضَّةٍ، وَمَلَأْتُهَا الْمِسْكَ، وَتُرْبَتُهَا الرَّغَفَرَانُ، وَحَصْبَتُهَا اللُّؤْلُؤُ، مَن يَدْخُلُهَا يَنَعَمَ لَا يَبْأَسُ، وَلَا يَخْرُقُ ثِيَابَهُ، وَلَا يَبْلَى شَبَابَهُ».

أما عن أبوابها فهي ثمانية أبواب، ففي الصحيح^(٢) من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: «فِي الْجَنَّةِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ»، وفي صحيح مسلم من حديث عمر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِّن أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبَلِّغُ الْوُضُوءَ (أَوْ) فَيَسْبِغُ الْوُضُوءَ) ثُمَّ يَقُولُ أَشْهَدُ أَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ»^(٣).

ومنها باب للصائمين، وباب للمجاهدين، وباب للصلاة وباب للصدقة وغير ذلك، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «مَنْ أَتَقَّ زَوْجَيْنِ مِنْ شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ دُعِيَ مِنْ أَبْوَابٍ - يَعْنِي الْجَنَّةَ - يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ

(١) مسند إسحاق (١/ ٣١٧).

(٢) البخاري (٣٢٥٧).

(٣) مسلم (٢٣٤).

الْجَهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّيَامِ وَبَابِ الرِّيَانِ». فقال أبو بكر: ما على هذا الذي يُدعى من تلك الأبواب من ضرورة، وقال: هل يدعى منها كلها أحدٌ يا رسول الله؟ قال: «نعم، وأرجو أن، تَكُونَ مِنْهُمْ يَا أَبَا بَكْرٍ»^(١).

أما عن سعة أبواب الجنة:

فقد روى الإمام أحمد بإسنادٍ حسن عن حكيم بن معاوية عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «أَنْتُمْ تُوفُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً، أَنْتُمْ آخِرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَا بَيْنَ مَصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ عَامًا، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهِ يَوْمٌ وَإِنَّهُ لَكَظِيفٌ»^(٢).

ونبيننا محمد ﷺ أول من تفتح له الجنة

والجنة لا تفتح أبوابها لأحد قبل هذا النبي الكريم ﷺ، أخرج مسلم^(٣) في صحيحه من حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «أَتَى بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَاسْتَفْتَحُ. فَيَقُولُ الْحَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ». وفي صحيح مسلم^(٤) أن النبي ﷺ قال: «أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الْجَنَّةِ».

أما عن أهل الجنة فأهلها أهل الإسلام:

أهل الإيمان أهل التوحيد فالجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة كما قال النبي ﷺ، فقد أمر بلا لاً أن ينادي في الناس: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ»^(٥).

ولقد قال أهل الجنة لأهل النار لما سألوهم: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾

(١) البخاري (حديث: ٣٦٦٦)، ومسلم (١٠٢٧).

(٢) أحمد (٥/٣).

(٣) مسلم (١٩٧).

(٤) مسلم (حديث ١٩٦).

(٥) البخاري (٦٦٠٦)، ومسلم (١١١)، وفي بعض الروايات: إلا المؤمنون.

[الأعراف: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

إن أهل الجنة هم المتقون^(١):

وصفهم الله بقوله: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكِبَاطِ وَالْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

ألا فليصبر الفقراء:

ففي الصحيح^(٢) من حديث عمران بن حصين عن النبي ﷺ قال: «اطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ، وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ».

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «يَدْخُلُ فُقَرَاءُ الْمُسْلِمِينَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهِمْ يَنْصِفُ يَوْمٌ، وَهُوَ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ»^(٣).

وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ يَسْبِقُونَ الْأَغْنِيَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَرْبَعِينَ خَرِيفًا»^(٤).

وفي الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه^(٥): «وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى، وَمُسْلِمٌ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ».

وفي الصحيحين^(٦) من حديث حارثة ابن وهب قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ: كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ».

(١) الذين اتقوا الشرك بالله.

(٢) البخاري (٣٢٤١)، ومسلم (٢٧٣٨).

(٣) إسناده صحيح، رواه الترمذي (٢٣٥٣، ٢٣٥٤).

(٤) مسلم (٢٩٧٩).

(٥) مسلم (٢٨٦٥).

(٦) البخاري (٤٩١٨)، ومسلم (٢٨٥٣).

وقد جاءت نصوص في أمور من فعلها دخل الجنة: وذلك فيمن قال: لا إله إلا الله، مخلصاً من قلبه، ومن حافظ على الصلوات الخمس مع تحسين الوضوء والحج المبرور، ومن مات لها اثنان من الولد فاحتسبت، والذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون، ومن خاف ربه فله جنتان، والمتحابون في الله والشهداء، ومن حفظ ما بين لحييه وما بين رجله، ومن تورع عن سؤال الناس شيئاً، ومن بنى لله مسجداً، وأمور شتى - أعاننا الله على كل خير - .

وأمة محمد ﷺ أول الأمم دخولاً الجنة بعد نبيهم ﷺ، ففي صحيح مسلم^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «نَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، يَبْدَأُ أَتَمُّهُمُ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا وَأُوتِيَانَهُ مِنْ بَعْدِهِمْ. فَاخْتَلَفُوا فَهَذَا اللَّهُ لَمَّا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ، فَهَذَا يَوْمُهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ، هَذَا اللَّهُ لَهُ (قَالَ: يَوْمَ الْجُمُعَةِ) فَالْيَوْمَ لَنَا، وَغَدًا لِلْيَهُودِ، وَبَعْدَ غَدٍ لِلنَّصَارَى».

ومن هذه الأمة سبعون ألفاً، وفي بعض الروايات سبعمائة ألفٍ يدخلون الجنة بغير حساب:

وانظر إلى صفتهم أثناء الدخول، ففي الصحيحين من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لِيَدْخُلَنَّ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا - أَوْ سَبْعُمِائَةِ أَلْفٍ - لَا يَدْخُلُ أَوَّلُهُمْ حَتَّى يَدْخُلَ آخِرُهُمْ، وَجُوهُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ»^(٢). وفي رواية: «أَخَذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا»^(٣).

إن أهل الجنة يتفاضلون تفاضلاً كبيراً فيما بينهم، ويتفاوتون في الدرجات تفاوتاً أعظم بكثير من ذلك التفاوت في درجات الدنيا.

قال تعالى: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ۚ وَلَآ خِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٢١].

(١) مسلم (حديث ٨٥٥)، واللفظ له، وأصله عند البخاري (٣٤٨٦).

(٢) البخاري (٣٢٤٧)، ومسلم (٥٤٨).

(٣) مسلم (٢١٩)، والبخاري (٦٥٥٤).

وقال تعالى: ﴿هُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٦٣]، وقال تعالى: ﴿هُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤].

وأهل الجنة في الجملة ينقسمون إلى قسمين السابقين المقربين، وأصحاب اليمين:

ولقد ذكر هذا القسمان في عدة سور من كتاب الله عز وجل فقد قال تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ ① فَأَصْحَبُ الِئِمَّةِ مَا أَصْحَبُ الِئِمَّةِ ② وَأَصْحَبُ الِئِمَّةِ مَا أَصْحَبُ الِئِمَّةِ ③ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ④ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ⑤ [الواقعة: ٧ - ١١].

وفي آخر السورة قال تعالى: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ ⑥ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ⑦ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الِئِمَّةِ ⑧ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الِئِمَّةِ ⑨ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمَكِيدِينَ الضَّالِّينَ ⑩ فَتَزَلُّ مِنْ حَيْمٍ ⑪ وَتَضْلِيَةُ حَيْمٍ ⑫ [الواقعة: ٨٨ - ٩٤].

أما عن أول زمرة تدخل الجنة فلا اختلاف بينهم ولا تباغض، ففي الصحيحين^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر، لا يبصقون فيها ولا يمتخطون ولا يتغوطون، آنتهم فيها الذهب، أمشاطهم من الذهب والفضة، وبجائرهم الألوة، ورشحهم المسك، ولكل واحد منهم زوجتان يرى مع سوقيهما من وراء اللحم من الحسن. لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم قلب واحد، يسبحون الله بكرة وعشيا».

والغل منزوع من صدورهم، قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧].

وطولهم عند دخول الجنة ستون ذراعاً:

ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «خلق الله عز وجل آدم على صورته، طوله ستون ذراعاً، فلما خلقه قال: اذهب فسلم على أولئك النفر، وهم نفر من الملائكة جلوس، فاستمع ما يحيونك، فإنها تحيتك ونحيه».

ذُرِّيَّتِكَ، قَالَ: فَذَهَبَ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ. فَقَالُوا: السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ. قَالَ: فزادوه: وَرَحْمَةُ اللَّهِ. قَالَ: فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ. وَطُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا. فَلَمْ يَزَلِ الْخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدَهُ حَتَّى الْآنَ^(١).

ووجوه أهل الجنة ناضرة بيضاء:

قال تعالى: ﴿وُجُوهُ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهُ﴾ [آل عمران: ١٠٦]، وكما هو معلوم فإنها قلوب أهل الإيمان.

وجوههم مسفرة ضاحكة مستبشرة.

وفي الجنة سادة وسيدات:

فسيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه^(٢).

وسيدا شبابها الحسن والحسين رضي الله عنهما^(٣).

وسيدة نساءها فاطمة بنت رسول الله ﷺ^(٤).

عتقاء الله:

في الصحيحين^(٥) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: ... فذكر حديثاً طويلاً فيه: «فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ. وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبُضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيَخْرُجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ، قَدْ عَادُوا حُمَمًا، فَيَلْقِيهِمْ فِي نَهْرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ نَهْرُ الْحَيَاةِ. فَيَخْرَجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحَبَّةُ فِي حِمْلِ السَّيْلِ. أَلَا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الْحَجَرِ أَوْ إِلَى الشَّجَرِ. مَا

(١) البخاري (حديث ٣٣٣٦)، ومسلم (٢٨٤١).

(٢) حسن بمجموع طرقه: أخرجه الحاكم في «المستدرک» (٣/ ١٩٥)، وغيره، وانظر كتابي الصحيح المسند من فضائل الصحابة.

(٣) صحيح: انظر «مسند أحمد» (٣/ ٣)، والترمذي (٣٧٦٨).

(٤) صحيح انظر البخاري (٣٦٢٣)، ومسلم (٢٤٥٠)، والحاكم في المستدرک (٣/ ١٥١).

(٥) البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣) واللفظ له.

يَكُونُ إِلَى الشَّمْسِ أَصْفَرُ وَأَخْيَضُ. وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ يَكُونُ أَبْيَضَ؟»

فقالوا: يا رسول الله! كَأَنَّكَ كُنْتَ تَرَعَى بِالْبَادِيَةِ.

قَالَ: «فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِمُ، يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ. هَؤُلَاءِ عَتَقَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ أَدَخَلَهُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ وَلَا خَيْرَ قَدَمُوهُ. ثُمَّ يَقُولُ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ. فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا! أَعْطَيْنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ. فَيَقُولُ: لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا. فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا! أَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا؟ فَيَقُولُ: رِضَايَ. فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا».

وهناك خلق يُنشئهم الله عزَّ وجل للجنة فيدخلهم إيَّاهَا؛ ففي الحديث: «....»
وَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللَّهَ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا^(١).

أما عن عدد الجنات، فالذي وقفت عليه بالدليل أنها في الجملة أربع، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ [الرحمن: ٤٦]، ثم قال بعد ذلك: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّاتٍ﴾ [الرحمن: ٦٢].

ولقول النبي ﷺ: «جَنَّاتٍ مِنْ ذَهَبٍ آبَتْهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّاتٍ مِنْ فِضَّةٍ آبَتْهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِذَاءُ الْكِبَرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةٍ عَدْنٍ»^(٢).

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - في كتابه «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح»: وقد اختلف في قوله: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا﴾ هل المراد به أنها فوقهما أو تحتها على قولين: فقالت طائفة: من دونها أي أقرب منهما إلى العرش فيكونان فوقهما.

وقالت طائفة: بل معنى من دونها تحتها قالوا: وهذا المنقول في لغة العرب إذا قالوا: هذا دون هذا أي دونه في المنزل، كما قال بعضهم لمن بالغ في مدحه: أنا دون ما تقول وفوق ما في نفسك، وفي الصحاح دون نقيض فوق وهو تقصير عن الغاية ثم

(١) أخرجه البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٧).

(٢) البخاري (٤٨٧٨)، ومسلم (١٨٠).

قال: ويقال هذا دون هذا أي أقرب منه والسياق يدل على تفضيل الجنتين الأوليين من عشرة أوجه:

أحدهما: قوله: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ [الرحمن: ٤٨] وفيه قولان: أحدهما: أنه جمع فن وهو الغصن والثاني: أنه جمع فن وهو الصنف أي ذواتا أصناف شتى من الفواكه وغيرها، ولم يذكر ذلك في اللتين بعدهما.

الثاني: قوله: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ [الرحمن: ٥٠] وفي الآخرين: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٦] والنضاجة: هي الفوارة والجارية السارحة، وهي أحسن من الفوارة؛ لأنها تتضمن الفوران والجريان.

الثالث: أنه قال: ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ [الرحمن: ٥٢] وفي الآخرين: ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨] ولا ريب أن وصف الأوليين أكمل، واختلف في هذين الزوجين بعد الاتفاق على أنها صنفان فقالت طائفة الزوجان الرطب واليابس الذي لا يقصر في فضله وجودته عن الرطب، وهو يتمتع به كما يتمتع باليابس وفيه نظر لا يخفى، وقالت طائفة الزوجان صنف معروف وصنف من شكله غريب، وقالت طائفة: نوعان ولم تزد، والظاهر - والله أعلم - أنه الحلو والحامض والأبيض والأحمر؛ وذلك لأن اختلاف أصناف الفاكهة أعجب وأشهى وألذ للعين والشم.

الرابع: أنه قال: ﴿مُتَكَبِّرِينَ عَلَى فُرْشٍ بَطَّائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمن: ٥٤] وهذا تنبيه على فضل الظواهر وخطرها، وفي الآخرين قال: ﴿مُتَكَبِّرِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ [الرحمن: ٧٦] وفسر الرفرف بالمحابس والبسط، وفسر بالفرش، وفسر بالمحابس فوقها، وعلى كل قول فلم يصفه بها وصف به فرش الجنتين الأوليين.

الخامس: أنه قال: ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمن: ٥٤] أي قريب سهل يتناولونه كيف شاءوا ولم يذكر ذلك في الآخرين.

السادس: أنه قال: ﴿فِيهِنَّ قَصِيرَاتُ الْإِرْفَادِ﴾ [الرحمن: ٥٦] أي قد قصرن طرفهن على أزواجهن، فلا يردن غيرهم لرضاهن بهم ومحبتهم لهن، وذلك يتضمن قصر

أطراف أزواجهن عليهن، فلا يدعهم حسنهن أن ينظروا إلى غيرهن، وقال في الآخرين: ﴿خُورٌ مَّقْصُورَةٌ فِي الْحَيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢] ومن قصرت طرفها على زوجها باختيارها أكمل ممن قصرت بغيرها.

السابع: أنه وصفهن بشبه الياقوت والمرجان في صفاء اللون، وإشراقه وحسنه، ولم يذكر ذلك في التي بعدها.

الثامن: أنه قال سبحانه وتعالى في الجنتين الأولين: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ [الرحمن: ٦٠] وهذا يقتضي أن أصحابهما من أهل الإحسان المطلق الكامل فكان جزاؤهم بإحسان كامل.

التاسع: أنه بدأ بوصف الجنتين الأولين وجعلهما جزاءً لمن خاف مقامه، وهذا يدل على أنه أعلى جزاء الخائف لمقامه، فرتب الجزاء المذكور على الخوف ترتيب المسبب على سببه ولما كان الخائفون على نوعين مقربين، وأصحاب يمين ذكر جنتي المقربين ثم ذكر أصحاب اليمين.

العاشر: أنه قال: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٢] والسياق يدل على أنه نقيض فوق كما قال الجوهرى، فإن قيل: فكيف انقسمت هذه الجنان الأربع على من خاف مقام ربه؟ قيل: لما كان الخائفون نوعين كما ذكرنا كان للمقربين منهم الجنتان العاليتان، ولأصحاب اليمين الجنتان اللتان دونهما، فإن قيل: فهل الجنتان لمجموع الخائفين يشتركون فيهما أم لكل واحد جنتان وهما البستانان؟ قيل: هذا فيه قولان للمفسرين ورجح القول الثاني بوجهين:

أحدهما: من جهة النقل.

الثاني: من جهة المعنى، فأما الذي من جهة النقل فإن أصحاب هذا القول رووا عن رسول الله ﷺ أنه قال: «هُمَا بُسْتَانَانِ فِي رِيَاضِ الْجَنَّةِ» وأما الذي من جهة المعنى فإن إحدى الجنتين جزاء أداء الأوامر، والثانية: جزاء اجتناب المحارم.

فإن قيل: فكيف قال في ذكر النساء «فيهن» في الموضعين ولما ذكر غيرهن قال

«فيهما»؟

قيل: لما ذكر الفرش قال بعدها: ﴿فِيهِنَّ خَيْرٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمن: ٧٠] ثم أعاده في الجنتين الآخرين بهذا اللفظ ليتشاكل اللفظ والمعنى، والله أعلم.

أما عن عدد درجات الجنان فهذا أمر لا يعلمه إلا الله:

ومما وقفت عليه من الأدلة ما يلي:

قول النبي ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ»^(١).

وقوله ﷺ: «فَإِنَّكَ لَنْ تَسْجُدَ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَكَ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً»^(٢).

وقوله ﷺ: «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ فَإِنْ مَنَزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرُوهَا»^(٣).

وقوله تعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ﴾ ﴿٧٦﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّىٰ﴾ [طه: ٧٦].

وفي الجنة منزلة لا تنبغي إلا لعبيد من عباد الله يرجوها رسولنا ﷺ لنفسه، ألا وهي الوسيلة؛ ففي الحديث: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ بِهَا عَلَيَّ عَشْرًا ثُمَّ سَلُّوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبِيدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ»^(٤).

وإذا دخل أهل الجنة الجنة وجدوا تربتها (ترابها) مسكًا خالصًا أبيض؛ ومنها مواطن تربتها زعفران؛ أما الحصى الذي بها فهو قطعٌ كبيرةٌ من لؤلؤ، فلقد سأل النبي ﷺ ابن صياد عن تربة الجنة فقال: درمكة بيضاء مسك خالص، فقال رسول الله ﷺ: «صَدَقَ»^(٥)، وفي بعض الروايات أن الذي سأل هو ابن صياد، والذي أجاب هو رسول الله

(١) صحيح، وقد تقدم.

(٢) مسلم (٤٨٨).

(٣) إسناده حسن، أخرجه أبو داود (١٥٣ / ٢)، والترمذي (٢٣٢ / ٨)، وقال هذا حديث حسن صحيح.

(٤) مسلم (مع النووي ٨٥ / ٤)، وجاء ذكر الوسيلة أيضًا عند البخاري (مع الفتح ٨ / ٣٩٩).

(٥) مسلم (٢٩٢٨).

ﷺ، والأمر في ذلك قريب.

ووجدوا فيها أيضًا قطع اللؤلؤ الكبيرة العظيمة:

وفي الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «أَدْخِلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا فِيهَا جَنَابِدُ^(١) اللَّوْلُؤِ، وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ»^(٢).

ووجدوا فيها أنهارًا لا يعلم عددها إلا الله - عز وجل - قال تعالى: ﴿وَنَشَرُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ هُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة: ٢٥]، وفي آية أخرى: ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ﴾ [يونس: ٩].

ومن هذه الأنهار: أنهارٌ من ماء غير آسنٍ، وأنهار من لبنٍ لم يتغير طعمه، وأنهار من خيرٍ لذة للشاربين، وأنهارٌ من عسلٍ مصفى.

قال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ [محمد: ١٥].

وفي الحديث^(٣) عن رسول الله ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَحْرَ الْمَاءِ وَبَحْرَ^(٤) الْعَسَلِ وَبَحْرَ اللَّبَنِ وَبَحْرَ الْخَمْرِ ثُمَّ يُشَقَّقُ الْأَنْهَارُ بَعْدَهُ».

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - في كتابه «حادي الأرواح»:

فذكر سبحانه هذه الأجناس الأربعة، ونفى عن كل واحد منها الآفة التي تعرض له في الدنيا فآفة الماء أن يأسن ويأجن من طول مكثه، وآفة اللبن أن يتغير طعمه إلى الحموضة وأن يصير قارصًا، وآفة الخمر كراهة مذاقها المنافي للذة شربها، وآفة العسل عدم تصفيته.

(١) يعني، والله أعلم قطع اللؤلؤ الكبيرة، فالجنابذ جمع جنبذة وهي كل شيء مرتفع مستدير، وفي الحديث الخيمة درة مجوفة.

(٢) البخاري (٣٤٩)، ومسلم (١٦٣).

(٣) صحيح لشواهد: وأخرجه الترمذي (٢٥٧١).

(٤) والبحر يطلق أحيانًا على النهر، وذلك لاتساعه، فالحبر يطلق على الشيء الواسع، ومنه الحديث في شأن الفرس (وإن وجدناه لبحرًا أي واسع الخطو سريع).

وهذا من آيات الرب تعالى أن، تجري أنهار من أجnas لم تجر العادة في الدنيا بإجرائها، ويجريها في غير أخدود وينفي عنها الآفات التي تمنع كمال اللذة بها، كما ينفي عن خمر الجنة جميع آفات خمر الدنيا من الصداق والغول واللغو والإنزاف وعدم اللذة فهذه خمس آفات من آفات خمر الدنيا تغتال العقل ويكثر اللغو على شربها؛ بل لا يطيب لشربها ذلك إلا باللغو وتنزف في نفسها وتنزف المال وتصدع الرأس وهي كراهية المذاق وهي رجس من عمل الشيطان توقع العداوة والبغضاء بين الناس، وتصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وتدعو إلى الزنا وربما دعت إلى الوقوع على البنت والأخت وذوات المحارم وتذهب الغيرة وتورث الخزي والندامة والفضيحة وتلحق شاربها بأنقص نوع الإنسان وهم المجانين، وتسلبه أحسن الأسماء والسمات وتكسوه أقبح الأسماء والصفات، وتسهل قتل النفس وإفشاء السر الذي في إفشائه مضرته أو إهلاكه، ومؤاخاة الشياطين في تبذير المال الذي جعله الله قيامًا له ولم يلزمه مؤنته، وتهتك الأستار وتظهر الأسرار وتدل على العورات، وتهون ارتكاب القبائح والمآثم، وتخرج من القلب تعظيم المحارم، ومدمنها كعابد وثن، وكم أهاجت من حرب وأفقرت من غني، وأذلت من عزيز، ووضعت من شريف، وسلبت من نعمة، وجلبت من نقمة، وفسخت مودة، ونسجت عداوة، وكم فرقت بين رجل وزوجته فذهبت بقلبه وراحت بلبه، وكم أورثت من حسرة وأجرت من عبرة وكم أغلقت في وجه شاربها بابًا من الخير وفتحت له بابًا من الشر، وكم أوقعت في بلية وعجلت من منية وكم أورثت من خزية، وجرت على شاربها من محنة، وجرت عليه من سفلة فهي جماع الإثم ومفتاح الشر وسلاية النعم وجالبة النقم، ولو لم يكن من رذائلها إلا أنها لا تجتمع هي وخمر الجنة في جوف عبد كما ثبت عنه ﷺ أنه قال: «مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَشْرَبْهَا فِي الْآخِرَةِ» لكفى.

وآفات الخمر أضعاف أضعاف ما ذكرنا وكلها منتفية عن خمر الجنة.

فإن قيل: فقد وصف سبحانه الأنهار بأنها جارية ومعلوم أن الماء الجاري لا يأسن فما فائدة قوله: غير آسن؟

قيل: الماء الجاري وإن كان لا يأسن فإنه إذا أخذ منه شيء وطال مكثه أسن، وماء الجنة لا يعرض له ذلك ولو طال مكثه ما طال.

وتأمل اجتماع هذه الأنهار الأربعة التي هي أفضل أشربة الناس فهذا لشربهم وطهورهم، وهذا لقوتهم وغذائهم وهذا لذتهم وسرورهم، وهذا لشفائهم ومنفعتهم والله أعلم.

وهذه الأنهار تتفجر من الفردوس:

ففي الصحيح ^(١) من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفَرْدَوْسَ فَإِنَّهُ وَسْطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ» ^(٢).

وفيهما نهران ظاهران ونهران باطنان:

ألا وهما سيحان وجيحان والنيل والفرات، ففي الحديث عن رسول الله ﷺ قال: «سَيْحَانُ وَجَيْحَانُ وَالْفُرَاتُ وَالنَّيْلُ كُلُّ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ» ^(٣).

وهذان النهران الظاهران والنهران الباطنان يخرجان من ساق سدرة المنتهى:

ففي الصحيحين ^(٤) من حديث مالك بن صعصعة - رضي الله عنه - قال: قال النبي ﷺ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ عِنْدَ الْبَيْتِ...» فذكر الحديث وفيه: «... وَرُفِعْتُ لِي سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى، فَإِذَا نَبْقُهَا كَأَنَّهُ قِلَالٌ هَجَرٌ، وَوَرَقُهَا كَأَنَّهُ آذَانُ الْفَيْوَلِ، فِي أَصْلِهَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ: نَهْرَانِ بَاطِنَانِ وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ. فَسَأَلْتُ جَبْرِيلَ فَقَالَ: أَمَّا الْبَاطِنَانِ فَفِي الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ النَّيْلُ وَالْفُرَاتُ».

(١) صحيح، وقد تقدم.

(٢) قال ابن القيم رحمه الله «حادي الأرواح»: وأنهار الجنة تتفجر من أعلاها ثم تنحدر نازلة إلى أقصى درجاتها.

(٣) صحيح مسلم (٢٨٣٩).

(٤) البخاري (٣٢٠٧).

وفي الجنة نهر الحياة:

أخرج البخاري ومسلم^(١) من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: ... فذكر الحديث وفيه: «فَيَشْفَعُ النَّبِيُّ وَالْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ، فَيَقُولُ الْجَبَّارُ بَقِيَتْ شَفَاعَتِي فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ أَقْوَامًا قَدْ امْتَحَشُوا فَيُلْقَوْنَ فِي نَهْرٍ بِأَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ مَاءُ الْحَيَاةِ فَيَنْبَتُونَ فِي حَافَتَيْهِ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي حِمْلِ السَّيْلِ قَدْ رَأَيْتُمُوهَا إِلَى جَانِبِ الصَّخْرَةِ وَإِلَى جَانِبِ الشَّجَرَةِ فَمَا كَانَ إِلَى الشَّمْسِ مِنْهَا كَانَ أَخْضَرَ، وَمَا كَانَ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ كَانَ أَبْيَضَ فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمُ اللَّوْلُؤُ فَيُجْعَلُ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِيمُ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فَيَقُولُ أَهْلُ الْجَنَّةِ هَؤُلَاءِ عَتَقَاءُ الرَّحْمَنِ أَدْخَلَهُمُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ وَلَا خَيْرَ قَدَّمُوهُ، فَيُقَالُ لَهُمْ لَكُمْ مَا رَأَيْتُمْ وَمِثْلُهُ مَعَهُ».

وفيهما كذلك الحوض والكوثر:

أخرج البخاري^(٢) من حديث أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ، إِذْ أَنَا بِنَهْرٍ حَافَتَاهُ قِيَابُ الدَّرِّ الْمُجَوَّفِ، قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ، فَإِذَا طَيِّبُهُ - أَوْ طَيِّبُهُ - مِنْكَ أَذْفَرُ».

ومما ورد في وصف الكوثر:

ما أخرجه مسلم^(٣) في صحيحه من حديث أنس قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا، إذ أغفَى إغفاءً، ثم رفع رأسه مُتَبَسِّمًا، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟! قال: «أُنْزِلْتُ عَلَىٰ آيَاتِ سُورَةِ» فقرأ: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْخَرْ﴾ ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ١ - ٣] ثم قال: «أَتَذَرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟» فقلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدْنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ. هُوَ حَوْضٌ تَرْدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَنِيَّةُ عَدَدِ النُّجُومِ، فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ، فَأَقُولُ: رَبِّ! إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي، فَيَقُولُ: مَا تَذَرِي مَا أَحَدَّثْتَ بَعْدَكَ؟».

(١) البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣).

(٢) البخاري (٦٥٨١).

(٣) مسلم (٤٠٠).

وفي الجنة ترعُ كذلك:

فعند أحمد بسند صحيح من حديث أبي هريرة أن النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - قال: «مِثْرِي هَذَا عَلَى ثُرْعَةٍ مِنْ ثُرْعِ الْجَنَّةِ»^(١).

وفي الجنة عيونٌ كذلك:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْأُمْتَقِينَ فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الحجر: ٤٥] من هذه العيون السلسبيل، ومنها التسنيم ومنها الكافور، قال تعالى: ﴿وَمَزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ. [المطففين: ٢٧، ٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا. [الإنسان: ١٧، ١٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا. [الإنسان: ٥، ٦].

وقد قال بعض أهل العلم: إن هذه العيون المذكورة (تسним وسلسبيل وعين الكافور) كلها معدة للمقربين، ولكنها تخط وتمزج لأصحاب اليمين، فالمقربون يشربون منها صرفاً خالصة صافية لم تُشَبَّ (أي لم تخطط) بغيرها.

أما أصحاب اليمين فتمزج لهم هذه العيون بغيرها، ودلَّ على ذلك ما ذكر من الآيات الكرييات، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ. تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ. يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ. خِتَمُهُ مِسْكَ. وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ. وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ. [المطففين: ٢٢ - ٢٧] أي: وخليطه من تسنيم، وإذا سألت عن التسنيم ما هي؟ وجدت جواباً ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: ٢٨] أي يشرب منها المقربون.

فهي تمزج لأصحاب اليمين - الذين هم ها هنا الأبرار - مزجاً ويشرب بها المقربون صرفاً.

هذا، ومما ورد في ذكر العيون أيضاً قوله تعالى: ﴿فِيهَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ [الرحمن: ٥٠]، وقوله تعالى: ﴿فِيهَا عَيْنَانِ نَضَاحَتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٦].

وفي الجنة روضات:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [الشورى: ٢٢]، وقال النبي ﷺ: «مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِیَاضِ الْجَنَّةِ»^(١).

وشجر الجنة كبير وظله ممدود:

قال تعالى: ﴿وَوَظِلٌّ مُمْدُودٌ﴾ [الواقعة: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ [النساء: ٥٧].

وفي الصحيحين^(٢) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاکِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ سَنَةٍ لَا يَقْطَعُهَا» واقرأوا إن شئتم: ﴿وَوَظِلٌّ مُمْدُودٌ﴾ [الواقعة: ٣٠].

وفيهما من حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاکِبُ الْجَوَادَ الْمُضْمَرَ السَّرِيعَ مِائَةَ عَامٍ مَا يَقْطَعُهَا»^(٣). وفي هذا الباب عدة أحاديث عن رسول الله ﷺ.

فاكهة الجنة وثمرها

أما عن فاكهة الجنة وثمرها، فالجنة فيها من كل صنوف الفاكهة ما علمنا منها وما لم نعلم، وقد قال تعالى: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ ءَامِنِينَ﴾ [الدخان: ٥١] قيل: آمنين من انقطاعها ومضرتها.

وقال تعالى: ﴿مُتَكِينِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾ [ص: ٥٠ - ٥١].

وقال تعالى: ﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٥٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٢، ٣٣] أي: لا

(١) البخاري (١١٩٥)، ومسلم (١٣٩٠).

(٢) البخاري (٣٢٥٢)، ومسلم (٢٨٢٦).

(٣) البخاري (٤٨٨١)، ومسلم (٢٨٢٨)، وقوله المضمر (بضم الميم الأولى وتشديد الميم الثانية) صفة للخليل المعلوف بطريقة معينة، وهي أنه تعلق حتى تسمن ثم لا تعلق إلا قوتاً لتخف.

تكون في وقتٍ دون وقتٍ، ولا تمنع ممن أرادها فثمارها قريبة دانية يقطفون منها كيف شاءوا.

قال تعالى: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذِيلًا﴾ [الإنسان: ١٤]، وقال تعالى: ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمن: ٥٤] أي أن ثمر الجنتين متدلٍ وقريب.

في الجنة السدر المخضود، والمخضود الذي قد خضد^(١) شوكة أي نُزع شوكة وقطع فلا شوكة فيه، والطلح المنضود (وهو الموز)، فيها ﴿وَجَنَّتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ﴾ [الأنعام: ٩٩].

فيها زرع ونخيل، قال تعالى: ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨]، وقال تعالى: ﴿فِيهَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ رَّزْجَانٍ﴾ [الرحمن: ٥٢].

وعموماً ففيها من كل الثمرات، قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [محمد: ١٥].

قال ابن القيم رحمه الله:

وأما الطلح، فأكثر المفسرين قالوا: إنه شجرة الموز، قال: مجاهد أعجبهم طلع وج وحسنه فقليل لهم: ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ [الواقعة: ٢٩] وهذا قول علي بن أبي طالب وابن عباس وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري.

وقالت طائفة أخرى بل هو شجر عظام طوال وهو شجر البوادي الكثير الشوك عند العرب قال حاديهـم:

بشـرـها دليـلـها وقـالـا غداً تـرـين الطلـح والجـبالـا

ولهذا الشجر نور ورائحة طيبة وظل ظليل، وقد نضد بالحمل والثمر مكان الشوك وقال ابن قتيبة: «هو الذي نضد بالحمل أو بالورق والحمل من أوله إلى آخره فليس له ساق بارز وقال مسروق: ورق الجنة نضد من أسفلها إلى أعلاها، وأنهارها

(١) وقيل: مخضود بمعنى موقر حملاً، أي أن الشجر قد امتلأ ثماراً.

تجري في غير أخدود».

وقال الليث: «الطلح شجر أم غيلان له شوك أحجن من أعظم العضاة شوكة وأصلبه عودًا وأجوده صمغًا» قال أبو إسحاق: «يجوز أن يعني به شجر أو غيلان لأن له نورًا طيب الرائحة جدًا فوعدوا بما يحبون مثله إلا أن فضله على ما في الدنيا كفضل سائر ما في الجنة على سائر ما في الدنيا فإنه ليس في الجنة مما في الدنيا إلا الأسامي، والظاهر أن من فسر الطلح المنضود بالموز إنما أراد التمثيل به لحسن نضده وإلا فالطلح في اللغة: هو الشجر العظام من شجر البوادي - والله أعلم -».

والجنة بها غرفٌ وبيوت ومساكن وقصور، وكذلك بها خيام:

أما الغرف فقد قال تعالى: ﴿لَيْكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ هُمْ غُرْفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرْفٌ مَّيْبُتَةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [الزمر: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمْ جَزَاءُ الْوَعْدِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبا: ٣٧]، وقال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾ [الفرقان: ٧٥].

وفي الحديث^(١) عن رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ كَمَا تَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدَّرِّيَّ^(٢) الْغَابِرَ^(٣) مِنَ الْأَفْقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوِ الْمَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ»، قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم، قال: «بَلْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ».

أما البيوت فقد قالت امرأة فرعون: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ [التحریم: ١١] ولقد قال النبي ﷺ: «مَنْ بَنَى لِلَّهِ بَيْتًا بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ»^(٤)، وفي رواية مَسْجِدًا، والحديث بهذا متواتر^(٥).

أما المساكن فقد قال تعالى: ﴿وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾ [الصف: ١٢].

(١) مسلم (٢٨٣١)، والبخاري (٣٢٥٦).

(٢) الدرر: العظيم شديد الإضاءة.

(٣) الغابر: الذي تدل للغروب وبعد عن العيون.

(٤) أخرجه البخاري (٤٥٠)، ومسلم (٥٣٣).

(٥) أعني أنه في أعلى درجات الصحة.

أما القصور ففي الصحيح^(١) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: بينا نحن عند النبي ﷺ إذ قال: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ، فَإِذَا امْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ إِلَى جَانِبِ قَصْرِ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ؟ فَقَالُوا: لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَهُ، فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا»، فَبَكَى عُمَرُ وَقَالَ: أَعَلَيْكَ أَغَارُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

وقد أمر النبي ﷺ أن يُبشِّرَ خديجة ببيت في الجنة قصب لا صخب فيه ولا نصب.

أما الخيام فقد قال تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢].
وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لَوْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ طُولُهَا سِتُونَ مِيلًا لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُونَ فَلَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا»^(٢).
وأهل الجنة: ينزلون منها حيث شاءوا ويتبوءون منها حيث أرادوا: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾ [الزمر: ٧٤].

وفي الجنة كنوز لمن قال: لا حول ولا قوة إلا بالله كما في الصحيح من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، فقد قال له النبي ﷺ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ، أَوْ قَالَ عَلَى كَثْرٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟» قال: فقلت: بلى يا رسول الله، فقال: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»^(٣).

سرر الجنة وفرشها ووساندها

أما عن السرر والفرش، فالسرر مرفوعة عالية، قال تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾ [الغاشية: ١٣].

وهي مصفوفة كذلك، ليس بعضها خلف بعض ولا بعيداً عن بعض، قال تعالى: ﴿مُتَكِّينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الطور: ٢٠].

(١) البخاري (٣٢٤٢)، ومسلم (٢٣٩٥).

(٢) البخاري (٣٨٢٠)، ومسلم (٢٤٣٢).

(٣) البخاري (٣٢٤٣)، ومسلم (٢٨٣٨).

(٤) اللفظ لمسلم (مع النووي ١٧/ ٢٧)، وللحديث طرق أخر.

وهي موضونة أيضًا (أي منسوجة) وقيل: مرصعةً بالجواهر.

قال ابن القيم رحمه الله في كتابه «حادي الأرواح» - في تفسير الموضونة -:

ليس بعضها خلف بعض ولا بعيدًا من بعض وأخبر أنها موضونة والوضن في اللغة: النضيد والنسيج المضاعف يقال: وضن فلان الحجر والآجر بعضه فوق بعض، فهو موضون.

وقال الليث: الوضن نسج السرير وأشباهه، ويقال درع موضونة مقارنة النسج، وقال رجل من العرب لامرأته: ضنى متاع البيت أي قاربي بعضه من بعض.

قال أبو عبيدة والفراء والمبرد وابن قتيبة: موضونة منسوجة مضاعفة متداخلة بعضها على بعض كما توضح حلق الدرع، ومنه سمى الوضين وهو نطاق من سيور تنسج فيدخل بعضها على بعض وأنشدوا للأعشى:

ومن نسج داود موضونة تساق مع الحي غيرًا فعيرًا

قالوا: موضونة منسوجة بقضبان الذهب مشبكة بالدر والياقوت والزبرجد.

وهناك أيضًا الأرائك، وهي الأسرة (جمع سرير) في الحجال، وأشبه ما يرى في زماننا به (مع الفارق بين متاع الدنيا والآخرة) السرير الذي مع ناموسية.

قال ابن القيم رحمه الله:

وأما الأرائك: فهي جمع أريكة قال مجاهد عن ابن عباس: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى آلِآرَائِكِ﴾ [الكهف: ٣١] قال: لا تكون أريكة حتى يكون السرير في الحجلة فإذا كان سريرًا بغير حجلة لا يكون أريكة وإن كانت حجلة بغير سرير لمكن أريكة قال: ولا تكون أريكة إلا والسرير في الحجلة فإذا اجتمعا كانت أريكة.

وقال مجاهد: هي الأسرة في الحجال قال الليث: الأريكة سرير حجلة فالحجلة والسرير أريكة وجمعها أرائك، وقال أبو إسحاق الأرائك: الفرش في الحجال.

قلت ههنا ثلاثة أشياء: أحدها: السرير، والثانية: الحجلة وهي البشخانة التي تعلق فوقه، والثالث: الفراش الذي على السرير ولا يسمى السرير أريكة حتى يجمع ذلك كله.

وفي الصحاح: الأريكة سرير متخذ مزين في قبة أو بيت فإذا لم يكن فيه سرير فهو حجلة والجمع الأرائك.

وفي الحديث: «أن خاتم النبي ﷺ كان مثل زر الحجلة»^(١) وهو الزر الذي يجمع بين طرفيها من جملة أزرارها، والله أعلم.

أما النمارق، وهي الوسائد فهي كثيرة مصفوفة كما قال تعالى: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾ [الغاشية: ١٥].

قال ابن القيم رحمه الله تعالى - في تفسير الرفرف -:

وأما الرفرف فقال الليث: هو ضرب من الثياب خضر تبسط، الواحد: رفرفة وقال أبو عبيد: الرفاف البسط وأنشد لابن مقبل:

وإننا لنزالون تغشى نعالنا سواقط من أصناف ربط ورفرف

وقال أبو إسحاق: قالوا: الرفرف هاهنا رياض الجنة، وقالوا: الرفرف الوسائد وقالوا: الرفرف المحابس وقالوا: فضول المحابس للفرش وقال المبرد: هو فضول الثياب التي تتخذ الملوك في الفرش وغيره قال الواحدي وكان الأقرب هذا لأن العرب تسمى كسر الخباء والخرقة التي تخاط في أسفل الخباء: رفرفاً. وقال أيضاً: قال ابن الأعرابي: الرفرف هاهنا طرف البساط فشبه ما فضل من المحابس عما تحته بطرف الفسطاط فسمي رفرفاً.

قلت: أصل هذه الكلمة من الطرف والجانب فمنه الرف في الحائط ومنه الرفرف وهو كسر الخباء وجوانب الدرع وما تدلى منها، الواحدة رفرفة، ومنه رفرف الطير إذا حرك جناحيه حول الشيء يريد أن يقع عليه، والرفرف ثياب خضر يتخذ منها المحابس، الواحدة رفرفة، وكل ما فضل من شيء فثنى وعطف فهو رفرف في حديث ابن مسعود، في قوله عز وجل: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ [النجم: ١٨] قال: «رَأَى رَفْرَفًا أَخْضَرَ سَدَّ الْأَفُقَ» وهو في الصحيح^(٢).

(١) البخاري (١٩٠)، ومسلم (٢٣٤٥).

(٢) البخاري (٤٨٥٨).

أما عن الفرش:

فالفرش بطائنها (أي حشوها من الداخل كالمراتب المحشوة من داخلها) من استبرق أي من حرير، فإذا كانت البطائن من حرير فكيف بالظواهر، قال تعالى: ﴿مُتَكِّينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمن: ٥٤].

أما السجاجيد المفروشة على الأرضيات:

فقد قال تعالى: ﴿مُتَكِّينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ^(١) خُضِرَ وَعَبَقَرِيَّ حِسَانٍ﴾ [الرحمن: ٧٦]، وهذه هي البُسط.

قال ابن القيم في تفسير العبقري:

وأما العبقري فقال أبو عبيدة: كل شيء من البسط عبقري، قال: ويرون أنها أرض توشي فيه، وقال الليث: عبقر موضع بالبادية كثير الجن يقال: كأنهم جن عبقر قال أبو عبيدة في حديث النبي ﷺ حين ذكر عمر: «فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا يَفْرِي فَرِيهِ»^(٢) وإنما أصل هذا فيما يقال أنه نسب إلى عبقر وهي أرض يسكنها الجن فصار مثلاً منسوباً إلى شيء رفيع وأنشد لزهير:

نُحَالٌ عَلَيْهَا جَبَّةٌ عَبْقَرِيَّةٌ جَدِيرُونَ يَوْمًا أَنْ يَنَالُوا فَيَسْتَعْلُوا

قال أبو الحسن الواحدي: وهذا القول هو الصحيح في العبقري، وذلك أن العرب إذا بالغت في وصف شيء نسبته إلى الجن أو شبهته بهم ومنه قول لبيد:

جَنَ النَّدَا رَوَاسِيَا أَقْدَامُهَا

وقال آخر يصف امرأة:

جَنِيَّةٌ وَلَهَا جَنٌ يَعْلَمُهَا رَمَى الْقُلُوبَ بِقُوسِ مَا لَهَا وَتَر

وذلك أنهم يعتقدون في الجن كل صفة عجيبة وأنهم يأتون بكل أمر عجيب ولما كان عبقر معروفاً بسكناهم نسبوا كل شيء يبالغ فيه إليها يريدون بذلك أنه من عملهم

(١) ولقد ورد في الصحيح (البخاري ٤٨٥٨)، أن النبي ﷺ في قصة رؤيته لجبريل أنه صلوات الله وسلامه عليه (رأى رفرفاً قد سدَّ الأفق).

(٢) رواه البخاري (١٩، ٧٠)، ومسلم (٢٣٩٢).

وصنعهم هذا هو الأصل، ثم صار العبقرى اسماً ونعتاً لكل ما بولغ في صفته ويشهد لما ذكرنا بيت زهير فإنه نسب الجن إلى عبقر ثم رأينا أشياء كثيرة نسبت إلى عبقر غير البسط والثياب كقوله في صفة عمر عبقرًا وروى سلمة عن الفراء قال: العبقرى السيد من الرجال، وهو الفاخر من الحيوان، والجوهر فلو كانت عبقر مخصوصة بالوشى لما نسب إليها غير الموشى، وإنما ينسب إليها البسط الموشية العجيبة الصنعة كما ذكرنا كما نسب إليها كل ما بولغ في وصفه.

قال ابن القيم رحمه الله في كتابه «حادي الأرواح»:

قال ابن عباس: وعبقرى يريد البسط والطنافس.

وقال الكلبي: هي الطنافس المخملة.

وقال قتادة: هي عتاق الزرابي وقال مجاهد: الديباج الغليظ وعبقرى جمع واحده عبقرية ولهذا وصف بالجمع.

فتأمل كيف وصف الله سبحانه وتعالى الفرش بأنها مرفوعة، والزرابي بأنها مبثوثة، والنارق بأنها مصفوفة فرفع الفرش دال على سمكها ولينها، وبث الزرابي دال على كثرتها وأنها في كل موضع لا يختص بها صدر المجلس دون مؤخره وجوانبه، وصف المساند يدل على أنها مهيأة للاستناد إليها دائماً ليست مخبأة تصف في وقت دون وقت، والله أعلم.

قال ابن القيم رحمه الله:

وأما البسط والزرابي فقد قال تعالى: ﴿مُتَكِّينَ عَلَى رَقَفٍ خَضِرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ [الرحمن: ٧٦] وقال تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۖ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۖ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۖ وَزُرُرٌ مَبْثُوثَةٌ﴾ [الغاشية: ١٣-١٦].

وذكر هشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال: (الررف) رياض الجنة و(العبقرى) عتاق الزرابي وذكر إسماعيل بن علية عن أبي رجاء عن الحسن في قوله تعالى: ﴿مُتَكِّينَ عَلَى رَقَفٍ خَضِرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ قال: هي البسط قال: وأهل المدينة يقولون: هي البسط، وأما النارق فقال الواحدي: هي الوسائد في قول الجميع

واحداها: نمرقة بضم النون وحكى الفراء نمرقة بكسرها وأنشد أبو عبيدة:

إذا ما بساط اللهو مد وقربت للذاتهِ أنماطه ونمارقه

قال الكلبي: وسائد مصفوفة بعضها إلى بعض، وقال مقاتل: هو الوسائد مصفوفة على الطنافس، وزرابي: بمعنى البسط والطنافس، واحداها: زريبة في قول جميع أهل اللغة والتعبير (ومبثوثة): مبسوطة منشورة.

أما عن آنية الجنة وقدورها وصحافها.

ففيها الآنية والصحاف، وفيها الأكواب والأباريق والكؤوس، ففيها آنية من ذهب، وآنية من فضة.

وقد تقدم الحديث عن رسول الله ﷺ: «جَنَّاتٍ مِنْ ذَهَبٍ آيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّاتٍ مِنْ فِضَّةٍ آيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا»^(١).

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «لَا تَشْرَبُوا فِي آيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَلَا تَأْكُلُوا فِي صِحَافِهَا فَإِنَّهَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَكُمْ فِي الْآخِرَةِ»^(٢).

ولقد قال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ [الزخرف: ٧١]، وقال تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِبَاقِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا﴾ [قواريراً من فضة قدروها تقديرًا] [الإنسان: ١٦]، ويقول تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾ [أكواب وأباريق وكأس من معين] [الواقعة: ١٧، ١٨].

أما عن لباس أهل الجنة وثيابهم:

فقد قال تعالى: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا خَرِيرٌ﴾ [الخ: ٢٣]، وقال تعالى أيضًا: ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَخَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٢]، وقال ﷺ: «مَنْ لَبَسَ الْخَرِيرَ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَلْبَسْهُ فِي الْآخِرَةِ»^(٣).

فدل ذلك على أن هناك من يلبس في الآخرة وقد قال تعالى أيضًا: ﴿يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَدِّلِينَ﴾ [الدخان: ٥٣]، فالسندس هو الرقيق من الديباج

(١) صحيح، وقد تقدم.

(٢) أخرجه البخاري (٥٨٣١)، ومسلم (٢٠٦٧).

(٣) البخاري (٥٨٣٢)، ومسلم (٢٠٧٣).

والاستبرق هو الغليظ من الديباج، وقال بعض أهل العلم هي نوعان من الحرير.

أما عن ألوان الثياب فمنها الأخضر:

قال تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ [الإنسان: ٢١]، وقال تعالى: ﴿وَلْيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا﴾ [الكهف: ٣١].

وفي الجنة مناديل:

أخرج البخاري^(١) من حديث أنس - رضي الله عنه - قال: أُهْدِيَ لِلنَّبِيِّ ﷺ جُبَّةٌ سُنْدُسٌ، وَكَانَ يَنْهَى عَنِ الْحَرِيرِ، فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْهَا، فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لِمَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنَّةِ أَحْسَنُ مِنْ هَذَا».

وفي رواية عند البخاري^(٢) من حديث البراء ابن عازب - رضي الله عنهما - قال: أَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَثْوَبٌ مِنْ حَرِيرٍ: فَجَعَلُوا يَعْجَبُونَ مِنْ حُسْنِهِ وَلِينِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لِمَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنَّةِ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا».

حلية أهل الجنة

أما عن حليتهم التي يتحلون بها فمنها أساور الذهب والفضة، وكذا فيها اللؤلؤ، قال تعالى: ﴿يَحُلُّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ [الحج: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَحُلُوءًا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾ [الإنسان: ٢١].

طعام أهل الجنة وشرابهم:

اعلم أنه ليس في الجنة جوع ولا عُري ولا ظمأ ولا حر قال تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۖ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَىٰ﴾ [طه: ١١٨، ١١٩].

وأول طعام يأكله أهل الجنة زيادة كبد النون:

وفي الصحيح^(٣) أن النبي ﷺ قال: «وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ زِيَادَةُ كَبِدِ حَوِيٍّ».

(١) البخاري (٣٢٤٨)، ومسلم (٢٤٦٨).

(٢) البخاري (٣٢٤٩).

(٣) البخاري (٣٣٢٩).

وفي صحيح مسلم ^(١) أن يهودياً سأل النبي ﷺ فقال فما تحفتهم ^(٢) حين يدخلون الجنة؟ قال: «زيادة كبد النون» قال: فما غذاؤهم على إثرها؟ قال: «يُنَحَّرُ لَهُمْ ثَوْرُ الْجَنَّةِ الَّذِي كَانَ يَأْكُلُ مِنْ أَطْرَافِهَا» قال: فما شرابهم عليه؟ قال: «مِنْ عَيْنٍ فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِيلًا» قال: صدقت.

وفيهما لحمٌ، ولحم طير كذلك:

قال تعالى: ﴿وَأَمَدَدْنَاهُمْ فِيهَا كَبِدَ نُنُورٍ وَلَحْمَ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الواقعة: ٢١]، وتقدم أن فيها أسماكٌ وحيتان، فتقدم أنهم يأكلون أول ما يأكلون زيادة كبد النون، وبعد ذلك ينحر لهم ثور الجنة الذي يأكل من أطرافها. وعموماً فلهم في الجنة ما تشتهي أنفسهم وهم فيها خالدون، وكما قال تعالى: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥].

والأرض تكون خبزةً واحدة يوم القيامة نزلاً لآل الجنة ففي الصحيحين ^(٣) من حديث أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال: «تَكُونُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً، يَكْفُوها الْجَبَّارُ بِيَدِهِ، كَمَا يَكْفُو أَحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ، نُزْلاً لِأَهْلِ الْجَنَّةِ» قال: فَأَتَى رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ. فَقَالَ: بَارَكَ الرَّحْمَنُ عَلَيْكَ، أبا القاسم! أَلَا أُخْبِرُكَ بِنَزْلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟

قال: «بلى» قال: تَكُونُ الْأَرْضُ خُبْزَةً وَاحِدَةً (كما قال رسول الله ﷺ) قال: فنظر إلينا رسول الله ﷺ ثُمَّ صَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ. قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِإِدَامِهِمْ؟ قال: بلى قال: إِذَا مَتُّهُمْ بِلَا مِ وِ نُونٍ. قَالُوا: وَمَا هَذَا؟ قال: ثَوْرٌ وَنُونٌ. يَأْكُلُ مِنْ زَائِدَةٍ كَبِدِهِمَا سَبْعُونَ أَلْفًا.

وأهل الجنة يتلذذون بطعامهم وشرابهم، فقد قال تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا﴾

[الحاقة: ٢٤].

(١) مسلم (٣١٥).

(٢) قبلها في المتن فمن أول الناس إجازة قال فقراء المهاجرين.

(٣) البخاري (٦٥٢٠)، ومسلم (٢٧٩٢) واللفظ له.

ورزق أهل الجنة يأتيهم فيها بكرةً وعشيًا، قال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا ۖ وَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًا﴾ [مريم: ٦٢]، ويأتيهم كذلك في كل وقت وحين، قال تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَّا يَدْعُونَ﴾ [يس: ٥٧].

أما عن نساء أهل الجنة

فقد جاء في شأنهن ما يلي:

قوله تعالى: ﴿أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ قيل: مطهرة من الحيض والنفاس والمذي والمني والبول والتغوط والنخامة والبزاق.

وقيل: مطهرة من الإثم والأذى، وقيل: مطهرات من الغلّ والحقد والحسد والغرور.

وجاء في وصفهن أنهم حورٌ عِين؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿١٠٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٠٧﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَشِينَ ﴿١٠٨﴾ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿١٠٩﴾ يَدْخُلُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ ءَامِينٍ ﴿١١٠﴾ لَا يَذُقُونَ فِيهَا أَلَمَوتَ إِلَّا أَلَمَوتَ الْأُولَىٰ وَوَقْنَهُمْ عَذَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١١﴾﴾ [الدخان: ٥١ - ٥٦].

قال ابن القيم رحمه الله:

فجمع لهم بين حسن المنزل وحصول الأمن فيه من كل مكروه، واشتماله على الثمار والأنهار وحسن اللباس وكمال العشرة لمقابلة بعضهم بعضًا، وتمام اللذة بالخور العين، ودعائهم بجميع أنواع الفاكهة مع أمنهم من انقطاعها ومضرتها وغائلتها وختام ذلك: أعلمهم بأنهم لا يذوقون فيها هناك موتًا.

والحور: جمع حوراء وهي المرأة الشابة الحسناء الجميلة البيضاء شديدة سواد العين وقال زيد بن أسلم: الحوراء التي حار فيها الطرف، وعين: حسان الأعين، وقال مجاهد: الحوراء التي يحار فيها الطرف من رقة الجلد وصفاء اللون.

وقال الحسن: الحوراء شديدة بياض العين، شديدة سواد العين، واختلف في اشتقاق هذه اللفظة فقال ابن عباس: الحور في كلام العرب البيض وكذلك قال قتادة:

الخور البيض وقال مقاتل: الخور البيض الوجوه، وقال مجاهد: الخور العين التي يحار فيهن الطرف باديًا مخ سوقهن من وراء ثيابهن، ويرى الناظر وجهه في كبد إحداهن كالمرأة من رقة الجلد وصفاء اللون، وهذا من الاتفاق وليست اللفظة مشتقة من الحيرة وأصل الخور البياض والتحوير التبييض والصحيح: أن الخور مأخوذة من الخور في العين وهو شدة بياضها مع قوة سوادها فهو يتضمن الأمرين.

وفي الصحاح: الخور شدة بياض العين في شدة سوادها، امرأة حوراء: بينة الخور وقال أبو عمرو: الخور أن تسود العين كلها مثل أعين الظباء والبقر وليس في بني آدم حور وإنما قيل للنساء حور العين؛ لأنهن شبهن الظباء والبقر وقال الأصمعي: ما أدري ما الخور في العين؟ قلت: خالف أبو عمرو أهل اللغة في اشتقاق اللفظة ورد الخور إلى السواد؛ والناس غيره إنما ردوه إلى البياض أو إلى بياض في سواد، والخور في العين: معنى يلتئم من حسن البياض والسواد وتناسبهما واكتساب كل واحد منهما الحسن من الآخر وعين حوراء: إذا اشتد بياض أبيضها وسواد أسودها ولا تسمى المرأة حوراء حتى يكون مع حور عينها بياض لون الجسد.

والعين: جمع عينا وهي العظيمة العين من النساء ورجل أعين إذا كان ضخماً العين وامرأة عينا والجمع عين .

والصحيح: أن العين اللائي جمعت أعينهن صفات الحسن والملاحة.

قال مقاتل: العين حسان الأعين ومن محاسن المرأة اتساع عينها في طول، وضيق العين في المرأة من العيوب، وإنما يستحب الضيق منها في أربعة مواضع: فمها وخرق أذنهما وأنفها وما هناك.

وتستحب السعة منها في أربعة مواضع: وجهها وصدرها وكاهلها وهو ما بين كتفها وجبهتها .

ويستحب البياض منها في أربعة مواضع: لونها وفرقها وثغرها وبياض عينها.

ويستحب السواد منها في أربعة مواضع: عينها وحاجبها وهدبها وشعرها.

ويستحب الطول منها في أربعة: قوامها وعنقها وشعرها وبنانها.

ويستحب القصر منها في أربعة: وهي معنوية لسانها ويدها ورجلها وعينها فتكون قاصرة الطرف قصيرة الرجل واللسان عن الخروج وكثرة الكلام قصيرة اليد عن تناول ما يكره الزوج وعن بذله.

وتستحب الدقة منها في أربعة: خصرها وفرقها وحاجبها وأنفها.
وجاء في وصفهن أيضًا:

أَنَّهُنَّ ﴿فِيهِنَّ قَصِيرَاتُ الْطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٥٦]، وقوله: ﴿قَصِيرَاتُ الْطَّرْفِ﴾ أي: غاضات البصر إلا على الأزواج، فلا ينظرن إلى غير الأزواج.
وقوله: ﴿لَمْ يَطْمِئِنَّ﴾ أي: لم يفض بكارتهن بجماع إانس قبلهم ولا جان.
وجاء في وصفهن أيضًا:

أَنَّهُنَّ ﴿مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢] أي: مقيمات في الخيام لا يحببن كثرة الخروج^(١).

(١) قال ابن القيم رحمه الله:

وصفهن سبحانه بقصر الطرف في ثلاث مواضع:
أحدها: هذا.

والثاني: قوله تعالى في الصافات: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الْطَّرْفِ عَيْنٌ﴾ [الصافات: ٤٨].

والثالث: قوله تعالى في سورة ص: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الْطَّرْفِ أَرْبَابٌ﴾ [ص: ٥٢].

والمفسرون كلهم على أن المعنى قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يطمحن إلى غيرهم وقيل قصرن طرف أزواجهن عليهن فلا يدعهم حسنهن وجمالهن أن ينظروا إلى غيرهن وهذا صحيح من جهة المعنى وأما من جهة اللفظ فقاصرات صفة مضافة إلى الفاعل كحسان الوجه وأصله قاصر طرفهن أي ليس بطامح متعدد.

وقال أيضًا:

قال تعالى في وصفهن: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢] المقصورات المحبوسات قال أبو عبيدة: خدرن في الخيام وكذلك قال مقاتل: محبوسات في الخيام وفيه معنى آخر وهو أن يكون المراد أنهن محبوسات على أزواجهن لا يردن غيرهم وهم في الخيام وهذا معنى قول من قال: قصرن على أزواجهن فلا يردن غيرهم ولا يطمحن إلى من سواهم ذكره الفراء.

«قلت»: وهذا معنى ﴿قَصِيرَاتُ الْطَّرْفِ﴾ لكن أولئك قاصرات بأنفسهن وهؤلاء مقصورات وقوله تعالى: في الخيام على هذا القول: صفة الحور أي هنَّ في الخيام.

وليس معمولاً لمقصورات وكان أرباب هذا القول فسروا من أن يكنَّ محبوسات في الخيام لا يفارقنها إلى

وجاء في وصفهن أيضًا:

قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٥٨].

قال ابن القيم رحمه الله في «حادي الأرواح»:

قال الحسن وعامة المفسرين: أراد صفاء الياقوت في بياض المرجان شبههن في صفاء اللون وبياضه بالياقوت والمرجان ويدل عليه ما قاله عبد الله أن المرأة من نساء أهل الجنة لتلبس عليها سبعين حلة من حرير فيرى بياض ساقها من ورائهن ذلك بأن الله تعالى يقول: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٥٨] ألا وإن الياقوت حجر لو جعلت فيه سلكاً ثم استصفيته نظرت إلى السلك من وراء الحجر.

وجاء في وصفهن:

أنهن ﴿خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ قيل في تفسيرها (خيرات الأخلاق، حسان الوجوه).

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في «حادي الأرواح»:

وقال تعالى: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمن: ٧٠] فالخيرات جمع خيرة وهي مخففة من خيرة كسيدة ولينة وحسان جمع حسنة فهن خيرات الصفات والأخلاق والشيم حسان الوجوه.

وجاء في وصفهن:

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَهُنَّ إِنِشَاءً﴾ [الواقعة: ٣٥] قيل: المعنى خلقناهن خلقاً جديداً.

وقيل ذلك بعد أن كُنَّ في الدنيا عُجْزاً شَمْطاً أنشأهن الله إنشاءً بعد الكبر والهرم الذي كان في الدنيا فأصبحن أبكاراً بعد أن كُنَّ ثيبات في الدنيا، وأصبحن حسناً بعد أن كُنَّ دميات، وأصبحن شابات بعد أن كن عُجْزاً.

الغرف والبساتين.

وأصحاب القول الأول يجيبون عن هذا: بأن الله سبحانه وصفهن بصفات النساء المخدرات المصونات وذلك أكمل في الوصف ولا يلزم من ذلك أنهن لا يفارقن الخيام إلى الغرف والبساتين كما أن نساء الملوك ودونهم من النساء المخدرات المصونات لا يمتنع أن يخرجن في سفر وغيره إلى مئذنة وبستان ونحوه، فوصفهن اللازم لهن القصر في البيت ويعرض لهن مع الخدم الخروج إلى البساتين ونحوها.

وجاء في وصفهن:

قوله تعالى: ﴿جَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا﴾ [الواقعة: ٣٦] أي: فصيرناهن أبكارًا بعد أن كن ثيبات.

وقال تعالى في وصفهن أيضًا عربًا أترابًا؛ أي: متحبيات إلى أزواجهن، محسنات للتبعل، مطيعات للأزواج، وقوله: ﴿أترابًا﴾ أي: في سنٍّ واحدة.

قال ابن القيم رحمه الله:

وقوله: ﴿عُرُبًا﴾ جمع عروب وهن المتحبيات إلى أزواجهن، قال ابن الأعرابي: العروب من النساء المطيعة لزوجها المتحبة إليه وقال أبو عبيدة: العروب الحسنة التبعل.

قلت: يزيد حسن مواقعتها وملاطفتها لزوجها عند الجماع وقال المبرد: هي العاشقة لزوجها وأشد للبيد:

وفي الحدوج عروب غير فاحشة ربا الروادف يعشى دونها البصر

وذكر المفسرون في تفسير «العرب» أنهم العواشق المتحبيات الغنجات الشكلات المتعشقات الغلمات المغنوجات كل ذلك ألفاظهم، وقال البخاري في صحيحه: عربًا مثقلة واحدها عروب مثل صبور وصبر تسميها أهل مكة العربية، وأهل المدينة الغنجة وأهل العراق الشكلة.

«والعرب» المتحبيات إلى أزواجهن هكذا ذكره في كتاب «بدء الخلق» وقال في كتاب التفسير في سورة الواقعة: عربًا مثقلة واحدها عروب مثل صبور وصبر تسميها أهل مكة العربية وأهل المدينة الغنجة وأهل العراق الشكلة قلت: فجمع سبحانه بين حسن صورتها وحسن عشرتها، وهذا غاية ما يطلب من النساء وبه تكمل لذة الرجل بهن وفي قوله: ﴿لَمْ يَطْمِئِنِّنْ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٥٦] إعلام بكمال اللذة بهن فإن لذة الرجل بالمرأة التي لم يطأها سواه لها فضل على لذته بغيرها وكذلك هي أيضًا.

قال ابن القيم رحمه الله:

وأما الأتراب فجمع ترب: وهو لدة الإنسان.

قال أبو عبيدة وأبو إسحاق أقران: أسنانهن واحدة، قال ابن عباس وسائر المفسرين مستويات على سن واحد وميلاد واحد بنات ثلاث وثلاثين سنة وقال مجاهد: أتراب أمثال، قال أبو إسحاق: أي: هن في غاية الشباب والحسن وسمي سن الإنسان وقرنه تربه؛ لأنه سن تراب الأرض معه في وقت واحد والمعنى من الإخبار باستواء أسنانهن أنهن ليس فيهن عجائز قد فات حسنهن ولا ولائد لا يطقن الوطاء بخلاف الذكور فإن فيهم الولدان وهم الخدم.

وجاء في وصفهن كذلك:

أنهن ﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾ [النبا: ٣٣] والكواعب: هن النواهد جمع ناهد، قيل: والناهد والكاعب هي التي تكعب ثديها وتفلك واستدار فأصبح كالرمان ليست متدلية إلى أسفل.

وجاء في وصفهن أيضًا:

من سنة رسول الله ﷺ: «لَرَوْحَةٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ عَذْوَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَقَابُ قَوْسٍ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ أَوْ مَوْضِعُ قَيْدٍ - يَعْنِي سَوْطَهُ - خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَطْلَعَتْ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ لِأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا وَلَمَلَتْهُ رِيحًا، وَلَنَصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»^(١).

أما عن عدد زوجات الرجل من أهل الجنة:

فقد ورد فيها مما وقفت عليه ما يلي:

أولاً قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥]، وقوله ﷺ: «لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ»^(٢).

(١) البخاري (٢٧٩٦).

(٢) صحيح، وقد تقدم.

وقوله ﷺ: «لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ.... مِنْهَا: وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِنْ حُورِ الْعِينِ»^(١).

وقوله ﷺ: «إِنَّ لِلْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ لَحَيْمَةً فِي الْجَنَّةِ مِنْ لَوْلُؤَةٍ مَجُوفَةٍ طُولُهَا سِتُّونَ مِثْلًا لِلْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ لَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا»^(٢).

وقد ورد أن الرجل في الجنة يُعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع والشهوة، ففي المسند وعند عبد بن حميد وغيره من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: جاء رجل من أهل الكتاب إلى النبي ﷺ فقال: يا أبا القاسم تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون؟

قال: «نَعَمْ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيُعْطَى قُوَّةَ مِائَةِ رَجُلٍ فِي الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالْجَمَاعِ وَالشَّهْوَةِ».

قال: فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة وليس في الجنة أذى قال: «تَكُونُ حَاجَةً أَحَدِهِمْ رَشْحًا يَفِيضُ مِنْ جِلْدِهِمْ كَرَشْحِ الْمُسْكِ فَيُضْمِرُ بَطْنَهُ»^(٣).
أما عن الجماع:

فقد تقدم أن الرجل من أهل الجنة يُعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع والشهوة.

وأخرجه البزار بسند صحيح عن أبي هريرة قال: قيل: يا رسول الله، أنفسي إلى نساءنا في الجنة؟ قال: «إِي، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ الرَّجُلَ لَيُفْضِي فِي الْيَوْمِ الْوَاحِدِ إِلَى مِائَةِ عَذْرَاءٍ»^(٤).

وقال بعض العلماء في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكِهُون﴾ [يس: ٥٥] إن منها جماع العذارى.

(١) صحيح، أخرجه الترمذي (١٦٦٣)، وقال هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٢) البخاري (٣٢٤٣)، ومسلم (٢٨٣٨).

(٣) صحيح، أخرجه عبد بن حميد في «المنتخب» (٢٦٣)، وأحمد في «المسند» (٣٦٧ / ٤).

(٤) «كشف الأستار» (٤ / ١٩٨).

وهل تحمل النساء في الجنة؟

في الجملة ليس هناك حملٌ إلا إذا اشتهاه أهل الجنة، وقد أخرج الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «المؤمن إذا اشتهى الولد في الجنة، كان حمله ووضعهُ وسنّه في ساعة، كما يشتهي»^(١).

وأخرج هناد بن السري في «الزهد»^(٢) بسند حسنٍ إلى أسماء بنت أبي بكر قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ذكر سدرة المنتهى، فقال: «يسيرُ في ظلِّ الفَنَنِ الرَّاكِبُ مائةَ سنةٍ»، أو قال: «يَسْتَظِلُّ في ظلِّ الفَنَنِ مِائَةً رَاكِبٍ» شك يحيى «فِيهَا فِرَاشُ الذَّهَبِ، كَأَنَّمَا تَمَرُّهَا الْقِلَالُ».

وأهل الجنة لا يبولون ولا يتغوطون:

وفي صحيح مسلم^(٣) من حديث جابر رضي الله عنه قال: سمعتُ النبي ﷺ يقول: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ^(٤)، وَلَا يَتَّقُلُونَ^(٥) وَلَا يَبُولُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ» قَالُوا: فَمَا بَالُ الطَّعَامِ؟ قَالَ: «جُشَاءٌ^(٦) وَرَشْحٌ كَرَشِحِ الْمَسْكِ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ، كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفْسَ».

وفي رواية عن مسلم أيضاً من حديث جابر بن عبد الله يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَأْكُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ وَلَا يَبُولُونَ وَلَكِنْ

(١) الترمذي (مع التحفة ٧ / ٢٨٥) بسند حسن.

(٢) (١ / ٤٨)، وأخرجه الترمذي أيضاً (٧ / ٢٤٩).

(٣) صحيح مسلم (٢٨٣٥).

(٤) (إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون) مذهب أهل السنة وعامة المسلمين أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ويتنعمون بذلك وبغيره من ملاذها وأنواع نعيمها، تنعمًا دائمًا لا آخر له ولا انقطاع أبدًا، وأن تنعمهم بذلك على هيئة تنعم أهل الدنيا، إلا ما بينهما من التفاضل في اللذة والنفاسة التي لا تشارك نعيم الدنيا إلا في التسمية وأصل الهيئة، وإلا في أنهم لا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يبصقون. وقد دلت دلائل القرآن والسنة، في هذه الأحاديث التي ذكرها مسلم وغيره؛ أن نعيم الجنة دائم لا انقطاع له أبدًا.

(٥) (ولا يتقّلون) بكسر الفاء وضمها، حكاها الجوهري وغيره، أي لا يبصقون.

(٦) (جشاء) هو تنفس المعدة من الامتلاء.

طَعَامُهُمْ ذَاكَ جُشَاءٌ كَرَّ شَحِ الْمَسْكِ يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالْحَمْدَ كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفْسَ .
خدم أهل الجنة:

أما عن خدم أهل الجنة فهم ﴿وَلَدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾ [الإنسان: ١٩].

عددهم كثير جداً، بيضٌ شديدو البياض، لا يتغير شكلهم بتغير الزمان.

قال تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾ [الإنسان: ١٩]، وقال تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ هُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ﴾ [الطور: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾^(١) إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنُورًا﴾ [الإنسان: ١٩].

وهل في الجنة مراضع للأطفال؟

أخرج البخاري^(٢) في صحيحه من حديث البراء رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال لما مات إبراهيم: «إِنَّ لَهُ مَرْضِعًا فِي الْجَنَّةِ».

(١) قال ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه «حادي الأرواح»:

قال أبو عبيدة والفراء: مخلدون لا يهرمون ولا يتغيرون قال: والعرب تقول للرجل إذا كبر ولم يشمط: إنه لمخلد وإذا لم تذهب أسنانه من الكبر قيل: هو مخلد، وقال آخرون: مخلدون مقرطون مسورون أي في آذانهم القرطة وفي أيديهم الأساور وهذا اختيار ابن الأعرابي قال: مخلدون مقرطون بالخلة وجمعها خلد وهي القرطة.

وروى عمرو عن أبيه: خلد جاريته إذا حلاها بالخلد وهي القرطة، وخلد إذا أسن ولم يشب، وكذلك قال سعيد ابن جبير مقرطون واحتج هؤلاء بحجتين (إحداهما) أن الخلود عام لكل من في الجنة فلا بد أن يكون الولدان موصوفين بتخليد مختص بهم وذلك هو القرطة الحجة الثانية: قول الشاعر:

ومخلدات باللجين كأنها أعجازهن رواكد الكنبان

وقال الأولون: الخلد هو البقاء قال ابن عباس: غلمان لا يموتون وقول ترجمان القرآن في هذا كاف - وهذا قول مجاهد والكلبي ومقاتل - قال: لا يكبرون ولا يهرمون ولا يتغيرون وجمعت طائفة بين القولين وقالوا: هم ولدان لا يعرض لهم التكرار والهرم وفي آذانهم القرطة فمن قال مقرطون أراد هذا المعنى أن كونهم ولدان أمر لازم لهم وشبهه - بحانه باللؤلؤ المشور لما فيه من البياض وحسن الخلقة وفي كونه مشوراً فائدتان:

إحداهما: الدلالة على أنهم غير معطلين بل مشغولون في خدمتهم وحوادثهم.

والثاني: أن اللؤلؤ إذا كان مشوراً ولا سيباً على بساط من ذهب أو حرير كان أحسن لمنظره وأجلى من كونه مجموعاً في مكان واحد.

(٢) البخاري (٣٢٥٥).

وهل يتزاور أهل الجنة؟

نعم يتزاورون، ويزور بعضهم بعضًا ويتحدثون معًا بطيب الكلام، ويتذاكرون ما كان بينهم من أمور الدنيا قال تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿يَقُولُ أَهْلَكَ لِمَنِ الْمُصَدِّقِينَ﴾ أَهَذَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَهْنًا لَمَدِينُونَ ﴿قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلَعُونَ﴾ فَأُطِّلَعُ قَرَاءَهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتُ لِتُرْدِينَ﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿[الصفات: ٥٠ - ٥٧].

قال ابن القيم رحمه الله في كتابه «حادي الأرواح»:

فأخبر سبحانه وتعالى أن أهل الجنة أقبل بعضهم على بعض يتحدثون، ويسأل بعضهم بعضًا عن أحوال كانت في الدنيا فأفضت بهم المحادثة والمذاكرة إلى أن قال قائل منهم: إني كان لي قرين في الدنيا ينكر البعث والدار الآخرة ويقول ما حكاه الله عنه، يقول: أئنك لمن المصدقين بأنا نبعث ونجازى بأعمالنا ونحاسب بها بعد أن مزقنا البلى وكنا ترابًا وعظامًا ثم يقول المؤمن لإخوانه في الجنة: هل أنتم مطلعون في النار لننظر منزلة قريني هذا وما صار إليه؟.

هذا أظهر الأقوال وفيها قولان آخران: أحدهما: أن الملائكة تقول لهؤلاء المتذاكرين الذين يحدث بعضهم بعضًا: هل أنتم مطلعون؟ رواه عطاء عن ابن عباس.

والثاني: إنه من قول الله عز وجل لأهل الجنة يقول لهم: هل أنتم مطلعون؟ والصحيح القول الأول، وأن هذا قول المؤمن لأصحابه ومحادثيه، والسياق كله والإخبار عنه وعن حال قرينه قال كعب: «بين الجنة والنار كوى فإذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدو كان له في الدنيا اطلع من بعض تلك الكوى».

وقوله: فاطلع، أي: أشرف، قال مقاتل: لما قال لأهل الجنة هل أنتم مطلعون؟ قالوا له: أنت أعرف به منا فاطلع أنت فأشرف فرأى قرينه في وسط الجحيم، ولولا أن الله عرفه إياه لما عرفه لقد تغير وجهه ولونه وغيره العذاب أشد تغير، فعندها قال: تالله إن كدت لتردين ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين أي: إن كدت لتهلكني ولولا أن أنعم الله علي بنعمته لكنت من المحضرين معك في العذاب.

وقال تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۖ﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَنْ آتَاهُ اللَّهُ عَلَيْنَا لَفَقَدْ هَدانا وَعَصَى الْآمُرَ الْأَمْرَ ۖ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْكَبِيرُ الرَّحِيمُ ﴿٢٩﴾ [الطور: ٢٥-٢٨].

وفي حديث النبي ﷺ، وإن كان به بعض الضعف: «كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا حَارِثَةُ؟» قال: أصبحت مؤمناً حقاً... ثم قال: وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً، وإلى أهل الجنة يتزاورون فيها، وإلى أهل النار يعذبون فيها^(١).

وهل يخرجون من بيوتهم للفسحة والزيارة والاجتماع في أماكن آخر ثم يرجعون إلى بيوتهم؟

فنعم إن ذلك لكائن إن شاء الله ففي الجنة مكاناً يجتمعون فيه، وهو سوق الجنة، ففي صحيح مسلم^(٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقًا^(٣) يَأْتُونَهَا كُلُّ جُمُعَةٍ^(٤)، فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ^(٥) فَتَخْتُو فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابَهُمْ، فَيَزْدَادُونَ حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَقَدْ اِزْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ: وَاللَّهِ! لَقَدْ اِزْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ، وَاللَّهِ! لَقَدْ اِزْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا».

أما عن سماع أهل الجنة:

فأهل الجنة ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ [الواقعة: ٢٥] أي: باطلاً من القول، ﴿وَلَا تَأْتِيًا﴾ أي: ولا أي قولٍ يجلب الآثام ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ [الواقعة: ٢٦] أي: ما يسمعون هو الكلام الآمن من الآثام والذنوب والمعاصي.

(١) رواه عبد بن حميد في «المنتخب» بتحقيقي (٤٤٤)، وانظر ابن أبي شيبه (١٠٤٧٤) ج ١ ص ٤٣، ٤٢، والطبراني (٣٣٦٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٨٣٣).

(٣) (لسوقاً): المراد بالسوق مجمع لهم، يجتمعون كما يجتمع الناس في الدنيا في السوق.

(٤) (يأتونها كل جمعة) أي في مقدار كل جمعة، أي: أسبوع، وليس هناك حقيقة أسبوع، فلقد الشمس والليل والنهار، والسوق يذكر ويؤنث، وهو أفصح.

(٥) (الشمال) هي التي تأتي من دبر القبلة، قال القاضي: وخص ريح الجنة بالشمال؛ لأنها ريح المطر عند العرب. كانت تهب من جهة الشام وبها يأتي سحاب المطر، وكانوا يرجون السحاب الشامية.

ويسمعون أيضًا السلام الذي يلقي عليهم، سلام من ربهم كما قال سبحانه: ﴿سَلِّمْ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ﴾ [يس:٥٨]، وقال تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ [الأحزاب:٤٤]، وسلامًا من الملائكة، قال تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ ﴿سَلِّمْ عَلَيْهِمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَيَقْعَمُ عَقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد:٢٣، ٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ هَٰذَا خَزَائِنُهَا سَلِّمْ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر:٧٣].

وقال عددٌ من أهل العلم في تفسير قوله تعالى: ﴿فَهَمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ [الروم:١٥] قالوا: الحبرة اللذة والسماح، ويحبرون أي: يسمعون ما تلد الأذن بسماعه وتنعم بسماعه.

قال ابن القيم رحمه الله:

ولهم سماع أعلى من هذا يضمحل دونه كل سماع، وذلك حين يسمعون كلام الرب جلَّ جلاله وخطابه وسلامه عليهم ومحاضرتهم وهم يقرأ عليهم كلامه فإذا سمعوه منه فكأنهم لم يسمعه قبل ذلك وسيمر بك أيها السني من الأحاديث الصحاح والحسان في ذلك ما هو من أحب سماع لك في الدنيا وألذ لأذنك وأقر لعينك إذ ليس في الجنة لذة أعظم من النظر إلى وجه الرب تعالى وسماع كلامه منه ولا يُعطى أهل الجنة شيئاً أحب إليهم من ذلك.

وليس فيها حرٌّ ولا زمهرير:

قال تعالى: ﴿مُتَكِينِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرْآكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا﴾ [الإنسان:١٣].

وهذه منزلة آخر أهل الجنة:

أخرج البخاري ومسلم^(١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إِنِّي لَا أَعْلَمُ آخَرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخَرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا؛ رَجُلٌ يُخْرَجُ مِنَ النَّارِ حَبْوًا، فَيَقُولُ اللَّهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيَهَا فَيُخِيلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلَأَى، فَيَرْجِعُ

فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلَأَى فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا فَيُخَيِّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلَأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلَأَى فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشْرَةَ أَمْثَالِهَا - أَوْ إِنَّ لَكَ مِثْلَ عَشْرَةِ أَمْثَالِ الدُّنْيَا - فَيَقُولُ: تَسْحَرُ مِنِّي أَوْ تَضْحَكُ مِنِّي، وَأَنْتَ الْمَلِكُ، فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، وَكَانَ يُقَالُ: ذَلِكَ أَذْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً.

وفي صحيح مسلم^(١) من حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ، فَهُوَ يَمْشِي مَرَّةً وَيَكْبُو مَرَّةً، وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً، فَإِذَا مَا جَاوَزَهَا التَّقَتْ إِلَيْهَا، فَقَالَ: تَبَارَكَ الَّذِي نَجَّيَ مِنِّي، لَقَدْ أَعْطَانِي اللَّهُ شَيْئًا مَا أَعْطَاهُ أَحَدًا مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، فَتُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ. فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ! أَذْنِي مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَلَا أُسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا وَأَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، فَيَقُولُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : يَا ابْنَ آدَمَ! لَعَلِّي إِنْ أَعْطَيْتُكَهَا سَأَلْتَنِي غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ! وَيَعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذُرُهُ؛ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُذْنِبُهُ مِنْهَا، فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَى. فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ! أَذْنِي مِنْ هَذِهِ لِأَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا وَأَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ! أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا؟ فَيَقُولُ: لَعَلِّي إِنْ أَذْنَيْتُكَ مِنْهَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا؟ فَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذُرُهُ؛ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ فَيُذْنِبُهُ مِنْهَا، فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَيَيْنِ. فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ! أَذْنِي مِنْ هَذِهِ لِأَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا وَأَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا. لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ! أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ! هَذِهِ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذُرُهُ؛ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُذْنِبُهُ مِنْهَا، فَإِذَا أَذْنَاهُ مِنْهَا، فَيَسْمَعُ أَصْوَاتَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؛ فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ! أَدْخَلْنِيهَا، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ! مَا يَصْرِيْنِي مِنْكَ؟ أَيُّضًا أَنْ أَعْطَيْتُكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا؟ قَالَ: يَا رَبِّ! أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟». فَضَحِكَ ابْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ: أَلَا تَسْأَلُونِي مِمَّ أَضْحَكُ؟ فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ؟ قَالَ: هَكَذَا ضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

فقالوا: مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مِنْ ضِحْكِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حِينَ قَالَ: أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ فيقول: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ، ولكني على ما أشاء قادرٌ». وهل في الجنة دواب؟

لقد قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَخْشِرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥] قال بعض أهل العلم: أي: ركبانا على الإبل، وقال تعالى: ﴿وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ﴾. حب أهل الجنة للجنة ورضاهم بها:

وأهل الجنة يحبونها حباً عظيماً ولا يرغبون في التحول عنها، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿٦٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف: ١٠٧، ١٠٨].

وأخرج البخاري ^(١) في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَمُوتُ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ يَسْرُهُ أَنْ يَرْجَعَ إِلَى الدُّنْيَا وَأَنَّ لَهُ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، إِلَّا الشَّهِيدُ لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ، فَإِنَّهُ يَسْرُهُ أَنْ يَرْجَعَ إِلَى الدُّنْيَا فَيُقْتَلَ مَرَّةً أُخْرَى».

فهم راضون بما هم فيه:

قال تعالى: ﴿فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ ولقد تقدم قولهم لربهم لما سألهم هل رضيتم فقالوا: وما لنا لا نرضى وقد أعطينا ما لم نعط أحداً من خلقك.

ولقد قال تعالى: ﴿يَتَأَيَّاتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٦٨﴾ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً ﴿٦٩﴾ فَأَدْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٧٠﴾ وَأَدْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: ٢٧ - ٣٠]. وأهل الجنة في هدوء بال:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ قِيلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ ﴿٧١﴾ سَيَدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ [محمد: ٤، ٥].

دوام النعيم والعافية لأهل الجنة:

وأهل الجنة في صحة وعافية دائمة ففي صحيح مسلم^(١) من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة عن النبي ﷺ قَالَ: «يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصْحُوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيُوا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشْبُوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَعْمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا» فذلِكَ قولُهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكَمُ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣].

ونعيم الجنة دائم لا يزول ولا يفنى ولا يبید:

قال تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [البينة: ٨].

وقال تعالى: ﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣].

وقال تعالى: ﴿عَطَاءٌ غَيْرُ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨] أي: غير مقطوع.

وقال تعالى: ﴿أَكُلْهَا دَائِمًا وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ [ص: ٥٤].

وفي الحديث أن منادياً ينادي: «يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصْحُوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا، وَأَنْ تَشْبُوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَأَنْ تَحْيُوا فِيهَا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا».

وكذلك ففي الحديث^(٢) عن رسول الله ﷺ: «يُجَاءُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ زَادَ أَبُو كُرَيْبٍ فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ (وَاتَّفَقَا فِي بَاقِيِ الْحَدِيثِ) فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ! هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَشْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ ويقولون: نعم هذا الموتُ قال: ويقال: يَا أَهْلَ النَّارِ! هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ قال: فَيَشْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ ويقولون: نعم هذا الموتُ قال: فَيُؤَمَّرُ بِهِ فَيُذْبَحُ. قال: ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ! خَلُودٌ فَلَا مَوْتَ وَيَا أَهْلَ النَّارِ! خَلُودٌ فَلَا مَوْتَ» قال: ثُمَّ قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩] وأشار بيده إلى الدنيا.

(١) مسلم (٢٨٣٧).

(٢) البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩).

أما الاستثناء الواقع في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فِى الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتْ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرُ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨] فلاهل العلم فيه أقوال: أحدها: أن هذا الاستثناء لإعلامهم بأنهم مع خلودهم فإنما هم في مشيئته كما قال تعالى: ﴿وَلَيْنَ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ [الإسراء: ٨٦]، وكما قال تعالى: ﴿فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يُخَيِّرْ عَلَى قَلْبِكَ﴾ [الشورى: ٢٤]، فهذا دال على أن الأمور كلها بمشيئة الله. ولا موت في الجنة:

ففي الصحيحين^(١) من طريق نافع أن عبد الله قال: إن رسول الله ﷺ قال: «يُدْخِلُ اللَّهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَيُدْخِلُ أَهْلَ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَقُومُ مُؤَدِّنٌ بَيْنَهُمْ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ لَا مَوْتَ، كُلٌّ خَالِدٌ فِيهَا هُوَ فِيهِ».

وفي رواية في الصحيح^(٢) كذلك عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَصَارَ أَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ، أُتِيَ بِالْمَوْتِ حَتَّى يُجْعَلَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يُذْبَحُ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ لَا مَوْتَ، فَيَزْدَادُ أَهْلَ الْجَنَّةِ فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ وَيَزْدَادُ أَهْلَ النَّارِ حُزْنًا إِلَى حُزْنِهِمْ».

تكليم الله لأهل الجنة

ونعمة من الله عز وجل على أهل الجنة أنه يكلمهم وقد تقدمت بذلك بعض الأحاديث كقوله سبحانه: «أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْحَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»، وكقوله ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ».

ولقد قال تعالى في شأن أقوام من أهل النار: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ٧٧]، فدل هذا بالمفهوم على أن أهل الجنة يكلمهم الله عز وجل.

وكذا فإنه سبحانه ينظر إليهم.

(١) مسلم (٢٨٥٠)، والبخاري (٦٥٤٤).

(٢) مسلم (٢٨٥٠)، والبخاري (٢٥٤٨).

وربهم في الجنة يُحِبُّهُمْ وَالْمَلَائِكَةُ تُحِبُّهُمْ:

قال تعالى: ﴿تُحِبُّهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ [الأحزاب: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨].

وقال سبحانه: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٣٦﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ

فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤].

ولقد ذكر الله سبحانه وتعالى في أهل الجنة، وشيئاً مما أعدّه لهم في جنات النعيم

ثم قال سبحانه: ﴿إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾

[الصافات: ٦٠، ٦١].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ نَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان: ٢٠].

وأفضل ما يروونه ويتلذذون برؤيته على الإطلاق رؤية وجه ربهم ذو الجلال

والإكرام:

أخرج مسلم^(١) من حديث صهيب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تُريدون شيئاً أزيدُكم؟ فيقولون: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الجنةَ وَتُنْجِنَا مِنَ النَّارِ؟ قال: فَيُكْشَفُ الْحِجَابُ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ».

وفي زيادة للحديث ثم تلا هذه الآية: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾

[يونس: ٢٦].

أما الأدلة على رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة ولقاءهم به فمنها ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٣٦﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] قال عددٌ من

أهل العلم: تنظر إلى ربها نظراً.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: وهذا قول كل مفسر من أهل السنة والحديث^(٢).

(١) مسلم (١٨١)، وقد انتقد هذا الحديث على الإمام مسلم انتقده الدارقطني في كتابه التبع.

(٢) حادي الأرواح.

ومن الأدلة أيضًا:

قوله تعالى: ﴿لَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٍ﴾ [يونس: ٢٦]، وقوله تعالى: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥].

وقد جاء في تفسير الزيادة أنها النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى وقد تقدم قريبًا. وقوله ﷺ: «إِنَّكُمْ سَرَّوْنَ رَبِّكُمْ عَيْنًا».

وذلك كما ورد في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم^(١) في صحيحهما من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَنَظَرْنَا إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةً - يَعْنِي الْبَدْرَ - فَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَرَّوْنَ رَبِّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تَغْلِبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا». ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩].

ومن الأدلة على رؤية المؤمنين ربهم أيضًا: قوله تعالى في شأن أهل الكفر: ﴿كَلَّا إِهْمُ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّحُجُوبٌ﴾ [المطففين: ١٥] فالمفهوم المخالف لها أن أهل الإيمان لن يحجبوا عن رؤية ربهم عز وجل.

قال ابن القيم رحمه الله:

ووجه الاستدلال بها أنه سبحانه وتعالى جعل من أعظم عقوبة الكفار كونهم محجوبين عن رؤيته واستماع كلامه فلو لم يره المؤمنون ولم يسمعوا كلامه كانوا أيضًا محجوبين عنه وقد احتج بهذه الحجة الشافعي نفسه وغيره من الأئمة فذكر الطبري وغيره عن المزني قال: سمعت الشافعي يقول في قوله عز وجل: ﴿كَلَّا إِهْمُ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّحُجُوبٌ﴾ [المطففين: ١٥] فيها دلالة على أن أولياء الله يرون ربهم يوم القيامة.

وقال الحاكم: حدثنا الأصم أنبأنا الربيع بن سليمان قال: حضرت محمد بن إدريس الشافعي وقد جاءت رقة من الصعيد فيها ما تقول في قول الله عز وجل: ﴿كَلَّا إِهْمُ عَنْ رَبِّهِمْ

يَوْمَئِذٍ لَخُجُوبُونَ ﴿المطففين: ١٥﴾.

فقال الشافعي: لما أن حجب هؤلاء في السخط كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضى، قال الربيع: فقلت يا أبا عبد الله وبه تقول؟ قال: نعم وبه أدين، ولو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى الله لما عبدَ الله عزَّ وجلَّ.

ورواه الطبري في شرح السنة من طريق الأصم أيضاً وقال أبو زرعة الرازي: سمعت أحمد بن محمد بن الحسين يقول: سئل محمد بن عبد الله بن الحكم هل يرى الخلق كلهم ربهم يوم القيامة المؤمنون والكفار؟ فقال محمد بن عبد الله: ليس يراه إلا المؤمنون.

قال محمد: وسئل الشافعي عن الرؤية فقال: يقول الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخُجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] ففي هذا دليل على أن المؤمنين لا يحجبون عن الله عزَّ وجلَّ.

وفي الصحيحين^(١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: قلنا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ إِذَا كَانَتْ صَحْوًا؟» قلنا: لا، قال: «فَإِنَّكُمْ لَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ يَوْمَئِذٍ إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَيْهِمَا».

وفي الباب أيضاً حديث عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه عند البخاري وغيره، وفيه: «وَلْيَقِينَ اللَّهَ أَحَدَكُمْ يَوْمَ يَلْقَاهُ وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ يُرْجَمُ لَهُ، فَيَقُولَنَّ: أَلَمْ أُبْعَثْ إِلَيْكَ رَسُولًا فَيُبَلِّغَكَ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، فَيَقُولُ: أَلَمْ أُعْطِكَ مَا لَا وَأَفْضَلَ عَلَيْكَ؟ فَيَقُولُ: بَلَى فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ وَيَنْظُرُ عَنْ يَسَارِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ...» الحديث^(٢).

ومن الأدلة أيضاً قوله ﷺ: «اللَّهُمَّ بَعْلِمِكَ الْغَيْبِ وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ أَخْبِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي، أَسْأَلُكَ خَشْيَتِكَ فِي الْغَيْبِ

(١) البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٢).

(٢) البخاري (٣٥٩٥).

(٤) مسلم (٢٩٦٨).

وَأَسْوَدَكَ، وَأَرْوَجَكَ، وَأَسَخَّرَ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ، وَأَذْرَكَ تَرَأْسُ وَتَرْبَعُ؟ فيقول: بلى. أي رَبِّ! فيقول: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِي؟ فيقول: لا. فيقول: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي، ثُمَّ يَلْقَى الثَّالِثَ فيقول له مِثْلَ ذَلِكَ، فيقول: يَا رَبِّ! أَمَنْتُ بِكَ وَبِكِتَابِكَ وَبِرُسُلِكَ وَصَلَّيْتُ وَصُمْتُ وَتَصَدَّقْتُ. وَيُثْنِي بِخَيْرِ مَا اسْتَطَاعَ، فيقول: هَا هُنَا إِذَا. قَالَ: «ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: الْآنَ تَبْعْتُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ، وَتَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ، مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ، فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، وَيُقَالُ لَفَخْذِهِ وَلَحْمِهِ وَعِظَامِهِ: انْطِقِي، فَتَنْطِقُ فَخُذْهُ وَلَحْمَهُ وَعِظَامَهُ بِعَمَلِهِ، وَذَلِكَ لِيُعْذَرَ مِنْ نَفْسِهِ، وَذَلِكَ الْمُنَاقِقُ، وَذَلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ اللَّهُ عَلَيْهِ».

وقد حكم ابن القيم رحمه الله على الأحاديث الواردة في رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة بأنها متواترة (أي في أعلى درجة الصحة) قال رحمه الله: وأما الأحاديث عن النبي ﷺ وأصحابه الدالة على الرؤية فمتواترة^(١).

هذا، وقد احتج قوم من أهل البدع على عدم رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة ببعض الأدلة:

منها: قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

وأجيب على هذا الاستدلال بأن الإدراك غير الرؤية، فقد تحدث الرؤية ولا يحدث الإدراك، قال تعالى في شأن قوم فرعون مع قوم موسى - على موسى السلام - : ﴿فَلَمَّا تَرَأَوْا الْجَمْعَ عَانٍ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ [الشعراء: ٦١] فحصلت الرؤية ولم يحصل الإدراك^(٢).

(١) «حادي الأرواح».

(٢) وقد استدلل ابن القيم رحمه الله بهذه الآية نفسها على إثبات الرؤية فقال في كتابه «حادي الأرواح»: والاستدلال بهذا أعجب فإنه من أدلة النفاة، وقد قرر شيخنا وجه الاستدلال به أحسن تقرير وألطفه، وقال لي: أنا ألتزم أنه لا يحتاج مبطل بآية أو حديث صحيح على باطله إلا وفي ذلك الدليل ما يدل على نقيض قوله فمنها هذه الآية وهي على جواز الرؤية أدل منها على امتناعها، فإن الله سبحانه إنها ذكرها في سياق التمدح ومعلوم أن المدح إنما يكون بالأوصاف الثبوتية وأما العدم المحض فليس بكمال فلا يمدح به وإنما يمدح الرب تبارك وتعالى بالعدم إذا تضمن أمراً وجودياً كمدحه بنفي السنة والنوم المتضمن كمال القيومية ونفي الموت المتضمن كمال الحياة ونفي اللغوب والإعياء المتضمن كمال القدرة ونفي الشريك والصاحبة والولد والظهير المتضمن كمال ربوبيته وإلهيته وقهره، ونفي الأكل والشرب المتضمن

واستدل بعضهم على منع الرؤية كذلك بقوله تعالى لنبيه موسى عليه السلام لما سأله موسى: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ قَالَ لَنْ تَرَنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَنِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا [الأعراف: ١٤٣].

قالوا: فقله تعالى: ﴿لَنْ تَرَنِي﴾ دال على عدم الرؤية وأجيب على ذلك بأن ذلك في الدنيا، أما في الآخرة فقد تقدمت الأدلة التي تثبت الرؤية في الآخرة. بيد أن ابن القيم رحمه الله تعالى استدل بالآية ذاتها على الرؤية فقال: وبيان الدلالة من هذه الآية من وجوه عديدة:

أحدها: أنه لا يظن بكليم الرحمن ورسوله الكريم عليه أن يسأل ربه ما لا يجوز عليه، بل هو من أبطل الباطل وأعظم المحال وهو عند فروخ اليونان والصابئة الفرعونية بمنزلة أن يسأله أن يأكل ويشرب وينام ونحو ذلك مما يتعالى الله عنه فيالله

كمال الصمدية وغناه، ونفي الشفاعة عنده بدون إذنه المتضمن كمال توحيده وغناه عن خلقه، ونفي الظلم المتضمن كمال عدله وعلمه وغناه ونفي النسيان وعزوب شيء عن علمه المتضمن كمال علمه وإحاطته، ونفي المثل المتضمن لكمال ذاته وصفاته؛ ولهذا لم يتمدح بعدم محض لا يتضمن أمراً ثبوتياً فإن المعدوم يشارك الموصوف في ذلك العدم ولا يوصف الكامل بأمر يشترك هو والمعدوم فيه فلو كان المراد بقوله: ﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ أنه لا يرى بحال لم يكن في ذلك مدح ولا كمال لمشاركة المعدوم له في ذلك فإن العدم الصرف لا يرى ولا تدركه الأبصار والرب جل جلاله يتعالى أن يمدح بها يشاركه فيه العدم المحض فإذا المعنى أنه يرى ولا يدرك ولا يحاط به كما كان المعنى في قوله: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكُمْ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ أنه يعلم كل شيء وفي قوله: ﴿وَمَا مَسْنَأْ مِنْ لُغُوبٍ﴾ أنه كامل القدرة وفي قوله: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رِبْكَ أَحَدًا﴾ أنه كامل العدل وفي قوله: ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ أنه كامل القيومية.

فقوله: ﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ يدل على غاية عظمته وأنه أكبر من كل شيء وأنه لعظمته لا يدرك بحيث يحاط به فإن الإدراك هو الإحاطة بالشيء وهو قدر زائد على الرؤية كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانِ﴾ قال أصحاب موسى إنا لمدركون قال كلا [الشعراء: ٦١، ٦٢].

فلم ينف موسى الرؤية ولم يريدوا بقولهم: ﴿إِنَّا لَمَدْرِكُونَ﴾ إنا لمرئيون فإن موسى صلوات الله وسلامه عليه نفى إدراكهم إياهم بقوله: ﴿كَلَّا﴾، وأخبر الله سبحانه أنه لا يخاف دركهم بقوله: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقَ فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى﴾ [طه: ٧٧]. فالرؤية والإدراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه فالرب تعالى يرى ولا يُدرك كما يعلم ولا يُحاط به وهذا هو الذي فهمه الصحابة والأئمة من الآية.

العجب كيف صار أتباع الصابئة والمجوس والمشركون عباد الأصنام وفروخ الجهمية الفرعونية أعلم بالله تعالى من موسى بن عمران، وبما يستحيل عليه ويجب له وأشد تنزيهاً له منه!!!

الوجه الثاني: أن الله سبحانه وتعالى لم ينكر عليه سؤاله ولو كان محالاً لأنكره عليه، ولهذا لما سأل إبراهيم الخليل ربه تبارك وتعالى أن يريه كيف يحيى الموتى لم ينكر عليه ولما سأل عيسى بن مريم ربه إنزال المائدة من السماء لم ينكر سؤاله، ولما سأل نوح ربه نجاة ابنه أنكر عليه سؤاله وقال: ﴿إِنِّي أَعْطُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ ١٥٠ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنَ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿١٥١﴾ [هود: ٤٦، ٤٧].

الوجه الثالث: أنه أجابه بقوله: ﴿لَنْ تَرِنِّي﴾ ولم يقل إني لا أرى ولا أي لست بمرتي ولا تجوز رؤيتي والفرق بين الجوابين ظاهر لمن تأمله.

وهذا يدل على أنه سبحانه وتعالى يرى ولكن موسى لا تحمل قواه رؤيته في هذه الدار لضعف قوة البشر فيها عن رؤيته تعالى.

ويوضحه الوجه الرابع: وهو قوله: ﴿وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنَّ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِّي﴾ فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت لتجليه له في هذه الدار فكيف بالبشر الضعيف الذي خلق من ضعف؟

إحلال الرضوان على أهل الجنة:

ومن أفضل ما يعطاه المؤمنون في الجنة أن الله يُحِلُّ عليهم رضوانه؛ فلا يسخط عليهم بعده أبداً.

ففي الصحيحين^(١) من حديث أبي سعيد الخدري: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ! فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى يَا رَبُّ؟ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ

خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: يَا رَبُّ! وَآيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا».

العلامة ابن القيم - رحمه الله - يصف جنات النعيم:

ولقد أوجز العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في وصف الجنة، فقال في كتابه «حادي الأرواح»^(١):

وكيف يقدر قدر دار غرسها الله بيده، وجعلها مقرًا لأحبابه، وملاًها من رحمته وكرامته، ورضوانه ووصف نعيمها بالفوز العظيم، وملكها بالملك الكبير، وأودعها جميع الخير بحذافيره وطهرها من كل عيب وآفة ونقص، فإن سألت عن أرضها وتربتها فهي المسك والزعفران، وإن سألت عن سقفها فهو عرش الرحمن، وإن سألت عن بلاطها فهو المسك الأذفر، وإن سألت عن حصبتها فهي اللؤلؤ والجوهر، وإن سألت عن بنائها فلبنة من فضة ولبنة من ذهب.

وإن سألت عن أشجارها فما فيها شجرة إلا وساقها من ذهب وفضة لا من الحطب والخشب، وإن سألت عن ثمرها فأمثال القلال ألين من الزبد وأحلى من العسل.

وإن سألت عن ورقها فأحسن ما يكون من رقائق الخلل، وإن سألت عن أنهارها فأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى، وإن سألت عن طعامهم ففاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون، وإن سألت عن شراهم فالتسليم والزنجبيل والكافور، وإن سألت عن آنتهم فآنية الذهب والفضة في صفاء القوارير.

وإن سألت عن سعة أبوابها فبين المصراعين مسيرة أربعين من الأعوام، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام، وإن سألت عن تصفيق الرياح لأشجارها فإنها تستقر بالطرب لمن يسمعها، وإن سألت عن ظلها ففيها شجرة واحدة يسير الراكب المجد

(١) وهو كتاب قيم في وصف الجنة إلا أنه قد اعتراه كم كبير من الأحاديث الضعيفة والتالفة، بل والموضوعة وكذا كم كبير من الآثار التي لا تثبت بالسند عن قائلها.

السريع في ظلها مائة عام لا يقطعها، وإن سألت عن سعتها فأدنى أهلها يسير في ملكه وسرره وقصوره وبساتينه مسيرة ألفي عام.

وإن سألت عن خيامها وقبابها فالخيمة الواحدة من درة مجوفة طولها ستون ميلاً من جملة الخيام، وإن سألت عن علائها وجواسقها فهي غرف من فوقها مبنية تجري من تحتها الأنهار، وإن سألت عن ارتفاعها فانظر إلى الكوكب الطالع أو الغارب في الأفق الذي لا تكاد تناله الأبصار.

وإن سألت عن لباس أهلها فهو الحرير والذهب، وإن سألت عن فرشها فبطائنها من استبرق مفروشة في أعلى الرتب، وإن سألت عن أرائكها فهي الأسرة عليها البشخانات وهي الحجال مزرة بأزرار الذهب، فما لها من فروج ولا خلال.

وإن سألت عن وجوه أهلها وحسنهم فعلى صورة القمر، وإن سألت عن أسنانهم فأبناء ثلاث وثلاثين على صورة آدم عليه السلام أبي البشر، وإن سألت عن سماعهم فغناء أزواجهم من الحور العين وأعلى منه سماع أصوات الملائكة والنبين، وأعلى منه سماع خطاب رب العالمين.

وإن سألت عن مطاياهم التي يتزاورون عليها، فنجائب أنشأها الله مما شاء تسير بهم حيث شاءوا من الجنان، وإن سألت عن حليهم وشارتهم فأساور الذهب واللؤلؤ على الرؤوس ملابس التيجان، وإن سألت عن غلمانهم فولدان مخلصون كأنهم لؤلؤ مكنون.

وإن سألت عن عرائسهم وأزواجهم فهن الكواكب الأتراب اللاتي جرى في أعضائهن ماء الشباب فللورد والتفاح ما لبسته الخدود، وللرمان ما تضمنته النهود، وللؤلؤ المنظوم ما حوته الثغور، وللرقة واللطافة ما دارت عليه الخصور تجري الشمس من محاسن وجهها إذا برزت، ويضئ البرق من بين ثناياها إذا ابتسمت، إذا قابلت حبها فقل ما شئت في تقابل النيرين، وإذا حادثته فما ظنك بمحادثة الحبيين، وإن ضمها إليه فما ظنك بتعانق الغصنين، يرى وجهه في صحن خدها كما يرى في المرأة التي جلاها صيقلها، ويرى مخ ساقها من وراء اللحم ولا يستره جلدها ولا عظمها ولا حللها، لو

اطلعت على الدنيا ملأت ما بين الأرض والسماء، ريحًا ولا استنطقت أفواه الخلائق تهليلًا وتكبيرًا وتسبيحًا، ولتزخرف لها ما بين الخافقين ولأغمضت عن غيرها كل عين، ولطمست ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم، ولآمن من على ظهرها بالله الحي القيوم، ونصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها، ووصالها أشهى إليه من جميع أمانيتها لا تزداد على طول الأحقاب إلا حسنًا وجمالًا، ولا يزداد لها طول المدى إلا محبة ووصالًا، مبرأة من الحبل والولادة والحيض والنفاس، مطهرة من المخاط والبصاق والبول والغائط وسائر الأدناس، لا يفنى شبابها، ولا تبلى ثيابها، ولا يخلق ثوب جمالها، ولا يمل طيب وصالها، قد قصرت طرفها على زوجها فلا تطمح لأحد سواه وقصر طرفه عليها فهي غاية أمنيته وهواه، إن نظر إليها سرتة، وإن أمرها بطاعته أطاعته، وإن غاب عنها حفظته، فهو معها في غاية الأمان والأمان، هذا ولم يطمثها قبله إنس ولا جان كلما نظر إليها ملأت قلبه سرورًا، وكلما حدثته ملأت أذنه لؤلؤًا منظومًا ومثورًا، وإذا برزت ملأت القصر والغرفة نورًا.

وإن سألت عن السن فأتراب في أعذل سن الشباب، وإن سألت عن الحسن فهل رأيت الشمس والقمر، وإن سألت عن الخرق فأحسن سواد في أصفى بياض في أحسن حور، وإن سألت عن القدود فهل رأيت أحسن الأغصان، وإن سألت عن النهود فهن الكواكب ونهودهن كألطف الرمان، وإن سألت عن اللون فكأنه الياقوت والمرجان، وإن سألت عن حسن الخلق فهن الخيرات الحسان، اللاتي جمع لهن بين الحسن والإحسان فأعطين جمال الباطن والظاهر فهن أفراح النفوس وقرّة النواظر.

وإن سألت عن حسن العشرة ولذة ما هنالك فهن العرب المتحبيات إلى الأزواج بلطافة التبعل التي تمتزج بالروح أي امتزاج.

فما ظنك بامرأة إذا ضحكت في وجه زوجها أضاءت الجنة من ضحكها، فإذا انتقلت من قصر إلى قصر قلت: هذه الشمس متنقلة في بروج فللكها، وإذا حاضرت زوجها فيا حسن تلك المحاضرة، وإن خاصرته فيا لذة تلك المعانقة والمخاصرة: وحديثها السحر الحلال وأنه لم يمين قتل المسلم المتحرز

إن طال لم يملل وإن هي حدثت ود الخ حدث أفها لم تـوجز
وإن غنت فيا لذة الأبصار والأسماع، وإن آنست وأمتعت فيا حبذا تلك المؤانسة
والإمتاع وإن قبلت فلا شيء أشهى إليه من ذلك التقبيل، وإن نولت فلا ألد ولا أطيب
من ذلك التنويل.

هذا، وإن سألت عن يوم المزيد، وزيارة العزيز الحميد، ورؤية وجهه المنزه عن
التمثيل والتشبيه كما ترى الشمس في الظهيرة والقمر ليلة البدر، كما تواتر عن الصادق
المصدوق النقل فيه وذلك موجود في الصحاح والسنن والمسانيد من رواية جرير
وصهيب وأنس وأبي هريرة وأبي موسى وأبي سعيد، فاستمع يوم ينادي المنادي: يا أهل
الجنة، إن ربكم تبارك وتعالى يستزيركم فحي على زيارته فيقولون: سمعًا وطاعة
وينهضون إلى الزيارة مبادرين، فإذا بالنجائب قد أعدت لهم فيستوون على ظهورها
مسرعين وحتى إذا انتهوا إلى الوادي الأفيح الذي جعل لهم موعدًا وجمعوا هناك فلم
يغادر الداعي أحدًا أمر الرب تبارك وتعالى بكرسيه فنصب هناك ثم نصبت لهم منابر
من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب ومنابر من فضة، وجلس
أدناهم، وحاشاهم أن يكون فيهم دني على كئيبان المسك ما يرون أن أصحاب الكراسي
فوقهم في العطايا حتى إذا استقرت بهم مجالسهم واطمأنت بهم أماكنهم، نادى المنادي:
يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدًا يريد أن ينجزكموه فيقولون: ما هو؟ ألم يبيض
وجوهنا ويثقل موازيننا ويدخلنا الجنة ويزحزحنا عن النار فبينما هم كذلك إذ سطع لهم
نور أشرفت له الجنة فرفعوا رؤوسهم فإذا الجبار - جل جلاله - وتقادت أسماؤه وقد
أشرف عليهم من فوقهم وقال: يا أهل الجنة سلام عليكم، فلا ترد هذه التحية بأحسن
من قولهم: اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام، فيتجلى لهم
الرب تبارك وتعالى يضحك إليهم ويقول: يا أهل الجنة، فيكون أول ما يسمعون منه
تعالى: أين عبادي الذين أطاعوني بالغيب ولم يروني؟ فهذا يوم المزيد فيجتمعون على
كلمة واحدة قد رضيها فارض عنا، فيقول: يا أهل الجنة إني لو لم أرض عنكم لم
أسكنكم جنتي، هذا يوم المزيد فاسألوني: فيجتمعون على كلمة واحدة أرنا وجهك

ننظر إليه فيكشف لهم الرب جل جلاله الحجب ويتجلى لهم فيغشاهم من نوره ما لولا أن الله تعالى قضى أن لا يحترقوا لا حترقوا، ولا يبقى في ذلك المجلس أحد إلا حاضره ربه تعالى محاضرة حتى إنه ليقول: يا فلان أتذكر يوم فعلت كذا وكذا، يذكره ببعض غدراته في الدنيا فيقول: يا رب ألم تغفر لي؟ فيقول: بلى بمغفرتي بلغت منزلتك هذه.

فيا لذة الأسماع بتلك المحاضرة، ويا قرة عيون الأبرار بالنظر إلى وجهه الكريم في الدار الآخرة، ويا ذلة الراجعين بالصفقة الخاسرة: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۚ﴾ ﴿٣٣﴾ وَوَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٣٤﴾ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٣٥﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٥].

فحي على جنات عدن فإنها منازلنا الأولى وفيها المخيم ولكننا سبي العدو فهل ترى نعود إلى أوطاننا ونسلم وختاماً فهذا غيض من فيض في وصف جنات النعيم أجتزئ به سائلاً الله أن يجعلني وقارئ هذه الرسالة من أهل الفردوس ووالدينا وأزواجنا وذرياتنا، إن ربي سميع قريب.

وما كان فيها من صواب فمن الله، فله النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن، وما كان فيها من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان، وأستغفر الله من كل ما لا يرضيه سبحانه وتعالى.

وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.



أشعار منتقاة في وصف جنات النعيم قالها ابن القيم رحمه الله تعالى

يا خاطبَ الحُــســور الحــســانِ	لوصالهن بجنّة الحيوانِ
لو كنتَ تدري من خطبتَ ومَن طَلَبْتِ	لَتَ بَدَلْتَ ما تحوي من الأثمانِ
أو كنتَ تدري أينَ مسكنُها جَعَلْتِ	لَتَ السعي منك لها على الأجفانِ
ولقد رصفتُ طريقَ مسكنِها فبأنْ	رُمْتَ الوصالَ فلا تكن بالوائي
أسرِعْ وحثْ السيرَ جهـدك إغـما	مـسـراك هـذا سـاعـة لـزـمـانِ
فاعشق وحدّث بالوصالِ النفسَ وابـ	لَئـلْ مَـهـرَها ما دُمْتَ ذا إمـكـانِ

فصل

في صفة الجنة التي أعدها الله ذو الفضل والمنة
لأوليائه المتمسكين بالكتاب والسنة

فاسْمَعْ إِذَا أوصافُها وصِفَاتِها	تِيكَ المـنازِلِ رَبَّةِ الإحـسـانِ
هي جنة طابت وطابَ نعيمُها	فنعيمُها بـبـاقٍ ولبـيسِ
دار السلامِ وجنة المـأوى ومَنـ	زَلْ عـسـكـرِ الإيـمـانِ
فالدار دارُ سلامٍ وخِطابُهم	فـيـهـا سـلامٌ واسمُ ذِي الغفرانِ

فصل

في عدد درجات الجنة وما بين كل درجتين

درجـاتُها مائـةٌ وما بـيـنَ اثْنَتَيْ	مِائَتَيْنِ فَـيـنَ فَـيـنَ فَـيـنَ فَـيـنَ فَـيـنَ
مِثْلُ الَّذِي بَيْنَ السَّمَاءِ وَبَيْنَها	ذِي الأَرْضِ فَـيـنَ الصَّادِقِ البُرْهـانِ
لَكِنَّ غَالِيها هُوَ الفـردوسُ مُسـ	تَوَفِّ بِعـرْشِ الخالِقِ الرَّهـمـانِ

فصل

في أبواب الجنة

أبوابها حَقٌّ ثمانية أَتَتْ في النَّصِّ وهي لِصاحبِ الإحسانِ
 بابُ الجهادِ وذاكَ أعلاها وبَـا بابُ الصومِ يُدعى البابُ بالريّانِ
 ولكلِّ سَميٍّ صالحٍ بابٌ وربُّ السَّعيِّ مِنْهُ داخلٌ بِأمانِ
 ولَسوفَ يُدعى المرءُ من أبوابِها جَمْعًا إذا وقى حُلّى الإيمانِ
 منهم أبو بكرٍ هُوَ الصديقُ ذا لِكَ خليفَةُ المبعوثِ بالقرآنِ

فصل

في مفتاح باب الجنة

هذا وَفَتَحَ البابَ ليس بِمُمكنٍ إلا بِمفتاحٍ على أسنانِ
 مفتاحُهُ بِشهادةِ الإخلاصِ والتَّـمُّ وُحيدِ تلكَ شهادةُ الإيمانِ
 أسنانهُ الأعمالُ وهي شُرَائعُ الإسلامِ والمِفْتَاحُ بالأسنانِ
 لا تُلغى هذا المَثالُ فَكَمْ بِهِ مِنْ حَلٍّ إِشْكالٍ لِـلَّذي العِرْفانِ

فصل

في صفوف أهل الجنة

هذا وأن صفوفَهم عِشرونَ مَع مائةٍ وهذي الأُمّةُ الثُّلثانِ
 يَرويه عَنْهُ بُرَيْدَةُ إِسْنادُهُ شَرطُ الصَّحيحِ بِمُسندِ الشَّيْبانِ

فصل

في صفة أول زمرة تدخل الجنة

هذا وأول زمرةٍ فوجوهُهم كالبدرِ ليلَ السَّتِّ بَعْدَ ثمانِ
 السَّابِقونَ هم وَقَد كانوا هُنا أيضًا أولي سبقي إلى الإحسانِ

فصل

في تفاضل أهل الجنة في الدرجات العلا

ويرى الذين بذلها من فوقهم مثل الكواكب رؤى ببيان
ما ذاك مختصاً برسول الله بل هم وللصديق ذي الإيمان

فصل

في ذكر أعلى أهل الجنة منزلة وأدناهم

هذا وأعلامهم فناظر ربّه في كل يوم وقته الطرفان
لكن أدناهم وما فيهم دني إذ ليس في الجنات من نقصان
فهو الذي تلقى مسافة ملكه بسنين ألفان كاملتان
فرى بها أقصاه حقاً مثل رؤيته لأذناه القريب الداني
أو ما سمعت بأن آخر أهلها يعطيه رب العرش ذو العُفران
أضعاف دنانا جميعاً عشر أمثال لها سبحان ذي الإحسان

فصل

في أنهار الجنة

أنهارها في غير أخدود جرت سبحان ممسكها عن الفيضان
من تحتهم تجري كما شاءوا مفرج جرة وما للنهر من نقصان
غسل مصفى ثم ماء ثم خمّر ر ثم أنهار من الألبان
والله ما تلك المواد كهذه لکن هما في اللفظ مجتمعان
هكذا وبينهما يسير وهو اشتراك قام بالأذهان

فصل

في رؤية أهل الجنة ربهم تبارك
وتعالى ونظرهم إلى وجه الكريم

ويروونه سبحانه من فوقهم
هَذَا تَوَاتَرَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ لَمْ
وَأَتَى بِهِ الْقُرْآنُ تَصْرِيحًا وَتَعْلَامًا
وَهِيَ الزِّيَادَةُ قَدْ أَتَتْ فِي يُوسُفَ
وَرَوَاهُ عَنْهُ مُسْلِمٌ بِصَحِيحِهِ
وَهُوَ الْمَزِيدُ كَذَاكَ فَسَرَّهُ أَبُو
وَعَلَيْهِ أَصْحَابُ الرَّسُولِ وَتَابِعُوا
وَلَقَدْ أَتَى ذِكْرُ اللَّقَاءِ لِرَبَّنَا الرَّبِّ
وَلِقَاؤُهُ إِذْ ذَاكَ رُؤْيَاهُ حَكَى الْإِسْلَامُ
وَعَلَيْهِ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ جَمِيعُهُمْ
هَذَا وَيَكْفِي أَنْهُ سُبْحَانَهُ
وَأَعَادَ أَيْضًا وَصَفَهَا نَظَرًا وَذَا
وَأَتَتْ أَدَاةً إِلَى لَرْفَعِ الْوَهْمِ مِنْ

نَظَرَ الْعِيَانِ كَمَا يُرَى الْقَمَرَانِ
يُنْكِرُهُ إِلَّا فَاسِدُ الْإِيمَانِ
رَبِيضًا هُمَا بِسِيَاقِهِ نَوْعَانِ
تَفْسِيرَ مَنْ قَدْ جَاءَ بِالْقُرْآنِ
يُرَوِّى صُهِيبٌ ذَا بِلَا كِتْمَانِ
بَكْرٍ هُوَ الصَّدِيقُ ذُو الْإِيقَانِ
هُمْ بَعْدَهُمْ تَبَعِيَّةُ الْإِحْسَانِ
رَحْمَنٍ فِي سُورٍ مِنَ الْفُرْقَانِ
إِجْمَاعٍ فِيهِ جَمَاعَةٌ بَيَانِ
لُغَةٍ وَعَرَفْنَا لَيْسَ يَخْتَلِفَانِ
وَصَفَ الْوَجْهَ بِنَظَرَةٍ بِجَنَانِ
لَا شَكَّ يُفْهَمُ رُؤْيَاهُ بِعِيَانِ
فَكِرَ كَذَاكَ تَرَقُّبُ الْإِنْسَانِ

فصل

في كلام الرب جل جلاله مع أهل الجنة

أَوْ مَا عَلِمْتَ بَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ
فَيَقُولُ جَلَّ جَلَالُهُ: هَلْ أَنْتُمْ
أَمْ كَيْفَ لَا نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْنَا
هَلْ ثَمَّ شَيْءٌ غَيْرُ ذَا يَكُونُ أَفْ

حَقًّا يُكَلِّمُ حِزْبَهُ بِجَنَانِ
رَاضُونَ؟ قَالُوا: نَحْنُ ذُو رِضْوَانِ
مَا لَمْ يَنْلُ قَطُّ مِنْ إِنْسَانِ؟
ضَلَّ مِنْهُ نَسْأَلُهُ مِنَ الْمَنَانِ؟

يَغْشَاكُمْ سَخَطٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ
 قَدْ كَانَ مِنْهُ سَالِفَ الْأَزْمَانِ
 مَا ذَاكَ تَوَيْتًا مِنَ الرَّحْمَنِ
 مِّنْ فَضْلِهِ وَالْعَفْوِ وَالْإِحْسَانِ
 حَقًّا عَلَيْهِمْ وَهُوَ فِي الْقُرْآنِ
 سُبْحَانَهُ بِتِلَاوَةِ الْفُرْقَانِ
 هَذَا رَوَاهُ الْحَافِظُ الطَّبْرَانِيُّ
 قُرْآنَ فِي الدُّنْيَا فَنُوعِ ثَانِي
 وَبَدُونَهَا نَوْعَانِ مَعْرُوفَانِ
 وَسَمَاعُ بَتَوْسُطِ الْإِنْسَانِ
 فَمُخَالَفَ لِلْعَقْلِ وَالْقُرْآنِ

فَيَقُولُ أَفْضَلُ مِنْهُ رِضَاوَانِي فَلَا
 وَيَذْكُرُ الرَّحْمَنُ وَاحِدَهُمْ بِمَا
 مِنْهُ إِلَيْهِ لَيْسَ ثُمَّ وَاسْطَةً
 لَكِنْ يُعَرِّفُهُ الَّذِي قَدْ نَالَهُ
 وَيُسَلِّمُ الرَّحْمَنُ جَلَّ جَلَالُهُ
 وَكَذَاكَ يُسْمِعُهُمْ لَذِيذَ خِطَابِهِ
 فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوهُ قَبْلَ ذَا
 هَذَا سَمَاعٌ مُّطْلَقٌ وَسَمَاعُنَا إِلَى
 وَاللَّهِ يُسْمِعُ قَوْلُهُ بَوْسَاطَةً
 فَسَمَاعُ مُوسَى لَمْ يَكُنْ بَوْسَاطَةً
 مِّنْ صَيْرِ النُّوعَيْنِ نَوْعًا وَاحِدًا

فصل

في سوق الجنة الذي ينصرفون إليه من ذلك المجلس

مَا قَدْ ذَخَرْتُ لَكُمْ مِنَ الْإِحْسَانِ
 فِيهِ فَخْذٌ مِنْهُ بِلَا أَثْمَانِ
 بَعْدَ بَعْقَدِهِمْ فِي بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ
 نَكَّةُ الْكِرَامِ بِكُلِّ مَا إِحْسَانِ
 كَلَّا وَلَا سَمِعْتَ بِهِ أَذْنَانِ
 فَيَكُونُ عَنْهُ مُعَبِّرًا بِلِسَانِ
 فَيَرَوْعُهُ مَا تَنْظُرُ الْعَيْنَانِ
 حَقُّ أَهْلُهَا شَيْءٌ مِنَ الْأَحْزَانِ
 نَالَ التَّهَانِي كُلُّهَا بِأَمَانِ
 صَخَبٍ وَلَا غِشٍّ وَلَا أَيْمَانِ

فَيَقُولُ جَلَّ جَلَالُهُ قَوْمُوا إِلَى
 يَأْتُونَ سَوْقًا لَا يُبَاغُ وَيُشْتَرَى
 قَدْ أَسْلَفَ الثُّجَارُ أَثْمَانِ الْمِيَاهِ
 لِلَّهِ سَوْقٌ قَدْ أَقَامَتْهُ الْمَلَا
 فِيهَا الَّذِي وَاللَّهِ لَا عَيْنٌ رَأَتْ
 كَلَّا وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ امْرِئٍ
 فَيَرَى امْرَأً مِنْ فُسُوقِهِ فِي هَيْئَةٍ
 فَإِذَا عَلَيْهِ مِثْلُهَا إِذْ لَيْسَ يَلْ
 وَاهَا لَذَا السُّوقِ الَّذِي مَنَ حَلَهُ
 يُدْعَى بِسَوْقٍ تَعَارُفٍ مَا فِيهِ مِنْ

وتجارة من ليس تلييه تجا
أهل المروّة والسفوة والثقى
يا من تعوض عنه السوق الذي
لو كنت تدري قدر ذاك السوق لم
رأت ولا يسع عن الرحمن
والذكر للرحمن كل أوان
ركزت لديه راية الشيطان
تركن إلى سوق الكساد الفاني

فصل

في خلود أهل الجنة ودوام صحتهم ونعيمهم
وشبابهم، واستحالة الموت والنوم عليهم

هذا وخاتمة النعيم خلودهم
أو ما سمعت منادي الإيمان يخبر
لكم حياة ما بها موت وعسا
ولكم نعيم ما به بؤس وما
كلاً ولا نوم هناك يكون ذا
هذا علمناه اضطراراً من كتبنا
والجهنم أفتاها وأفنى أهلها
طرداً لنفي دوام فعل الرب في الـ
وأبو الهذيل يقول يقنى كل ما
وتصير دار الخلد مع سكانها
قالوا ولولا ذاك لم يثبت لنا
فالقوم إما جاحدون لربهم

أبداً بدار الخلد والرضوان
جبر عن مناديتهم بحسن بيان
فيه بلا سقم ولا أحزان
لشبابكم هرم مدى الأزمان
نوم وموت بيننا أحزان
ب الله فافهم مقتضى القرآن
تبا لذاك الجاهل الفئان
ماضي وفي مستقبل الأزمان
فيها من الحركات للسكان
وثمارها كحجارة البيان
رب لأجل تسلسل الأعيان
أو منكرون حقائق الإيمان

وبهذا القدر من وصف الجنة نجتري جعلنا الله من أهل الفردوس



س: اذكر بعض الأدلة على التنبيه بالأدنى على الأعلى ، من الكتاب والسنة؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿مُتَكَبِّرِينَ عَلَىٰ قُرْبَىٰ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَاقٍ﴾ [الرحمن: ٥٤] فإذا كانت البطائن من استبرق فكيف بالظواهر. وقوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [آل عمران: ١٣٣] فإذا كان هذا عرضها ، فكيف بطولها؟!

وقوله تعالى: ﴿قَوْبِلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٥] فكيف بالذي لا يصلي.

وقوله ﷺ لمن يتوضأ ولا يحسن الوضوء: «ويلٌ للأعقاب من النار» فكيف بالذي لا يتوضأ من الأصل!

وكذا الذي يصلي في جماعة، ولكنه يرفع رأسه قبل الإمام ورد فيه: «أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يحول الله وجهه إلى وجه حمار». فكيف بالذي لا يصلي.



س: هل يجامع الجنُّ النساء؟

ج: لم أقف في ذلك على شيء صريح في الكتاب والسنة ولكن قد يفهم من قوله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِئْنُوا إِلَّا قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ أن الجن قد يطمث.

وقد ذكر بعض أهل العلم أن الرجل إذا جامع ولم يسمَّ انطوى الجن على إحليله فجامع معه ، فذلك قوله: ﴿لَمْ يَطْمِئْنُوا إِلَّا قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾.

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «أما إن أحدكم إذا رأى أهله فقال: بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فقدر بينهما ولد ولم يضره شيطان» (١).

قال القرطبي - رحمه الله -:

في هذه الآية دليل على أن الجن تغشى كالإنس ، وتدخل الجنة ويكون لهم فيها

(١) البخاري مع الفتح (٩ / ٢٢٨) ومسلم (ج ١٠ / ٥).

جَنّاتٍ . قال ضمرة : للمؤمنين منهم أزواج من الحور العين ، فالإنسيات للإنس ، والجنيات للجن . وقيل : أي : لم يطمث ما وهب الله للمؤمنين من الجن في الجنة من الحور العين من الجنيات جنٌّ ، ولم يطمث ما وهب الله للمؤمنين من الإنس في الجنة من الحور العين من الإنسيات إنس ، وذلك لأن الجن لا تطأ بنات آدم في الدنيا . ذكره القشيري .

ثم قال القرطبي رحمه الله : وأنه جائز أن تطأ (أي الجن) بنات آدم .
قال الطبري رحمه الله :

فإن قال قائل : وهل يجامع النساء الجن ؟ فيقال : ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾ ؟ فإن مجاهدًا روى عنه ما حدثني به محمد بن عمارة الأسدي ، قال : ثنا سهل بن عامر ، قال : ثنا يحيى بن يعلى الأسلمي عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد ، قال : إذا جامع الرجل ولم يسم ، انطوى الجانّ على إحليله فجامع معه ، فذلك قوله : ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾ .



س : هل الجن يدخلون الجنة ؟

ج : نعم وهناك من الأدلة ما يشعر بذلك ، منها قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا .. ﴾ [الكهف: ١٠٧] .

وهذا عام في كل مؤمن وعمل الصالحات .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾

[طه: ١١٢] .



س : لماذا شبهت الحور العين بالياقوت ؟

ج : شبهت بالياقوت لصفائهن وبياضهن وحسنهن .



س: هل ورد شيء من الأثر في وصف الحور العين؟

ج: أورد الطبري جملة من الآثار في ذلك، وها هي مع بعض الكلام على أسانيدھا، قال رحمه الله: حدثني محمد بن حاتم، قال: ثنا عبيدة، عن حميد، عن عطاء بن السائب، عن عمرو بن ميمون، عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: «إن المرأة من أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة من حرير ونُحْها، وذلك أن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ أما الياقوت فإنه لو أدخلت فيه سلكاً ثم استصفيته لرأيته من ورائه»^(١).

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن عليّ، عن عطاء بن السائب، عن عمرو ابن ميمون، قال: قال ابن مسعود: «إن المرأة من أهل الجنة لتلبس سبعين حلة من حرير، يرى بياض ساقها وحسن ساقها من ورائهنّ، ذلكم بأن الله يقول: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ ألا وإنما الياقوت حجر فلو جعلت فيه سلكاً ثم استصفيته، لنظرت إلى السلك من وراء الحجر»^(٢).

قال: ثنا ابن عليّ، قال: ثنا أبو رجاء، عن الحسن، في قوله: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ في بياض المرجان^(٣).

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون، قال: «إن المرأة من الحور العين لتلبس سبعين حلة، فيرى منّ ساقها كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجاة البيضاء»^(٤).

وعن قتادة: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ صفاء الياقوت في بياض المرجان. ذكر لنا أن نبي الله ﷺ قال: «من دخل الجنة فله فيها زوجتان يرى منّ سوقهما من وراء ثيابهما»^(٥).

(١) أعل بالوقف، فالوقوف الذي بعده أصبح منه.

(٢) موقف صحيح عن ابن مسعود - رضي الله عنه -.

(٣) صحيح عن الحسن.

(٤) صحيح عن عمرو بن ميمون.

(٥) حسن عن قتادة.

عن قتادة ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ في صفاء الياقوت وبياض المرجان^(١) .
وعن ابن زيد، في قوله: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ قال : كأنهنّ الياقوت في الصفاء ، والمرجان في البياض ، الصفاء : صفاء الياقوتة ، والبياض : بياض اللؤلؤ^(٢) .



س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾ .
ج : قال الطبري رحمه الله :
وقوله ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾ يقول تعالى ذكره : هل ثواب خوف مقام الله عزّ وجل لمن خافه فأحسن في الدنيا عمله ، وأطاع ربه ، إلا أن يحسن إليه في الآخرة ربّه ، بأن يجازيه على إحسانه ذلك في الدنيا ما وصف في هذه الآيات من قوله : ﴿ وَلَمَنْ حَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾ ... إلى قوله : ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ .
قال السعدي رحمه الله :

﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾ أي : هل جزاء من أحسن في عبادة الخالق ، ونفع عبده ، إلا أن يحسن إليه بالثواب الجزيل ، والفوز الكبير ، والنعيم ، والعيش السليم .



س : وضح المراد بقوله تعالى : ﴿ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾ ؟
ج : قال بعض العلماء : المعنى ، وأقل من الجنتين المذكورتين في الفضل جنتان أخريان ، وقيل : ومن دونهما في الدرج .



(١) صحيح بمجموع طرقه عن قتادة .

(٢) صحيح عن ابن زيد .

س : ما الفرق بين الجنتين الأوليين والجنتين الأخيرتين المذكورتين؟

ج : قال القرطبي رحمه الله :

قوله تعالى : ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ أي وله من دون الجنتين الأوليين جنتان أخريان. قال ابن عباس: ومن دونهما في الدَّرَج. ابن زيد: ومن دونهما في الفضل . ابن عباس: والجنتان لمن خاف مقام ربه ، فيكون في الأوليين النخل والشجر، وفي الأخريين الزرع والنبات وما انبسط. الماوردي : ويحتمل أن يكون ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ لأتباعه لقصور منزلتهم عن منزلته، إحداهما للحدور العين، والأخرى للولدان المخلّدين ، ليميز بهما الذكور عن الإناث ، وقال ابن جريج : هي أربع : جنتان منها للسابقين المقرّين ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ [الرحمن: ٥٢] و﴿عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ [الرحمن: ٥٠]، وجنتان لأصحاب اليمين: ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرِيَّانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨] و﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٦] ، وقال ابن زيد : إن الأوليين من ذهب للمقرّين، والأخريين من ورق لأصحاب اليمين.

قلت : إلى هذا ذهب الحليمي أبو عبد الله الحسن بن الحسين في كتاب «منهاج الدين له» ، واحتج بها رواه سعيد بن جبّير عن ابن عباس: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦] إلى قوله: ﴿مُدَّهَامَتَانِ﴾ قال : تانك للمقرّين ، وهاتان لأصحاب اليمين . وعن أبي موسى الأشعري نحوه . ولما وصف الله الجنتين أشار إلى الفرق بينهما فقال في الأوليين : ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ [الرحمن: ٥٠]، وفي الأخريين : ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٦] أي: فوّارتان ولكنها ليستا كالجاريتين لأن النضخ دون الجري . وقال في الأوليين : ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ [الرحمن: ٥٢] فعمّ ولم يخصّ ، وفي الأخريين : ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرِيَّانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨] ولم يقل من كل فاكهة، وقال في الأوليين : ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمن: ٥٤] وهو الديباج، وفي الأخريين: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرٍ وَعَبَقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ [الرحمن : ٧٦] والعبقري الوشي ، ولا شك أن الديباج أعلى من الوشي ، والرّفرف كسر الخباء ، ولا شك أن الفرش المعدة للاتكاء عليها أفضل من فضل الخباء .

وقال في الأولين في صفة الحور: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٥٨] ، وفي الآخرين ﴿فِيهِنَّ خَيْرٌ حَسَنٌ﴾ [الرحمن: ٧٠] وليس كل حسن كحسن الياقوت والمرجان. وقال في الأولين : ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ [الرحمن: ٤٨] وفي الآخرين : ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾ أي: خضراوان كأنهما من شدة خضرتها سوداوان ، ووصف الأولين بكثرة الأغصان ، والآخرين بالخضرة وحدها ، في هذا كله تحقيق للمعنى الذي قصدنا بقوله : ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ ولعل ما لم يذكر من تفاوت ما بينهما أكثر مما ذكر . فإن قيل : كيف لم يذكر أهل هاتين الجنتين كما ذكر أهل الجنتين الأولين ؟ قيل : الجنان الأربع لمن خاف مقام ربه إلا أن الخائفين لهم مراتب ، فالجنتان الأوليان لأعلى العباد رتبة في الخوف من الله تعالى ، والجنتان الآخران لمن قصرت حاله في الخوف من الله تعالى . ومذهب الضحاك أن الجنتين الأولين من ذهب وفضة ، والآخرين من ياقوت وزمرد وهما أفضل من الأولين .

وقوله : ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ أي: ومن أمامهما ومن قبلهما . وإلى هذا القول ذهب أبو عبد الله الترمذي الحكيم في «نوادير الأصول» فقال: ومعنى : ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ أي: دون هذا إلى العرش ، أي: أقرب وأدنى إلى العرش ، وأخذ يفضلهما على الأولين بما سنذكره عنه . وقال مقاتل : الجنتان الأوليان جنة عدن وجنة النعيم ، والآخران جنة الفردوس وجنة المأوى.



س : ما المراد بالعينين ؟

ج : من العلماء من قال: العينان إحداها سلسيل والأخرى تسنيم .



س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿نَضَاجَتَانِ﴾ ؟

ج : قيل: معناه فؤارتان، وقيل: المعنى نضاجتان بالخير والبركة ، وقيل نضاجتان بالمسك والكافور والعنبر وسائر أنواع الطيب.



س : لماذا ذكر النخل والرمان مع أنهما من الفاكهة ؟

ج : هذا من عطف الخاص على العام ، وذلك لبيان أهمية ذلك الخاص .

قال الطبري رحمه الله :

وقد اختلف في المعنى الذي من أجله أعيد ذكر النخل والرمان ؛ وقد ذكر قبل أن فيهما الفاكهة ، فقال بعضهم : أعيد ذلك لأن النخل والرمان ليسا من الفاكهة . وقال آخرون : هما من الفاكهة ؛ وقالوا : قلنا هما من الفاكهة ؛ لأن العرب تجعلهما من الفاكهة ، قالوا : فإن قيل لنا : فكيف أعيد وقد مضى ذكرهما مع ذكر سائر الفواكه ؟ قلنا : ذلك كقوله ﴿ حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالْزَكَاةِ الْوُسْطَى ﴾ [البقرة: ٢٣٨] فقد أمرهم بالمحافظة على كل صلاة ، ثم أعاد العصر تشديدا لها ، كذلك أعيد النخل والرمان ترغيبا لأهل الجنة . وقال : وذلك كقوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ﴾ [الحج: ١٨] ، ثم قال : ﴿ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ﴾ [الحج: ١٨] ، وقد ذكرهم في أول الكلمة في قوله : ﴿ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ﴾ .



س : اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى : ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾ .

ج : قال القرطبي رحمه الله :

قوله تعالى : ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾ « حُورٌ » جمع حوراء ، وهي الشديدة بياض العين الشديدة سوادها وقد تقدم . ﴿ مَّقْصُورَاتٌ ﴾ محبوسات مستورات « في الخيام » في الحجال لسن بالطوافات في الطرق .



تفسير سورة الواقعة

﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ① لَيْسَ لِقَوْمِهَا كَازِبَةٌ ② خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ③ إِذَا رُجَّتِ ④
 الْأَرْضُ رَجًا ⑤ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ⑥ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ⑦ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ⑧
 ثَلَاثَةً ⑨ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ⑩ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ
 الْمَشْأَمَةِ ⑪ وَالسَّيِّقُونَ السَّيِّقُونَ ⑫ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ⑬ فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ ⑭
 ⑮ ثَلَاثَةٌ ⑯ مِنَ الْأَوَّلِينَ ⑰ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ⑱ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ⑲ مُتَّكِئِينَ ⑳
 عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ㉑ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ㉒ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ
 ㉓ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ ㉔ وَفَلَكَهَ مِمَّا يَنْخَرِطُونَ ㉕ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا
 يَشْتَهُونَ ㉖ وَحُورٌ عِينٌ ㉗ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ ㉘ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ㉙
 لَا يَسْهَوْنَ فِيهَا لَقَاءَ وَلَا تَأْنِيًا ㉚ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ㉛ ﴾ .

س : وضح معنى ما يلي :

﴿ وَقَعَتِ - الْوَاقِعَةُ - كَازِبَةٌ - خَافِضَةٌ - رَافِعَةٌ - رُجَّتِ - رَجًا - وَبُسَّتِ - بَسًا - هَبَاءً -
 مُنْبَثًا - أَزْوَاجًا - أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ - أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ - السَّيِّقُونَ السَّيِّقُونَ - الْمُقَرَّبُونَ - جَنَّتِ
 النَّعِيمِ - ثَلَاثَةٌ - سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ - مُتَّكِئِينَ - مُتَقَابِلِينَ - وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ - بِأَكْوَابٍ -
 وَأَبَارِيقَ - وَكَأْسٍ - مَعِينٍ - لَا يُصَدَّعُونَ - وَلَا يُزْفُونَ - يَنْخَرِطُونَ - يَشْتَهُونَ - وَحُورٌ عِينٌ -
 الْمَكْنُونِ - لَقَاءَ - تَأْنِيًا - قِيلًا - سَلَامًا سَلَامًا ﴾ .

ج :

الكلمة	معناها
﴿ وَقَعَتِ ﴾	نزلت - حلت .

﴿الْوَاقِعَةُ﴾	صيحة القيامة - (اسم من أسماء يوم القيامة) كما قال تعالى : ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ [الحاقة: ١٥].
﴿كَاذِبَةٌ﴾	نفسٌ تكذبها، تنكرها - تكذيب - ردُّ رجعة (أي لارجوع فيها بل هي لا بد كائنة).
﴿خَافِضَةٌ﴾	مُهبطة ، خافضة لأقوام كانوا في الدنيا أعزاء .
﴿رَافِعَةٌ﴾	رافعة لأقوام كانوا في الدنيا وضعاء .
﴿رُجَّتْ﴾	زلزلت - اهتزت - اضطربت .
﴿رَجَا﴾	زلزلة - اهتزازاً - اضطراباً - زلزالاً .
﴿وَبُسَّتْ﴾	فُتَّتْ - صارت كالدقيق المبسوس . ^(١)
﴿بَسًا﴾	تفتيتاً .
﴿هَبَاءٌ﴾	شعاع الشمس الذي يدخل من الكوة كهيئة الغبار ، وقيل : وهج الدواب - وقيل ما تطاير من شرر النار وليس له تأثير . يبس الأشجار الذي تذروه الرياح يميناً وشمالاً .
﴿مُنْبَثًا﴾	متفرقاً .
﴿أَزْوَاجًا﴾	أصنافاً - أنواعاً - منازل الناس يوم القيامة .
﴿أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾	أصحاب اليمين الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة والذين يتلقون كتبهم باليمين كذلك .
﴿أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾	أصحاب الشمال الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار وهم أيضاً الذين يتلقون كتبهم بالشمال .
﴿الْمُسْتَقِيمُونَ﴾	السابقون إلى الإيمان بالله ورسوله ، والسابقون إلى الجمع والجماعات وفعل الخيرات، ومنهم المهاجرون الأولون - وقيل : هم أهل القرآن ، وقيل : هم الأنبياء عليهم السلام .

(١) كما في الآية الكريمة ﴿وَكُنْتَ الْجِبَالُ كَيْبًا مَهِيلاً﴾ [المزمل: ١٤].

﴿الْمَقْرُونُونَ﴾	الذين يقربهم الله منه يوم القيامة إذا أدخلهم الجنة.
﴿جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾	بساتين النعيم المقيم.
﴿ثُلَّةٌ﴾	جماعة.
﴿سُرُرٍ﴾	جمع سرير.
﴿مَوْضُونَةٍ﴾	منسوجة بالذهب - متداخلة (أدخل بعضها في بعض)، وقيل: موضونة لأنها مشبكة بالذهب والجوهر، مُرْمَلة بالذهب والدُّر والياقوت وقيل: مصفوفة.
﴿مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا﴾	أي: على تلك السرر، جلوس تمكن وطمأنينة وراحة واستقرار.
﴿مُتَقَبِّلِينَ﴾	ينظر بعضهم إلى وجه بعض (لا إلى القفا).
﴿وَلَدَنٌ مُّخْلَدُونَ﴾	في سنٍّ واحدة لا يتغيرون - لا يشيرون لا يموتون - مُقَرَّطُونَ (أي لا بسوا القرط والخاتم، والقرط هو الحلق) - مسورون (لا بسوا الأساور).
﴿يَاكُوبَ﴾	جمع كوب، وهو ما اتسع رأسه ولم يكن له خرطوم، ولا يد، ولا آذان.
﴿وَأَبَارِقَ﴾	هي التي لها آذان ^(١) .
﴿وَكَأْسٍ﴾	كأس خمر.
﴿مَعِينٍ﴾	شراب معين أي ظاهر العين جار، وقوله: ﴿وَكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ﴾ أي كأس من عين خمر جارية ظاهرة.
﴿لَّا يَصْدَعُونَ﴾	لا تصاب رءوسهم بالصداع فيسكرون.
﴿وَلَا يُزْفُونَ﴾	لا تستترف عقولهم - لا تذهب بعقولهم، وقيل: لا ينفذ شراهم ^(٢) .
﴿يَتَحَيَّرُونَ﴾	يختارون لأنفسهم.

(١) أخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة قال: قوله: ﴿يَاكُوبَ وَأَبَارِقَ﴾ والأكواب التي يغترف بها ليس لها خرطوم، وهي أصغر من الأباريق.

(٢) أخرج الطبري أيضًا بإسناد حسن عن قتادة في قوله: ﴿وَلَا يُزْفُونَ﴾ قال: لا يغلب أحد على عقله.

﴿يَشْتَهُونَ﴾	تشتيه نفوسهم .
﴿وَحُورٌ﴾	الحور جمع حوراء ، وهي ذات العين الشديدة السواد النقية البياض، وقيل: أطلق عليها (حور) لكون الطرف يحار فيها من شدة حسنها .
﴿عَيْنٌ﴾	جمع عيناء ، وهي النجلاء العين (واسعة العين) في حُسن .
﴿الْمَكُونُ﴾	المحفوظ في كنَّ .
﴿لَقَوْلًا﴾	باطلاً من القول
﴿تَأْتِيَمًا﴾	شيئاً يجلب الإثم .
﴿قِيلًا﴾	قولاً .
﴿سَلَمًا سَلَمًا﴾	أماناً - أسلم ما تكره .



س : اذكر باختصار ما تضمنته سورة الواقعة ؟

ج : هذه السورة الكريمة فيها الحديث عن القيامة وبعض أحوالها وأهوالها وأحوال الناس فيها وأنهم في الجملة ينقسمون إلى ثلاثة أقسام ، أهل الجنة قسمان : أعلاها وأفضلها المقربون جعلنا الله منهم ، ثم أصحاب اليمين .

أما أهل النار فهم قسم واحد وهم أصحاب الشمال المكذبون الضالون فانتظمت السورة الكريمة هؤلاء الأصناف الثلاثة وبينت بعض أحوالهم وما أُعد لهم .

وفي ثانيا هذه السورة المباركة الكريمة استدلالاً على البعث والنشور وأنه آت لا محالة ، وبيان لقدرة الله عز وجل وبعض مظاهرها وآثارها ، ثم قسم عظيم من الله العظيم على أمرٍ عظيم ألا وهو أن هذا القرآن كريم وأنه محفوظ في كتاب مكنون لا تناله أيدي عابثة ولا تقربه الشياطين ، ثم ختام ببيان حال المرء عند الاحتضار وعجز من حوله عن نفعه بشيء ثم ختام بمثل ما بُدئت به من بيان أحوال الناس ومراتبهم ومنازلهم يوم القيامة . سَلَمْنَا اللهُ مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَمَكْرُوهٍ وَجَعَلْنَا اللهُ مِنَ السَّابِقِينَ الْمُقَرَّبِينَ .



س : ما مدى صحة هذه الأحاديث ؟

١ - شيبتي هودٌ والواقعة والمرسلات ...

٢ - من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً.

٣ - كان ﷺ يقرأ في الفجر (الواقعة) ونحوها من السور.

ج : أما حديث شيبتي هودٌ والواقعة والمرسلات... فكل طريقه ضعيفٌ ، ولا أراه يثبت عن النبي ﷺ وكذلك حديث من قرأ سورة الواقعة لم تصبه فاقة أبداً فهو حديث ضعيف كذلك ، أما حديث كان يقرأ في الفجر (الواقعة) ونحوها من السور فأخرجه أحمد ^(١) في مسنده بسندٍ حسن من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه يقول : كان رسول الله ﷺ يصلي الصلوات كنحو من صلاتكم التي تصلون اليوم ، ولكنه كان يخفف ، كانت صلاته أخف من صلاتكم ، وكان يقرأ في الفجر « الواقعة » ونحوها من السور.



س : لماذا أطلق على يوم القيامة « الواقعة » ؟

ج : قال بعض العلماء : أطلق عليها ذلك لتحقيق وقوعها.

وقال آخرون : ذلك لكثرة ما يقع فيها من الشدائد والأحوال.

قال السمعاني في تفسيره : قوله تعالى : ﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴾ معناه : إذا كانت

القيامة ، وهذا قول عامة المفسرين . وسميت القيامة واقعة ؛ لأنه لا بد من وقوعها .

والعرب تسمي كل متوقع لا بد منه واقعا ، وقال الضحاك : الواقعة ها هنا هي الصيحة

لموت الخلائق . وقيل : سميت القيامة واقعة ؛ لكثرة ما يقع فيها من الشدة . وعن

بعضهم : لأنها تقع على غفلة من الناس.



س : في قوله تعالى : ﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴾ مقدر محذوف ، وضح.

ج : قال بعض أهل العلم ، هو قوله : ﴿ أَذْكُرُوا ﴾ فالمعنى اذكروا إذا وقعت

الواقعة ، أي تذكروا يوم تقوم القيامة.

س : أين جواب قوله تعالى : ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ ؟

ج : قال بعض أهل العلم جواب ذلك في قوله : ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ أي : إذا قامت القيامة فإنها ترفع أقوامًا وتخفض آخرين .

وقال آخرون ، بل جواب ذلك قوله : ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ...﴾ فيكون المعنى إذا وقعت الواقعة فهناك أصحاب ميمنة ، وأصحاب مشأمة وهناك السابقون السابقون .



س : متى تقع الواقعة ؟

ج : ذلك حين ينفخ في الصور يوم القيامة .



س : اذكر بعض أسماء يوم القيامة ؟

ج : من تلك الأسماء ما يلي :

الصاخة - الواقعة - الحاقة - الطامة الكبرى - الآزفة - القارعة - يوم الدين - يوم الفصل - يوم التلاق - يوم الجمع - الساعة - القيامة .



س : اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى : ﴿لَيْسَ لَوْعِنَهَا كَاذِبَةٌ﴾ .

ج : قال الحافظ ابن كثير رحمه الله :

وقوله : ﴿لَيْسَ لَوْعِنَهَا كَاذِبَةٌ﴾ أي : [ليس] لوقوعها إذا أراد الله كونها صارفٌ يصرفها ولا دافع يدفعها ، كما قال : ﴿أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٧] ، وقال : ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝ لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾ [المارج: ١- ٢] ، وقال تعالى : ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَنَّا أَلْغَيْبٍ وَالشَّهَادَةُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ٧٣] .

قال الشنقيطي رحمه الله (أضواء البيان) : وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة :

﴿لَيْسَ لَوْعِنَهَا كَاذِبَةٌ﴾ فيه أوجه من التفسير معروفة عند العلماء كلها حق ، وبعضها

يشهد له قرآن.

الوجه الأول : أن قوله كاذبة مصدر جاء بصفة اسم الفاعل ، فالكاذبة بمعنى الكذب كالعافية بمعنى المعافاة ، والعاقبة بمعنى العقبي ، ومنه قوله تعالى عند جماعات من العلماء : ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً﴾ [الغاشية: ١١] قالوا معناه لا تسمع فيها لغواً ، وعلى هذا القول ، فالمعنى ليس لقيام القيامة كذب ولا تخلف بل هو أمر واقع يقيناً لا محالة . ومن هذا المعنى ، قولهم : حمل الفارس على قرنه فما كذب ، أي ما تأخر ولا تخلف ولا جبن . ومنه قول زهير :

لَيْتُ يَعْثُرُ يَصْطَاذُ الرَّجَالَ إِذَا مَا كَذَبَ اللَّيْثُ عَنْ أَقْرَانِهِ صَدَقًا

وهذا المعنى قد دلت عليه آيات كثيرة من كتاب الله كقوله تعالى : ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْإِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [النساء: ٨٧] الآية ، وقوله تعالى : ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ [الحج: ٧] ، وقوله تعالى : ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [آل عمران: ٩] ، وقد قدمنا الآيات الموضحة لهذا في سورة الشورى في الكلام على قوله تعالى : ﴿وَنُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الشورى: ٧].

الوجه الثاني : أن اللام في قوله : لوقعها ظرفية ، وكاذبة اسم فاعل صفة لمحذوف أي ليس في وقعة الواقعة نفس كاذبة بل جميع الناس يوم القيامة صادقون بالاعتراف بالقيامة مصدقون بها ليس فيهم نفس كاذبة بإنكارها ولا مكذبة بها . وهذا المعنى تشهد له في الجملة آيات من كتاب الله كقوله تعالى : ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [الشعراء: ٢٠١] ، وقوله تعالى : ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٥] . وقد قدمنا الآيات الموضحة لهذا في سورة النمل في الكلام على قوله تعالى : ﴿بَلِ أَدْرَاكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ [النمل: ٦٦] ، وباقي الأوجه قد يدل على معناه قرآن ولكنه لا يخلو من بعد عندي ، ولذا لم أذكره ، وأقربها عندي الأول.



س : اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله : ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ .

ج : قال ابن كثير رحمه الله : وقوله : ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ ، أي : تخفض أقواماً إلى

أسفل السافلين إلى الجحيم ، وإن كانوا في الدنيا أعزاء ، وترفع آخرين إلى أعلى عليين إلى النعيم المقيم ، وإن كانوا في الدنيا وُضَعَاء .

قال الشنقيطي رحمه الله : قوله تعالى : ﴿ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ﴾ :

خبر مبتدأ محذوف أي : هي خافضة رافعة ، ومفعول كل من الوصفين محذوف .

قال بعض العلماء : تقديره هي خافضة أقوامًا في دركات النار ، رافعة أقوامًا إلى الدرجات العلى إلى الجنة ، وهذا المعنى قد دلت عليه آيات كثيرة كقوله : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ [النساء: ١٤٥] ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴾ (٧٥) جَنَّتٌ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ [طه: ٧٦] وقوله تعالى : ﴿ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ٢١] ، والآيات بمثل هذا كثيرة معلومة . وقال بعض العلماء : تقديره خافضة أقوامًا كانوا مرتفعين في الدنيا رافعة أقوامًا كانوا منخفضين في الدنيا ، وهذا المعنى تشهد له آيات من كتاب الله تعالى ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَأَلْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴾ إلى غير ذلك من الآيات . وقال بعض العلماء : تقديره ، خافضة بعض الأجرام التي كانت مرتفعة كالنجوم التي تسقط وتتناثر يوم القيامة ، وذلك خفض لها بعد أن كانت مرتفعة ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ﴾ [التكوير: ٢] . رافعة : أي رافعة بعض الأجرام التي كانت منخفضة كالجبال التي ترفع من أماكنها وتسير بين السماء والأرض كما قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً ﴾ [الكهف: ٤٧] ، فقوله : ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً ﴾ ، لأنها لم يبق على ظهرها شيء من الجبال ، وقال تعالى : ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ﴾ [النمل: ٨٨] . وقد قدمنا أن التحقيق الذي دل عليه القرآن ، أن ذلك يوم القيامة ، وأنها تسير بين السماء والأرض كسير السحاب الذي هو المزن . وقد صرح تعالى بأن الجبال تحمل هي والأرض أيضًا يوم القيامة . وذلك في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ۖ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ ﴾ [الحاقة: ١٣-١٤] الآية .

وعلى هذا القول ، فالمراد تعظيم شأن يوم القيامة ، وأنه يختل فيه نظام العالم ، وعلى القولين الأولين ، فالمراد الترغيب والترهيب ، ليخاف الناس في الدنيا من أسباب

الخفض في الآخرة فيطيعوا الله ويرغبوا في أسباب الرفع فيطيعوه أيضًا ، وقد قدمنا مرارًا أن الصواب في مثل هذا حمل الآية على شمولها للجميع .

وقال القرطبي رحمه الله : قوله تعالى : ﴿ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴾ : قال عكرمة ومقاتل والسُّدِّيُّ : خفضت الصوت فأسمعت من دنا ورفعت من نأى ، يعني أسمعت القريب والبعيد . وقال السُّدِّيُّ : خفضت المتكبرين ورفعت المستضعفين . وقال قتادة : خفضت أقوامًا في عذاب الله ، ورفعت أقوامًا إلى طاعة الله . وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : خفضت أعداء الله في النار ، ورفعت أولياء الله في الجنة . وقال محمد بن كعب : خفضت أقوامًا كانوا في الدنيا مرفوعين ، ورفعت أقوامًا كانوا في الدنيا مخفوضين . وقال ابن عطاء : خفضت أقوامًا بالعدل ، ورفعت آخرين بالفضل . والخفض والرفع يستعملان عند العرب في المكان والمكانة ، والعز والمهانة . ونسب سبحانه الخفض والرفع للقيامة توسُّعًا ومجازًا على عادة العرب في إضافتها الفعل إلى المحل والزمان وغيرهما مما لم يكن منه الفعل ، يقولون : لَيْلٌ نَائِمٌ ونهار صائم . وفي التنزيل : ﴿ بَلْ مَكْرٌ آلِيلٌ وَالنَّهَارِ ﴾ [سبأ: ٣٣] والخاص والرافع على الحقيقة إنما هو الله وحده ، فرفع أوليائه في أعلى الدرجات ، وخفض أعداءه في أسفل الدرجات . وقرأ الحسن وعيسى الثقفي ﴿ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴾ بالنصب . الباقر بالرفع على إضمار مبتدأ ، ومن نصب فعلى الحال . وهو عند الفراء على إضمار فعل ، والمعنى : إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ . لَيْسَ لَوْقَعَتِهَا كَاذِبَةٌ - وقعت : خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ . والقيامة لا شك في وقوعها ، وأنها ترفع أقوامًا وتضع آخرين على ما بيناه .

وقال السعدي رحمه الله : ﴿ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴾ :

أي : خافضة لأناس في أسفل سافلين ، رافعة لأناس في أعلى عليين . أو خفضت بصوتها فأسمعت القريب ، ورفعت ، فأسمعت البعيد .



س : اذكر - بمزيد من الإيضاح - معنى قوله تعالى : ﴿ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ

بَسًا ؟

ج : قال الشنقيطي رحمه الله (أضواء البيان) : وقوله تعالى : ﴿ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ

بَسًا ﴿ في معناه لأهل العلم أوجه متقاربة ، لا يكذب بعضها بعضاً وكلها حق ، وكلها يشهد له قرآن . وقد قدمنا في ترجمة هذا الكتاب المبارك أن الآية الكريمة قد يكون فيها أوجه كلها حق وكلها يشهد له قرآن ، فنذكر جميع الأوجه وأدلتها القرآنية .

قال أكثر المفسرين : ﴿ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ﴾ أي فتت تفتتاً حتى صارت كالبيسية ، وهي دقيق ملتوت بسمن ، ومنه قول لص من غطفان أراد أن يخبز دقيقاً عنده فخاف أن يعجل عنه ، فأمر صاحبيه أن يلتاه ليأكلوه دقيقاً ملتوتاً ، وهو البيسية .

لا تخبزاً خبزاً وبسابسا ولا تطليلاً بمنناخ حسا

وهذا الوجه يشهد له قرآن كقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَيْبًا مَّهِيلاً ﴾ [الزمل: ١٤] فقلوه : ﴿ كَيْبًا مَّهِيلاً ﴾ أي رملاً متهايلاً . ومنه قول امرئ القيس :

ويوماً على ظهر الكئيب تعذرت علي وآلت حلفة لم تحلل

ومشابهة الدقيق المبسوس بالرمل المتهايل واضحة ، فقلوه : ﴿ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَيْبًا مَّهِيلاً ﴾ مطابق في المعنى لتفسير ﴿ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ﴾ بأن بسّها هو تفتيتها وطحنها كما ترى . وما دلت عليه هذه الآيات من أنها تسلب عنها قوة الحجرية وتتصف بعد الصلابة والقوة باللين الشديد الذي هو كلين الدقيق ، والرمل المتهايل يشهد له في الجملة تشبيهها في بعض الآيات بالصوف المنفوش الذي هو العهن ، كقوله تعالى : ﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴾ [القارعة: ٥] ، وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَلِّ ⑧ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴾ [المعارج: ٨-٩] وأصل العهن أخص من مطلق الصوف لأنه الصوف المصبوغ خاصة ؛ ومنه قول زهير بن أبي سلمى في معلقته :

كَأَنَّ فَنَاءَ الْعِهْنِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ نَزَلْنَ بِهِ حَبُّ الْفَأِ لَمْ يَخْطُمْ

وقال بعضهم : الجبال منها جدد بيض وحر مختلف ألوانها وغرايب سود ، فإذا بست وفتت يوم القيامة وطيرت في الجو أشبهت العهن إذا طيرته الريح في الهوى ، وهذا الوجه يدل عليه ترتيب كينونتها هباء منبثاً بالفاء على قوله : ﴿ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ﴾ لأن الهباء هو ما ينزل من الكوة من شعاع الشمس إذا قابلتها : ﴿ مُبْنًى ﴾ أي متفرقاً ، ووصفها بالهباء المنبث أنسب لكون البس بمعنى التفتيت والطحن .

الوجه الثاني : أن معنى قوله : ﴿ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ﴾ أي سirt بين السماء

والأرض ، وعلى هذا فالمراد ببسها سوقها وتسيرها من قول العرب : بست الإبل أبسها ، بضم الباء وأبسستها أبسها بضم الهمزة وكسر الباء ، لغتان بمعنى سقتها ، ومنه حديث : « يخرج أقوام من المدينة إلى اليمن والشام والعراق يبسون والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون » . وهذا الوجه تشهد له آيات من كتاب الله كقوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ ﴾ [الكهف: ٤٧] الآية ، وقوله : ﴿ وَنُسَيِّرُ الْجِبَالَ سَيْرًا ﴾ [الطور: ١٠] . وقد قدمنا الآيات الموضحة لهذا في سورة النمل في الكلام على قوله : ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَمْدًا وَهِيَ تَمُرمُ السَّحَابِ ﴾ [النمل: ٨٨] .

الوجه الثالث : أن معنى قوله : ﴿ وَبُسَّتِ الْجِبَالَ بَسًا ﴾ نزعت من أماكنها وقلعت ، وقد أوضحنا أن هذا الوجه راجع للوجه الأول مع الإيضاح التام لأحوال الجبال يوم القيامة ، وأطوارها ، بالآيات القرآنية ، وفي سورة طه في الكلام على قوله تعالى : ﴿ وَنَسْأَلُكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴾ [طه: ١٠٥] ، وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة : ﴿ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ﴾ كقوله تعالى : ﴿ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴾ [النبا: ٢٠] ، والهباء إذا انبث ، أي تفرق ، واضمحل وصار لا شيء ، والسراب قد قال الله تعالى فيه : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا ﴾ [النور: ٣٩]



س : الناس في الآخرة - على وجه الإجمال - ثلاثة أصناف ، وضحتها مع الدليل ؟
ج : الأصناف الثلاثة هم : السابقون المقربون ، وأصحاب اليمين ، وأصحاب الشمال (وهم أصحاب المشأمة) .

فالصنفان الأولان من أهل الجنة ، والثالث أهل النار ، عيادًا بالله من أهل النار .
وقد قال تعالى : ﴿ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴾ . ﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ ٨٨ ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ ٩٠ ﴿ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ ٩١ ﴿ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمَكِيدِينَ الصَّالِينَ ﴾ ٩٢ ﴿ فَقَرْطٌ مِنْ حَمِيمٍ ﴾ ٩٣ ﴿ وَنَصِيلَةٌ يَحْمِيهِ ﴾ . ونحوه في سورة الإنسان ، وفي سورة المطففين .

قال الشنقيطي رحمه الله (أضواء البيان) : وقوله : أزواجًا : أي أصنافًا ثلاثة ، ثم بين هذه الأزواج الثلاثة بقوله : ﴿ فَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴾ ٨٨ ﴿ وَأَصْحَابُ

الْمَشْعَمَةِ مَا أَصْحَبُ الْمَشْعَمَةَ ﴿٩﴾ وَالسَّيْفُونَ السَّيْفُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾
 أما أصحاب الميمنة فهم أصحاب اليمين ، كما أوضحه تعالى بقوله : ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا
 أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴾ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ الآيات ، وأصحاب المشأمة هم أصحاب الشمال كما
 أوضحه تعالى بقوله : ﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴾ ﴿٣١﴾ فِي سُورِ وَحْمِيرٍ ﴿٣٢﴾ الآيات .



س : من المعنيون بأصحاب الميمنة ؟

ج : هم أكثر أهل الجنة ، وهم أهل المرتبة الثانية من أهل الجنة وقبلهم السابقون
 المقربون .

قال الشنقيطي رحمه الله : قال بعض العلماء : قيل لهم أصحاب اليمين لأنهم
 يؤتون كتبهم بأيامهم . وقيل : لأنهم يذهب بهم ذات اليمين إلى الجنة . وقيل : لأنهم عن
 يمين أبيهم آدم ، كما رآهم النبي ﷺ كذلك ليلة الإسراء . وقيل سموا أصحاب اليمين ،
 وأصحاب الميمنة لأنهم ميامين ، أي مباركون على أنفسهم ، لأنهم أطاعوا ربهم فدخلوا
 الجنة ، واليمن البركة .

قال ابن الجوزي (في زاد المسير) : قوله عز وجل : ﴿ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾ قال
 الفراء : عَجَّبَ نبيه ﷺ منهم ؛ والمعنى : أي شيء هم ؟ ! قال الزجاج : وهذا اللفظ في
 العربية مجراه مجرى التعجب ، ومجراه من الله عز وجل في مخاطبة العباد ما يعظم به
 الشأن عندهم ، ومثله ، ﴿ مَا الْحَاقَّةُ ﴾ ، ﴿ مَا الْقَارِعَةُ ﴾ ؛ قال ابن قتيبة : ومثله أن تقول :
 زَيْدٌ مَا زَيْدٌ أي رجل هو .



س : وضح معنى قوله : ﴿ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾ ؟

ج : هذا تعجبٌ لبيان ما هم فيه من عظيم الثواب وجميل الأجر .
 يعجب الله نبيه ﷺ مما أعد هؤلاء من الفضل والكرامة .

قال الشنقيطي رحمه الله : وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة : ما أصحاب
 الميمنة ، وقوله : ما أصحاب المشأمة ، استفهام أريد به التعجب من شأن هؤلاء في

السعادة ، وشأن هؤلاء في الشقاوة ، والجملة فيها مبتدأ وخبر ، وهي خبر المبتدأ قبله ، وهو أصحاب الميمنة في الأول وأصحاب المشأمة في الثاني . وهذا الأسلوب يكثر في القرآن نحو الحاقة ما الحاقة ، والقارعة ما القارعة . والرباط في جملة الخبر في جميع الآيات المذكورة هو إعادة لفظ المبتدأ في جملة الخبر كما لا يخفى ، وقوله : والسابقون لم يذكر فيه استفهام تعجب كما ذكره فيما قبله ، ولكنه ذكر في مقابلة تكرير لفظ السابقين .

والأظهر في إعرابه أنه مبتدأ وخبر على عادة العرب في تكريرهم اللفظ وقصدهم الإخبار بالثاني عن الأول ، يعنون أن اللفظ المخبر عنه هو المعروف خبره الذي لا يحتاج إلى تعريف ومنه قول أبي النجم :

أنا أبو النجم وشعري شعري لله دري ما أجن صدري

فقوله : وشعري شعري يعني شعري هو الذي بلغك خبره ، وانتهى إليك وصفه .



س : لماذا أطلق على أصحاب المشأمة أصحاب المشأمة ؟

ج : أما أصحاب المشأمة فهم أصحاب الشمال وقيل عنهم أصحاب المشأمة لأنهم مشائيم على أنفسهم جلبوا لها العار وأحلوا بها الشنار وأورثوها الجحيم .

قال الشنقيطي رحمه الله : قيل : لأنهم يؤتون كتبهم بشمائلهم . وقيل : لأنهم يذهب بهم ذات الشمال إلى النار ، والعرب تسمى الشمال شؤماً ، كما تسمى اليمين يميناً ، ومن هنا قيل لهم أصحاب المشأمة أو لأنهم مشائيم على أنفسهم : فعصوا الله فأدخلهم النار ، والمشائيم ضد الميامين ، ومنه قول الشاعر :

مشائيمُ ليسوا مصلحين عشيرةً ولا ناعب إلا بين غرأها



س : لماذا كرر قوله : ﴿وَالسَّيِّقُونَ﴾ ؟

ج : قال ابن الجوزي رحمه الله في (زاد المسير) : وفي إعادة ذكرهم قولان : أحدهما : أن ذلك للتوكيد .

والثاني : أن المعنى : السابقون إلى طاعة الله تعالى السابقون إلى رحمة الله ، ذكره الزجاج .



س : ما المراد بالأولين والآخرين في قوله تعالى : ﴿ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴾ (١٣) وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال :

أحدها : أن المراد بالأولين الأولون من أمة محمد ﷺ والآخرين : آخر هذه الأمة .

الثاني : أن المراد بالأولين الأمم المتقدمة والآخرين هم أمة محمد ﷺ . (١)

الثالث : أن المراد بالأولين الأولون من كل أمة والمراد بالآخرين الآخرون من كل أمة .

قال الشنقيطي رحمه الله تعالى في تفسيره «أضواء البيان» :

وقد اختلف أهل العلم في المراد بهذه الثلاثة من الأولين ، وهذا القليل من الآخرين المذكورين هنا ، كما اختلفوا في الثلاثين المذكورتين في قوله : ﴿ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴾ (٢١) وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ . فقال بعض أهل العلم : كل هؤلاء المذكورين من هذه الأمة ، وأن المراد بالأولين منهم الصحابة . وبعض العلماء يذكر معهم القرون المشهود لهم بالخير في قوله ﷺ : « خير القرون قرني ثم الذين يلونهم » الحديث . والذين قالوا : هم كلهم من هذه الأمة ، قالوا : إنما المراد بالقليل ، وثلاثة من الآخرين ، وهم من بعد ذلك إلى قيام الساعة . وقال بعض العلماء : المراد بالأولين في الموضعين الأمم الماضية قبل هذه الأمة ، والمراد بالآخرين فيها هو هذه الأمة . قال مقبده عفا الله عنه ، وغفر له : ظاهر القرآن في هذا المقام : أن الأولين في الموضعين من الأمم الماضية ، والآخرين فيهما من هذه الأمة ، وأن قوله تعالى : ﴿ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴾ (١٣) وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿ في السابقين خاصة ، وأن قوله : ﴿ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴾ (٢١) وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿ في أصحاب اليمين خاصة . وإنما قلنا : هذا هو ظاهر القرآن في الأمور الثلاثة ، التي هي شمول الآيات لجميع الأمم ، وكون قليل من الآخرين في خصوص السابقين ، وكون ثلاثة من الآخرين

(١) واحتج لهذا بقوله ﷺ : « نحن الآخرون السابقون يوم القيامة » .

في خصوص أصحاب اليمين لأنه واضح من سياق الآيات.

أما شمول الآيات لجميع الأمم فقد دل عليه أول السورة ، لأن قوله : ﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴾ إلى قوله ﴿ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ﴾ لا شك أنه لا يخص أمة دون أمة ، وأن الجميع مستوون في الأهوال والحساب والجزاء. فدل ذلك على أن قوله : ﴿ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴾ عام في جميع أهل المحشر ، فظهر أن السابقين وأصحاب اليمين منهم من هو من الأمم السابقة ، ومنهم من هو من هذه الأمة. وعلى هذا ، فظاهر القرآن ، أن السابقين من الأمم الماضية أكثر من السابقين من هذه الأمة ، وأن أصحاب اليمين من الأمم السابقة ليست أكثر من أصحاب اليمين من هذه الأمة ، لأنه عبر في السابقين من هذه الأمة بقوله : ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴾ وعبر عن أصحاب اليمين من هذه الأمة ﴿ وَثَلَاثَةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴾. ولا غرابة في هذا ، لأن الأمم الماضية أمم كثيرة . وفيها أنبياء كثيرة ورسل ، فلا مانع من أن يجتمع من سابقها من لدن آدم إلى محمد ﷺ أكثر من سابقي هذه الأمة وحدها.

أما أصحاب اليمين من هذه الأمة فيحتمل أن يكونوا أكثر من أصحاب اليمين من جميع الأمم ، لأن الثلة تتناول العدد الكثير ، وقد يكون أحد العددين الكثيرين أكثر من الآخر ، مع أنهما كلاهما كثير. ولهذا تعلم أن ما دل عليه ظاهر القرآن واختاره ابن جرير ، لا ينافي ما جاء من أن نصف أهل الجنة من هذه الأمة.

فأما كون قوله : ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴾ دل ظاهر القرآن على أنه في خصوص السابقين ، فلأن الله قال : ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۖ ﴿١٠﴾ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۖ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ ثم قال تعالى - مخبراً عن هؤلاء السابقين المقربين - : ﴿ ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأُولِينَ ۖ ﴿١٢﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴾.

وأما كون قوله : ﴿ وَثَلَاثَةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴾ في خصوص أصحاب اليمين ، فلأن الله تعالى قال : ﴿ فَبَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا ۖ ﴿٢٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ۖ ﴿٢٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ۖ ﴿٢٨﴾ ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأُولِينَ ۖ ﴿٢٩﴾ وَثَلَاثَةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴾ ، والمعنى : هم - أي أصحاب اليمين - ثلة من الأولين وثلة من الآخرين ، وهذا واضح كما ترى.

قال السمعاني في تفسيره : قوله : ﴿ ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأُولِينَ ﴾ أي : جماعة من الأولين ،

ولفظ الـثـلـة مأخوذ من الـثـل وهو القـطـع . وقوله : ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴾ اختلف أهل التفسير فيه على القولين : أحدهما : أن المراد من الأولين هم أتباع الأنبياء المتقدمين قبل نبينا محمد ﷺ ، وقوله : ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴾ هم من أمة محمد ﷺ .

والقول الثاني : أنها جميعاً من هذه الأمة ، وقد روى هذا في خبر مرفوع ، وهو قول الحسن وابن سيرين . فإن قيل على القول الأول : كيف يستقيم هذا ، وأتباع الرسول من المؤمنين أكثر من أتباع الأنبياء ؟ والجواب : أن المراد من الأولين : هو مَنْ رَأَى جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ وَأَمَنَ بِهِمْ ، ومن الآخرين : مَنْ رَأَى مُحَمَّدًا ﷺ وَأَمَنَ بِهِ ، وعلى القطع يعلم أن أولئك ممن رَأَى نبينا وآمن به ، فإن الله تعالى قال في يونس عليه السلام : ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ آلَافٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ [الصفات: ١٤٧] هذا في نبي واحد ، فكيف في جميع الأنبياء ؟ وإنما كثرت هذه الأمة بعد وفاة الرسول ﷺ .



س : هل أوائل هذه الأمة أفضل أم أواخرها ؟

ج : لا شك أن أولها أفضل ، وذلك للآتي ذكره :

قوله تعالى : ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلٍ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَتْلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى ﴾ [الحديد: ١٠] . وقوله تعالى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۝ (١١) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۝ (١٢) ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأُولَى ۝ (١٣) وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴾ .

وقوله ﷺ : « خير أمتي قرني » . وقوله ﷺ : « لا تسبوا أصحابي فلو أن أحداكم أنفق مثل أُحُدٍ ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه » ^(١) . أما الأحاديث الواردة في الباب كحديث : « لِمِثْلِ الْمَتَمَسِّكِ بِمَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ .. » فهذا ضعيف الإسناد ، وكذلك الحديث : « مثل أمتي مثل الغيث لا يدري أوله خير أم آخره » . فهو ضعيف أيضاً .



س : اذكر مجموع أوصاف الولدان المخلدون في الجنة ؟

ج : وصف هؤلاء بما يلي : البياض الشديد ، قال تعالى : ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ

لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُولُوا مَكُونٌ ﴿٢٤﴾. [الطور: ٢٤]. عدم تسرب المشيب إليهم ، وعدم المرض وعدم التغير ، وذلك من قوله: ﴿وَلَدَنٌ مُّخْلَدُونَ﴾. كثرتهم ، فقد قال تعالى : ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُولُوا مَشُورًا﴾ [الإنسان: ١٩].



س: ذهب بعض أهل العلم إلى جواز التخير والانتقاء من الفاكهة والأكل منها على صفة التخير لها. وضح وجه ذلك ؟

ج: إيضاحه من قوله تعالى: ﴿وَفَكَهَمَ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ وأورد الإمام ^(١) أحمد ما يدل على ما ذكر من التخير من الفاكهة وذلك من طريق ثابت قال : قال أنس : كان رسول الله ﷺ ، تعجبه الرؤيا ، فربما رأى الرجل رؤيا فسأل عنه إذا لم يكن يعرفه ، فإذا أثنى عليه معروف كان أعجب لرؤياه إليه ، فأتته امرأة فقالت : يا رسول الله ، رأيت كأني أتيت فأخرجت من المدينة فأدخلت الجنة ، فسمعت وجبة انتحبت لها الجنة ، فنظرت فإذا فلان بن فلان ، وفلان بن فلان ، فسمت اثني عشر رجلاً ، كان النبي ﷺ ، قد بعث سرية قبل ذلك ، فجيء بهم عليهم ثياب طلس تشخب أوداجهم ، فقيل : اذهبوا بهم إلى نهر [البيدخ ، أو : البيذخ] قال : فغمسوا فيه ، فخرجوا ووجوههم كالقمر ليلة البدر ، فأتوا بصحفة من ذهب فيها بُسُر فأكلوا من بُسره ما شاءوا ، فما يقلبونها من وجه إلا أكلوا من الفاكهة ما أرادوا ، وأكلت معهم ، فجاء البشير من تلك السرية ، فقال : كان من أمرنا كذا وكذا ، وأصيب فلان وفلان . حتى عد اثني عشر رجلاً ، فدعا رسول الله ﷺ المرأة فقال : «فُصِّي رؤياك». فقصتها . وجعلت تقول : فجيء بفلان وفلان كما قال .



س: هل هناك قراءة (وحوِر) بالحفض وما وجهها ؟ .

ج: قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: وقوله : ﴿وَحَوْرٌ عَيْنٌ﴾ (٢٢) كَأَمَثَلِ اللَّوْزِ الْمَكُونِ ﴿٢٣﴾ : قرأ بعضهم بالرفع ، وتقديره : ولهم فيها حور عين . وقراءة الجر تحتل معنيين : أحدهما : أن يكون الإعراب على الإلتباع بما قبله ، كقوله : ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَلَدَنٌ مُّخْلَدُونَ﴾ (١٧) بِأَكْرَابٍ وَأَبَارِيْقٍ وَكُنُوسٍ مِّنْ مَّعِينٍ (١٨) لَا يَصْدَعُونَ عَنْهَا وَلَا يَزِفُونَ (١٩) وَفَكَهَمَ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢٠) وَلَحِمٌ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (٢١) وَحَوْرٌ عَيْنٌ ﴿٢٢﴾ ، كما قال : ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ

وَأَرْجَلَكُمْ ﴿ [المائدة: ٦٠] وكما قال : ﴿ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ﴾ [الإنسان: ٢١] .
والاحتمال الثاني : أن يكون مما يطوف به الولدان المخلدون عليهم الحور العين ، ولكن
يكون ذلك في القصور ، لا بين بعضهم بعضاً ، بل في الخيام يطوف عليهم الخدام
بالحور العين ، والله أعلم .

قال الطبري رحمه الله : اختلف القراء في قراءة قوله : ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴾ فقرأته عامة
قراء الكوفة وبعض المدنيين ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴾ بالخفض إتباعاً لإعرابها إعراب ما قبلها من
الفاكهة واللحم ، وإن كان ذلك مما لا يُطاف به ، ولكن لما كان معروفاً معناه المراد أتبع
الآخر ، الأول في الإعراب ، كما قال بعض الشعراء .

إِذَا مَا الْغَايَاتُ بَرَزْنَ يَوْمًا وَزَجَّجْنَ الْخَوَاجِبَ وَالْعَيُونَ
فالعيون تَكْجَل . ولا تزَجَج إلا الخواجب ، فردّها في الإعراب على الخواجب ،
لمعرفة السامع معنى ذلك وكما قال الآخر :

تَسْمَعُ لِلْأَحْشَاءِ مِنْهُ لَقَطًا وَلِلْيَدَيْنِ جُسَاءً وَبَدَدًا
والجسأة : غلظ في اليد ، وهي لا تُسمع . وقرأ ذلك بعض قراء المدينة ومكة
والكوفة وبعض أهل البصرة بالرفع ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴾ على الابتداء ، وقالوا : الحور العين لا
يطاف بهنّ ، فيجوز العطف بهنّ في الإعراب على إعراب فاكهة ولحم ، ولكنه مرفوع
بمعنى : وعندهم حور عين ، أو لهم حور عين . والصواب من القول في ذلك عندي أن
يقال : إنها قراءتان معروفتان . قد قرأ بكل واحدة منهما جماعة من القراء مع تقارب
معنيهما ، فبأي القراءتين قرأ القارئ فمصيب . والحور جماعة حَوْرَاء ، وهي : النقية
بياض العين ، الشديدة سوادها . والعين : جمع عيَاء ، وهي : النجلاء العين في حُسن .



س : ما وجه تشبيههن باللؤلؤ المكنون ؟

ج : ذلك ، والله أعلم ، لبيان شدة بياضهن وحسنهن كاللؤلؤ المكنون الذي قد
صنّته في كنّ .



س : هل صح عن رسول الله ﷺ شيء في تفسير قوله تعالى : ﴿كَأَمْثَلِ اللَّوْثِ الْمَكُونِ﴾ ؟

ج : ورد شيء من ذلك عند الطبري لكنه ضعيف الإسناد، فعنده من حديث أم سلمة بسندٍ ضعيف عن أم سلمة قالت : قلت يا رسول الله أخبرني عن قول الله : ﴿كَأَمْثَلِ اللَّوْثِ الْمَكُونِ﴾ قال : «صفاؤهن كصفاء الدر الذي في الأصداق الذي لا تمسه الأيدي» .



س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا﴾ ؟

ج : قال الطبري - رحمه الله تعالى - في بيان معنى ذلك :

وقوله : ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا﴾ يقول : لا يسمعون فيها باطلاً من القول ولا تأثيماً، يقول : ليس فيها ما يؤثمهم . وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقول : ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا﴾ والتأثيم لا يُسمع، وإنما يُسمع اللغو، كما قيل : أكلت خبزاً ولبناً، واللبن لا يؤكل، فجازت إذ كان معه شيء يؤكل .

وقوله : ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَكْنَا سَلَكًا﴾ يقول : لا يسمعون فيها من القول إلا قِيلاً سلاماً : أي اسلم مما تكره . وفي نصب قوله ﴿سَلَكْنَا سَلَكًا﴾ وجهان : إن شئت جعلته تابعاً للقليل، ويكون السلام حينئذ هو القليل؛ فكأنه قيل . لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً ، إلا سلاماً سلاماً، ولكنهم يسمعون سلاماً سلاماً . والثاني : أن يكون نصبه بوقوع القيل عليه ، فيكون معناه حينئذ : إلا قِليل سلامٍ فإن نَوْن نصب قوله : (سَلَامًا سَلَامًا) بوقوع قِيلٍ عليه .



س : وضح المعنى الاجمالي لقوله تعالى : ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَكْنَا سَلَكًا﴾ .

ج : قال بعض أهل العلم : قوله تعالى : ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَكْنَا سَلَكًا﴾ معناه أن أهل الجنة لا يسمعون في الجنة إلا تسليماً من بعضهم على بعض وتسليماً من ربهم عليهم ، وتسليماً من الملائكة عليهم . وهناك معنى آخر ألا وهو : أن كلامهم أيضاً سالمٌ من اللغو والإثم .



﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ (٢٧) فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴿٢٩﴾
 وَظِلِّ مَمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفِكَهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ
 ﴿٣٣﴾ وَفُرْشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنِشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا
 ﴿٣٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثَلَاثَةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾

[الواقعة: ٢٧ - ٤٠] .

س : وضح معنى ما يلي :

(﴿أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ - مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ - سِدْرٍ - مَخْضُودٍ - وَطَلْحٍ - مَّنْضُودٍ - مَمْدُودٍ -
 مَّسْكُوبٍ - أَنشَأْنَهُنَّ إِنِشَاءً - أَبْكَارًا - عُرُبًا - أَتْرَابًا) .

ج :

الكلمة	معناها
﴿أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾	هم الذين يُؤخذ بهم ذات اليمين . وقيل : هم الذين يُعْطَوْنَ كتبهم بأيانهم يوم القيامة .
﴿مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾	أي شيء هم أصحاب اليمين ، وماذا أعد لهم من النعيم .
﴿سِدْرٍ﴾	ثمر السدر ، شجرة سدر ممتلئة ثمارًا عظيمة الحجم .
﴿مَخْضُودٍ﴾	ذهب شوكه ، خُضِدَ من الشوك فلا شوك فيه وقيل : هو الموقر حملاً وثمرها أعظم من القلال .
﴿وَطَلْحٍ﴾	موز .
﴿مَّنْضُودٍ﴾	بعضه متراكم فوق بعض ، نُضِدَ فكان بعضه فوق بعض .
﴿وَظِلِّ مَمْدُودٍ﴾	دائم لا تنسخه الشمس ، ولا تذهب الشمس .

﴿مَسْكُوبٌ﴾	مصبوب - سائل في غير أحدود يجري في غير أحدود.
﴿أَنشَأْنَهُنَّ إِنشَاءً﴾	خلقناهن خلقاً ، فقد كنَّ في الدنيا عجائز عمشاً فصرن في الآخرة أبكاراً، وقيل إنهن ينشأن في السن على قدر بنات آدم ثلاثة وثلاثين سنة.
﴿أَبْكَارًا﴾	عذارى (لم تفض بكارتهن) بعد أن كُنَّ عجائز.
﴿عُرْبًا﴾	غنجات - متحبيات إلى الأزواج - حسنات التبعل، تشتهي زوجها - عشيقه لزوجها - تُحِبُّ الزوج حباً شديداً.
﴿أَتْرَابًا﴾	في سنٍّ واحدة - أمثالا - .



س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿لَا مَقْطُوعَةَ وَلَا مَمْنُوعَةَ﴾ .

ج : قال الحافظ ابن كثير رحمه الله :
وقوله : ﴿لَا مَقْطُوعَةَ وَلَا مَمْنُوعَةَ﴾ ، أي : لا تنقطع شتاء ولا صيفاً ، بل أكلها دائم مستمر أبداً ، مهما طلبوا وجدوا ، لا يمتنع عليهم - بقدره الله - شيء .



س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ .

ج : قال بعض العلماء : إن الفرش هنا هي السرر وما عليها ، وقال آخرون : إن المراد بالفرش النساء ، والأصوب أنها : الفرش وما عليها ، أما قوله : ﴿مَرْفُوعَةٍ﴾ ، فالأكثر أنها مرفوعة المكان ، وقيل : إنها مرفوعة القدر .



س : هل صحَّ عن رسول الله ﷺ شيء في تفسير قوله تعالى : ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ .

ج : لم أقف على شيء صحيح مرفوع إلى رسول الله ﷺ في هذا الصدد .

وقد أخرج الطبري بإسناد ضعيف عن أبي سعيد عن النبي ﷺ، في قوله ﴿وَفُشِّ مَرْقُوعَةٍ﴾ قال: «إِنَّ ارْتِفَاعَهَا لَكَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَإِنَّ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَمَسِيرَةُ خُمُسَائَةِ عَامٍ».



س : هل صحَّ عن رسول الله ﷺ شيء في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنشَاءً﴾ ؟

ج : لم أقف على شيء صحيح في هذا الصدد ، وقد أخرج الطبري بإسنادٍ ضعيف عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ، في قوله: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنشَاءً﴾ قال: «مِنْهُنَّ الْعَجَائِزُ اللَّاتِي كُنَّ فِي الدُّنْيَا عُمُشًا رُمَصًا».



س : هل صحَّ عن رسول الله ﷺ شيء في تفسير قوله تعالى ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ مع مزيد من الإيضاح لمعناها ؟

ج : لم أقف على شيء صحيح في ذلك ، وقد أخرج الطبري بسندٍ ضعيف عن أم سلمة قالت : قلت: يا رسول الله! أخبرني عن قوله: ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ قال : «عُرُبًا مُتَعَشِّقَاتٍ مُتَحَبِّبَاتٍ ، أَتْرَابًا عَلَى مِيلَادٍ وَاحِدٍ».

أما عن مزيد من الإيضاح فقد قال السعدي رحمه الله: كما أن كونهن ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ ملازم لهن في كل حال. والعروب هي: المرأة المتحبة إلى بعلها، وحسن هيئتها ودلالها، وجمالها ومحبتها، فهي التي إن تكلمت سبَّت العقول، وودَّ السامعُ أن كلامها لا ينقضي، خصوصًا عند غنائهنَّ بتلك الأصوات الرخيمة، والنغمات المطربة. وإن نظر إلى أدبها وسمتها، ودلها، ملأت قلب بعلها فرحًا وسرورًا، وإن انتقلت من محل إلى آخر، امتلأ ذلك الموضع منها ريحًا طيبًا نورًا، ويدخل في ذلك الغنجة عند الجماع.

والأتراب: اللاتي على سنٍّ واحدةٍ - ثلاث وثلاثين سنة - التي هي غاية ما يتمنى أكمل سن الشباب، فנסاؤهم عرب أتراب، متفقات مؤتلفات، راضيات مرضيات، لا يَحْزَنُّ وَلَا يُحْزَنُّ، بل هنَّ أفراح النفوس، وقرّة العيون، وجلاء الأبصار.



س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ (٣١) وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿٣٢﴾ .

ج : أما ثَلَاثَةٌ فمعناها : جماعة .

أما المراد بالأولين فقليل : إنهم الأولون قبل أمة محمد ﷺ ، وثلاثة من الآخرين : جماعة من أمة محمد ﷺ .

وقيل : المراد بالأولين : أوائل أمة محمد ﷺ والآخرين : هم آخر هذه الأمة .

أما الطبري - رحمه الله تعالى - فقد اختار الأول إذ قال : يقول تعالى ذكره : الذين لهم هذه الكرامة التي وصف صفتها في هذه الآيات ثَلَاثَانِ ، وهي جماعتان وأمتان وفرقتان : ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ ، يعني جماعة من الذين مضوا قبل أمة محمد ﷺ . ﴿وَالثَلَاثَةُ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ ، يقول : وجماعة من أمة محمد ﷺ .



س : هل صحّ عن رسول الله ﷺ شيء في تفسير قوله تعالى : ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ

الْأَوَّلِينَ﴾ (٣١) وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿٣٢﴾ ؟

ج : لم أقف على شيء صحيح عن رسول الله ﷺ ، وقد أورد الطبري أحاديث بذلك لكن أسانيدها ضعيفة .



﴿وَأَصْحَبُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَبُ الشِّمَالِ ٤١﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ٤٢ وَظِلٍّ مِّنْ يَحْمُومٍ ٤٣ لَا
 بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ٤٤ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ٤٥ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ
 ٤٦ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِهْنَا لَمَبْعُوثُونَ ٤٧ أَوَّابًا أَوَّانَا
 الْأَوَّلُونَ ٤٨ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ٤٩ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ٥٠ ثُمَّ
 إِنَّكُمْ إِنِّي أَلْصَقُوكَ الْمُكْذِبُونَ ٥١ لَا يَكُونُ مِن شَجَرٍ مِّن رَّقُومٍ ٥٢ فَمَا لَوْ مِنهَا الْبُطُونَ ٥٣
 فَشَرِبُوا عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ٥٤ فَشَرِبُوا شَرَبَ الْهِيمِ ٥٥ هَذَا تَرْكُكُمْ يَوْمَ الدِّينِ ٥٦ نَحْنُ
 خَلَقْنَكُمْ فَلَوْلَا تَصَدَّقُونَ ٥٧ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ٥٨ ءَأَسْرُ تَخْلُقُونَهُ ؕ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ
 ٥٩ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمُسْبِقِينَ ٦٠ عَلَىٰ أَن تَبْدَلَ أَمْتَلِكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي
 مَا لَا تَعْلَمُونَ ٦١ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ٦٢ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ
 ٦٣ ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ ؕ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ٦٤ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ
 ٦٥ إِنَّا لَمَعْرِمُونَ ٦٦ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ٦٧ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ٦٨ ءَأَنْتُمْ
 أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ٦٩ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجْلًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ٧٠
 أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ٧١ ءَأَسْرُ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ٧٢ نَحْنُ
 جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ ٧٣ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿[الوقعة: ٤١-٧٤]

س : اذكر معنى ما يلي :

(﴿سَمُومٍ- وَحَمِيمٍ - يَحْمُومٍ - مُتْرَفِينَ - يُصِرُّونَ- الْحِنثِ الْعَظِيمِ - الْحَمِيمِ- الْهِيمِ- هَذَا

تَرْزُقُمْ - يَوْمَ الدِّينِ - مَا تُمْنُونَ - بِمَسْئُوقِينَ - وَنُشِئَكُمْ - فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ - النَّشْأَةُ الْأُولَى - فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ - حُطْلَمًا - فَظَلَمْتُمْ - تَفَكَّهُونَ - لَمَغْرُومُونَ - مَحْرُومُونَ - الْمَرْزِ - أَجَلًا - تُورُونَ - أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا - وَمَتَعْنَا - لِلْمُقْوِينَ .

ج :

الكلمة	معناها
﴿سُومٍ﴾	سموم جهنم (حر جهنم) - الهواء الحار .
﴿وَحِيمٍ﴾	ماء يغلي (قد بلغ أعلى درجات غليانه) - الماء الحار .
﴿يَحْمُومٍ﴾	دخان أسود شديد - ظلّ الدخان الأسود الشديد .
﴿مُتَرَفِينَ﴾	مُنعمين .
﴿يُصْرُونَ﴾	يستمرّون - يتمادون - مقيمون - يدمنون لا يتوبون ولا يستغفرون ولا يقلعون - يصمّون .
﴿الْحَنْثِ الْعَظِيمِ﴾	الذنب العظيم (قيل هو الشرك وعبادة الأوثان) وقال بعض العلماء : أنه اليمين الغموس ^(١) .
﴿الْحِيمِ﴾	الماء الذي بلغ أعلى درجات غليانه .
﴿الْمِيرِ﴾	الرَّمْل - الإبل التي أصابها داءٌ فأصبحت ظمأً لا تشبع ، فلا تزال تشرب حتى تهلك .
﴿هَذَا تَرْزُقُمْ﴾	هذه ضيافتهم - هذا المكان مكان استضافتهم - هذا رزقهم .
﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾	يوم القيامة .

(١) أخرج الطبري بإسناد صحيح عن ابن زيد : قال : ﴿وَكَاثُوا يُصْرُونَ عَلَى الْحَنْثِ الْعَظِيمِ﴾ قال : الحنث العظيم : الذنب العظيم ، قال : وذلك الذنب العظيم الشرك لا يتوبون ولا يستغفرون .
 وبإسناد حسن عن قتادة قال : الذنب العظيم .
 أخرج الطبري بإسناد صحيح عن ابن زيد : قال : ﴿وَكَاثُوا يُصْرُونَ عَلَى الْحَنْثِ الْعَظِيمِ﴾ قال : الحنث العظيم : الذنب العظيم ، قال : وذلك الذنب العظيم الشرك لا يتوبون ولا يستغفرون .
 وبإسناد حسن عن قتادة قال : الذنب العظيم .

﴿مَا تُمْنُونَ﴾	النطف التي تقذفونها في أرحام نساكنكم (المني الذي تُمنونه ويخرج منكم) فقلوه ﴿تُمْنُونَ﴾ أي: تقذفون في رحم النساء.
﴿يَمَسْبُوقِينَ﴾	بمغلوبين على الأمر الذي نريده - بعاجزين .
﴿وَنَنْشِئَكُمْ﴾	نحولكم - نخلقكم .
﴿فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾	على حالٍ وعلى صورة لا تعلمونها ، وصفة لا تدركونها.
﴿النَّشْأَةُ الْأُولَى﴾	الخلق الأول من منيٍ يُمنى - وقيل بداية الخلق.
﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾	فلولا تتعظون وتعتبرون.
﴿حُطَمَاءَ﴾	هشيماً لا يتففع به في مطعم وغذاء - متكسراً مُحطَّماً.
﴿فَظَلَّمْتُمْ﴾	استمررتم - أقمتم.
﴿تَفَكَّهُونَ﴾	تتعجبون - تلاومون - وقيل: تفكَّهون: تنوعون في المقالة ، فتارة تقولون: إنا لمغرمون ، وتارة تقولون: بل نحن محرومون - تندمون - وقيل: تحزنون.
﴿لَمُغْرَمُونَ﴾	لمعذبون - ملولعٌ بنا - لملقون إلى الشر غرماً الحب الذي بذرناه وذهب زرعنا.
﴿مَحْرُومُونَ﴾	لا حظ لنا - حُرماً ما طلبنا من الربح.
﴿الْمُزْنَ﴾	السحاب.
﴿أَجَاجًا﴾	شديد الملوحة - مُراً.
﴿تُورُونَ﴾	تستخرجون من زندكم ، ومنه: فالوريات ^(١) .
﴿أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا﴾	خلقتم شجرتها - اخترعتموها.
﴿وَمَتَّعًا﴾	منفعة
﴿لِلْمُقْوِينَ﴾	المسافرين - المُستمتعين وهم عموم من يستمتع بها من المسافرين أو الحاضرين.

(١) وهي الخيول المحاربة التي تجري بشدة فتحدث شرراً أثناء جريانها بحوافرها.

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ مَا أَصْحَبُ الشِّمَالِ ﴾ .

ج : قال الطبري رحمه الله :

وقوله ﴿ وَأَصْحَبُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَبُ الشِّمَالِ ﴾ يقول تعالى ذكره معجباً بنبيه محمداً من أهل النار ﴿ وَأَصْحَبُ الشِّمَالِ ﴾ الذين يؤخذ بهم ذات الشمال من موقف الحساب إلى النار ﴿ مَا أَصْحَبُ الشِّمَالِ ﴾ ماذا لهم ، وماذا أعد لهم .

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قال : أي : ماذا لهم ، وماذا أعد لهم .

وقال القرطبي رحمه الله : قوله تعالى : ﴿ وَأَصْحَبُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَبُ الشِّمَالِ ﴾ ذكر منازل أهل النار وسماهم أصحاب الشمال ؛ لأنهم يأخذون كتبهم بشمالهم ، ثم عظم ذكرهم في البلاء والعذاب فقال : ﴿ مَا أَصْحَبُ الشِّمَالِ ﴾ (١١) في سُمُورٍ والسموم : الريح الحارة التي تدخل في مسام البدن .



س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ وَظِلٍّ مِّنْ يَحْتُمِرِ ﴾ .

ج : المعنى - والله تعالى أعلم - : أن الظل الذي يستظل به أهل النار إنما هو ظل دخان أسود شديد السواد ، وهذا في الحقيقة ليس بظل ينتفع به إنما هو ظل يُعذب به .

وقد قال تعالى : ﴿ أَنْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴾ (٢٩) أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثُلُثِ شَعْبٍ (٣٠) لَا ظِلِّيلٌ وَلَا يَقْنِي مِنَ الْلَّهَبِ (٣١) إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ (٣٢) كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ﴿

[المرسلات ٢٩ - ٣٣] .

قال القرطبي رحمه الله : ﴿ وَظِلٍّ مِّنْ يَحْتُمِرِ ﴾ أي : يفزعون من السُمُوم إلى الظل كما يفزع أهل الدنيا فيجدونه ظلاً من يَحْتُمُوم ، أي : من دخان جهنم أسود شديد السواد . عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما . وكذلك اليحُموم - في اللغة - : الشديد السواد وهو يفعل من الحَمِّ وهو الشَّحْمُ المسودّ باحترق النار . وقيل : هو مأخوذ من الحَمِّ وهو الفحم .



س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ لَا بَارِدٌ وَلَا كَرِيمٌ ﴾ .

ج : المعنى - والله تعالى أعلم - أن هذا الظل الذي هو ظل الدخان الأسود ﴿ لَا

بَارِدٍ ﴿٢٩﴾ ، أي: لا يحمل بردًا يخفف عنهم ما هم فيه من حرّ النار ، ولا كريم المنظر. وكذلك ليس بطيب الهبوب ، ولا حسن المنظر. وهذه الآية الكريمة كقوله تعالى : ﴿أَطْلِقُوا إِلَى مَا كُتِبَ بِهِ تَكْذِبُونَ﴾ ﴿٢٩﴾ أَطْلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَا ظِلِّيلٌ وَلَا يَقْنِي مِنَ اللَّهِ ﴿٣١﴾ [المرسلات ٢٩-٣١].

قال الطبري رحمه الله :

وقوله : ﴿لَا بَارِدٌ وَلَا كَرِيمٌ﴾ يقول تعالى ذكره : ليس ذلك الظلّ ببارد ، كبرد ظلال سائر الأشياء ، ولكنه حارّ ، لأنه دخان من سعير جهنم ، وليس بكريم لأنه مؤلم من استظلّ به ، والعرب تتبع كلّ منفي عنه صفة حمد نفي الكرم عنه ، فتقول : ما هذا الطعام بطيب ولا كريم ، وما هذا اللحم بسمين ولا كريم ، وما هذه الدار بنظيفة ولا كريمة. قال ابن كثير رحمه الله : ﴿لَا بَارِدٌ وَلَا كَرِيمٌ﴾ ليس بطيب الهبوب ولا حسن المنظر.



س : قوله تعالى : ﴿قَبْلَ ذَلِكَ﴾ قبل ماذا ؟

ج : قبل البعث ، وقبل الممات أي أنهم كانوا في الدنيا.



س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ .

ج : المعنى - والله أعلم - أن هؤلاء المكذبين للرسل كانوا في الدنيا مُتَعَمِّين غارقين في الحرام مقبلين على لذات أنفسهم ، حمله الترفّ الذي هم فيه والنعيم الذي هم فيه على تكذيب الرسل وإنكار البعث والجزاء وحلهم على الطغيان ، كما قال تعالى : ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَإِتْبَاعٍ ﴿٦﴾ أَن رَّاهُ اسْتَفْتَحَ ﴿٧﴾﴾ [العلق ٦-٧] وكما قال تعالى : ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَ بِجَانِبِهِ﴾ [الإسراء: ٨٣].



س : اذكر بعض الأدلة على إنكار المشركين للبعث.

ج : من الأدلة على ذلك ما يلي :

قولهم : ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَوْنَا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٢].

وما ذكره الله تعالى عنهم إذ قال: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ. قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨]. وقول قائلهم: ﴿وَمَا أَطُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ [فُصِّلَتْ: ٥٠]. وقولهم ﴿إِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ [النازعات: ١٠].



س : وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾.

ج : المعنى الإجمالي: أن أهل الكفر كانوا يستبعدون وقوع البعث وينكرونه ويقولون أئذا متنا وتمزقت أجسادنا وتفتت عظامنا وأصبح ترابًا وعظامًا بالية متفتتة، أنبعث مرة أخرى!!!.



س : وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾.

ج : المعنى - والله أعلم - أن أهل الكفر يتعجبون من إخبارهم بالبعث ويسألون سؤال المستنكر المستبعد أننا لمبعوثون أحياء بعد الممات ، وآباؤنا كذلك يبعثون ؟

قال ابن الجوزي في «زاد المسير»:

قوله عز وجل: ﴿أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾ قال أبو عبيدة : الواو متحركة لأنها ليست بواو وإنما هي « وآباؤنا » فدخلت عليها ألف الاستفهام فتركت مفتوحة . وقرأ أهل المدينة ، وابن عامر: « أَوْ آبَاؤُنَا » بإسكان الواو.



س : اذكر بعض الآيات والأحاديث الدالة على البعث!

ج: أما الآيات فمنها مايلي :

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّا الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ .

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ يَجْمَعُ لَهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ [هود: ١٠٣].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الدخان: ٤٠].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾ [النبا: ١٧].

س : قوله تعالى : ﴿الْمُكَذِّبُونَ﴾ مكذبون بماذا ؟

ج : مكذبون بيوم القيامة ، ومكذبون بوعد الله ووعيده .



س : ورد لشجرة الزقوم ذكر في مقام آخر من كتاب الله عز وجل بين هذا الموطن ؟

ج : ذلك قوله تعالى : ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُومِ ۖ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْآثِمِ ۖ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ۖ ﴿٤٥﴾ كَغَلِي الْحَمِيمِ ۖ﴾ [الدخان : ٤٣ - ٤٦] .



س : لماذا يأكلون من شجرة الزقوم مع مرارتها وما فيها ؟

ج : قال بعض أهل العلم إنهم يجوعون جوعاً شديداً وهم في النار فيضطرون إلى الأكل من شجر الزقوم .

وقال الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى - : وذلك أنهم يُقْبَضُونَ وَيُسْجَرُونَ حتى يأكلوا من شجر الزقوم حتى يملئوا منها بطونهم .



س : لماذا ذُكر الشجر في قوله تعالى : ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ﴾ وأنث في قوله : ﴿فَمَالَتْ مِنْهُ﴾ ؟

ج : قال بعض أهل العلم إن الشجر يؤنث ويذكر . وقال بعضهم إن الشجر ذُكر للفظ ، وأنث للمعنى .

قال الطبري رحمه الله : واختلف أهل العربية في وجه تأنيث الشجر في قوله : ﴿فَمَالَتْ مِنْهُ الْبُطُونُ﴾ أي : من الشجر ، ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ﴾ لأن الشجر تُؤنث وتُذكر ، وأنث لأنه حمله على الشجرة ؛ لأن الشجرة قد تدل على الجميع ، فتقول العرب : نبت قبلنا شجرة مّرة وبقلة رديئة ، وهم يعنون الجميع ، وقال بعض نحويي الكوفة : ﴿لَا كُؤُنَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُومٍ﴾ ، وفي قراءة عبد الله : ﴿لَا كُؤُنَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُومٍ﴾ على واحدة ، فمعنى شجر وشجرة واحد ، لأنك إذا قلت أخذت من الشاء ، فإن نويت واحدة أو أكثر من ذلك ، فهو جائز ، ثم قال : ﴿فَمَالَتْ مِنْهُ الْبُطُونُ﴾ يريد من الشجرة ؛ ولو قال : ﴿فَمَالَتْ مِنْهُ﴾ إذا

لم يُذكَرَ الشجر كان صوابًا يذهب إلى الشجر في منه ، ويُؤنَّث الشجر ، فيكون منها كناية عن الشجر والشجر يؤنَّث ويذكَر ، مثل التمر يؤنَّث ويذكَر .

والصواب من القول في ذلك عندنا القول الثاني ، وهو أن قوله : ﴿ فَأَتُونَهَا ﴾ مراد به من الشجر أَنتَ المعنى ، وقال : ﴿ فَشَرِبُوا عَلَيْهِ ﴾ مُذَكَّرًا للفظ الشجر .



س : هل هناك نهي عن الشرب بعد الأكل ؟

ج : لا أعلم نهيًا عن ذلك ، بل قد قال تعالى : ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الطور: ١٩] .



س : اذكر نزل الكفار ونزل الأبرار يوم القيامة .

ج : أما نزل الكفار (أي : ضيافتهم) فهي الأكل من شجرة الزقوم حتى تمتلئ منها البطون ، ثم إنهم شاربون عليها من الماء الذي يغلي غليانًا شديدًا ، ويشربون بشراهة شديدة شربًا عظيمًا كما تشرب الإبل العطاش التي أصابها الداء الذي يحملها على أن تشرب فلا تُروى . أما نزل الأبرار ، فقد قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾ [الكهف: ١٠٧] .



س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴾ .

ج : قال الطبري رحمه الله : وقوله : ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴾ يقول - تعالى ذكره - لكفار قريش والمكذِّبين بالبعث : نحن خلقناكم أيها الناس ولم تكونوا شيئًا ، فأوجدناكم بشرًا ، فهلا تصدِّقون من فعل ذلك بكم في قيله لكم : إنه يبعثكم بعد مماتكم وبلاكم في قبوركم ، كهياتكم قبل مماتكم .

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله : يقول تعالى مُقَرَّرًا للمعاد ، وَرَدًّا على المكذِّبين به من أهل الزيف والإلحاد ، من الذين قالوا : ﴿ أَيُّدَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَءَنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ . وقولهم ذلك صَدَرَ منهم على وجه التكذيب والاستبعاد ، فقال : ﴿ نَحْنُ

خَلَقْتَكُمْ ﴿١﴾، أي: نحن ابتدأنا خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئاً مذكوراً ، أفليس الذي قدر على البداءة بقادر على الإعادة بطريق الأولى والأخرى ؟ فلهذا قال : ﴿ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴾ ، أي : فهلا تصدقون بالبعث .



س : كثيراً ما يستدل على البعث بالخلق الأول ، دَلِّلْ على ذلك .

ج : من الأدلة على ذلك ما يلي :

قوله تعالى : ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [يس: ٧٩] . وقوله تعالى : ﴿ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [الإسراء: ٥١] . وقوله تعالى : ﴿ يَتَأَيَّبُهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ... ﴾ [الحج: ٥] . وقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَىٰ عَلَيْهِ... ﴾ [الروم: ٢٧] . وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ... ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] .



س : اذكر - بمزيد من الإيضاح - معنى قوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴾ .

ج : قال الطبري رحمه الله : يقول تعالى ذكره هؤلاء المكذبين بالبعث : أفرأيتم - أيها المنكرون قدرة الله على إحيائكم من بعد مماتكم - النطف التي تمنون في أرحام نسائكم ، أنتم تخلقون تلك أم نحن الخالقون .



س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ ﴾ .

ج : قال بعض أهل العلم : نحن قَدَرْنَا بينكم الموت أي : كتبناه عليكم أجمعين ، كما قال : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ [العنكبوت: ٥٧] .

وقال آخرون : صرّفناه بينكم أي : هذا يرى أخاه قد مات وصديقه وقريبه وزوجه وأخته وأخاه وغير هؤلاء فيحدث له بذلك الادّكار والاتعاظ .

وقال آخرون من أهل العلم : سويّنا في الموت بين أهل السماء والأرض والإنس

والجن ، أي أن الكلَّ سيموت . والله أعلم .

قال الطبري رحمه الله : وقوله : ﴿ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾ يقول تعالى ذكره : نحن قدرنا بينكم - أيها الناس - الموت ، فعجلناه لبعض ، وأخرناه عن بعض إلى أجل مسمى .

قال الشنقيطي رحمه الله : قرأ هذا الحرف عامة القراء السبعة غير ابن كثير (قَدَرْنَا) بتشديد الدال ، وقرأه ابن كثير بتخفيفها ، وقد قدمنا في ترجمة هذا الكتاب المبارك أن الآية الكريمة قد يكون فيها وجهان أو أكثر من التفسير ، ويكون كل ذلك صحيحاً ، وكله يشهد له قرآن ، فنذكر الجميع وأدلته من القرآن ، ومن ذلك هذه الآية الكريمة .

وإيضاح ذلك أن لقوله : ﴿ قَدَرْنَا ﴾ وجهين من التفسير وفيما تتعلق به (على أن نبدل) وجهان أيضاً ، فقال بعض العلماء : وهو اختيار ابن جرير أن قوله : ﴿ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ ﴾ أي : قدرنا لموتكم آجالاً مختلفة وأعماراً متفاوتة فمنكم من يموت صغيراً ومنكم من يموت شاباً ، ومنكم من يموت شيخاً .

وهذا المعنى دلت عليه آيات كثيرة من كتاب الله كقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لَتَبَلَّغُوا أَشْدَكُكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمْرِ ﴾ [الحج:٥] وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لَتَبَلَّغُوا أَشْدَكُكُمْ ثُمَّ لَتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلٍ وَلِنَبْلَّغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [غافر:٦٧] وقوله تعالى ﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَضُ مِنْ عُمْرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ ﴾ [فاطر:١١] وقوله تعالى : ﴿ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ﴾ [المنافقون:١١] وقوله : ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾ [المعارج:٤١] أي : ما نحن بمغلوبين ، والعرب تقول : سبقه على كذا أي : غلبه عليه وأعجزه عن إدراكه ، أي : وما نحن بمغلوبين على ما قدرنا من آجالكم وحددناه من أعماركم فلا يقدر أحد أن يقدم أجلاً أخرناه ولا يؤخر أجلاً قدّمناه .

وهذا المعنى دلت عليه آيات كثيرة ، كقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [الأعراف:٣٤] ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ ﴾ [نوح:٤] ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا ﴾ [آل عمران:١٤٥] إلى غير ذلك من الآيات .

وعلى هذا القول ، فقوله تعالى : ﴿عَلَىٰ أَنْ تُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ﴾ ليس متعلقاً بمسبوقين بل بقوله تعالى : ﴿فَنَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ﴾ والمعنى : نحن قدرنا بينكم الموت على أن نبدل أمثالكم ، أي نبدل من الذين ماتوا أمثالاً لهم نوجدهم .

وعلى هذا ، فمعنى تبديل أمثالهم إيجاد آخرين من ذرية أولئك الذي ماتوا ، وهذا المعنى تشهد له آيات من كتاب الله كقوله تعالى : ﴿إِنْ يَشَاءُ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ ءَاخِرِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٣] إلى غير ذلك من الآيات . وهذا التفسير هو اختيار ابن جرير ، وقراءة (قَدَرْنَا) بالتشديد مناسبة لهذا الوجه ، وكذلك لفظة بينكم .

الوجه الثاني : أن قَدَرْنَا بمعنى : قضينا وكتبنا أي : كتبنا الموت وقدرناه على جميع الخلق ، وهذا الوجه تشهد له آيات من كتاب الله كقوله تعالى : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [التقصص: ٨٨] ، وقوله تعالى : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [العنكبوت: ٥٧] ، وقوله تعالى : ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨] ، وعلى هذا القول فقوله : ﴿عَلَىٰ أَنْ تُبَدِّلَ﴾ : متعلق بمسبوقين أي ما نحن بمغلوبين ، والمعنى : وما نحن بمغلوبين على أن نبدل أمثالكم إن أهلكناكم لو شئنا فنحن قادرون على إهلاككم ، ولا يوجد أحد يغلبنا ويمنعنا من خلق أمثالكم بدلاً منكم .

وهذا المعنى تشهد له آيات من كتاب الله كقوله تعالى : ﴿إِنْ يَشَاءُ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَلِكَ قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٣٣] ، وقوله تعالى : ﴿إِنْ يَشَاءُ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ﴾ [الأنعام: ١٣٣] ، وقوله تعالى : ﴿إِنْ يَشَاءُ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (١٩) وَمَا ذَٰلِكَ عَلَىٰ اللَّهِ بِعَزِيزٍ [إبراهيم: ١٩] ، وقوله تعالى : ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨] ، وقد قدمنا هذا في سورة النساء في الكلام على قوله تعالى : ﴿إِنْ يَشَاءُ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ﴾ [النساء: ١٣٣] الآية . وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة : ﴿وَنُنَشِّئُكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ، فيه للعلماء أقوال متقاربة . وقال بعضهم : ننشئكم بعد إهلاككم فيما لا تعلمونه من الصور والهيئات ، كأن ننشئكم قردة وخنازير ، كما فعلنا ببعض المجرمين قبلكم . وقال بعضهم : ننشئكم فيما لا تعلمونه من الصفات ، فنغير صفاتكم ونجمل المؤمنين ببياض الوجوه ، ونقبح الكافرين بسواد الوجوه وزرقة العيون . إلى غير ذلك من الأقوال .

س : وضح معنى قوله تعالى ﴿تَبَدَّلَ آمَثَالُكُمْ﴾ .

ج : قال بعض أهل العلم: المعنى: نغير خلقكم يوم القيامة، وقال آخرون: المعنى: نذهب بكم في الدنيا ونأتي بمثلكم من جنسكم، بشر من أمثالكم لكن يعبدون ربهم عبادة خيراً منكم.



س : اذكر - بمزيد من الإيضاح - معنى قوله ﴿وَنُنشِئُكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ .

ج : المعنى - والله أعلم - ونحولكم إلى صور لا تعلمونها.



س : هل يمكن أن يُمسح أقوام في الدنيا إلى صور آخر ؟

ج : نعم، ذلك ممكن ، وقد قال تعالى : ﴿وَنُنشِئُكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ .

وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْغَسَ وُجُوهًا فَرَدُّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا ..﴾ [النساء: ٤٧].

وقوله تعالى : ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [الأعراف: ١٦٦].

وقوله تعالى : ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَعَصَىٰ عَلَيْهِ وَجَعَ لَهُمْ أَقْرَدَةٌ وَالْخَنَازِيرُ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ ...﴾ [المائدة: ٦٠].



س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ؟

ج : أما النشأة الأولى فهي: خلقهم من مِثِّي يُمْنَى، وقيل: إنها خلق آدم عليه السلام من تراب.

قال الطبري رحمه الله : يقول تعالى ذكره: ولقد علمتم - أيها الناس - الإحداثة الأولى التي أحدثناكموها، ولم تكونوا من قبل ذلك شيئاً.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قال: هو خلق آدم.

ثم قال الطبري رحمه الله : وقوله ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره : فهلا

تَذَكَّرُونَ أَيُّهَا النَّاسُ ، فَتَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ النِّشَاءَ الْأَوَّلَى - وَلَمْ تَكُونُوا شَيْئًا - لَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ أَنْ يَعِيدَكُمْ مِنْ بَعْدِ مَمَاتِكُمْ وَفَنَائِكُمْ أَحْيَاءَ .

وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ .
 أي : قد علمتم أن الله أنشأكم بعد أن لم تكونوا شيئًا مذكورًا ، فخلقكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة ، فهلا تتذكرون وتعرفون أن الذي قدر على هذه النشأة - وهي البداءة - قادر على النشأة الأخرى - وهي الإعادة - بطريق الأولى والأحرى .



س : كثيرًا ما يستدل على البعث بالخلق الأول ، اذكر من الأدلة ما يفيد ذلك .

ج : من الأدلة على ذلك ما يلي :

قوله تعالى : ﴿ أَفَعَيَّبْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [ق: ١٥] . وقوله تعالى : ﴿ تَحْنُ خَلَقْنَكُمْ فَلَوْلَا تَصَدَّقُونَ ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ تَحْنُ خَلَقْنَهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ ﴾ .
 وقوله تعالى : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ، قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ [٧٨] قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ [يس: ٧٨ - ٧٩] . وقوله تعالى : ﴿ ائْتِ بِحَسْبَابِ الْإِنْسَانِ أَنْ يُنْزَلَ سُدًى ﴾ [٢٦] أَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ نُطْفَةٌ مِنْ مَنِيِّ امْرَأَتٍ ﴾ [القيامة: ٣٦ - ٣٧] .



س : وضح معنى الآية الكريمة : ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴾ .

ج : المعنى - والله أعلم :- أفلا نظرتم - أيها الناس - إلى الأرض التي تحرثونها ، تشقونها وتثيرونها وتبذرون البذور فيها .

قال الطبري رحمه الله تعالى : وقوله : ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴾ يقول تعالى ذكره : أفرايتم - أيها الناس - الحرث الذي تحرثونه ﴿ أَمْ أَنْتُمْ تُزْرِعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴾ يقول : أنتم تصيرونه زرعًا ، أم نحن نجعله كذلك؟ .

قال القرطبي رحمه الله : قوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴾ هذه حجة أخرى ، أي : أخبروني عما تحرثون من أرضكم فتطرحون فيها البذر ، أنتم تبتنونه وتحصلونه زرعًا فيكون فيه السنبُل والحب أم نحن نفعل ذلك؟ ، وإنما منكم البذر وشق الأرض ،

فإذا أقررتم بأن إخراج السُّنبُل من الحبِّ ليس إليكم ، فكيف تنكرون إخراج الأموات من الأرض وإعادتهم؟! ، وأضاف الحرث إليهم والزرع إليه تعالى؛ لأن الحرث فعلهم ويجري على اختيارهم، والزرع من فعل الله تعالى وينبت على اختياره لا على اختيارهم.



س : وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ والمستفاد منه.

ج : المعنى - والله أعلم - : أنتم تخرجون النبات من الأرض ﴿أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ أم نحن الذين أنبتنا نباتها من الأرض؟ ، فجواب ذلك: أن الله هو الذي أنبت ذلك وأقر قراره وأنبت نباته.

قال السعدي - رحمه الله - في «تيسير الكريم المنان»: وهذا امتنان منه على عباده ، يدعوهم به ، إلى توحيده ، وعبادته ، والإنابة إليه ، حيث أنعم عليهم بما يسره لهم من الحرث للزروع والثمار . فتخرج من ذلك ، من الأقوات - والأرزاق ، والفواكه - ما هو من ضروراتهم ، وحاجاتهم ، ومصالحهم ، التي لا يقدرُونَ أن يحصوها ، فضلاً عن شكرها ، وأداء حقها ، فقررهم بمنته فقال: ﴿أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ أي : أنتم أخرجتموه نباتاً من الأرض؟ أم أنتم الذين نميتموه؟ أم أنتم الذين أخرجتم سنبله وثمره ، حتى صار حباً حصيداً ، وثماراً نضيجاً؟ أم الله الذي انفرد بذلك وحده ، وأنعم به عليكم ؟ . وأنتم غاية ما تفعلون ، أن تحرثوا الأرض وتشقوها ، وتلقوا فيها البذر . ثم لا علم عندكم بما يكون بعد ذلك ، ولا قدرة لكم على أكثر من ذلك . ومع ذلك ، فنبههم على أن ذلك الحرث معرض للأخطار ، لولا حفظ الله وإبقاؤه بلغة لكم ، ومتاعاً إلى حين.



س: ما صحة الحديث الوارد عن رسول الله ﷺ: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ زَرَعْتُ...»؟.

ج : الحديث ضعيف الإسناد جداً ، ولا يثبت عن رسول الله .



س : كثيراً ما يستدل على البعث بإحياء الأرض بعد موتها دَلِّلَ على ذلك :

ج : من الأدلة على ذلك ما يلي :

قوله تعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ﴾ [فُصِّلَتْ: ٣٩].

وقوله تعالى : ﴿... حَتَّى إِذَا أَفَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [فاطر: ٩].

وقوله تعالى : ﴿فَانْظُرْ إِلَى ءَاثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الروم: ٥٠].



س : هل هناك ذكر يقال عند تلاوة قوله تعالى : ﴿ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ﴾ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ؟

ج : ذهب بعض أهل العلم إلى أنه يقال : (بلى أنت يارب) ، نقله الحافظ ابن كثير - رحمه الله - عن حجر المدري .

ولكن لم أقف في ذلك على شيء عن رسول الله ﷺ .



س : قوله تعالى : ﴿لَجَعَلْنَاهُ﴾ عائِدٌ على ماذا ؟

ج : قيل : هو عائِد على الزرع .



س : ما وجه التعجب في قوله : ﴿فَظَلَّمْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ ؟

ج : قال الطبري رحمه الله :

وقوله : ﴿فَظَلَّمْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : فظلمتم تتعجبون مما نزل بكم في زرعكم من المصيبة باحتراقه وهلاكه .

وقال آخرون : معنى ذلك : فظلمتم تلاومون بينكم في تفريطكم في طاعة ربكم -

جَلْ ثَنَاءُهُ - حتى نالكم ما نالكم من إهلاك زرعكم.

وقال آخرون : بل معنى ذلك : فظلمتم تندمون على ما سلف منكم في معصية الله التي أوجبت لكم عقوبته ، حتى نالكم في زرعكم ما نالكم .
وقال آخرون : بل معنى ذلك : فظلمتم تعجبون .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : معنى ﴿ فَظَلَمْتُمْ ﴾ : فأقمتم تعجبون مما نزل بزرعكم ، وأصله من التفكه بالحديث إذا حدث الرجل الرجل بالحديث يعجب منه ، ويلهى به ، فكذلك ذلك . وكأن معنى الكلام : فأقمتم تتعجبون - يعجب بعضكم بعضاً - مما نزل بكم .



س : اذكر بعض المستعاد من النظر في الحرث الذي نحرت ، والزرع الذي يُزرع .

ج : قال الشنقيطي رحمه الله : اعلم أنه يجب على كل إنسان أن ينظر في هذا البرهان الذي دلت عليه هذه الآية الكريمة ؛ لأن الله - جلّ وعلا - وجّه في كتابه صيغة أمر صريحة عامة في كل ما يصدق عليه مسمى الإنسان بالنظر في هذا البرهان العظيم المتضمن للامتنان ، لأعظم النعم على الخلق ، وللدلالة على عظم الله وقدرته على البعث وغيره ، وشدة حاجة خلقه إليه مع غناه عنهم ، وذلك قوله تعالى : ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ۚ ﴾ (٢٤) ، ﴿ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴾ (٢٥) ، ﴿ ثُمَّ شَفَقْنَا الْأَرْضَ شَفَاقًا ﴾ (٢٦) ، ﴿ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴾ (٢٧) ، ﴿ وَعَبْنَا وَقَضًا ﴾ (٢٨) ، ﴿ وَزَيَّنَّاهَا غُلَبًا ﴾ (٢٩) ، ﴿ وَحَدَّاثًا عُثْبًا ﴾ (٣٠) ، ﴿ وَفِكَهًا وَأَبًّا ﴾ (٣١) ، ﴿ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنفُسِكُمْ ﴾ [عبس : ٢٤] .

والمعنى : انظر - أيها الإنسان الضعيف - إلى طعامك كالحب الذي تأكله ولا غنى لك عنه ، من هو الذي خلق الماء الذي صار سبباً لإنباته هل يقدر أحد غير الله على خلق الماء ؟
أي : إبرازه من أصل العدم إلى الوجود . ثم هَبْ أن الماء خلق ، هل يقدر أحد غير الله أن ينزله على هذا الأسلوب الهائل العظيم الذي يستقي به الأرض من غير همٍّ ولا غرق ؟
ثم هَبْ أن الماء نزل في الأرض من هو الذي يقدر على شق الأرض عن مسار الزرع ؟ ثم هَبْ أن الزرع طلع ، فمن هو الذي يقدر على إخراج السنبل منه ؟

ثم هَبْ أَنْ السَّبِيلَ خَرَجَ مِنْهُ ، فَمَنْ هُوَ الَّذِي يَقْدِرُ عَلَى إِنْبَاتِ الْحَبِّ فِيهِ وَتَنْمِيتِهِ حَتَّى يَدْرِكَ صَالِحًا لِلْأَكْلِ ؟ ﴿ أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿ [الأنعام: ٩٩]

والمعنى : انظروا إلى الثمر وقت طلوعه ضعيفًا لا يصلح للأكل ، وانظروا إلى ينعه ، أي : انظروا إليه بعد أن ثار يانعًا مدرجًا صالحًا للأكل ، تعلموا أن الذي رباه ونماه حتى صار كما ترونه وقت ينعه قادر على كل شيء منعم عليكم عظيم الإنعام ، ولذا قال : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ .

فاللازم أن يتأمل الإنسان وينظر في طعامه ويتدبر قوله تعالى : ﴿ أَنَا صَبَّأُ الْمَاءَ صَبًّا ﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿ أي : عن النبات شقًّا إلى آخر ما بيناه . وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة : ﴿ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَمًا ﴾ يعني : لو نشاء تحطيم ذلك الزرع لجعلناه حطامًا ، أي : فتاتًا وهشيًا ، ولكننا لم نفعل ذلك رحمة بكم ، ومفعول فعل المشيئة محذوف للاكتفاء عنه بجزء الشرط ، وتقديره كما ذكرنا .
وقوله : ﴿ فَظَلَّمْتُمْ تَفَكُّهُونَ ﴾ :

قال بعض العلماء : المعنى فظلمتم تعجبون من تحطيم زرعكم .
وقال بعض العلماء : تفكّهون بمعنى : تندمون على ما خسرتم من الإنفاق عليه ، كقوله تعالى : ﴿ فَأَصْبَحَ يَقِلُّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا ﴾ [الكهف: ٤٢] .
وقال بعض العلماء : تندمون على معصية الله التي كانت سببًا لتحطيم زرعكم ، والأول من الوجهين في سبب الندم هو الأظهر .



س : في قولهم : ﴿ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴾ ﴿ ١٦ ﴾ بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ ﴿ محذوف مفهوم من السياق ، وضح هذا المحذوف .

ج : المحذوف هو قوله : (قائلين) فيكون المعنى فظلمتم تفكّهون قائلينك : إنا لمغرمون . أي : قائلين - أثناء تعجبكم - إنا لمغرمون .



س : استحب بعض أهل العلم أن يأكل الشخص قبل أن يشرب ، ما الدليل على ذلك ؟

ج : استدل بعضهم لذلك بقوله تعالى : ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ وبأن الله - عز وجل - قال : ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ...﴾ ثم قال بعد ذلك : ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ...﴾ .

قال القرطبي رحمه الله : قوله تعالى : ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾ لتحجوا به أنفسكم ، وتسكنوا به عطشكم ، لأن الشراب إنما يكون تبعاً للمطعم ، ولهذا جاء الطعام مقدماً في الآية قبل ، ألا ترى أنك تسقي ضيفك بعد أن تطعمه . الزمخشري : ولو عكست قعدت تحت قول أبي العلاء :

إِذَا سُقِيَ ضَيْفُ النَّاسِ مَحْضًا سَقَوْا أَضْيَافَهُمْ شَبِيبًا زَلَالًا

وسقي بعض العرب فقال : أنا لا أشرب إلا على ثَمِيلَةٍ .



س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ .

ج : قال الطبري رحمه الله : وقوله : ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره : فهلا تشكرون ربكم على إعطائه ما أعطاكم من الماء العذب لشربكم ومنافعكم ، وصلاح معاشكم ، وتركه أن يجعله أجاباً لا تنتفعون به .

وقال ابن كثير - رحمه الله - : ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ أي : فهلا تشكرون نعمة الله عليكم في إنزاله المطر عليكم عذاباً زللاً .

قال الشنقيطي رحمه الله : تضمنت الآية الكريمة امتناناً عظيماً على خلقه بالماء الذي يشربونه ، وذلك يضمنه من آياته الدالة على عظمته وجل قدرته وشدة حاجة خلقه إليه ، والمعنى : أفرايتم الماء الذي تشربون الذي لا غنى لكم عنه لحظة ولو أعدمناه لهلكتم جميعاً في أقرب وقت : ﴿ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾ ؟

والجواب الذي لا جواب غيره هو أنت يا ربنا هو منزله من المزن ، ونحن لا قدرة لنا على ذلك . فيقال لهم : إذا كنتم في هذا القدر من شدة الحاجة إليه تعالى فلم تكفرون به وتشربون ماءه وتأكلون رزقه وتعبدون غيره ؟

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من الامتنان على الخلق بالماء، وأنهم يلزمهم الإيمان بالله وطاعته شكرًا للنعمة هذا الماء، كما أشار له هنا بقوله: ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ جاء في آيات آخر من كتاب الله كقوله تعالى: ﴿فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا كُنُوزَهُ وَمَا أَنْشَأْنَاهُ بِمَحْنَرَيْنِ﴾ [الحجر: ٢٢]، وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ [النحل: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا لِّنُخْرِجَ بِهِ بَلَدَةً مَّيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَمًا وَأُنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ٤٨-٤٩]. وقوله تعالى: ﴿وَأَسْقَيْنَكُم مَّاءً قُرَاتًا﴾ إلى غير ذلك من الآيات. وقوله هنا: ﴿لَوْ أَنْشَأْهُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا﴾ أي: لو أنشاء جعله أجاجًا لفعلنا، ولكن جعلناه عذبًا فرائًا سائغًا شرابه، وقد قدمنا في سورة الفرقان أن الماء الأجاج هو الجامع بين الملوحة والمرارة الشديديتين.



س : وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾!

ج : يقرر الله - سبحانه وتعالى - خلقه بنعمه التي أنعم بها عليهم ويلفت نظرهم إليها فيقول تعالى: أفأريتم هذه النار التي لا غنى لكم عنها؟ تلك النار التي توقدونها تستدفئون بها وتتفعمون بها لطهي طعامكم وصهر معادنكم وسائر حاجاتكم، أنتم أنشأتم شجرتها أي: الخشب الذي أشعلتموه فتولدت منه تلك النيران أم نحن الذين أنشأناه وأنشأنا الشجر الذي استخرج منه هذا الخشب؟ فلا شك أن الذي أنشأه هو الله، كما قال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ تُوقِدُونَ﴾ [يس: ٨٠].

قال الشنقيطي رحمه الله: قوله تعالى: ﴿الَّتِي تُورُونَ﴾ أي: توقدونها من قوهم: أوري النار إذا قدحها وأوقدها، والمعنى: أفأريتم النار التي توقدونها من الشجر أنتم أنشأتم شجرتها التي توقدونها؟ أي: أوجدتموها من العدم.

والجواب الذي لا جواب غيره: أنت ياربنا هو الذي أنشأت شجرتها، ونحن لا قدرة لنا بذلك فيقال: كيف تنكرون البعث وأنتم تعلمون أن من أنشأ شجرة النار وأخرجها منها قادر على كل شيء؟ وما تضمنته هذه الآية الكريمة من كون خلق النار من أدلة البعث، وجاء موضحًا في (يس) في قوله تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (٧٨) الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ تُوقِدُونَ ﴿فقوله في آخر

(يس): ﴿تُوقَدُونَ﴾ هو معنى قوله في الواقعة: ﴿تُورُونَ﴾ وقوله في (يس): ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا﴾ بعد قوله ﴿يُخَيِّبُهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ دليل واضح على أن خلق النار من أدلة البعث . وقوله هنا ﴿أَنشَأْنَا شَجَرَتَهَا﴾ أي: الشجرة التي توقد منها كالمرخ والعفار؛ ومن أمثال العرب: في كل شجر نار، واستنجد المرخ والعفار؛ لأن المرخ والعفار هما أكثر الشجر نصيباً في استخراج النار منهما ، يأخذون قضيباً من المرخ ويحكمون به عوداً من العفار فتخرج من بينهما النار . ويقال: كل شجر فيه نار إلا العناب .



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً﴾!

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: إنا جعلنا هذه النار - نار الدنيا - تذكرة بنار الآخرة . وقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال : «نَارُكُمْ هَذِهِ النَّبِيُّ يُوقِدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءٌ مِّنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِّنْ حَرِّ جَهَنَّمَ» ، قالوا: والله إن كانت لكافية يا رسول الله ! قال : «فَإِنَّهَا فَضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةِ وَسْتِينَ جُزْءًا كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا» .^(١)



س: يُذَكِّرُ الله عزَّ وجلَّ الخلق بأمورٍ حتى يتَّعظُوا ويعتبروا ، اذكر بعض هذه الأمور .

ج: من ذلك: نار الدنيا جعلها الله تذكرة بنار الآخرة .

ومن ذلك السحب التي في السماء ، والكل يتطلع إليها كي تُمطر وينزل ماؤها في أرضه ، فيصرفها الله من أرض قوم إلى أرض قوم آخرين ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا﴾ [الفرقان: ٥٠] . وكذلك الأمثال التي يسوقها الله في كتابه الكريم ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٢٧] .



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لِّلْمُقِيمِينَ﴾ .

ج: ذكر العلماء وجهين في تفسير المقومين: أحدهما: أن المراد بهم المسافرين .

والآخر: أن المراد بهم عموم المستمعين بها من الحاضر والمسافر والباد، والناس أجمعين .
 واختار الحافظ ابن كثير هذا فقال: وقال ابن نجيب عن مجاهد قوله: ﴿لِلْمُقْوِينَ﴾
 المستمعين ، الناس أجمعين ، وكذا ذكر عن عكرمة . وهذا التفسير أعم من غيره ، فإن
 الحاضر والبادي من غني وفقير ، الكل محتاجون للطبخ والاصطلاء والإضاءة وغير ذلك
 من المنافع . ثم من لطف الله تعالى أن أودعها في الأحجار وخالص الحديد ، بحيث يتمكن
 المسافر من حمل ذلك في متاعه وبين ثيابه ، فإذا احتاج إلى ذلك في منزله أخرج زنده وأورى
 ، وأوقد ناره فطبخ بها واصطلى ، واشتوى واستأنس بها ، وانتفع بها سائر الانتفاعات .
 فلهذا أفرد المسافرون وإن كان ذلك عامًّا في حق الناس كلهم .

قال الطبري رحمه الله: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي قول من قال :
 عُني بذلك للمسافر الذي لا زاد معه ، ولا شيء له ، وأصله من قولهم : أقوت الدار :
 إذا خلت من أهلها وسكانها ؛ كما قال الشاعر :

أَقْوَى وَأَقْفَرُ مِنْ نَعْمٍ وَغَيْرِهَا هُوَجُ الرِّيحِ بِهَابِي الثَّرْبِ مَوَارٍ

يعني بقوله «أقوى»: خلا من سكانه ، وقد يكون المقوى : ذا الفرس القوي ، وذا
 المال الكثير في غير هذا الموضع .



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ !

ج: قال الطبري رحمه الله : يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ : فسبح يا محمد
 بذكر ربك العظيم ، وتسميته .

قال ابن كثير رحمه الله : وقوله: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ ، أي : الذي
 بقدرته خلق هذه الأشياء المختلفة المتضادة : الماء العذب الزلال البارد ، ولو شاء لجعله
 ملحًا أجاجًا كالبهار المغرقة . وخلق النار المحرقة ، وجعل ذلك مصلحة للعباد ،
 وجعل هذه منفعة لهم في معاش دنياهم ، وزاجرًا لهم في المعاد .



﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ﴾ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَتَلْعَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُ لَقَرَأَنَّا
 كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ
 الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾
 فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ
 لَا بُصَيْرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّا
 إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ
 الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٩٢﴾
 فَتَرْزُلُ مِنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ
 بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿الواقعة : ٧٥-٩٦﴾

س: اذكر معنى ما يلي :

﴿فَلَا أُقْسِمُ - بِمَوْقِعِ النُّجُومِ - مَّكْنُونٍ - الْمُطَهَّرُونَ - تَنْزِيلٌ - مُدْهِنُونَ - رِزْقَكُمْ -
 - الْحُلُقُومَ - حِينِيذٍ - لَا بُصَيْرُونَ - غَيْرَ مَدِينِينَ - الْمُقَرَّبِينَ - فَرَوْحٌ - وَرَيْحَانٌ - وَجَنَّتُ نَعِيمٍ -
 أَصْحَابِ الْيَمِينِ - فَسَلَمٌ لَّكَ - الْمُكَذِّبِينَ - الضَّالِّينَ - فَتَرْزُلُ - حَمِيمٍ - وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ - حق
 اليقين﴾

ج :

الكلمة	معناها
﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾	أقسم.

﴿يَمُوقِعُ النُّجُومَ﴾	مطالع النجوم ومساقطها ^(١) - منازل القرآن (المواطن التي نزلت فيها الآيات ، وأوقات نزولها) - انتشار النجوم عند قيام الساعة .
﴿مَكُونٍ﴾	محفوظ - مصون ، لا يمسه أذى ولا غبار .
﴿الْمُطَهَّرُونَ﴾	قيل : هم الملائكة - وقيل المطهرون من الذنوب - . وقيل : الملائكة والأنبياء والرسل ^(٢) .
﴿نَزِيلٌ﴾	منزل .
﴿مُذْهَبُونَ﴾	مُليّنون القول - مكذبون .
﴿رَزَقَكُمْ﴾	حظكم - شكركم .
﴿الْخَلْقُومَ﴾	الخلق .
﴿حِينَذِ﴾	عند خروج الروح من الجسد وبلوغها الخلق .
﴿لَا تُبْصِرُونَ﴾	لا ترون .
﴿غَيْرَ مَدِينٍ﴾	غير مجزيين - غير محاسبين - غير مبعوثين .
﴿الْمُقَرَّبِينَ﴾	السابقون بالخيرات - المقربون من الله في جنته .
﴿فَرَوْحٌ﴾	بردٌ - راحةٌ - فرحٌ - رحمةٌ - مغفرةٌ .
﴿وَرَيْحَانٌ﴾	رزق واسع - استراحة (أي من تعب الدنيا ونكدها ^(٣)) وقيل الريحان المعروف ذو الرائحة الطيبة .
﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾	بستان نعيم يتنعم فيه .
﴿أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾	الذين يؤخذون إلى الجنة من ذات اليمين - الذين يتلقون كتبهم باليمين .
﴿فَسَلَّمَ لَكَ﴾	فتحيةٌ لك - فأمانٌ لك - فدعائي لك .

(١) وهذا اختيار الطبري «رحمه الله تعالى» .

(٢) أخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة: قوله: ﴿لَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ ذاكم عند رب العالمين ، فأما عندكم فيمسه المشرك النجس ، والمنافق الرّجس .

تنبيه : لم يحك الطبري المطهرين من الحدثين الأصغر والأكبر .

(٣) كما في الحديث: «مستريحٌ ومستراحٌ منه...» .

﴿الْمُكَذِّبِينَ﴾	المكذبين بآيات الله.
﴿الضَّالِّينَ﴾	الضالين عن طريق الله.
﴿فَزُلْ﴾	ضيافة.
﴿حَمِيمٍ﴾	الماء الذي قد انتهى حرُّه وبلغ أعلى درجات غليانه.
﴿وَنَصْلِيَّةُ حَمِيمٍ﴾	حريق النار يصلاه يحترق به.
﴿حَقُّ الْيَقِينِ﴾	الحق اليقين الذي لا شك فيه - الخبر اليقين . ^(١)



س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿فَلَا أَقْسِمُ﴾ !

ج : قال جمهور العلماء معناه : أقسم .

وقيل معناه : ليس الأمر كما تظنون ، ثم استأنف القسم فقال أقسم .

قال الطبري رحمه الله :

وقوله : ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ : اختلف أهل التأويل في تأويل قوله : ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ . فقال بعضهم : عُنِيَ بقوله : ﴿فَلَا أَقْسِمُ﴾ : أقسم .

وقال بعض أهل العربية : معنى قوله ﴿فَلَا﴾ : فليس الأمر كما تقولون ، ثم استأنف القسم بعد فقليل أقسم وقوله : ﴿بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ : اختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم : معناه : فلا أقسم بمنازل القرآن ، وقالوا : أنزل القرآن على رسول الله ﷺ نجوماً متفرقة .

قال ابن كثير رحمه الله : ثم قال بعض المفسرين : «لا» هاهنا زائدة ، وتقديره : أقسم بمواقع النجوم . ورواه ابن جرير ، عن سعيد بن جبیر . ويكون جوابه : ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ . وقال آخرون : ليست «لا» زائدة لا معنى لها ، بل يؤتى بها في أول القسم إذا كان مقسماً به على منفي ، كقول عائشة - رضي الله عنها - : لا ، والله ما مسَّت يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط . وهكذا هاهنا تقدير الكلام : لا أقسم بمواقع النجوم : ليس الأمر كما زعمتم في القرآن أنه سحر أو كهانة ، بل هو قرآن كريم .

(١) قال الطبري : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب .

وقال ابن جرير: وقال بعض أهل العربية : معنى قوله : ﴿ فَلَا أَقْسِمُ ﴾ ،
فليس الأمر كما تقولون ، ثم استأنف القسم بعد فقيل : أقسم .
قلت (مصطفى) : ومما يؤيد أن قوله : ﴿ فَلَا أَقْسِمُ ﴾ يُعَدّ قسمًا قوله تعالى :
﴿ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ .



س : ما وجه عظمة هذا القسم ؟ وما فائدة الإخبار بذلك ؟
ج : وجه عظمته أن الذي أقسم هذا القسم عظيم وهو الله سبحانه وتعالى ،
والمقسم به عظيم وهو مواقع النجوم ، والمقسم عليه عظيم وهو بيان عظمة هذا القرآن
وفضله وكرامته وفائدة الإخبار بذلك : الحث على تعظيم هذا القرآن وتوقيره وإجلاله .
قال السعدي رحمه الله : وإنما كان القسم عظيمًا ، لأن في النجوم وجريانها ،
وسقوطها عند مغاربها ، آيات وعبرًا ، لا يمكن حصرها . وأما المقسم عليه ، فهو إثبات
القرآن ، وأنه حق لا ريب فيه ، ولا شك يعتريه . وأنه كريم أي : كثير الخير ، غزير العلم ، وكل
خير وعلم ، فإنها يستفاد من كتاب الله ويستنبط منه .



س : اذكر بعض الأوصاف الجميلة التي وُصف بها هذا القرآن ؟
ج : من هذه الأوصاف ما يلي :
مجيد : قال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْوَعْدُ إِنَّ الْمَجِيدَ ﴾ [ق: ١] .
كريم : قال تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَقَرِيبٌ كَرِيمٌ ﴾ .
عظيم : قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ [الحجر: ٨٧] .
مبارك : قال تعالى : ﴿ وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ ﴾ [الأنبياء: ٥٠] .
عزيز : قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴾
[فُصِّلَتْ: ٤١] .

حكيم : قال تعالى : ﴿ يَسَّ ۝ وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ ﴾ [يس: ١-٢] .



س : ما المراد بالكتاب المكنون هنا ؟

ج : هو الكتاب المحفوظ عند الله في السماء .



س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴾ !

ج : المعنى - والله تعالى أعلم - : أن هذا القرآن الكريم معظم في كتاب معظم محفوظ موقر .



س : ما وجه الإخبار بقوله تعالى : ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ ؟

ج : ذهب بعض أهل العلم إلى أن فائدة ذلك نفي ما يزعمه المبطلون من أهل الشرك وغيرهم إذ قد زعموا أن الشياطين تنزلت به على رسول الله ﷺ فأخبرهم الله عز وجل أنها لا تقدر على ذلك ولا تستطيعه كما قال : ﴿ وَمَا تَنْزَلُ بِهِ الشَّيَاطِينُ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ [٢١١-٢١٢] .
وكما قال أيضًا : ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ .

وكما قال كذلك : ﴿ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴾ [الجن: ٢٧] أي ملائكة يحفظونه من الشياطين ومن غيرهم .

وكما قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۝ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِن خَلْفِهِ ۚ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤١-٤٢] .



س : اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى : ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ .

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال :

أولها ما ذهب إليه بعض أهل العلم من أن معنى ذلك أن هذا القرآن الكريم محفوظ في كتاب معظم موقر لا تناله أيدي البشر، ولا يعث به العابثون من الشياطين بل الذين يمسونه هم المطهرون من الذنوب وهم الملائكة .

وإلى مثل هذا القول جنح الطبري في تفسيره ، لكنه ذهب إلى أن ﴿الْمُطَهَّرُونَ﴾ لا يقتضون على الملائكة بل كل مطهرٍ من الذنوب ، فقال رحمه الله :
والصواب من القول في ذلك عندنا ، أن الله - جلّ ثناؤه - أخبر أنه لا يمس الكتاب المكنون إلا المطهرون فعمّ بخبره المطهرين ، ولم يخص بعضاً دون بعض ؛ فالملائكة من المطهرين ، والرسل والأنبياء من المطهرين وكل من كان مطهراً من الذنوب ، فهو ممن استثنى ، وعُني بقوله : ﴿إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ .
وأورد بإسنادٍ يصح عن قتادة ^(١) قال : ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ ذاكم عند رب العالمين ، فأما عندكم فيمسه المشرك النجس والمنافق الرجس .
هذا وما يُلفت النظر إليه أن الطبري - رحمه الله تعالى - لم يورد في ﴿الْمُطَهَّرُونَ﴾ إلا المطهرون من الذنوب ، ولم يذكر الطبري - رحمه الله تعالى - المطهرون من الحدث الأكبر أو الأصغر .

قلت (مصطفى) : وما يتأيد به القول القائل بأن ﴿الْمُطَهَّرُونَ﴾ هم الملائكة ، قوله تعالى : ﴿ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ^(١٣) مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ^(١٤) يَأْتِي سَفَرَهُ ^(١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴾ [عبس: ١٣ - ١٦] .
والسفرة هم الملائكة . والله أعلم . وقد أخرج الدارقطني ^(٢) من طريق عبد الرحمن بن يزيد قال : كنا مع سلمان فخرج فقضى حاجته ثم جاء فقلت : يا أبا عبد الله لو توضأت لعلنا أن نسألك عن آيات ، فقال : إني لست أمسه إنما لا يمسه إلا المطهرون فقرأ علينا ما يشاء . وفي رواية : فقرأ علينا قبل أن يتوضأ . وفي الثالثة : أنه قرأ بعد الحدث . وورد بإسناد حسن عن سعيد بن جبیر قال : الملائكة الذين في السماء ^(٣) . وورد عن أنس - رضي الله عنه - أنه قال : المطهرون الملائكة ^(٤) . وقد صح عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أنه كان لا يمسّ المصحف إلا وهو طاهر ^(٥) .

(١) الطبري عند تفسير الآية المذكورة .

(٢) الدارقطني في «السنن» (١ / ١٢٣ ، ١٢٤) .

(٣) الطبري (١١ / ٦٦٠) .

(٤) عزاه ابن القيم في «بدائع الفوائد» إلى سعيد بن منصور في «سننه» .

(٥) ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢ / ٣٦١) .

قال الإمام مالك في «الموطأ» ^(١):

أحسن ما سمعت في هذه الآية ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ إنما هي بمنزلة هذه الآية التي في (عبس وتولى)، قول الله تبارك وتعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَذِكْرٌ﴾ ^(١١) ﴿فَن شَاءَ ذِكْرُهُ﴾ ^(١٢) في صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ ^(١٣) مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ^(١٤) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ^(١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ ^(١٦) [عبس: ١١-١٦].

هذا وقد انتصر ابن القيم - رحمه الله تعالى - لهذا القول القائل بأن المطهرون هم الملائكة من عدة وجوه.

فقال - رحمه الله تعالى - في «التفسير القيم»:

قول الله تعالى - جلَّ ذكره -: (٧٩ : ٥٦) ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾.

والصحيح في الآية : أن المراد به : الصحف التي بأيدي الملائكة لوجوه عديدة : منها : أنه وصفه بأنه مكنون ، والمكنون المستور عن العيون ، وهذا إنما هو في الصحف التي بأيدي الملائكة.

ومنها : أنه قال : ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ وهم الملائكة ، ولو أراد المؤمنين المتوضئين لقال : لا يمسه إلا المتطهرون ، كما قال تعالى (٢٥١ : ٢) ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] فالملائكة مطهرون ، والمؤمنون المتوضئون متطهرون .

ومنها : أن هذا إخبار ، ولو كان نهيًا لقال : لا يمسه ، بالجزم . والأصل في الخبر ، أن يكون خبرًا صورة ومعنى .

ومنها : أن هذا ردٌّ على من قال : إن الشيطان جاء بهذا القرآن ، فأخبر تعالى : أنه في كتاب مكنون لا تناله الشياطين ، ولا وصول لها إليه ، كما قال تعالى في آية (الشعراء) (٢١٠-٢١٢) : ﴿وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾ ^(١) ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ^(٢) إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ^(٣) وإنما تناله الأرواح المطهرة ، وهم الملائكة.

ومنها : أن هذا نظير الآية التي في سورة (عبس) (٨٠ : ١٢ - ١٦) ﴿فَن شَاءَ ذِكْرُهُ﴾ ^(١٢) في صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ ^(١٣) مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ^(١٤) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ^(١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ ^(١٦) قال مالك في «موطئه» : أحسن ما سمعت في تفسير قوله : ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ أنها مثل هذه

الآية في سورة (عبس).

ومنها : أن الآية مكية ، وفي سورة مكية ، تتضمن تقرير التوحيد ، والنبوة والمعاد، وإثبات الصانع ، والرد على الكفار ، وهذا المعنى أليق بالمقصود من فرع عملي ، وهو حكم مَسَّ المحدث المصحف.

ومنها : أنه لو أريد به الكتاب الذي بأيدي الناس لم يكن في الإقسام على ذلك - بهذا القسم العظيم - كثير فائدة ، ومن المعلوم أن كل كلام فهو قابل لأن يكون في كتاب ، حقاً أو باطلاً ، بخلاف ما إذا وقع القسم على أنه في كتاب مصون مستور عن العيون عند الله ، لا يصل إليه شيطان ، ولا ينال منه ، ولا يمسه إلا الأرواح الطاهرة الزكية .
فهذا المعنى أليق وأجل وأخلق بالآية بلا شك.

فسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - يقول : لكن تدل الآية وإشارتها على أنه لا يمس المصحف إلا طاهر . لأنه إذا كانت تلك الصحف لا يمسه إلا المطهرون ، لكرامتها على الله . فهذه الصحف أولى أن لا يمسه إلا طاهر .

القول الثاني: ما ذهب إليه آخرون من أهل العلم من أن قوله تعالى : ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ المراد به ها هنا المصحف الذي بين أيدينا ، والمطهرون هم المطهرون من الجنابة والحدث .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله :

وقال آخرون : ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ أي : من الجنابة والحدث . قالوا : ولفظ الآية خبر ومعناها الطلب . قالوا : والمراد بالقرآن ها هنا المصحف ، كما روى مسلم ، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو ، مخافة أن يناله العدو ؛ واحتجوا في ذلك بما رواه الإمام مالك في «موطئه» ، عن عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، أن في الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ لعمر بن حزم ؛ أن : «لا يمس القرآن إلا طاهر» . وروى أبو داود في المراسيل ، من حديث الزهري ؛ قال : قرأت في صحيفة عند أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ؛ أن رسول الله ﷺ ، قال : « لا يمس القرآن إلا طاهر» . وهذه وجادة جيدة . قد قرأها الزهري وغيره ، ومثل هذا ينبغي الأخذ به . وقد أسنده الدارقطني عن عمرو بن حزم ، وعبدالله بن

عمر ، وعثمان بن أبي العاص ، وفي إسناد كلٍّ منها نظر ، والله أعلم .
قلت (مصطفى) : وكل هذه الأخبار - التي مفادها : (لا يمس القرآن إلا طاهر)
- لا تخلو من مقالٍ في أسانيدِها . والصواب في هذه الصحيفة التي ذكرها الحافظ ابن
كثير - رحمه الله - أنها رسالة .

القول الثالث : ما ذهب إليه بعض أهل العلم : من أن المراد بالمطهرين : المطهرون
من الشرك ، وهم المؤمنون فيكون المعنى لا يمس هذا القرآن إلا مسلم ، وأما الكافر
واليهودي والنصراني فلا يمسونه . واعتل القائلون بهذا القول بأن النبي ﷺ نهى أن
يسافر بالمصحف إلى أرض الكفار مخافة أن يناله العدو .

القول الرابع : قول من قال : لا يجد طعم هذا القرآن ولا يتذوق حلاوته ولا
يفهم ما فيه إلا المطهرون ، وهم المؤمنون به المصدقون له .



س : هل يجوز مَسَّ المصحف على غير وضوء ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال :

أحدها : المنع من ذلك ، وحجة القائلين به أمران أولهما : الآية الكريمة ، وهي
قوله تعالى : ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ على تفسير للمطهرين بأنهم المطهرون من
الأحداث ، وقد تقدم ما فيه . وثانيهما : حديث : « لا يمس القرآن إلا طاهر » وقد تقدم
بيان ضعفه ، ثم أيضًا أنه مُوجه ، فقد قيل في تأويله لا يمس القرآن إلا مؤمن . هذا ،
ومع ضعف الاستدلالات التي استدلو بها إلا أن هذا الرأي عليه أكثر العلماء ، فقد
ذهب إليه أصحاب المذاهب الأربعة .

قال النووي في «المجموع»^(١) : ومذهبنا تحريمها ، وبه قال أبو حنيفة ومالك
وأحمد وجمهور العلماء ، وعن الحكم وحماد وداود يجوز مسه وحمله ، واحتج أصحابنا
بقول الله تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ .

وقال ابن عبد البر^(٢) في «الاستذكار» : وأجمع فقهاء الأمصار الذين تدور

(١) «المجموع» للنووي (٢ / ٧٢) .

(٢) «الاستذكار» (٨ / ١٠) .

عليهم الفتوى وعلى أصحابهم بأن المصحف لا يمسه إلا الطاهر ، وهو قول مالك والشافعي وأبي حنيفة وأصحابهم والثوري والأوزاعي وأحمد بن حنبل وإسحاق ابن راهويه وأبي ثور وأبي عبيد ، وهؤلاء أئمة الرأي والحديث في أعصارهم .

القول الثاني: جواز مسّ المصحف للمحدث، وحجة القائلين به البراءة الأصلية، أي: أنه لم يرد عندهم خبرٌ صحيح ينهى عن ذلك.

وأجابوا عن الآية الكريمة: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ بأنه ليس المراد بها المصحف إنما الكتاب المكنون، وأجابوا عن حديث: «لا يمس القرآن إلا طاهر» بأنه ضعيف الأسانيد ، وفي حال صحته فالطاهر - عندهم - المؤمن .

ومن الذين ذهبوا إلى جواز ^(١) مسّ المصحف على غير طهارة فمنهم ابن حزم - رحمه الله تعالى - فقد قال في «المحلى»:

وقراءة القرآن والسجود فيه ومسّ المصحف وذكر الله تعالى جائز كل ذلك بوضوء ، وغير وضوء للجنب والحائض فإنها أفعال خير مندوبٌ إليها مأجورٌ فاعلها فمن ادعى المنع فيها في بعض الأحوال كُلِّفَ أن يأتي بالبرهان . وقال أيضًا ^(٢) : وأما مسّ المصحف فإن الآثار التي احتج بها من لم يُجْزَ للجنب مسه فإنه لا يصح منها شيء؛ لأنها إما مرسلة ، وإما صحيفة لا سند، وإما عن مجهول، وإما عن ضعيف .

القول الثالث: قول من قال يمسه بحائل ، والله تعالى أعلم .



س : وضح معنى قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ؟

ج : المعنى - والله تعالى أعلم - : أن هذا القرآن تنزيلٌ من رب العالمين، نزله من الكتاب المكنون المحفوظ عنده أي: أن القرآن من ذلك الكتاب المكنون .
أشار إلى هذا المعنى الطبري - رحمه الله تعالى - .

ولمزيد انظر «بدائع الصنائع» (١ / ٣٣) و«المدونة» (١ / ١٠٧) و«المغني» لابن قدامة (١ / ٣٠٢) و«مجموع الفتاوى» (٢١ / ٢٦٦).

(١) «المحلى» (١ / ٧٧).

(٢) «المحلى» (١ / ٨١).

وقال آخرون من أهل العلم : إن المعنى أن هذا القرآن منزلٌ من عند الله ، لا من الشياطين.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : وقوله : ﴿ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ أي : هذا القرآن منزل من رب العالمين ، وليس هو كما يقولون : إنه سحر ، أو كهانة ، أو شعر ، بل هو الحق الذي لا مِرْيَةَ فيه ، وليس وراءه حق نافع.



س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُذْهِبُونَ ﴾ !

ج : المعنى - والله أعلم - يحتمل أمرين :

أولهما : أن يكون الخطاب للمسلمين ، فيكون المعنى : أتداهنون - أيها المسلمون - أهل الكفر بهذا القرآن الذي أنزل على نبيكم ﷺ .

أي : أثليتون الخطاب مع أهل الكفر وأهل التكذيب بهذا القرآن ، مما لاءً منكم للكفار على التكذيب بهذا القرآن والكفر به .

الثاني : أن يكون الخطاب للكفار ، فيكون المعنى : أفبهذا الحديث أيها الكفار أنتم مكذبون ؟! أي : هل أنتم يا أهل الكفر مكذبون بهذا القرآن ؟.

قال السعدي رحمه الله :

﴿ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُذْهِبُونَ ﴾ أي : أفبهذا الكتاب العظيم ، والذكر الحكيم ﴿ أَنْتُمْ مُذْهِبُونَ ﴾ أي : تختفون ، وتدلون خوفاً من الخلق وعارهم ، وألستهم ؟ هذا لا ينبغي ولا يليق ، إنما يليق أن يداهن بالحديث الذي لا يثق صاحبه منه . وأما القرآن الكريم ، فهو الحق الذي لا يغالب به مغالب ، إلا غلب ، ولا يصول به صائل ، إلا كان العالي على غيره . وهو الذي لا يداهن به ويختفي ، بل يصدع به ويعلن .



س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ ﴾ !

ج : هذه أيضاً تحتمل أمرين :

أحدهما : أن هذا الخطاب موجّه للكفار فيكون المعنى وتجعلون حظكم من هذا

القرآن هو التكذيب به.

الثاني: أن يكون موجّهاً للمسلمين ، ففريق منهم جعل شكره عند نزول المطر مُطرنا بنوء كذا ونوء كذا، فأمرُوا أن يقولوا مُطرنا بفضل الله وبرحمته.

فقد ورد في الصحيح: «أصبح من عبادي...»، وحديث: «أصبح من الناس شاكر وكافر...» (مسلم ٦٠/٢) سبب نزول: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾.

قال السعدي رحمه الله : وقوله: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ أي : تجعلوا مقابلة مَنّ الله عليكم بالرزق والتكذيب والكفر لنعمة الله ، فتقولون : مطرنا بنوء كذا وكذا ، وتضيفون النعمة لغير مسديها وموليها . فهلا شكرتم الله على إحسانه ، إذ أنزله إليكم ، ليزيدكم من فضله . فإن التكذيب والكفر ، داع لرفع النعم ، وحلول النقم.



س : العبد إذا أنعم الله عليه بنعمة، عليه أن يقدم لها شكراً، خلافاً لأهل الباطل . وضح ذلك بأدلته!

ج : نعم على العبد أن يؤدّي شكراً لنعم الله عليه قال تعالى : ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم:٧] ولا يكون كأهل الغفلة وأهل الباطل الذين يجعلون شكرهم لله تكديباً به وإنكاراً لفضله وجحوداً لمعرفه. قال تعالى في شأن أقوام : ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكَذِّبُونَ﴾.



س : هل صح لقوله تعالى : ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ سبب نزول ؟

ج : نعم قد صح لها سبب نزول ، وهو ما أخرجه مسلم (١) من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : مُطر الناس على عهد النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: «أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر ، قالوا هذه رحمة الله، وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا » فنزلت هذه الآية: ﴿فَلا أَقْسَمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ..﴾ حتى بلغ ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكَذِّبُونَ﴾.

س : ما التي بلغت الحلقوم ؟

ج : تلك هي النفوس عند خروجها من الأجساد كقوله تعالى : ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ
الْأَرْأَقَ﴾ [القيامة: ٢٦].



س : وضح المراد بقوله تعالى : ﴿وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ﴾ ؟

ج : المراد - والله أعلم :- وأنتم يا من حضرتم الميّت وشهدتموه وهو يحتضر (وهو في طريقه إلى الموت) تنظرون إليه لا تستطيعون دفع الموت عنه، لا تستطيعون إرجاع نفسه إليه.



س : وضح المراد بقوله تعالى : ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ !

ج : قال كثيرون من أهل العلم (من أهل التفسير) : المعنى : وملائكتنا أقرب إلى المحتضر منكم يا من تجالسونه ولكنكم لا تبصرونهم .
قال الطبري رحمه الله :

ورسلنا الذين يقبضون روح المحتضر أقرب إليه منكم ولكنكم لا تبصرونهم .
قلت (مصطفى) : وهذه الآية كقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْنَاهُ مَأْوِسًا
بِهِ نَفْسُهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]. قال عدد من العلماء : أي من حبل
الوريد.

قلت (مصطفى) : ويوضح معنى الآية الكريمة أيضًا حديث البراء بن عازب - رضي الله عنهما -^(١) عند أحمد وغيره فقيه : « أن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت - عليه السلام - حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان قال فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء،

فَيَأْخُذْهَا فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ». وَيُوضِّحُهُ أَيْضًا قَوْلُهُ ﷺ: «إِذَا حَضَرَ تَمِيتٌ - أَوِ الْمَرِيضُ - فَقُولُوا خَيْرًا فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤْمِنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ» ^(١).



س : وَضَحَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ (٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿!﴾

ج : الْمَعْنَى - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - فَهَلَا يَا مَنْ تَنْكُرُونَ الْبَعْثَ وَتَقُولُونَ لَنْ نُبْعَثَ وَلَنْ نُحَاسَبَ وَلَنْ نُجَازَى، صَادِقِينَ فِي قَوْلِكُمْ هَذَا الَّذِي قَلْتُمُوهُ فَاْمْنَعُوا النُّفُوسَ مِنَ الْخُرُوجِ مِنَ الْأَجْسَادِ ، وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا ذَلِكَ ، فَدَلَّ عَدَمَ اسْتَطَاعَتِكُمْ عَلَى كَذِبِكُمْ فِي مَقُولَتِكُمْ.

أَخْرَجَ الطَّبْرِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ ابْنِ زَيْدٍ قَالَ : تَرْجِعُونَهَا قَالَ : لَتِلْكَ النُّفُوسُ ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

قَالَ الطَّبْرِيُّ :

وَقَوْلُهُ : ﴿تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ يَقُولُ : تَرُدُّونَ تِلْكَ النُّفُوسَ مِنْ بَعْدِ مُصِيرِهَا إِلَى الْخَلَائِقِ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا مِنَ الْأَجْسَادِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، إِنْ كُنْتُمْ تَمْتَنِعُونَ مِنَ الْمَوْتِ وَالْحِسَابِ وَالْمَجَازَةِ ، وَجَوَابُ قَوْلِهِ : ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ﴾ ، وَجَوَابُ قَوْلِهِ : ﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ جَوَابُ وَاحِدٍ وَهُوَ قَوْلُهُ : ﴿تَرْجِعُونَهَا﴾ وَذَلِكَ نَحْوُ قَوْلِهِ : ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة: ٣٨] جَعَلَ جَوَابَ الْجُزْأَيْنِ جَوَابًا وَاحِدًا.



س : مِنَ الْمُرَادِ بِالْمُقَرَّبِينَ ؟

ج : هُمُ السَّابِقُونَ بِالْخَيْرَاتِ ، الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي مَطْلَعِ هَذِهِ السُّورَةِ الْمُبَارَكَةِ الْكَرِيمَةِ إِذْ قَالَ : ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ (١٠) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿.

وقال الطبري رحمه الله :

هم الذين قَرَّبهم الله من جواره في جناته .

قلت (مصطفى) : وهذا القول ليس ببعيد ، وذلك لأن الفردوس وهو أعلى درجات الجنة فوقه عرش الرحمن كما قد جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ .

وقال ابن كثير رحمه الله :

﴿ مِنْ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ وهم : الذين فعلوا الواجبات والمستحبات ، وتركوا المحرمات والمكروهات وبعض المباحات ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴾ أي : فلهم روح وريحان ، وتبشرهم الملائكة بذلك عند الموت . كما تقدم في حديث البراء أن ملائكة الرحمة تقول : أيتها الروح الطيبة في الجسد الطيب كنت تعمريه ، اخرجي إلى روح وريحان ورب غير غضبان .



س : اذكر بمزيد من الإيضاح المراد بقوله تعالى : ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ ﴾ ؟

ج : المراد - والله أعلم - : أن هذا السابق بالخيرات - الذي هو المقرب - له روحٌ وريحان أما عن الروح والريحان فقد تقدم بعض الكلام عليهما بما حاصله أن من العلماء من قال :

الروح والريحان : الراحة واستراحة أي : أن المؤمن يكون فيما هو مقبلٌ عليه في راحة وكذا فقد استراح من تعب الدنيا ونَصَبها .

وقيل أيضًا : فروح وريحان أي : أن المؤمن يكون في (روح) أي : في مغفرةٍ ورحمة (وريحان) أي رزق واسع .

وقيل أيضًا : إنه يكون في (روح) أي فرح وسعادة (وريحان) أي رزق واسع .

وقيل كذلك : إن المؤمن يكون عند موته في فرح ومغفرةٍ ورحمةٍ تخرج روحه في ريحانةٍ أي : في رائحة طيبة كرائحة الريحان (مع الفارق بين ريحان الدنيا وريحان الآخرة) .

ويشهد لهذا المعنى ما ورد في حديث البراء بن عازب - رضي الله عنهما - أن

رسول الله ﷺ قال: «إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مدَّ البصر ثم يجيء ملك الموت - عليه السلام - حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فيء السقاء فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عَيْنٍ حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض قال: فيصعدون بها فلا يَمْرُونَ - يعني بها - على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذا الروح الطيب».

وصحَّ عن الحسن عن الطبري أنه قال: تخرج روحه في ريحانة.
وقال الطبري رحمه الله: وأولى الأقوال قول من قال: عُني بالروح...

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى -:

وكل هذه الأقوال صحيحة ، فإن من مات مقرباً حصل له جميع ذلك من الرحمة والراحة والاستراحة ، والفرح والسرور ، والرزق الحسن ﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ . وقال أبو العالية : لا يفارق أحد من المقربين حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيقبض روحه فيه .



س : لماذا قيل عن الجنة إنها جنة نعيم ، مع العلم بأن الجنة يتنعم بها ؟
ج : قال بعض أهل العلم ، لما كانت الجنة في الدنيا قد يتنعم بها ، وقد يؤخذ ثمرها للتجار به ، وذلك بخلاف الجنة في الآخرة فإنها للنعيم دون غيره فمن ثم وصفت جنة الآخرة بأنها جنة نعيم .



س : وضَّح المراد بقوله تعالى : ﴿فَسَلِّمْ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ !

ج : ذلك - والله أعلم - يحتمل أموراً :
أحدها : فسلام لك يا من جعلت من أصحاب اليمين . أمانٌ لك ، ودعائي لك .

الثاني : فسلامٌ واصل إليك أيضًا من أصحاب اليمين الذين هم معك في الجنة ، وهم أيضًا الملائكة الذين أخذوك يمينك لسوقك إلى الجنة .

قال القرطبي رحمه الله :

﴿ فَسَلِّمْ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ أي : لست ترى منهم إلا ما تحب من السلامة فلا تهتم لهم ، فإنهم يسلمون من عذاب الله . وقيل : المعنى سلام لك منهم ، أي أنت سالم من الاغتمام لهم . والمعنى واحد . وقيل : أي : إن أصحاب اليمين يدعون لك يا محمد بأن يصلي الله عليك ويسلم . وقيل : المعنى إنهم يسلمون عليك يا محمد . وقيل : معناه سلمت أيها العبد مما تكره فإنك من أصحاب اليمين ، فحذف إنك . وقيل : إنه يحيا بالسلام إكرامًا ، فعلى هذا في محل السلام ثلاثة أقاويل : أحدها عند قبض روحه في الدنيا يسلم عليه ملك الموت ، قاله الضحاك . وقال ابن مسعود : إذا جاء ملك الموت ليقبض روح المؤمن قال : ربك يقرئك السلام . وقد مضى هذا في سورة « النحل » عند قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ نُوفِّهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ ﴾ [النحل : ٣٢] . الثاني : عند مساءلته في القبر يسلم عليه منكر ونكير . الثالث : عند بعثه في القيامة تسلم عليه الملائكة قبل وصوله إليها .

قلت : وقد يحتمل أن تسلم عليه في المواطن الثلاثة ويكون ذلك إكرامًا بعد إكرام . والله أعلم .

وقال ابن كثير رحمه الله :

﴿ فَسَلِّمْ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ أي : تبشرهم الملائكة بذلك تقول لأحدهم : سلام لك . أي : لا بأس عليك أنت إلى سلامة ، أنت من أصحاب اليمين .
الثالث : فمسلمٌ لك أنك من أصحاب اليمين .

الرابع : فسلام لك إنك من أصحاب اليمين أي : فَسَلِّمْتَ من عذاب الله وسلمت مما تكره فإنك من أصحاب اليمين .



س : وضح المراد بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴾ !

ج : المعنى - والله أعلم - : أن هذا الذي أخبرتك به وعموم ما ذكر في هذه

السورة الكريمة ومن الإخبار عن مصير المقرين وأصحاب اليمين والمكذبين الضالين ، هذا هو الحق الذي لا مرية فيه ولا اختلاف فيه ولا شك ولا ارتياب .

قال الطبري رحمه الله :

يقول تعالى ذكره : إن هذا الذي أخبرتكم به أيها الناس من الخبر عن المقرين وأصحاب اليمين ، وعن المكذبين الضالين ، وما إليه صائرة أمورهم ﴿هُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ يقول هو الحق من الخبر اليقين لا شك فيه .

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قوله : إن الله تعالى ليس تاركاً أحداً من خلقه حتى يوقفه على اليقين من هذا القرآن ، فأما المؤمن فأيقن في الدنيا فنفعه ذلك يوم القيامة ، وأما الكافر فأيقن يوم القيامة حين لا ينفعه .



س : الحق هو اليقين ، فكيف قيل إن هذا هو حق اليقين ؟

ج : قال بعض العلماء ذلك لمزيد من التأكيد .

وقال غيرهم : اليقين وصف للحق كقوله تعالى : ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ [يوسف: ١٠٩] ، كقوله : ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾ [الأعراف: ١٦٩] .

قال القرطبي رحمه الله تعالى :

واختلف أهل العربية في وجه إضافة الحق إلى اليقين ، فقال بعض نحويي البصرة : قال : حق اليقين فأضاف الحق إلى اليقين كما قال : ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقِيمَةِ﴾ [البينة: ٥] أي ذلك دين الملة القيمة وذلك حق الأمر اليقين .

ثم قال : وقال بعض أهل الكوفة : اليقين نعتٌ للحق ، كأنه قال الحق اليقين والدين القيم ، فقد جاء مثله في كثير من الكلام والقرآن ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾ والدار الآخرة ، قال فإذا أضيف توهم به غير الأول .

قال القرطبي رحمه الله :

﴿إِنَّ هَذَا هُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ أي : هذا الذي قصصناه محض اليقين وخالصة . وجاز إضافة الحق إلى اليقين وهما واحد لاختلاف لفظهما . قال المبرّد : هو كقولك : عين اليقين ومحض اليقين ، فهو من باب إضافة الشيء إلى نفسه عند الكوفيين . وعند

البصريين حق الأمر اليقين أو الخبر اليقين . وقيل : هو توكيد . وقيل : أصل اليقين أن يكون نعتاً للحق فأضيف المنعوت إلى النعت على الاتساع والمجاز ، كقوله : ﴿وَلَدَّارُ الْأَخْرِقِ﴾ [يوسف : ١٠٩] وقال قتادة في هذه الآية : إن الله ليس بتاركٍ أحداً من الناس حتى يقفه على اليقين من هذا القرآن ، فأما المؤمن فأيقن في الدنيا فنفعه ذلك يوم القيامة ، وأما الكافر فأيقن يوم القيامة حين لا ينفعه اليقين .



س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ !

ج : المعنى - والله أعلم - : نزه الله عز وجل عما وصفه به الواصفون المشركون ، وتنزيهه يكون بأن تسميه بأسمائه الحسنى التي وصف بها نفسه والتي فيها اسم الله العظيم ، والله أعلم .

قال الشنقيطي رحمه الله : وقوله : ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ التسبيح : أصله الإبعاد عن السوء ، وتسبيح الله وتنزيهه عن كل ما لا يليق بكماله وجلاله ، وذلك التنزيه واجب له في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، والظاهر أن الباء في قوله ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ داخله على المفعول ، وقد قدمنا في سورة (مريم) في الكلام على قوله تعالى : ﴿وَهَزَى إِلَيْكَ جِذْعَ النَّخْلَةِ﴾ [مريم : ٢٥] أدلة كثيرة من القرآن وغيره على دخول الباء على المفعول الذي يتعدى إليه الفعل بنفسه ، كقوله : ﴿وَهَزَى إِلَيْكَ جِذْعَ النَّخْلَةِ﴾ والمعنى : وهزي جذع النخلة . وقوله : ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَامِ﴾ [الحج : ٢٥] أي : إلحاداً إلى آخر ما قدمنا من الأدلة الكثيرة ، وعليه ، فالمعنى : سبح اسم ربك العظيم كما يوضحه قوله في (الأعلى) : ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ .

وقال القرطبي : الاسم هنا بمعنى المسمى ، أي سبح ربك ، وإطلاق الاسم بمعنى المسمى معروف في كلام العرب ، ومنه قول لبيد :

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن ييك حولاً كاملاً فقد اعتذر

ولا يلزم في نظري أن الاسم بمعنى المسمى هنا لإمكان كون المراد نفس الاسم ، لأن أسماء الله ألحد فيها قوم ونزَّهها آخرون عن كل ما لا يليق ، ووصفها الله بأنها بالغة غاية الحسن ، وفي ذلك أكمل تنزيه لها لأنها مشتملة على صفاته الكريمة ، وذلك في

قوله : ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقوله تعالى : ﴿أَيُّ مَا تَدْعُونَ فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠].



س : هل صح أن النبي ﷺ لما نزلت ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ قال : «اجعلوها في ركوعكم»؟

ج : نعم ثبت ذلك عن رسول الله ﷺ فيما أخرجه أبو داود ^(١) وغيره من حديث عقبة بن عامر - رضي الله عنه -.



(١) أبو داود (١ / ٥٤٢)، وأحمد (٤ / ١٥٥)، وابن ماجه (١ / ٢٢٥) وغيرهم.

سورة الحديد

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١) لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي
 وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢) هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ
 (٣) هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي
 الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
 بَصِيرٌ (٤) لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٥) يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ
 النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٦) ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَانْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ
 مُتَسَخِّفِينَ فِيهِ ءَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنفَقُوا هُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (٧) وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ
 يَدْعُوكُمْ لَتُؤْمِنُوا بِلِقَائِهِ وَقَدْ آخَذَ مِيثَاقُكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٨) هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ ءَايَاتٍ
 بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (٩) وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي
 سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَن أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلِ أَوْلِيَاكِ
 أَعْظَمَ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدِ وَفَتَلُوا أَبَدًا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ
 (١٠) مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ ءَوَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١١) يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ
 وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ تُشْرَبُونَ يَوْمَ جَنَّتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
 فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) يَوْمَ يَقُولُ الْمُسْتَغْفِرُونَ وَالْمُتَنَفِّقُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِ
 مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن
 قَبْلِ الْعَذَابِ (١٣) يَنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ
 وَغَرَّكُمْ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ (١٤) فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ
 الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿[الحديد: ١-١٥].

س: اذكر معنى ما يلي:

(سَبَّحَ لِلَّهِ - وَالظَّاهِرُ - وَالْبَاطِنُ - عَلِيمٌ - ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ - يَلِجُ - يَعْرُجُ - يُولِجُ - يَذَاتِ الصُّدُورِ - مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ - أَجْرٌ كَبِيرٌ - لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ - آيَاتٍ - يَتَذَكَّرُ - الظُّلُمَاتِ - النُّورِ - لَرَأَوْهُ - رَحِيمٌ - الْحُسْنَى - يُفَرِّضُ اللَّهُ - قَرْضًا حَسَنًا - يَسْعَى نُورُهُمْ - بَيْنَ أَيْدِيهِمْ - وَيَأْتِيهِمْ - بُشْرَانِكُمْ - خَلِيدِينَ فِيهَا - أَنْظِرُونَا - نَقْلَيْسَ - بِسُورٍ - بَاطِنُهُ، فِيهِ الرَّحْمَةُ - وَظَاهِرُهُ، مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ - فَتَنَّا أَنْفُسَكُمْ - وَتَرَبَّصْنَا - وَأَرْبَتْنَا - وَغَرَّكُمُ الْأَمَانُ - أَمْرُ اللَّهِ - وَغَرَّكُمُ بِاللَّهِ الْغَرُورُ - فِدْيَةٌ - مَاؤُنْكُمْ - هِيَ مَوْلَانَكُمْ - وَيَسَّ الْمَصِيرُ).

ج:

الكلمة	معناها
﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾	نزه الله عن السوء - شهد الله بالوحدانية - مجد الله - صلى الله.
﴿وَالظَّاهِرُ﴾	المطلع على كل شيء - ليس فوقه شيء .
﴿وَالْبَاطِنُ﴾	الذي لا يخفى عليه شيء - الذي ليس دونه شيء .
﴿عَلِيمٌ﴾	ذو علم .
﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾	ثم استوى على عرشه فارفع عليه وعلا .
﴿يَلِجُ﴾	يدخل .
﴿يَعْرُجُ﴾	يصعد .
﴿يُولِجُ﴾	يُدخل - يأخذ من طول هذا فيدخله في هذا - يأخذ ساعات من الليل فيدخلها في ساعات النهار ، ويأخذ ساعات من النهار فيدخلها في ساعات الليل .
﴿يَذَاتِ الصُّدُورِ﴾	الأمور المخفية في الصدور .
﴿مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾	خلفاء فيه من بعد غيركم .
﴿أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾	ثواب عظيم .
﴿لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾	لا تقرون بوحدانية الله .
﴿آيَاتٍ﴾	حُجج .

﴿يَبْتَئِنَ﴾	مفصلات - واضحات.
﴿الْظَلَمَتِ﴾	ظلمات الكفر والضلال.
﴿التَّورِ﴾	نور الهدى والإيمان.
﴿لَرَأَوْفٌ﴾	ذو رأفة.
﴿رَحِيمٌ﴾	ذو رحمة.
﴿الْحَسَنَى﴾	الجنة.
﴿يُقَرِّضُ اللَّهُ﴾	يتصدق ، وينفق في سبيل الله.
﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾	نفقة حلالاً طيبةً يبتغي بها وجه الله.
﴿يَسْعَى نُورُهُمْ﴾	يضيء نورهم - يمضي نورهم - يتقدمهم.
﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾	أمامهم.
﴿وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾	وبأيامانهم كتبهم ، وقد تناولوا كتبهم بأيديهم اليمنى.
﴿بُشِّرْنَكُمْ﴾	بشارتكم التي تبشرون بها اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار، فأبشروا بها.
﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾	ماكثين فيها ، أي: في الجنات لا يتحولون عنها ولا يرغبون في التحول عنها.
﴿انظُرُونَا﴾	انتظرونا وقيل أمهلونا.
﴿نَفْسٍ﴾	نستضيء بنوركم ، والقبس الشعلة.
﴿بِسُورِ﴾	حاجز بين أهل الجنة وأهل النار (كما في الآية الكريمة وبينهما حجاب).
﴿الرَّحْمَةِ﴾	الجنة وما فيها.
﴿وَوَظْهَرُهُ﴾	ظاهره من ناحية النار.
﴿فَلَنَنفَسِكُنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾	صرفتموها عن الحق إلى الباطل. وعن الإيمان إلى الكفر - فنتنم أنفسكم باللذات والمعاصي فصرفتموها بذلك عن طاعة الله.
﴿وَتَرْصَقُنَّ﴾	تلبشم بالإيمان - انتظرتن حلول المصائب بأهل الإيمان - أخرتم التوبة من وقت إلى وقت.

﴿وَأَرْبَبْتُمْ﴾	شككتكم في توحيد الله عزَّ وجلَّ وفي نبوة رسول الله ﷺ وشككتكم في البعث بعد الموت.
﴿وَعَرَّيْتُكُمْ الْأَمَانِي﴾	خدعتكم أمانى نفوسكم فصدتكم عن سبيل الله وأضلتكم - قلتم سيغفر لنا - غرتكم الدنيا.
﴿أَمْرُ اللَّهِ﴾	قضاء الله (بموتكم) - الموت.
﴿وَعَرَّيْتُكُمْ بِاللَّهِ الْفُرُورُ﴾	خدعتكم بالله الشيطان.
﴿فِدْيَةٍ﴾	عوضٌ وبدلٌ .
﴿مَاؤْنِكُمْ﴾	مساكنكم ومسكنكم الذي تسكنون فيه.
﴿هِيَ مَوْلَاكُمْ﴾	هي أولى بكم.
﴿وَيَنْشَأَ الْمَصِيرُ﴾	بئس المكان الذي تصيرون إليه وهي النار.



س : اذكر باختصار ما تضمنته هذه السورة المباركة .

ج : افتتحت هذه السورة المباركة الكريمة بالإخبار عن تسبيح كل ما في السموات والأرض لله عزَّ وجلَّ ثم بيان ملك الله عزَّ وجلَّ للسموات والأرض وما بينهما وعلمه بما يجري فيها وتديره للأمر فيهما وبينهما ، ثم حث لأهل الإيمان وحضَّ لهم على مزيد من الإيمان بالله والإنفاق في سبيله ، وإقامة الدلائل على لزوم ذلك وبيان فضيلة السابق إلى ذلك وما أعد له من عظيم الأجر وجميل الثواب ، ثم بيان لبعض مشاهد القيامة ، عُقَّبَ بتذكير لأهل الإيمان كي يبادروا بالرجوع إلى ربهم لكي يصلحوا من شأن أنفسهم وقلوبهم ، وتنفيِّرُ لهم عن سلوك مسالك أهل الكتاب قُساة القلوب واتباع طرائقهم .

ولفتة إلى كتاب الله وما فيه من خير ، وأن الوحي يحیی الله به القلوب كما يحيي الأرض الهامدة بالماء ومزيدٌ من التذكير ثانية بالإنفاق وفضله والإيمان وفضله ، ثم بيان حال الحياة الدنيا وأنها زائلة وأن العاقبة للفقير ، وبيانُ جزاء المحسنين وعقوبة المعاندين . ثم تذكيرٌ بسابق علم الله عزَّ وجلَّ ، وأن الأمور مقدرة ومكتوبة . كل ذلك لحمل المرء على الإنفاق فإنفاقه لن يتسبب له في فقرٍ فالأمر قد قدرها الله عزَّ وجلَّ .

ثم تذكير بالأنبياء والكتب التي أنزلها الله عليهم والحق الذي جاءوا به، والعدل، وفضيلة من ناصرهم وآزرهم، فكما أن من أمهم من ناصرهم وعاونهم فكونوا أنتم يا أصحاب محمد ممن ناصر نبيه وعاونه ورفع راية لا إله إلا الله، وتذكير بعيسى عليه السلام ومن أرسل إليهم وكيف كانوا وما أحوالهم، وحثٌّ وحثٌّ لأهل الكتاب على الإيمان بالنبي محمد ﷺ وبيان ما أعد لهم من جميل الأجر إن هم اتبعوه وناصروه ووازره .

ثم ختامٌ للسورة ببيانٍ كريم مفاده أن الله عزَّ وجلَّ بيده الفضل العظيم يتفضل به على من يشاء ، فمن ثمَّ لا ينبغي لأهل الكتاب أن يحسدوا أهل الإسلام، ولا نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام، فالذي يتفضل بالنبوة والهداية هو الله عزَّ وجلَّ وكذا الذي يتفضل بمزيد من الأجر والثواب على من يشاء هو الله عزَّ وجلَّ فالأمر أمره والمملك ملكه.



س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ .

ج : المعنى - والله أعلم - أن الله عزَّ وجلَّ يخبر بأن كل ما في السموات والأرض من خلق الله من إنس وجن وملائكة وجمادات وغير ذلك يسبح لله ، كما قال تعالى : ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

وأما تسبيح أهل الإيمان: فتتزيه الله عزَّ وجلَّ من كل ما لا يليق به مما وصفه به الواصفون المشركون ، وكذا تسبيحهم تعظيماً له وإقراراً منهم له بالربوبية ، وإذعاناً منهم له بالطاعة .

أما أهل الكفر فأمر الله فيهم ماضٍ ، شاءوا ذلك أم رفضوه .

وكذا يمكن صياغة المعنى بأن يقال إن كلَّ ما في السموات والأرض أذعن لله بالطاعة ونفذ فيه أمر الله ، وأقرَّ لله بالربوبية والتعظيم .

قال الشنقيطي رحمه الله تعالى في «أضواء البيان»:

قد قدمنا مراراً أن التسبيح هو تنزيه الله عن كل ما لا يليق بكماله وجلاله ، وأصله في اللغة: الإبعاد عن السوء، من قولهم سبح. إذا صار بعيداً ، ومنه قيل للفرس: سابح ، لأنه إذا جرى يبعد بسرعة، ومن ذلك قول عنتره في معلقته:

إِذَا لَا أَرَاكَ عَلَى رَحَالَةٍ سَابِحٍ نَهَرٌ تُعَاوِرُهُ الْكُمَاةُ مُكَلَّمٍ

وقول عباس بن مرداس السلمي:

لَا يَغْرِسُونَ فَسِيلَ التَّخْلِ حَوْلَهُمْ وَلَا تُخَاوِرُ فِي مَشَاتِهِمُ الْبَقَر

إلا سوابج كالعقبان مقربة في دارة حولها الأخطار والفكر

وهذا الفعل هو سبح قد يتعدى بنفسه بدون اللام كقوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: ٩]، وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ، وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٦]، وقد يتعدى باللام كقوله هنا: سبح لله ، وعلى هذا فسبحه وسبح له لغتان كنصحه ونصح له . وشكره وشكر له ، وذكر بعضهم في الآية وجهًا آخر ، وهو أن المعنى: سبح ما في السموات والأرض ، أي: أحدث التسبيح لأجل الله أي ابتغاء وجهه تعالى . ذكره الزمخشري وأبو حيان ، وقيل: سبح لله أي: صلى له .

وقد قدمنا أن التسبيح يطلق على الصلاة ، وما تضمنته هذه الآية الكريمة من أن أهل السموات والأرض يسبحون لله ، أي: ينزهونه عما لا يليق ، بينه الله جلّ وعلا في آيات أخر من كتابه كقوله تعالى في سورة الحشر: ﴿سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ١] وقوله في الصف: ﴿سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الصف: ١] أيضًا ، وقوله في الجمعة: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَمَلِكُ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الجمعة: ١] ، وقوله في التغابن: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التغابن: ١].

وزاد في سورة بني إسرائيل أن السموات السبع والأرض يسبحن لله مع ما فيهما من الخلق، وأن تسبيح السموات ونحوها من الجهادات يعلمه الله ونحن لا نفقهه أي: لا نفهمه ، وذلك في قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا

يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا يَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴿٤٤﴾ [الإسراء: ٤٤] وهذه الآية الكريمة تدل دلالة واضحة على أن تسبيح الجمادات المذكور فيها وفي قوله تعالى : ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ ﴾ [الأنبياء: ٧٩] ونحو ذلك تسبيح حقيقي يعلمه الله ونحن لا نعلمه .

والآية الكريمة فيها الرد الصريح على من زعم من أهل العلم ، أن تسبيح الجمادات هو دلالة إيجادها على قدرة خالقها ، لأن دلالة الكائنات على عظمة خالقها يفهمها كل العقلاء ، كما صرح الله تعالى بذلك في قوله : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ - إِلَى قَوْلِهِ - لَا يَسْتَرْ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ١٦٤] وأمثال ذلك من الآيات كثيرة في القرآن .

وقد قدمنا إيضاح هذا في سورة الرعد في الكلام على قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظُلُمًا لَهُمُ الْغُدُو وَالْآصَالُ ﴾ [الرعد: ١٥] ، وفي سورة الكهف في الكلام على قوله تعالى : ﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ ﴾ الآية [الكهف: ٧٧] ، وفي سورة الأحزاب في الكلام على قوله تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا ﴾ وفي غير ذلك من المواضع .

وقد عبر تعالى هنا في أول الحديد بصيغة الماضي في قوله : ﴿ سَبِّحَ لِلَّهِ ﴾ ، وكذلك هو في الحشر، والصف، وعبر في الجمعة والتغابن، وغيرهما بقوله: يسبح، بصيغة المضارع . قال بعض أهل العلم : إنما عَبَّرَ بالماضي تارة وبالمضارع أخرى ليبين أن ذلك التسبيح لله ، هو شأن أهل السموات وأهل الأرض ، ودأبهم في الماضي والمستقبل ذكر معناه الزمخشري وأبو حيان .

وقوله : ﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ قد قدمنا معناه مرارًا وذكرنا أن العزيز ، هو الغالب الذي لا يغلبه شيء ، وأن العزة هي الغلبة، ومنه قوله : ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ ﴾ [المنافقون: ٨] وقوله : ﴿ وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴾ [ص: ٢٣] أي: غلبني في الخصام ، ومن أمثال العرب عَزَّ بَزٌّ ، يعنون من غلب استلب ، ومنه قول الخنساء :

كَأَنَّ لَمْ يَكُونُوا هِيَ يُخْشَى	إِذِ النَّاسُ إِذْ ذَاكَ مَنْ عَزَّ بَزًّا
-------------------------------------	--

والحكيم ، هو من يضع الأمور في مواضعها ، ويوقعها في مواقعها .

قال السعدي - رحمه الله :-

يخبر - تعالى - عن عظمته وجلاله ، وسعة سلطانه ، أن جميع ما في السموات والأرض ، من الحيوانات الناطقة وغيرها ، والجوامد ، تسبح بحمد ربها ، وتنزهه عما لا يليق بجلاله .

وأنها قانتة لربها ، منقادة لعزته ، قد ظهرت فيها آثار حكمته ، ولهذا قال : ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فهذا بيان عموم افتقار المخلوقات - العلوية والسفلية - لربها ، في جميع أحوالها ، وعموم عزته وقهره للأشياء كلها ، وعموم حكمته في خلقه وأمره .
ثم أخبر عن عموم ملكه فقال : ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ . أي : هو الخالق للمخلوقات ، الرازق المدبر لها ، بقدرته : ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ .



س : ما وجه ختام الآية بقوله : ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ؟

ج : وجه ذلك - والله أعلم - أن يقال إنه جلّ جلاله العزيز في انتقامه ممن عصاه فلا يُغلب على شيءٍ أراد به أمره نافذ في خلقه ، ومع أنه عزيز فهو أيضًا حكيم في تدبيره أمور الخلائق ، وتصريفه إياهم فيما شاء وأحب .



س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ؟

ج : المعنى - والله أعلم - أن السموات والأرض ملك لله يتصرف فيها كيف يشاء ويفعل فيها ما يريد ، فأمره نافذٌ فيها ، وفيمن فيهن وبينهن .
وكذا له خزائن السموات والأرض ، من مطر ونبات وسائر الأرزاق .



س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ؟

ج : المعنى - والله أعلم - أنه - سبحانه وتعالى - يحيي من يشاء ممن أراد أن يخلقهم ، وذلك بنفخ الروح فيهم وهم في بطون الأمهات .

ويميت من يشاء أن يميته من خلقه بعد بلوغهم الأجل الذي قدره الله لهم،
وقيل: يميت الأحياء في الدنيا ويحيي الأموات للبعث.

وهناك معنى آخر أيضًا:

يحيي بالإيمان من أراد له الهداية ويميت بالإضلال من شاء له الغواية.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾؟

ج: يوضحه قول النبي ﷺ: «اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء»^(١).

قال الطبري - رحمه الله -:

يقول تعالى ذكره: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾ قبل كل شيء بغير حدٍّ ﴿وَالْآخِرُ﴾ يقول: والآخر بعد كل شيء بغير نهاية وإنما قيل ذلك كذلك، لأنه كان ولا شيء موجود سواه، وهو كائن بعد فناء الأشياء كلها، كما قال جل ثناؤه: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [الفصل: ٨٨] وقوله: ﴿وَالظَّاهِرُ﴾ يقول: وهو الظاهر على كل شيء دونه، وهو العالي فوق كل شيء، فلا شيء أعلى منه ﴿وَالْبَاطِنُ﴾ يقول: وهو الباطن جميع الأشياء، فلا شيء أقرب إلى شيء منه، كما قال ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦].



س: هل ورد أن قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ وهو بكل شيء

عَلِيمٌ ﴿ذَكَرَ يَذْكُرُ فِي بَعْضِ الْمَوَاطِنِ؟

ج: ما وقفت في ذلك على شيء إلا أثر على ابن عباس - رضي الله عنهما - وقد سأله أبو زميل قال:

ما شيء أجده في صدري؟ قال: ما هو؟ قلت: والله لا أتكلم به. قال: فقال

(١) مسلم (حديث ٢٧١٣).

(٢) أبو داود (٥١١٠) وسنده حسن.

لي: أشيء من شك؟ قال: وضحك، قال: ما نجا من ذلك أحد، قال: حتى أنزل الله: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَتَنَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ...﴾ الآية [يونس: ٩٤]. قال: وقال لي: إذا وجدت في نفسك شيئاً فقل: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.



س: ما الذي يلج في الأرض؟ وما الذي يخرج منها؟

ج: يلج في الأرض: المطر النازل من السماء، والحب الذي يُبذر في الأرض وما يدفن في الأرض من حيوان وإنسان وغير ذلك، ومما يخرج منها النبات، والمعادن والشجر، وحيوانات كذلك كعقارب وديدان ونحو ذلك، وكذلك البشر الذين يخرجون من الأجداث يوم القيامة.



س: ما الذي ينزل من السماء؟ وما الذي يعرج فيها؟

ج: من النازل من السماء الملائكة والأقذار والأرزاق من مطر ونحوه، وكذلك ما يرسله الله من الصواعق وأنواع العذاب وصور الرحمة وغير ذلك. والذي يعرج فيها، منه الملائكة، فقد قال تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤].

وكذلك الأرواح، فقد وردت بذلك الأخبار عن رسول الله ﷺ.

أخرج الإمام أحمد^(١) بسند صحيح عن البراء بن عازب - رضي الله عنهما - قال البراء بن عازب قال: خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتبهنا إلى القبر ولما يلحد فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله وكأنّ على رؤوسنا الطير وفي يده عود ينكت في الأرض، فرفع رأسه فقال استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثاً ثم قال إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من

السما بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مدّ البصر ثم يحيى ملك الموت - عليه السلام - حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فيّ السقاء، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض قال: فيصعدون بها فلا يمرون - يعني بها - على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح لهم فيُشيعُهُ من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهي به إلى السماء السابعة فيقول الله - عزّ وجلّ - اكتبوا كتاب عبي في عليين وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى.

وكذلك تعرج (تصعد) الأدعية، وكذلك الكلم الطيب والعمل الصالح المُتَقَبَّل وغير ذلك.

كما في الحديث: «يرفع إليه عمل الليل قبل النهار، وعمل النهار قبل الليل»^(١).



س : وُضِّحَ معنى قوله تعالى : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ ؟

ج : المعنى ، أنه معنا يسمعنا ويرانا كما قال تعالى : ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦] وكذا يدبر أمورنا ويعلم متقلبنا ومثوانا.

قال الطبري - رحمه الله - :

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ يقول: وهو شاهد لكم أيها الناس أينما كنتم يعلمكم، ويعلم أعمالكم ، ومتقلبكم ومثواكم ، وهو على عرشه فوق سمواته السبع ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٨] يقول : والله بأعمالكم التي تعملونها من حسن وسيئ ، وطاعة

ومعصية، ذو بصر، وهو لها محص، ليجازي المحسن منكم بإحسانه، والمسيء بإساءته
يَوْمَ تُجْزَى ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ٢٢].

وقال الحافظ ابن كثير - رحمه الله -:

وقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾. أي: رقيب عليكم، شهيد
على أعمالكم حيث أنتم، وأين كنتم، من بر أو بحر، في ليل أو نهار، في البيوت أو
القفار، الجميع في علمه على السواء، وتحت بصره وسمعه، فيسمع كلامكم ويرى
مكانكم، ويعلم سركم ونجواكم.

كما قال: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ لِیَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشَوْنَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا
يُسْرُوكَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [هود: ٥]. وقال: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَأَ الْقَوْلَ
وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ [الرعد: ١٠] فلا إله غيره ولا رب
سواه.

وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال لجبريل - لما سأله عن الإحسان -:
«أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»
وقال الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى -:

وكان الإمام أحمد ينشد هذين البيتين:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل: خلوت، ولكن قل: عليّ رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعةً ولا أن ما يخفى عليه يغيب



س: المعية معيتان، وضحها؟

ج: نعم المعية معيتان: معية علم وإطلاع، ومنه: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ وكما
قال تعالى: ﴿وَلَا أَدْرِي مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة: ٧].

ومعية نصر وتأييد وحفظ ونحو ذلك، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ

أَتَقُوا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٠﴾ وقوله ﷺ لأبي بكر - رضي الله عنه - وهما في الغار : « لا تحزن إن الله معنا ».

وكذا قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾.



س : ماذا فسر قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ؟

ج : المعنى ، والله أعلم ، أنه يبصر أعمالكم ويراهما ولا يخفى عليه شيء منها .



س : لماذا كرر قوله تعالى : ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ؟

ج : قال بعض أهل العلم . كرر ذلك للتأكيد .



س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ؟

ج : المعنى - والله أعلم - له سلطان السموات والأرض ، وأمره نافذ فيهن ، وفيما بينهن من خلقه .

قال ابن كثير - رحمه الله - :

وقوله : ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ . أي : هو المالك للعالمين والآخرة . كما قال : ﴿وَلَنَا الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾ [الليل: ١٣] وهو المحمود على ذلك كما قال : ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ﴾ [القصص: ٧٠] وقال : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [سبا: ١] فجميع ما في السماوات والأرض ملك له ، وأهلها عبيد أرقاء أذلاء بين يديه . كما قال : ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿١٢﴾ لَقَدْ أَخَصَّكُمْ وَعَدَّكُمْ عَدًّا ﴿١٣﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٥] .



س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿وَالِىَ اللّٰهُ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ ؟

ج : المعنى ، والله أعلم أن أمور الخلائق وما فعلوه تُرجع إلى الله عزَّ وجلَّ يوم القيامة ويحتمل أن يكون المعنى أيضًا ، وإلى الله يرجع تدبير الأمور .

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله :-

ولهذا قال : ﴿وَالِىَ اللّٰهُ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ . أي : إليه المرجع يوم القيامة ، فيحكم في خلقه بما يشاء ، وهو العادل الذي لا يجور ولا يظلم مثقال ذرة ، بل إن يكن أحدهم عمل حسنة واحدة يضاعفها إلى عشر أمثالها ، ﴿وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء : ٤٠] .



س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ ؟

ج : المعنى أن الله - سبحانه وتعالى - يدخل الليل في النهار ويدخل النهار في الليل أي يطوّل الليل أحيانًا فيأخذ من النهار أوقاتًا ويطوّل النهار أحيانًا فيأخذ من الليل أوقاتًا ، هو القادر على ذلك وحده لا يقدر على ذلك أحدٌ سواه .

وقال الحافظ ابن كثير - رحمه الله :-

وقوله : ﴿يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ ، أي : هو المتصرف في الخلق ، يُقَلِّبُ الليل والنهار ويقدرهما بحكمته كما يشاء ، فتارة يطول الليل ويقصر النهار ، وتارة بالعكس ، وتارة يتركهما معتدلين . وتارة يكون الفصل شتاء ثم ربيعًا ثم قیظًا ثم خريفًا ، وكل ذلك بحكمته وتقديره لما يريد به بخلقه .

وقال الطبري - رحمه الله :-

وقوله : ﴿يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ يعني بقوله ﴿يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ يُدْخِلُ ما نقص من ساعات الليل في النهار ، فيجعله زيادة في ساعاته ﴿وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ يقول : ويدخل ما نقص من ساعات النهار في الليل ، فيجعله زيادة في ساعات الليل .



س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ؟

ج : المعنى - والله أعلم - وهو - عز وجل - ذو علم بما هو مستكن ومُستقر في صدور العباد ، أبدوه وأعلنوه ! أم أخفوه وأضمروه ، كما قال : ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ [الأنبياء: ١١٠].



س : كيف وُجِّه إليهم الأمر بالإيمان في قوله تعالى : ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ وهم مؤمنون ؟

ج : قد يقال إن هذا الأمر مُوجه لمن لم يؤمن وعليه فلا إشكال وأما في حالة توجيهه إلى أهل الإيمان فيحتمل ذلك أموراً:
أحدها : اثبتوا على إيمانكم بالله ورسوله.
الثاني : صدّقوا بالله وبرسوله وبما أخبركم به.
الثالث : ازدادوا إيماناً بالله ورسوله.



س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ﴾ ؟

ج : المعنى - والله أعلم - أنفقوا مما جعلكم الله خلفاء لمن كان قبلكم على هذا المال ، فهذا المال كان بأيدي غيركم ثم ماتوا وتركوه لكم ، فجعلكم الله خلفاء فيه من بعدهم فأنفقوا منه في طاعة ربكم.

وفيه إشارة إلى أنكم كما استخلفتم فيه سيستخلف فيه غيركم ، أي إنكم ستموتون وتتركونه لغيركم .

قال ابن كثير - رحمه الله - :

أمر الله تعالى بالإيمان به وبرسوله على الوجه الأكمل ، والدوام والثبات على ذلك والاستمرار ، وحث على الإنفاق ﴿مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ﴾ أي : بما هو معكم على سبيل العارية ، فإنه قد كان في أيدي من قبلكم ثم صار إليكم ، فأرشد تعالى إلى

استعمال ما استخلفهم فيه من المال في طاعته ، فإن يفعلوا وإلا حاسبهم عليه وعاقبهم لتركهم الواجبات فيه .

وقوله : ﴿وَمَا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ : إشارة إلى أنه سيكون مخلفاً عنك ، فلعل وارثك أن يطيع الله فيه ، فيكون أسعد بها أنعم الله به عليك منك ، أو يُعصى الله به فتكون قد سعت في معاونته على الإثم والعدوان .

قال الطبري - رحمه الله - :

﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ يقول - جلّ ثناؤه - وأنفقوا مما حوّلهم الله من المال الذي أورثكم عمن كان قبلكم فجعلكم خلفاءهم فيه في سبيل الله .



س : ما المراد بالاستفهام في قوله : ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ ؟

ج : المراد بهذا الاستفهام التوبيخ ، فالمعنى ، وما لكم لا تصدقون بوحدانية الله - عزّ وجلّ - وقد جاءتكم الرسل يدعونكم للإيمان به ، وأخذ عليكم الميثاق وأنتم في بطون الأمهات ، وأخذ عليكم الميثاق على ألسنة الأنبياء أن تؤمنوا به ، فأبي عذر يمنعكم إذن من الإيمان وقد أزيحت عنكم العلل ، وجاءتكم الرسل .



س : وضح المراد بقوله تعالى : ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ﴾ ؟

ج : قال الطبري رحمه الله تعالى - في تفسيرها - :

يقول - تعالى ذكره - : وما لكم لا تؤمنون بالله ، وما شأنكم أيها الناس لا تقرّون بوحدانية الله ، وقد أتاكم من الحجج على حقيقة ذلك ، ما قطع عذركم ، وأزال الشك من قلوبكم ، ﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقُكُمْ﴾ قيل : عني بذلك : وقد أخذ منكم ربكم ميثاقكم في صلب آدم ، بأن الله ربكم لا إله لكم سواه .



س : ما المراد بالميثاق ، ومن الذي أخذه ؟

ج : الميثاق هو المأخوذ على بني آدم وهم في صلب أبيهم آدم والذي أخذه هو الله عز وجل ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ .

وقال بعض العلماء : ويعني بذلكبيعة رسول الله ﷺ التي بايع عليها أصحابه سواء يوم العقبة أو عموم البيعات .



س : وضّح المراد بقوله تعالى : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ ؟

ج : قال الطبري - رحمه الله - :

وقوله : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ يقول : إِنْ كُنْتُمْ تريدون أَنْ تَؤْمِنُوا بِاللَّهِ يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ ، فَإِلَّا أَنْ أُخْرِيَ الْأَوْقَاتُ أَنْ تَؤْمِنُوا لِتَتَابِعَ الْحُجُجَ عَلَيْكُمْ بِالرَّسُولِ وَإِعْلَامِهِ وَدَعَائِهِ إِيَّاكُمْ إِلَى مَا قَدْ تَقَرَّرَتْ صَحَّتُهُ عِنْدَكُمْ بِالْإِعْلَامِ وَالْأَدْلَةِ وَالْمِيثَاقِ الْمَأْخُودِ عَلَيْكُمْ .

وقال القرطبي رحمه الله : وقوله : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ أي : إِنْ كُنْتُمْ تقرون بشرائط الإيمان .



س : ما المراد بالآيات البينات ؟

ج : المراد - والله أعلم - المعجزات التي أيد الله بها نبيه ﷺ وأعظمها القرآن ، ثم سائر المعجزات كانشقاق القمر ، ونبع الماء من بين الأصابع ، وحنين الجذع ، وتسليم الحجر ، ونحو ذلك .

والآيات البينات معناها الحجج الواضحات الجليات .



س : يفترض أن الدعاة إلى الله عز وجل يُذَكَّرُونَ الناس دومًا بالآيات فتلك أعظم سبل الهداية دَلَلٌ على ذلك ؟

ج : من الأدلة على ذلك قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ ءَايَاتٍ يَبَيِّنُ

لِيُخْرِجَكُمْ مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ»، وقوله تعالى : ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايِنِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجاثية: ٦] ، وقوله تعالى : ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥] ، وقوله تعالى : ﴿لَا تَذَرُكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩] . فالتذكير بالقرآن أولى بلا شك من أي تذكير ، وكذلك فالتذكير بسنة رسول الله ﷺ أولى من أي تذكير غير الكتاب والسنة .
ولقد قال القرطبي - رحمه الله - : في تفسير قوله تعالى : ﴿لِيُخْرِجَكُمْ﴾ قال : بالقرآن ، وقيل بالرسول وقيل بالدعوة .



س : اذكر بعض ما يدل على أن هذا القرآن نور؟

ج : من الأدلة على ذلك ما يلي :

قوله تعالى : ﴿فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾ [التغابن: ٨] ، وقوله تعالى : ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤] ، وقوله تعالى : ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧] ، وقوله تعالى : ﴿وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ﴾ [الشورى: ٥٢] .



س : ما وجه ختام الآية الكريمة بقوله تعالى : ﴿وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾؟

ج : وجه ذلك أن من رأفة الله ورحمته قد أنزل على عبده الذي هو رسول الله محمد ﷺ آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور .



س : وضح المراد بقوله تعالى : ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ .

ج : هذا - والله أعلم - حث على الانفاق في سبيل الله وتحريض عليه .
والمعنى ، وما لكم أيها الناس ، وما لكم يا أهل الإيمان تبخلون بالمال ولا تنفقون

في سبيل الله وأنتم توقنون أنكم ستموتون، وغيركم سيموت ، وسيرث الله الأرض ومن عليها. فأنفقوا حتى يُدْخِرَ لكم ذلك عند ربكم.

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله -:

ولما أمرهم أولاً بالإيمان والإنفاق ، ثم حثهم على الإيمان ، وبين أنه قد أزال عنهم موانعه ، حثهم أيضاً على الإنفاق فقال : ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ، أي : أنفقوا ولا تحشوا فقراً وإقلالاً ، فإن الذي أنفقتم في سبيله هو مالك السموات والأرض ويده مقاليدهما ، وعنده خزائنها ، وهو مالك العرش بما حوى ، وهو القائل : ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ ﴾ [سبأ: ٣٩] وقال : ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾ [النحل: ٩٦] فمن توكل على الله أنفق ، ولم يخش من ذي العرش إقلالاً ، وعلم أن الله سَيُخْلِفُهُ عليه .

قال القرطبي - رحمه الله -:

قوله تعالى : ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ أي : أي شيء يمنعكم من الإنفاق في سبيل الله ، وفيما يقربكم من ربكم وأنتم تموتون وتخلفون أموالكم وهي صائرة إلى الله تعالى : فمعنى الكلام التوبيخ على عدم الإنفاق لله ﴿ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أي : إنها راجعتان إليه بأنقراض من فيهما كرجوع الميراث إلى المستحق له .



س : ما المراد بالفتح المذكور في قوله تعالى : ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلٍ .. ﴾ ؟

ج : قال أكثر ^(١) أهل العلم : المراد به : فتح مكة وقال آخرون المراد به صلح الحديبية .

وأورد الطبري بإسناد حسن عن أبي سعيد الخدري :

قال : قال لنا رسول الله ﷺ عام الحديبية : « يوشك أن يأتي قومٌ تحقرون أعمالكم

(١) قال القرطبي رحمه الله : أكثر المفسرين على أن المراد بالفتح فتح مكة .

مع أعمالهم ، قلنا : من هم يارسول الله ، أقرش هم ؟ قال : لا ، ولكن أهل اليمن أرقُّ أفئدةً وألين قلوباً ، فقلنا : هم خيرٌ منا يا رسول الله ؟ فقال : لو كان لأحدهم جبلٌ من ذهب فأنفقه ما أدرك مدَّ أحدكم ولا نصيفُهُ ، ألا إنَّ هذا فصل ما بيننا وبين الناس ، ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ﴾ ... الآية ، إلى قوله : ﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ .



س : عقب قوله تعالى : ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ﴾ مقدر محذوف مفهوم من السياق وضحهُ ؟

ج : إيضاحه : لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ومن أنفق من بعد الفتح وقاتل .



س : النفقة في أوقات الشدة ، وعلى من هم أشد احتياجاً أجراها أعظم دَلَل على ذلك !

ج : من الأدلة على ذلك قوله تعالى : ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أُولَئِكَ أَكْثَرُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُوا﴾ . قال القرطبي - رحمه الله - :

وإنما كانت النفقة قبل الفتح أعظم لأن حاجة الناس كانت أكثر لضعف الإسلام وفعل ذلك كان على المنفقين حينئذٍ أشق والأجر على قدر النصب . والله أعلم .

قلت (مصطفى) ومن الأدلة أيضاً على ما ذكر ، قوله تعالى : ﴿فَلَا أَقْنَمُ الْعَقَبَةَ﴾ ⑪ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ⑫ فَكَرْبَةُ ⑬ أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمِ ذِي مَسْجَبٍ ⑭ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ⑮ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَقْرَبَةٍ ⑯ [البلد: ١١-١٦] فالمعنى : أن من الأسباب التي تسبب اقتحام العقبة المساهمة في عتق الرقاب أو الإطعام في يوم ذي مجاعة شديدة ، وذلك الإطعام يطعمه يتيمٌ قريب ، أو مسكين شديد المسكنة قد أسكنه الفقر ، وأسكنته الحاجة والعوز كأنَّ يده لاصقة بالتراب من شدة الفقر .

قال السعدي - رحمه الله - :

ثم ذكر تعالى ، تفاضل الأعمال ، بحسب الأحوال والحكمة الإلهية فقال : ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُوا ﴾ المراد بالفتح هنا هو : فتح الحديبية حين جرى من الصلح بين الرسول ، وبين قريش ، مما هو أعظم الفتوحات ، التي حصل فيها نشر الإسلام ، واختلاط المسلمين بالكافرين ، والدعوة إلى الدين من غير معارض . فدخل الناس من ذلك الوقت ، في دين الله أفواجاً ، واعتز الإسلام عزاً عظيماً . وكان المسلمون قبل هذا الفتح ، لا يقدرّون على الدعوة إلى الدين في غير البقعة التي أسلم أهلها ، كالمدينة وتوابعها . وكان من أسلم من أهل مكة وغيرها ، من ديار المشركين ، يؤذى ويخاف . فلذلك كان من أسلم قبل الفتح وقاتل ، أعظم درجة وأجرًا وثوابًا ، ممن لم يسلم ويقاتل وينفق إلا بعد ذلك ، كما هو مقتضى الحكمة . ولهذا كان السابقون ، وفضلاء الصحابة ، غالبهم أسلم قبل الفتح .



س : اذكر بعض هؤلاء الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا !

ج : من هؤلاء أبو بكر - رضي الله عنه - وعمر ، وعثمان ، وعلي - رضي الله عنهم أجمعين - .

ومن هؤلاء البدرين عمومًا أي : من شهد بدرًا مع رسول الله ﷺ ، وكذا من شهد أحدًا والأحزاب وغير هؤلاء ممن أسلموا قبل الفتح وأنفقوا وقاتلوا .



س : السابقون بالإيمان والخيرات لهم قدرٌ وينبغي أن يعرف لهم قدرهم وأن ينزلوا منازلهم ، دلّل على ذلك ؟

ج : من الأدلة على ذلك ما يلي :

قوله تعالى : ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُوا وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى ﴾ . وقول النبي ﷺ : «يَوْمَ الْقَوْمِ أَقْرَوْهُمْ لِكِتَابِ

الله فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة^(١) .
 وقوله تعالى : ﴿وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ
 بِإِحْسَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].



س: في قوله تعالى: ﴿وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ جبرٌ للخاطر، وضحه؟
 ج: إيضاحه: أن الله - سبحانه وتعالى - لما ذكر عظيم الأجر الذي أعده
 للسابقين الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا عقب ذلك بذكر الأجر الذي أعده
 لغيرهم من المؤمنين المنفقين المقاتلين أيضًا، فقال: ﴿وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ ، ونحو هذا
 في المعنى قوله تعالى : ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ
 وَكُنَّا لِحَكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ (٧٨) ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾ [الأنبياء: ٧٨، ٧٩] ثم قال تعالى :
 ﴿وَكَلَّا ءَايَتُنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾
 [الأنبياء: ٧٩] فأوضح الله أيضًا فضل نبيه داود - عليه السلام - فإن كان الله عز وجل
 أنهم سليمان مسألة ، فقد ذكر الله عز وجل بعض فضله على نبيه داود - عليه السلام -
 كذلك!



س: وضح معنى قوله تعالى : ﴿وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ ؟
 ج: المعنى، أن المنفقين من قبل الفتح والمقاتلين من قبل الفتح ، وكذا المنفقين
 من قبل الفتح والمقاتلين كل هؤلاء وعدهم الله الجنة على تفاوتٍ في الدرجات فيها.
 قال القرطبي رحمه الله تعالى: قوله تعالى : ﴿وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ أي المتقدمون
 المتناهون السابقون، والمتأخرون اللاحقون ، وعدهم الله جميعًا الجنة مع تفاوت
 الدرجات.



س : قَدَّرْ كم هذا التضعيف ؟

ج : التضعيف لا يعلم قدره إلا الله فهناك ما يدل على أن التضعيف إلى عشرة أضعاف قال تعالى : ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] ، وهناك ما يدل على أن التضعيف إلى سبعمائة ضعف قال تعالى : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٦١] . وهناك ما يدل على أن التضعيف أكثر من ذلك كما في الحديث : «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ، ولا يقبل الله إلا الطيب فإن الله يتقبلها بيمينه فيريها كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل» ^(١) ، ولقد قال تعالى أيضًا : ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥] .

وأورد هنا ما أخرجه عبد بن حميد في المنتخب ^(٢) بسند صحيح

أنس أن رجلاً قال : يا رسول الله إن لفلان نخلة وإنما أقيم حائطي بها ، فأمره أن يعطيني إياها حتى أقيم حائطي بها . فقال له النبي ﷺ : «أَعْطَاهَا إِيَّاهُ بِنَخْلَةٍ فِي الْجَنَّةِ» فأبى فأتاه أبو الدحداح فقال : بعني نخلتك بحائطي قال : ففعل قال : قأتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله إني قد ابتعت النخلة بحائطي ، فاجعلها له وقد أعطيتكها فقال رسول الله ﷺ : «كَمْ مِنْ عِذْقِ رَوَّاحٍ لِأَبِي الدَّحْدَاحِ فِي الْجَنَّةِ» قالها مرارًا . قال : قأتى امرأته فقال : يا أم الدحداح أخرجي من الحائط مالي قد بعته بنخلة في الجنة فقالت : ربح البيع أو كلمة تشبهها .

وقد ورد نحو هذا الحديث ^(٣) عن ابن مسعود - رضي الله عنه - بسند ضعيف ، وفيه لما نزلت هذه الآية ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ...﴾ [البقرة: ٢٤٥] قال أبو الدحداح يا رسول الله وإن الله ليريد منا القرض ؟ قال : نعم يا أبا الدحداح ، قال : أرني يدك يا رسول الله قال : فناوله يده قال : فإني قد أقرضت ربي حائطي وله حائط ^(٤) فيه ستمائة نخلة .



(١) البخاري بنحوه (١٤١٠) ، ومسلم (١٠١٤) .

(٢) عبد بن حميد في «المنتخب» (١٣٣٢) .

(٣) انظر البزار (٤٠٢/٥) وسنده ضعيف كما أشرنا .

(٤) المراد بالحائط الحائط البستان .

س : وضح بعض ما يمتاز به القرض الحسن ؟

ج : يمتاز القرض الحسن بالآتي ذكره :

أولاً : أن يكون من مالٍ حلال ورزق حلال.

ثانياً : أن يبتغي به وجه الله عزَّ وجلَّ دون الرياء والسمعة.

ثالثاً : أن يستر فيه على الفقير ولا يفضح.

رابعاً : أن يكون من الجيد ولا يكون من الخبيث.

خامساً : أن تكون النفس طيبة عند إخراجه.

سادساً : ألا يتبع بالمن والأذى.

سابعاً : أن يسأل فاعله ربه القبول.



س : ما المراد بالأجر الكريم ؟

ج : المراد به ، والله أعلم ، الجنة.



س : ما العامل في قوله تعالى : ﴿يَوْمَ نَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ ؟

ج : العامل هو قوله تعالى : ﴿وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ فالمعنى : وله أجرٌ كريم في يومِ

ترى المؤمنين والمؤمنات.



س : وضح المراد بقوله تعالى : ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ ؟

ج : قال بعض العلماء : ، المعنى يضيء لهم نورهم ، ويتقدمهم بحسب درجات

إيمانهم ، ويكون عن يمينهم أيضاً ، وبأيانهم كذلك هذا النور فمنهم من يضيء نوره من المدينة إلى عدن ، ومنهم أكثر من ذلك ومنهم أقل من ذلك.

وقال آخرون : يسعى نورهم ، أي : يسعى إيمانهم وهداهم وبأيانهم كتبهم أي :

وكتبهم قد تلقونها بأيانهم واختاره الطبري.

وأخرج ابن أبي حاتم ^(١) بسندٍ عن سليم بن عامرٍ قال : خرجنا على جنازة في باب دمشق، ومعنا أبو أمامة الباهلي، فلما صلى على الجنازة وأخذوا في دفنها، قال أبو أمامة : أيها الناس ؛ إنكم قد أصبحتم وأمسيتم في منزل تقتسمون فيه الحسنات والسيئات، وتوشكون أن تظعنوا منه إلى منزل آخر، وهو هذا - يشير إلى القبر - بيت الوحدة، وبيت الظلمة، وبيت الدود، وبيت الضيق، إلا ما وسع الله، ثم تنتقلون منه إلى مواطن يوم القيامة، فإنكم في بعض تلك المواطن حتى يغشى الناس أمرٌ من الله، فتبيض وجوه وتسود وجوه، ثم تنتقلون منه إلى منزل آخر فتغشى الناس ظلمة شديدة، ثم يقسم النور فيعطى المؤمن نوراً، ويترك الكافر والمنافق فلا يعطيان شيئاً، وهو المثل الذي ضربه الله في كتابه، قال : ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ﴾ [النور: ٤٠] إلى قوله : ﴿فَمَالَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [النور: ٤٠]، فلا يستضيء الكافر والمنافق بنور المؤمن كما لا يستضيء الأعمى بنور البصير، ويقول المنافقون للذين آمنوا : ﴿انظُرُوا نَارَ تَلْعَينَ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾. وهي خدعة الله التي خدع بها المنافقين حيث قال : ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]. فيرجعون إلى المكان الذي قسم فيه النور، فلا يجدون شيئاً، فيصرفون إليهم وقد ضرب بينهم بسور له باب، ﴿بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ...﴾ الآيات. يقول سليم بن عامر : فما يزال المنافق مغترّاً حتى يقسم النور، ويميز الله بين المؤمن والمنافق.



س : في قوله تعالى : ﴿بُشِّرْنَكُمْ الْيَوْمَ﴾ مقدرٌ محذوف وضّحه ؟
ج : المقدر - والله أعلم - هو : يقال لهم، أي : يقال لهم بشراكم اليوم.



س : قوله تعالى : ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أنهار ماذا ؟
ج : أنهارٌ من ماء غير آسنٍ، وأنهارٌ من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهارٌ من خمر لذة للشاربين وأنهارٌ من عسل مصفى. وكذلك هنالك سيحان وجيحان والنيل والفرات وكذلك فهنالك الحوض والكوثر وكذلك فهنالك نهر الحياة.

(١) نقلاً عن تفسير ابن كثير.

س : قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ عائدٌ على ماذا ؟
ج : عائدٌ على الجنات والخلود فيها.



س : ما العامل في قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ﴾ ؟
ج : العامل هو قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ فالمعنى ذلك هو الفوز العظيم يوم يقول المنافقون.



س : هل في قوله تعالى : ﴿أَنْظُرُونَا﴾ قراءات أخرى ؟ وما المعنى ؟
ج : أما قولهم (انظرونا) أي انتظرونا وهنا قراءة أخرى أَنْظِرُونَا بمعنى آخرونا ومنه : ﴿أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الأعراف: ١٤].
قال الطبري - رحمه الله :-

واختلفت القراء في قراءة قوله : ﴿أَنْظُرُونَا﴾ فقرأت ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة : ﴿أَنْظُرُونَا﴾ موصوله بمعنى : انتظرونا ، وقرأته عامة قراء الكوفة : «أَنْظِرُونَا» مقطوعة الألف من أنظرت بمعنى : آخرونا ، وذكر الفراء أن العرب تقول : أنظري وهم يريدون : انتظري قليلاً ، وأنشد في ذلك بيت عمرو بن كلثوم :

أَبَاهِنْدٍ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْنَا وَأَنْظِرْنَا نُخَبِّرَكَ الْيَقِينَا

قال : فمعنى هذا : انتظرنا قليلاً نخبرك ، لأنه ليس هاهنا تأخير ، إنما هو استماع كقولك للرجل : اسمع مني حتى أخبرك.

والصواب من القراءة في ذلك عندي الوصل ، لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب إذا أريد به انتظرنا ، وليس للتأخير في هذا الموضع معنى ، فيقال : أنظرونا ، بفتح الألف وهمزها.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾؟

ج: المعنى - والله أعلم - أنه قد قيل لهؤلاء المنافقين الذين طلبوا من أهل الإيمان أن ينتظروهم - ارجعوا وراءكم حيث كان يقسم النور فالتمسوا نورًا.

وأورد الطبري: بإسناد ضعيف عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: بينا الناس في ظلمة، إذ بعث الله نورًا؛ فلما رأى المؤمنون النور توجهوا نحوه، وكان النور دليلًا من الله إلى الجنة؛ فلما رأى المنافقون المؤمنين قد انطلقوا، تبعوهم، فأظلم الله على المنافقين، فقالوا حينئذ: انظرونا نقبض من نوركم، فإننا كنا معكم في الدنيا؛ قال المؤمنون: ارجعوا من حيث جئتم من الظلمة فالتمسوا هنالك النور.



س: من القائل: ﴿ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾؟

ج: قال بعض العلماء: إن القائلين هم الملائكة، وقيل: إن القائلين هم المؤمنون.



س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿يُنَادُوهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾؟

ج: المعنى - والله أعلم - أن أهل النفاق ينادون أهل الإيمان ألم نكن مسلمين في الدنيا معكم كما كنتم مسلمين، نشهد معكم الجماعات ونزوج منكم ونجالسكم.

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله -: ﴿يُنَادُوهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ أي: ينادي المنافقون المؤمنين: أما كنا معكم في الدار الدنيا، نشهد معكم الجماعات، ونصلي معكم الجماعات، ونقف معكم بعرفات، ونحضر معكم الغزوات، ونؤدي معكم سائر الواجبات؟ ﴿قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ﴾. قال بعض السلف: أي: فتنتم أنفسكم باللذات والمعاصي والشهوات، ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾، أي: أخرتم التوبة من وقت إلى وقت.

وقال قتادة: ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ بالحق وأهله. ﴿وَارْتَبْتُمْ﴾، أي: بالبعث بعد الموت، ﴿وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ﴾، أي: قلتم: سيغفر لنا. وقيل: غرتكم الدنيا. ﴿حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾، أي: ما زلتم في هذا حتى جاء الموت، ﴿وَغَرَّتْكُمْ بِاللَّهُ الْغُرُورُ﴾، أي: الشيطان.

قال قتادة: كانوا على خدعة من الشيطان، والله ما زالوا عليها حتى قذفهم الله في النار. ومعنى هذا الكلام من المؤمنين للمنافقين: أنكم كنتم معنا بأبدان لانية لها ولا قلوب معها، وإنما كنتم في حيرة وشك، فكنتم تراءون الناس ولا تذكرون الله إلا قليلاً.

قال مجاهد: كان المنافقون مع المؤمنين أحياء يناكحهم ويعينونهم ويعاشرهم، وكانوا معهم أموالاً، ويعطون النور جميعاً يوم القيامة، ويطفأ النور من المنافقين إذا بلغوا السور، ويهاز بينهم حينئذ.



س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿فَضْرَبَ بَيْنَهُمُ سُورُ لَهُمْ بَابٌ﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم، وجعل بين أهل الإسلام والإيمان وأهل الكفر والنفاق حائط له جانبان جانب من جوانبه عنده أهل الإيمان، والآخر عنده أهل الكفر والنفاق كما قال تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾ [الأعراف: ٤٦].

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله -: وقول كعب الأحبار: إن الباب المذكور في القرآن هو باب الرحمة الذي هو أحد أبواب المسجد، فهذا من إسرائيلياته وتُرّهاته. وإنما المراد بذلك سُورٌ يضرب يوم القيامة ليحجز بين المؤمنين والمنافقين، فإذا انتهى إليه المؤمنون دخلوه من بابه، فإذا استكملوا دُخولهم أغلق الباب، وبقي المنافقون من ورائه في الحيرة والظلمة والعذاب، كما كانوا في الدار الدنيا في كفر وجهل وشك وحيرة.

قال الرازي في تفسيره: الباء في قوله ﴿سُورٌ﴾ صلة وهو للتأكيد، والتقدير: ضرب بينهم سور كذا، قاله الأخفش، ثم قال ﴿لَهُمْ بَابٌ﴾ أي لذلك السور باب ﴿بَاطِنُهُ﴾ فيه الرَّحْمَةُ ﴿أَي:﴾ في باطن ذلك السور الرحمة، والمراد من الرحمة: الجنة التي فيها المؤمنين ﴿وَزَاطِرُهُ﴾ يعني وخارج السور ﴿مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ أي من قبله يأتيهم العذاب، والمعنى: أن ما يلي المؤمنين ففيه الرحمة، وما يلي الكافرين يأتيهم من قبله العذاب، والحاصل أن بين الجنة والنار حائط وهو السور، ولذلك السور باب، فالمؤمنون يدخلون الجنة من باب ذلك السور، والكافرون يبقون في العذاب والنار.



س : ما المراد بفتنتهم لأنفسهم ؟

ج : المراد - والله أعلم - صرفهم لها عن الحق.

قال الطبري - رحمه الله - : وقوله : ﴿يُنَادُواهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ يقول تعالى ذكره : ينادي المنافقون المؤمنين حين حجز بينهم بالسور، فبقوا في الظلمة والعذاب، وصار المؤمنون في الجنة : ألم نكن معكم في الدنيا نصلي ونصوم ، ونناكحكم ونوارثكم ؟ قالوا : بلى ، يقول : قال المؤمنون : بلى ، بل كنتم كذلك ، ولكنكم فتنتم أنفسكم ، فنافقتم. وَفَتَنَتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ كَانَتْ النِّفَاقَ.



س : وضح المراد بقوله تعالى : ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ؟

ج : المعنى - والله أعلم - فيوم القيامة لا تقبل منكم يا أهل الكفر أية فدية إن افتديتم بها ، فمهما بذلتم من مال - ولن يوجد - فلن يقبل منكم هذا المال.

وفي معنى هذه الآية قوله تعالى : ﴿إِنْ تَعَدَّلْ كُلٌّ عَدَلٌ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا﴾ [الأنعام : ٧٠].

وقوله تعالى : ﴿يَوْمَ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ بَيْنِي وَ...﴾ [المعارج : ١١].

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِثْلَهُ مَعَهُ، لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَا نُقِلَ مِنْهُمْ﴾ [المائدة : ٣٦].

وقوله تعالى : ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة : ٤٨].

وفي الحديث : «أن الله عز وجل يقول لأهون أهل النار عذاباً : لو كانت لك الدنيا وما فيها أكنت مفتدياً بها ؟ فيقول : نعم ، فيقول : قد أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك ، ولا أدخلك النار فأبيت إلا الشرك» ^(١).

وفي رواية يقال للكافر يوم القيامة : «أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهباً أكنت تفتدي به ؟ فيقول نعم فيقال له قد سئلت أيسر من ذلك» ^(٢).



(١) مسلم (٢٨٠٥)، والبخاري (٣٣٣٤).

(٢) مسلم طرف حديث (٢٨٠٥)، والبخاري (٢٨٠٥).

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ
 أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ أَعْلَمُوا
 أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ
 وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضَعُفَ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ وَالَّذِينَ
 ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ
 وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿[الحديد: ١٦-١٩]﴾.

س: اذكر معنى ما يلي :

﴿أَلَمْ يَأْنِ - ءَامَنُوا - تَخْشَعَ - وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ - كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ - فَطَالَ عَلَيْهِمُ
 الْأَمَدُ - فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ - فَاسِقُونَ - الْمُصَدِّقِينَ - قَرْضًا حَسَنًا - أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾

ج :

الكلمة	معناها
﴿أَلَمْ يَأْنِ﴾	ألم يحنْ - ألم يأت الوقت
﴿ءَامَنُوا﴾	صدقوا الله ورسله.
﴿تَخْشَعَ﴾	تلين - تخضع وتطيع.
﴿وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾	الذي نزل من الحق (وهو القرآن)
﴿كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾	اليهود والنصارى، والكتاب (التوراة والإنجيل) اليهود أوتوا التوراة، والنصارى أوتوا الإنجيل.
﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ﴾	الأمَد هو الدهر، والزمن، وطال عليهم الأمَد أي: ابتعدوا كثيرًا عن التذكير والوعظ، أي: ابتعدوا عن الزمن الذي كان فيه تذكيرٌ ووعظ ونبوات، وقيل: طال عليهم الأمَد في

النعيم ، أي: تُعْمُوا زَمَنًا طَوِيلًا.	
فسدت قلوبهم - ثبتت على المعاصي - امتنعت عن قبول الخير ، وتآبَّت على ذلك ^(١) .	﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾
خارجون عن الطاعة.	﴿فَنَسَقُوا﴾
المنفقين من أموالهم (صدقة الفرض وصدقة النفل).	﴿الْمُصَدِّقِينَ﴾
صدقة من الحلال الطيب يتغى بها وجه الله.	﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾
ثواب من الله عظيم.	﴿أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾



س: من الذين عناهم الله بقوله: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ؟
 ج: هم الذين آمنوا من أمة محمد ﷺ ، أي: آمنوا برسول الله ﷺ وبالذي أنزل عليه.



س: متى نزلت هذه الآية: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ ؟
 ج: أخرج مسلم في صحيحه من حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ إلا أربع سنين ^(٢).
 قلت: وإسلام ابن مسعود - رضي الله عنه - كان متقدمًا فعلى هذه فالآية مكية ، والله أعلم.



(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: نهى الله المؤمنين أن يشبهوا بالذي حملوا الكتاب من قبلهم من اليهود والنصارى لما تطاول عليهم الأمد بدلوا كتاب الله الذي بأيديهم، واشتروا به ثمنًا قليلًا، ونبدوه وراء ظهورهم، وأقبلوا على الآراء المختلفة والأقوال الموثقة، وقلدوا الرجال في دين الله، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله، فعند ذلك قست قلوبهم، فلا يقبلون موعظة، ولا تلين قلوبهم بوعده ولا وعيد.

(٢) مسلم (حديث ٣٠٢٧).

س : ذكر بعض العلماء أن هذه الآية : ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ كانت سبباً لزهد ابن المبارك وتوبة الفضيل بن عياض رحمهما الله ، فهل لذلك من أصل ؟

ج : أورد القرطبي في تفسيره شيئاً من هذا فقال :

وهذه الآية : ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ كانت سبب توبة الفضيل بن عياض وابن المبارك رحمهما - الله تعالى - ذكر أبو المطرف عبد الرحمن بن مروان القلانسي قال : حدثنا أبو محمد الحسن بن رشيق ، قال حدثنا علي بن يعقوب الزيات ، قال حدثنا إبراهيم بن هشام ، قال حدثنا زكريا بن أبي أبان ، قال حدثنا الليث بن الحرث قال حدثنا الحسن بن داهر ، قال سئل عبد الله بن المبارك عن بدء زهده قال : كنت يوماً مع إخواني في بستان لنا ، وذلك حين حملت الثمار من ألوان الفواكه ، فأكلنا وشربنا حتى الليل فمنا ، وكنت مولعاً بضرب العود والطنبور ، فقممت في بعض الليل فضربت بصوت يقال له راشين السَّحَر ، وأراد سنان يغني ، وطائر يصيح فوق رأسي على شجرة ، والعود بيدي لا يجيبني إلى ما أريد ، وإذا به ينطق كما ينطق الإنسان - يعني العود الذي بيده - ويقول : ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنْ آلَهِ﴾ قلت : بلى والله ! وكسرت العود ، وصرفت من كان عندي ، فكان هذا أول زهدي وتشميري . وبلغنا عن الشعر الذي أراد ابن المبارك أن يضرب به العود :

وَتَغْصِ الْعَوَادِلَ وَاللُّؤْمَا	أَلَمْ يَأْنِ مِنْكَ أَنْ تَرْحَمَا
أَقَامَ عَلَى هَجَرِكُمْ مَأْتَمَا	وَتَرْتِي لَصَبَّ بَكُمْ مُغَرَّمَا
يراعِي الكَوَاكِبَ والأُنْجُمَا	يَبِيتُ إِذَا جَنَّهُ لَيْلُهُ
أَحَلَّ مِنَ الْوَصْلِ مَا حَرَّمَا	وماذا على الظَّيِّ لَوْ أَنَّهُ

وأما الفضيل بن عياض فكان سبب توبته أنه عشق جارية فواعده ليلاً ، فيها هو يرتقي الجدران إليها إذ سمع قارئاً يقرأ : ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ فرجع القهقري وهو يقول : بلى والله قد آن ! فأواه الليل إلى خربة وفيها جماعة من السابلة ، وبعضهم يقول لبعض : إن فضيلاً يقطع الطريق . فقال الفضيل : آواه ! أراني

بالليل أسعى في معاصي الله ، قوم من المسلمين يخافونني اللهم إني قد تبت إليك ، وجعلت توبتي إليك جوار بيتك الحرام.



س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ ﴾ ؟

ج : أما الأمد فهو الدهر والزمن.

والآية في معناها وجوه :

أحدها : طال عليهم الزمن في البعد عن الرسالات والمواعظ ، فلما ابتعدت اليهود عن نبيهم موسى عليه السلام وابتعدت النصارى عن عيسى - عليه السلام - وترك هؤلاء وأولئك استماع العلم والمواعظ تسربت القسوة إلى قلوبهم ، فالبعد عن العلم والوعظ يقسي القلوب ، ولذا استُحِبَّ للشخص أن يتعاهد نفسه باستماع المواعظ ، ومن ثمَّ فقد كان النبي ﷺ يعظ أصحابه ويتخولهم بالمواعظ



س : من الذين عناهم الله بقوله : ﴿ كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ ﴾ وما الكتاب الذي أوتوه ؟

ج : أما الذين أوتوا الكتاب فهم اليهود والنصارى أما الكتاب الذي أوتوه ، فقد أوتي اليهود التوراة وأوتي النصارى الإنجيل ، والله أعلم.



س : اذكر ما يدل على كثرة الفاسقين من أهل الكتاب ؟

ج : من الدليل على ذلك ما يلي : قوله تعالى : ﴿ فَآتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٠] ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَا نَزَالُ تَطْلُعُ عَلَى حَايَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ﴾ [المائدة: ١٣].



س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ ؟
 ج : إيضاحه أن الله عز وجل يحيي الأرض بالماء الذي ينزله عليها فتنبت النبات
 وتُخرج ثمرتها بعد أن كانت ميتة. وكذلك القلوب الميتة التي ليس فيها إيمان يحييها الله
 بالإيمان وبالقرآن ، فتتهدي بعد الضلالة ، وتُبصر بعد العمى .

قال الطبري - رحمه الله تعالى :- يقول تعالى ذكره : ﴿اعْلَمُوا﴾ أيها الناس ﴿أَنَّ اللَّهَ
 يَحْيِي الْأَرْضَ﴾ الميتة التي لا تنبت شيئاً ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يعني : بعد دثورها ودروسها ، يقول :
 وكما نحْيي هذه الأرض الميتة بعد دروسها ، كذلك نهدي الإنسان الضالَّ عن الحق إلى
 الحق ، فنوفِّقه ونسُدِّده للإيمان حتى يصير مؤمناً من بعد كفره ، ومهتدياً من بعد ضلاله .

وقال الحافظ ابن كثير - رحمه الله :- وقوله : ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾
 قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَةَ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ : فيه إشارة إلى أنه تعالى يلين القلوب بعد قسوتها ،
 ويهدي الحيارى بعد ضللتها ، ويفرج الكروب بعد شدتها ، فكما يحيي الأرض الميتة
 المجدبة الهامدة بالغيث الهُتَّان ، كذلك يهدي القلوب القاسية براهين القرآن والدلائل ،
 ويولج إليها النور بعد ما كانت مقفلة لا يصل إليها الواصل ، فسبحان الهادي لمن يشاء
 بعد الإضلال ، والمضل لمن أراد بعد الكمال ، الذي هو لما يشاء فعال ، وهو الحكم
 العدل في جميع الفعال ، اللطيف الخبير الكبير المتعال .



س : في قوله تعالى : ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ﴾ قراءتان وضَّحهما ؟

ج : القراءتان هما :

الأولى : الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ بتشديد الصاد والذال . وهي كقوله تعالى :
 ﴿يَتَأْتِيهَا الرِّزْقُ﴾ [الزُّمْل: ١] أي : يأتيها الزمْل فالمعنى : إن المتصدقين والمتصدقات أي
 المتصدقين من أموالهم والمتصدقات من أموالهن صدقة الفرض أو صدقة النفل .
 والقراءة الثانية : الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ بتخفيف الصاد وتشديد الذال .

قال الطبري - رحمه الله :- وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي أن يقال :
 إنهما قراءتان معروفتان ، صحيح معنى كل واحدة منهما فبآيتها قرأ القارئ فمصيب .



س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ ؟

ج : المعنى - والله أعلم - وأنفقوا في سبيل الله لنصرة دينه ، وفي وجوه الخير التي أمر بها ، نفقةً حلالاً طيبةً بها نفسه .



س : اذكر بعض الوارد في فضل النفقة في سبيل الله ؟

ج : من ذلك ما يلي : قوله تعالى : ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ، وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١٧] ، وقوله تعالى : ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ .

وقول النبي ﷺ : «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلٍ تَمَرَّةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ - ولا يقبل الله إلا الطيب - فإن الله يتقبلها بيمينه ، ثم يربها لصاحبه كما يربي أحدكم فُلُوهُ ، حتى تكون مثل الجبل» ^(١) وقول النبي ﷺ : «اتقوا النار ولو بشق تمرة» ^(٢) ، وقول النبي ﷺ : «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ... ورجل تصدق أخفى حتى لا تعلم شأله ما تنفق بيمينه» ^(٣) .
وقول النبي ﷺ : «ما نَقَصْتُ صدقةً من مال» ^(٤) . وقد سبقت في سور أخر أدلة كثيرة في هذا الباب فليراجعها من شاء في مواطنها وبالله التوفيق .



س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ ؟

ج : قال الطبري - رحمه الله - : والذين أقرؤا بوحدانية الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم يدعوكم إلى الإقرار بوحدانيته وإرساله رسله فصدقوا الرسل وآمنوا بما جاءوهم به من عند ربهم أولئك هم الصديقون .

(١) البخاري (١٤١٠) ، ومسلم (١٠١٤) .

(٢) البخاري (٦٠٢٣) ، ومسلم (١٠١٦) .

(٣) البخاري (٦٦٠) ، ومسلم (١٠٣١) .

(٤) مسلم (٢٥٨٨) .

س: هل كل من آمن بالله ورسله يعد صديقاً ؟

ج: نعم يعدُّ صديقاً، ولكن ذلك على قدر إيمانه وتصديقه فإذا كان تصديقه تاماً وإيمانه كاملاً دخل في عداد الصديقين بحسب إيمانه وتصديقه وإذا كان دون ذلك فمنزله من الصديقية دون ذلك.



س: أيهما أعلى منزلة الصديقون أم الشهداء ؟

ج: اعلم أولاً أن الشخص قد يجمع بين الدرجتين الصديقية والشهادة أما إذا لم يجمع بينهما ، وكان المراد بالشهداء القتلى في سبيل الله ، فالصديقون أعلى منهم رتبة يوم القيامة. قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩] فَقَدَّم الصديقون على الشهداء في السياق.

قال القرطبي: فالصديقون هم الذين يتلون الأنبياء، والشهداء هم الذين يتلون الصديقين، والصالحون يتلون الشهداء.

قلت (مصطفى): وكما أسلفت فقد يجمع الشخص بين ما ذكر وقد يجمع بعض ما ذكر. ولقد قال نبي الله سليمان - عليه السلام -: ﴿وَأَدْخَلَنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الْصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩] فيكون الصلاح هنا مرتبة عليا أيضاً.

هذا ، وقد ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال : «إن أهل الجنة يترءون أهل الغرف من فوقهم كما يترءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب، لتفاضل ما بينهم». قالوا: يا رسول الله ، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: بلى والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»^(١).



س: من المعنون بالشهداء في هذه الآية الكريمة ؟

ج: قيل: إن المراد بالشهداء الرسل يشهدون على أمهم يوم القيامة ، وشاهد

(١) البخاري (٣٢٥٦)، ومسلم (٢٨٣١).

هذا القول قوله تعالى : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٤١]. وقيل : إنهم عموم من يشهد يوم القيامة ، وهم أمة محمد ﷺ .
قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ [البقرة: ١٤٣]. وذكر بعض العلماء أن الشهداء هم القتلى في سبيل الله وهذا أقرب الأقوال - في نظري - إلى الصحة ، والله أعلم .



س : هل الوقف في الآية الكريمة ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ﴾ عند قوله : ﴿ الصَّادِقُونَ ﴾ أم عند قوله : ﴿ وَنُورُهُمْ ﴾ ؟

ج : لأهل العلم في ذلك قولان :

أحدهما : أن الوقف عند قوله الصادقون فيكون المعنى ، والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصادقون ، ويكون المعنى قد انتهى ثم ابتدأ معنى جديدًا ألا وهو بيان أجر الشهداء في قوله تعالى : ﴿ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ﴾ . وقد ورد هذا القول عن ابن عباس بسند ضعيف ^(١) عند الطبري ، فقال ابن عباس في قوله : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ قال هذه مفصلة ﴿ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ﴾ . ولكنه قد صح عن مسروق ^(٢) نفس المعنى فقال : ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ﴾ قال : هي للشهداء خاصة .

الثاني : أن الوقف عند قوله ونورهم ، فيكون المعنى أن الذين آمنوا بالله ورسله هم الصادقون وهم أيضًا الشهداء على الخلق عند ربهم ، ويكون أيضًا ادخر لهم أجرهم ، ونورهم .

وأورد الطبري في ذلك حديثًا ^(٣) من طريق البراء بن عازب - رضي الله عنهما - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مُؤْمِنُوا أُمَّتِي شُهَدَاءُ . قال : ثم تلا النبي ﷺ هذه الآية : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ . »

(١) وذلك لأنه من سلسلة العوفيين عن ابن عباس ، وهي سلسلة ضعيفة جدًا .

(٢) وذلك عند الطبري في تفسير الآية المذكورة .

(٣) الطبري (٣٣٦٥٣) ، وفي سنده إسماعيل بن يحيى وهو ضعيف .

قلت (مصطفى): وفي سنده ضعف.

وأثراً آخر من طريق شعبة ^(١) قال: أخبرنا أبو قيس أنه سمع هذيلاً يحدث: قال: ذكروا الشهداء، فقال عبد الله: الرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، والرجل يقاتل للدين، والرجل يقاتل للسمعة، والرجل يقاتل للمغنم؛ قال شعبة شيئاً هذه معناه: والرجل يقاتل يريد وجه الله، والرجل يموت على فراشه وهو شهيد، وقرأ عبد الله هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾.

هذا، وقد قال الطبري في تفسيره: وقوله: ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ اختلف أهل التأويل في ذلك، فقال بعضهم: والشهداء عند ربهم منفصل من الذي قبله، والخبر عن الذين آمنوا بالله ورسله، متناه عند قوله ﴿الصَّادِقُونَ﴾ مرفوعون بقوله: هم ثم ابتدئ الخبر عن الشهداء فقليل: والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم، والشهداء في قولهم مرفوعون بقوله: ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾.

ثم قال أيضاً: وقال آخرون: بل قوله: ﴿وَالشُّهَدَاءُ﴾ من صفة الذين آمنوا بالله ورسله؛ قالوا: إنما تنهى الخبر عن الذين آمنوا عند قوله: ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ ثم ابتدئ الخبر عما لهم، فقليل: لهم أجرهم ونورهم.

ثم قال الطبري: والذي هو أولى الأقوال عندي في ذلك بالصواب قول من قال: الكلام والخبر عن الذين آمنوا، متناه عند قوله: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ وإن قوله: ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ خبر مبتدأ عن الشهداء.

وإنما قلنا: إن ذلك أولى الأقوال في ذلك بالصواب، لأن ذلك هو الأغلب من معانيه في الظاهر، وأن الإيمان غير موجب في المتعارف للمؤمن اسم شهيد لا بمعنى غيره، إلا أن يراد به شهيد على ما آمن به وصدقه، فيكون ذلك وجهاً، وإن كان فيه بعض البعد، لأن ذلك ليس بالمعروف من معانيه، إذا أطلق بغير وصل، فتأويل قوله: ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ إذن والشهداء الذين قُتِلُوا في سبيل الله، أو هلكوا في سبيله عند ربهم، لهم ثواب الله إياهم في الآخرة ونورهم.



﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وِزْنٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاهُهُ ثُمَّ يَهِيْجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَّعَ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلٍ أَن نَّبْرَاهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَآفَاتِكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحديد: ٢٠-٢٤].

س: اذكر معنى مايلي :

(﴿وِزْنٌ - وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ - وَتَكَاثُرٌ - غَيْثٌ - الْكُفَّارَ - يَهِيْجُ - مُصْفَرًّا - حُطَمًا - وَرِضْوَانٌ - مَتَّعَ الْغُرُورِ - نَّبْرَاهَا تَأْسَوْا - ءَاتَاكُمْ - مُخْتَالٍ - فَخُورٍ - يَبْخُلُونَ - يَتَوَلَّ - الْحَمِيدُ﴾)

ج :

معناها	الكلمة
ما تتزينون به .	﴿وِزْنٌ﴾
تفاخر بعضكم على بعض (تَعَالَى بعضكم على بعض) .	﴿وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ﴾
تباهى بالكثرة .	﴿وَتَكَاثُرٌ﴾

﴿غَيْثٌ﴾	مطر
﴿الْكَفَّارُ﴾	الزراع (وهم هنا - والله أعلم - الذين يبذرون البذرة ويغطونها في الأرض).
﴿يَهْبِجُ﴾	يجف بعد خضرته.
﴿مُضَفَّرًا﴾	متغيرًا إلى الصفرة بعد الاخضرار.
﴿حُطَمًا﴾	متهشمًا - مُحَطَّمًا مُكْسَرًا متفتتًا -
﴿وَرِضُونٌ﴾	رضى من الله عزَّ وجلَّ.
﴿مَتَعَ الْغُرُورِ﴾	متاع يتمتع به، ويتنفع به، ولا يغتر به ويطمئن إليه إلا أهل العقول الضعيفة.
﴿نَبَرَاهَا﴾	نخلقها (نخلق الأنفس)
﴿تَأْسُوا﴾	تحزنوا - تندموا
﴿ءَاتَاكُمْ﴾	أعطاكم - (جاءكم منها).
﴿مُخْتَالٍ﴾	متكبر أوتي من الدنيا.
﴿فَخُورٍ﴾	مفتخر على الناس بها أوتي.
﴿يَبْخُلُونَ﴾	يمنعون الواجب عليهم إخراجهم.
﴿يَتَوَلَّ﴾	يعرض عن الموعدة.
﴿الْحَمِيدُ﴾	الحميد إلى خلقه بما أنعم عليهم.



س: ما وجه الاتصال بين قوله تعالى : ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ...﴾ وبين الآية التي تتقدمها ؟

ج: قال القرطبي - رحمه الله - : قوله تعالى : ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهَوٌ﴾ وجه الاتصال أن الإنسان قد يترك الجهاد خوفًا على نفسه من القتل ، وخوفًا من لزوم الموت ، فبين أن الحياة الدنيا منقضية فلا ينبغي أن يترك أمر الله محافظة على ما لا يبقى .



س: هل كل لعب ولهو وزينة وتفاخر وتكاثر حرام؟

ج: ليس كل اللعب حرام ، بل من اللعب ما هو مباح وحلال كملاعبة الرجل أهله وفرسه واللهو المباح في الأفراح (ففي الحديث ماذا كان معكم من اللهو فإن الأنصار يعجبهم اللهو)^(١)

والزينة التي أباحها الله ، وقد قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ [الأعراف: ٣٢] وكذا التفاخر بالخير الموصل إلى مرضات الله كما كانت الأوس والخزرج يتفاخرون بمناقبهم في الخير، وكذا قد قال النبي ﷺ: «تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم»^(٢).



س: وضح معنى الآية الكريمة: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوٌ وَزِينَةٌ...﴾ ؟

ج: قال الطبري - رحمه الله :-

يقول تعالى ذكره : اعلّموا أيها الناس أن متاع الحياة الدنيا المعجلة لكم ، ما هي إلا لعب ولهو تتفكّهون به ، وزينة تترنون بها ، وتفاخر بينكم يفخر بعضكم على بعض بما أولى فيها من رياشها ﴿وَتَكَاثَّرُوا فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ [الحديد: ٢٠] يقول تعالى ذكره : ويباهي بعضكم بعضًا بكثرة الأموال والأولاد ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاهُهُ ثُمَّ يَهِيجُ﴾ يقول تعالى ذكره : ثم ييس ذلك النبات ﴿فَكَرَّهَتْهُ مُصْفَرًّا﴾ [الزمر: ٢١] بعد أن كان أخضر نضراً.

وقوله: ﴿ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا﴾ يقول تعالى ذكره: ثم يكون ذلك النبات حطامًا ، يعني به أنه يكون نباتًا يابسًا متهشمًا ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ يقول تعالى ذكره : وفي الآخرة عذاب شديد للكفار ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾ لأهل الإيمان بالله ورسوله.

(١) البخاري (مع الفتح ٩/ ٢٢٥).

(٢) أبو داود (حديث ٢٠٥٠) بسند صحيح.

وقال الحافظ ابن كثير - رحمه الله :-

يقول تعالى مُوهِنًا أَمْرَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَمَعْقِرًا لَهَا : ﴿أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَزِينَةُ وَتَفَاخُرُ بَيْنَكُمْ وَتَكَاتُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ . أي : إنما حاصل أمرها عند أهلها هذا ، كما قال : ﴿زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَقَابِ﴾ [آل عمران: ١٤] .



س : اذكر بعض الوارد في النهي عن التفاخر ؟

ج : أخرج مسلم في صحيحه : أن النبي ﷺ قال : «إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يبغى أحدٌ على أحد ولا يفخر أحدٌ على أحد» ^(١) .

ثم إن هذا التفاخر من أمر الجاهلية ، قال رسول الله ﷺ : «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن الفخر في الأحساب والطعن في الأنساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة على الميت...» ^(٢) .



س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بِنَائِهِ﴾ ؟

ج : قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله :-

ثم ضرب تعالى مثل الحياة الدنيا في أنها زهرة فانية ونعمة زائلة ؛ فقال : ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ﴾ ، وهو : المطر الذي يأتي بعد قنوط الناس ، كما قال : ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾ [الشورى: ٢٨] .

وقوله : ﴿أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بِنَائِهِ﴾ . أي : يعجب الزراع نبات ذلك الزرع الذي نبت بالغيث ، وكما يعجب الزراع ذلك كذلك تعجب الحياة الدنيا الكفار ، فإنهم

(١) مسلم في طرف حديث (٢٨٦٥) .

(٢) مسلم (٩٣٤) .

أحرص شيء عليها وأميل الناس إليها، ﴿ثُمَّ يَبْهَجُ فَتَرَبُّهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا﴾ ، أي : يبهج ذلك الزرع فتراه مصفرًا بعدما كان خضرًا نضراً ، ﴿ثُمَّ يَكُونُ﴾ بعد ذلك كله إلى أن : يصير يبساً متحطماً ، هكذا الحياة الدنيا تكون أولاً شابة ، ثم تكتهل ، ثم تكون عجوزاً شوهاء ، والإنسان كذلك يكون في أول عمره وعنفوان شبابه غصاً طرياً لين الأعطاف ، بهي المنظر ، ثم إنه يشرع في الكهولة فتتغير طباعه وينقذ بعض قواه ، ثم يكبر فيصير شيخاً كبيراً ضعيف القوى قليل الحركة ، يعجزه الشيء اليسير ، كما قال تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [الروم: ٥٤] . ولما كان هذا المثل دالاً على زوال الدنيا وانقضائها وفراغها لا محالة ، وأن الآخرة كائنة لا محالة ، حذر من أمرها ، ورغب فيما فيها من الخير ، فقال : ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ﴾ ، أي : وليس في الآخرة الآتية القريبة إلا إما هذا وإما هذا ؛ إما عذاب شديد ، وإما مغفرة من الله ورضوان .

وقوله : ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ﴾ ، أي : هي متاع فإن غار لمن ركن إليه ، فإنه يغتر بها ، وتعجبه حتى يعتقد أنه لا دار سواها ، ولا معاد وراءها ، وهي حقيرة قليلة بالنسبة إلى الدار الآخرة .

أما سائر أقوال العلماء فمنها :

قول القرطبي - رحمه الله - :

إذ قال : ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ﴾ أي مطر ﴿أَنْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾ الكفار هنا : الزّراع لأنهم يغطون البذر . والمعنى : أن الحياة كالزرع يعجب الناظرين إليه لخضرته بكثرة الأمطار ، ثم لا يلبث أن يصير هشيماً كأن لم يكن ، وإذا أعجب الزراع فهو غاية ما يستحسن . وقد مضى معنى هذا المثل في «يونس» و «الكهف» . وقيل : الكفار هنا الكافرون بالله عز وجل ، لأنهم أشد إعجاباً بزيينة الدنيا من المؤمنين . وهذا قول حسن ، فإن أصل الإعجاب لهم وفيهم ، ومنهم يظهر ذلك ، وهو التعظيم للدنيا وما فيها . وفي الموحدين من ذلك فروع تحدث من شهواتهم ، وتتقلل عندهم وتدق إذا ذكروا الآخرة . وموضع الكاف رفع على الصفة . ﴿ثُمَّ

يَهِيْجُ ﴿ أَي يَجْفُ بِعَدْ خَضْرَتِهِ ﴿ فَتَرْبُهُ مُصْفَرًّا ﴾ أَي مُتَغَيِّرًا عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ النُّصْرَةِ . ﴿ ثُمَّ يَكُونُ حُطْلَمًا ﴾ أَي فُتَاتًا وَتَبْنًا فَيَذْهَبُ بَعْدَ حَسَنِهِ ، كَذَلِكَ دُنْيَا الْكَافِرِ . ﴿ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ أَي لِلْكَافِرِينَ . وَالْوَقْفُ عَلَيْهِ حَسَنٌ ، وَيَبْتَدِئُ ﴿ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ﴾ أَي لِلْمُؤْمِنِينَ . وَقَالَ الْفَرَاءُ : ﴿ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ ﴾ تَقْدِيرُهُ : إِمَّا عَذَابٌ شَدِيدٌ وَإِمَّا مَغْفِرَةٌ ، فَلَا يُوقَفُ عَلَى « شَدِيدٌ » . ﴿ وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْغُرُورِ ﴾ هَذَا تَأْكِيدٌ مَا سَبَقَ ، أَي تَغْرِ الْكَفَّارَ ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَالدُّنْيَا لَهُ مَتَاعٌ بَلَاحٌ إِلَى الْجَنَّةِ . وَقِيلَ : الْعَمَلُ لِلْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَتَاعُ الْغُرُورِ تَزْهِيْدًا فِي الْعَمَلِ لِلدُّنْيَا ، وَتَرْغِيْبًا فِي الْعَمَلِ لِلْآخِرَةِ .



س : وَضَحَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ﴾ ؟

ج : الْمَعْنَى - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - وَفِي الْآخِرَةِ إِمَّا عَذَابٌ شَدِيدٌ لِأَهْلِ الْكُفْرِ وَإِمَّا مَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ .



س : وَضَحَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ ؟

ج : الْمَعْنَى : سَابِقُوا إِلَى عَمَلٍ صَالِحٍ تُغْفِرُ بِهِ ذُنُوبَكُمْ قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - بَعْدَ أَنْ فُسِّرَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ ... ﴾ وَأُورِدَ حَدِيثُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : « لِلْجَنَّةِ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ » ^(١) . قَالَ فِيهِ هَذَا الْحَدِيثُ دَلِيلٌ عَلَى اقْتِرَابِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ مِنَ الْإِنْسَانِ ، وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ ، فَلِهَذَا حَثَّ اللَّهُ عَلَى الْمُبَادَرَةِ إِلَى الْخَيْرَاتِ ، مِنْ فَعْلِ الطَّاعَاتِ ، وَتَرْكِ الْمَحْرَمَاتِ ، الَّتِي تَكْفُرُ عَنْهُ الذُّنُوبُ وَالزَّلَاتُ ، وَتَحْصُلُ لَهُ الثَّوَابُ وَالدرجات ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ : وَالْمُرَادُ جَنَسُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْآخَرَى : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٣] .



س: وردت جملة من الأدلة في الحث على المسارعة إلى الخيرات والتسابق إليها اذكر بعضها؟

ج: من ذلك ما يلي :

قوله تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ ،
وقوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ
أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقوله تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [المائدة: ٤٨]، وقوله
تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].



س: إذا كان عرض الجنة السموات والأرض فما طولها ، وأين تكون حينئذ؟
ج: الطول - والله أعلم - لا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى ، وذكر عرضها فيه تنبيه
وإشارة إلى عظيم طولها ، فهو من باب التنبيه بالأدنى على الأعلى ، كما قال تعالى :
﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمن: ٥٤] فإذا كانت بطائن
الفرش (الحشو الداخلي) من إستبرق وهو الحرير ، فكيف بالظواهر .

ونحوه من التنبيه بالأدنى على الأعلى قوله تعالى : ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۝١ الَّذِينَ
هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٥] فإذا كان الذين يصلون بعض الصلوات ويتركون
بعضاً توعدهم الله بالويل فكيف بالذين لا يصلون. أما أين تكون الجنة حينئذ ، وطولها
أطول من السموات والأرض ؟ فالأرض هنالك غير الأرض ، والسموات غير
السموات قال تعالى : ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨].



س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ﴾ ؟

ج : في ذلك قولان :

أحدهما : تلك الجنة التي عرضها السموات والأرض يتفضل الله بها على من
يشاء من عباده المؤمنين به وبرسله .

الثاني: تلك المسابقة إلى الخيرات والمسابقة إلى ما تغفر به الذنوب فضلٌ من الله عزَّ وجلَّ يتفضل الله به على من يشاء من عباده.

قال الطبري - رحمه الله :-

وقوله : ﴿ ذَلِكْ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ [الجمعة: ٤] يقول جل ثناؤه : هذه الجنة التي عرضها كعرض السماء والأرض التي أعدّها الله للذين آمنوا بالله ورسله ، فضل الله تفضل به على المؤمنين ، والله يؤتي فضله من يشاء من خلقه ، وهو ذو الفضل العظيم عليهم ، بما بسط لهم من الرزق في الدنيا ، ووهب لهم من النعم ، وعرفهم موضع الشكر ، ثم جزاهم في الآخرة على الطاعة ما وصف أنه أعدّه لهم .

قال القرطبي - رحمه الله :-

﴿ ذَلِكْ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ [المائدة: ٥٤] أي أن الجنة لا تنال ولا تدخل إلا برحمة الله تعالى وفضله .

وأورد الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى :-

حديث رسول الله ﷺ : «لَلْجَنَّةِ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ»^(١) ثم قال: ففي هذا الحديث دليل على اقتراب الخير والشر من الإنسان ، وإذا كان الأمر كذلك ، فلهذا حثه الله على المبادرة إلى الخيرات ، من فعل الطاعات ، وترك المحرمات ، التي تكفر عنه الذنوب والزلات ، وتحصل له الثواب والدرجات ، فقال تعالى : ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ : والمراد جنس السماء والأرض ، كما قال في الآية الأخرى : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣] . وقال هاهنا : ﴿ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ ، أي : هذا الذي أهلهم الله له هو من فضله ومنه عليهم وإحسانه إليهم ، كما قدمنا في «الصحيح»^(٢) أن فقراء المهاجرين قالوا : يا رسول الله ، ذهب أهل الدثور بالدرجات

(١) صحيح: أخرجه أحمد (١/٤٤٢)، وانظر البخاري (٦٤٨٨).

(٢) انظر البخاري (٨٤٣)، ومسلم (٥٩٥/١٤٢).

العلا والنعيم المقيم . قال : « وَمَا ذَاكَ ؟ » قالوا : يصلون كما نصلي ، ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون ولا نتصدق ، ويعتقون ولا نُعتق . قال : « أَفَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ سَبَقْتُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ ، وَلَا يَكُونَ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُمْ إِلَّا مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ : تُسَبِّحُونَ وَتُكَيِّرُونَ وَتَحْمَدُونَ ذُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ » . قال : فرجعوا فقالوا : سمع إخواننا أهل الأموال ما فعلنا ، ففعلوا مثله ! فقال رسول الله ، ﷺ : ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ .



س : ما المراد بالمصيبة في الأرض ؟

ج : المراد - والله أعلم - فساد الأرض ، وجديها وذهاب زرعها وقحطها وقلة نباتها وثمارها وقيل الجوائح التي تُصاب بها الزروع .



س : ما المراد بالمصيبة في النفس ؟

ج : المراد - والله أعلم - الأوجاع والأمراض والأسقام والحوادث التي تصاب بها الأنفس . وقيل : إقامة الحدود ، وقيل ضيق المعاش .



س : ما المراد بالكتاب في قوله تعالى : ﴿ إِلَّا فِي كِتَابٍ ﴾ ؟

ج : المراد به : اللوح المحفوظ ، الذي هو أم الكتاب .



س : وضح المراد بقوله تعالى : ﴿ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ﴾ ؟

ج : المراد - والله أعلم - أن المصائب التي تحل بالبلاذ والعباد قدرها الله وكتبها في كتاب عنده (وهو اللوح المحفوظ) قبل أن يخلق الأنفس .

وفي الحديث الذي أخرجه مسلم^(١) في صحيحه أن النبي ﷺ قال : « كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ » .

وقد أخرج الطبري بسند صحيح عن ابن زيد في قول الله جل ثناؤه: ﴿كَتَبَ مِنْ قَبْلُ أَنْ نَبْرَاهَا﴾ قال: من قبل أن نخلقها قال: المصائب والرزق والأشياء كلها مما تحب وتكره، فرغ الله من ذلك كله قبل أن يبرأ النفوس ويخلقها.



س: في قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَاهَا﴾ ردُّ على القدرة، وضح هذا الرد بمزيد من الاستدلالات؟

ج: نعم في هذه الآية الكريمة ردُّ على نفاة القدر، فالآية الكريمة تفيد أن الأمور مقدرة كما أفادتها غيرها من الآيات كقوله تعالى: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٨]، وكقوله تعالى: ﴿لَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ شَيْئاً لِّلْعَالَمِينَ لَفَسَدُوا﴾ [الحشر: ٣]، وكقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١]، وكقوله تعالى: ﴿لَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٤]، وكقوله تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ [المجادلة: ٢١].

قال الشنقيطي - رحمه الله -:

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من أنه لا يصيب الناس شيءٌ من المصائب إلا وهو مكتوب عند الله قبل ذلك، أوضحه الله تعالى في غير هذا الموضع، كقوله تعالى: ﴿قُلْ لَّنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١] وقوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [التغابن: ١١] وقوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥]، لأن قوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾ [البقرة: ١٥٥] قبل وقوع ذلك دليل على أن هذه المصائب معلومة له جل وعلا قبل وقوعها، ولذا أخبرهم تعالى بأنها ستقع، ليكونوا مستعدين لها وقت نزولها بهم، لأن ذلك يعينهم على الصبر عليها، ونقص الأموال والثمرات مما أصاب من

مصيبية ، ونقص الأنفس في قوله : والآنفس ، مما أصاب من مصيبية في النفس ، وقوله في آية الحديد هذه : ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ أي بينا لكم أن الأشياء مقدرة مكتوبة قبل وجود الخلق ، وأن ما كُتِبَ واقع لا محالة لأجل ألا تحزنوا على شيء فاتكم ، لأن فواته لكم مقدر ، وما لا طمع فيه قل الأسى عليه ، ولا تفرحوا بما آتاكم ، لأنكم إذا علمتم أن ما كتب لكم من الرزق والخير لا بد أن يأتيكم قل فرحكم به .



س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ إِنْ ذَلِكْ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ .

ج : قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - :

وقوله : ﴿ إِنْ ذَلِكْ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ ، أي : إن علمه تعالى الأشياء قبل كونها وكتابتها لها طبق ما يوجد في حينها ، سهَّلَ على الله - عزَّ وجلَّ - لأنه يعلم ما كان وما يكون ، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون .



س : ما فائدة الإخبار بقوله تعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ ﴾ ؟

ج : ذلك حتى تطمئن القلوب ، فلا تجزع لمصاب ألمِّها ولا تفرح ولا تبطر ولا تطغى لنعمة حلَّت بها ، فالغني إذا أدرك أن غناه مقدر له ما طغى وما بغى ، والفقير إذا أدرك أن ما هو فيه مُقدَّر لم يحزن ولم يأسف .

والمبتلى في نفسه بحادث أو بمرض لو أدرك أن كل ذلك مقدرٌ عليه ما ندم . فقد يخرج الخارج من بيته فيصاب بحادث فيقول - إذا لم يكن مؤمناً - (ليتني ما خرجت) ويندم أشد الندم على ما حدث له لكنه إذا كان مؤمناً علم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه . وكما قال تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٤] . هذا ، وقد ورد عن ابن عباس ^(١) - رضي

(١) عند الطبري . وإن كان في سنده ضعف .

الله عنها - أنه قال : ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ ﴾ قال : ليس أحد إلا يحزن ويفرح ، ولكن من أصابته مصيبة فجعلها صبراً ومن أصابه خير فجعله شكراً .

وقال القرطبي رحمه الله :

﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ ﴾ أي حتى لا تحزنوا على ما فاتكم من الرزق ، وذلك أنهم إذا علموا أن الرزق قد فرغ منه لم يأسوا على ما فاتهم منه .

وقال ابن كثير - رحمه الله - :

وقوله : ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ ، أي : أعلمناكم بتقديم علمنا وسبق كتابتنا للأشياء قبل كونها ، وتقديرنا الكائنات قبل وجودها ، لتعلموا أن ما أصابكم لم يكن ليخطئكم ، وما أخطأكم لم يكن ليصيبكم ، فلا تأسوا على ما فاتكم ، فإنه لو قدر شيء لكان ﴿ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ ، أي : جاءكم ، وقرأ ﴿ آتَاكُمْ ﴾ ، أي أعطاكم . وكلاهما متلازم ، أي : لاتفخروا على الناس بما أنعم الله به عليكم ، فإن ذلك ليس بسعيكم ولا كدكم ، وإنما هو عن قدر الله ورزقه لكم ، فلا تتخذوا نعم الله أشراً وبطراً ، تفخرون بها على الناس ، ولهذا قال : ﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ ، أي : مختال في نفسه ، متكبر ﴿ فَخُورٍ ﴾ ، أي : على غيره .



س : قوله تعالى : ﴿ يَبْخُلُونَ ﴾ يبخلون بماذا ؟

ج : يبخلون بإخراج ما أوجه الله عليهم من الزكوات المفروضات وغيرها . هذا ، ومن العلماء من حمل البخل هنا على ما هو أعم من الزكوات والصدقات ، فحمله على البخل بالطاعات عموماً ، وإلى هذا أشار الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى - بقوله : ﴿ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ ﴾ أي يفعلون المنكر ويحضون الناس عليه .

وقيل المراد بالبخل ، البخل بتعليم الناس وإخبارهم بما ينفعهم ويقربهم من ربهم ، ومن ذلك بخل اليهود بإخبار الناس بصفة النبي محمد ﷺ .



س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ ؟

ج : إيضاحه فيما ذكره الطبري إذ قال :

وقوله : ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ يقول تعالى ذكره : ومن يدبر مُعْرِضًا عن عظة الله ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ يقول تعالى ذكره : ومن يدبر معرضًا عن عظة الله ، تاركًا العمل بما دعاه إليه من الإنفاق في سبيله ، فرحًا بما أوتي من الدنيا مختلًا به فخورًا بخيلًا ، فإن الله هو الغني عن ماله ونفقته ، وعن غيره من سائر خلقه ، الحميد إلى خلقه بما أنعم به عليهم من نعمه .



س : قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ أين جوابه ؟

ج : من العلماء من قال جوابه محذوف لكنه محذوف من السياق ، واستفيد المعنى من آيات أخر وحذف الجواب كما في قوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُفِيَ بِهِ الْمَوْتُ ...﴾ [الرعد: ٣١] أي لكان هذا القرآن .

وكذلك المعنى ، ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ جوابه ، أولئك الأئمة الظلمة المعذبون يوم القيامة .

هذا ، ومن العلماء من قال إن قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ﴾ لا يحتاج إلى جواب لأنه وصف لقوم تقدم ذكرهم فيكون المعنى ، والله لا يحب كل مختال فخور وهذا المختال الفخور هو الذي يبخل ويأمر الناس بالبخل ، والله لا يحبه ، والله أعلم .



﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ
النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن
يُضِرُّهُ وَرُسُلُهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي
ذُرِّيَّتِهِمَا النَّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ
فَقَيْنَا عَلَىٰ عِثْرِهِم بِرُسُلِنَا وَفَقَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ
وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا
عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَارَعُوهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ
أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ
يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿٢٨﴾﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ إِلَّا يَاقِدُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ
اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿[الحديد: ٢٥-٢٩]﴾.

س: اذكر معنى ما يلي:

(إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ) - لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ - بَأْسٌ شَدِيدٌ -
وَمَنفَعٌ لِلنَّاسِ - بِالْغَيْبِ - عَزِيزٌ - وَالْكِتَابَ - مُّهْتَدٍ - فَسِقُونَ - فَقَيْنَا - عَلَىٰ
عِثْرِهِمْ - رَأْفَةً - وَرَهَابَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا - مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ - ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ - فَمَا
رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا - كِفْلَيْنِ - وَيَغْفِرْ لَكُمْ - غَفُورٌ - رَّحِيمٌ).

ج:

الكلمة	معناها
﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾	المعجزات - الحجج الباهرات - الدلالات الواضحات.
﴿وَالْكِتَابَ﴾	الكتب المنزلة من عند الله.

﴿وَالْمِيزَانَ﴾	العدل - الحق الذي تشهد العقول السليمة بصحته ، وقيل الميزان المعروف الذي يزن به الناس .
﴿يَقُومُ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾	ليحكم الناس بالعدل .
﴿بِأَسْ شَدِيدٍ﴾	قوة شديدة - السيوف والأسلحة التي يقاتل بها الناس والدروع التي يتقون بها السهام ^(١) .
﴿وَمَنْفَعُ النَّاسِ﴾	يتنفعون بذلك في معاشهم كالفأس والقذوم والمنشار والأزميل .
﴿بِالْعَيْبِ﴾	أي وهم لا يرون ربه عز وجل .
﴿عَزِيزٍ﴾	غالب - منيع السلطان عظيم الجناح .
﴿وَالْكِتَابِ﴾	المراد الكتب المنزلة من عند الله عموماً ، ومنها (صحف إبراهيم وصحف موسى والتوراة والزبور والإنجيل) .
﴿مُهْتَدٍ﴾	مستبصر مؤمن .
﴿فَلَسِقُونَ﴾	ضلال خارجون عن طاعة الله إلى معصيته .
﴿فَقَتِنَا﴾	اتبعنا .
﴿عَلَىٰ أَثَرِهِمْ﴾	من بعدهم - على نهجهم .
﴿رَأْفَةٍ﴾	مودّة - خشية ، وقيل الرأفة أشد الرحمة .
﴿وَرَهْبَانِيَّةٍ﴾	انقطاع للعبادة وترك العمل وترك الملذات .
﴿أَبْتَدَعُوهَا﴾	أحدثوها - اختلقوها .
﴿مَا كَتَبْنَا عَلَيْهَا﴾	ما افترضناها عليهم - ما شرعناها لهم .
﴿أَبْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾	طلب مرضاة الله .
﴿فَمَارَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾	فما قاموا بها حق القيام ، فما التزموا ما ألزموا أنفسهم به .
﴿كَفَلَيْنِ﴾	ضِعْفَيْنِ من الأجر ^(٢) - حظين .
﴿وَنُفِّرْ لَكُمْ﴾	يصفح عن ذنوبكم فيسترها عليكم .

(١) أخرج الطبري بإسناد صحيح عن ابن زيد قال: البأس الشديد السيوف والسلاح الذي يُقاتل الناس به ﴿ومنافع للناس﴾ بعد يمفرون بها الأرض والجبال وغير ذلك .

(٢) قال الطبري رحمه الله: وأصل الكفل الحظ، وأصله ما يكتفل به الراكب فيحسبه ويحفظه عن السقوط، ويقول يحصنكم هذا الكفل من العذاب كما يحصن الكفل الراكب من السقوط .

﴿عَفُورٌ﴾	ذو مغفرة.
﴿رَحِيمٌ﴾	ذو رحمة.



س: اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾؟

ج: المعنى - والله أعلم - أن الله عزَّ وجلَّ أرسل الرسل وأنزل إليهم الكتب لهداية الناس وللحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون ولتقربهم إلى ربهم وتبين لهم ما يرضيه عنهم وما يسخطه عليهم ، وأنزل كذلك الميزان ليعدل الناس فيما بينهم ويعطي لكل ذي حق حقه ، ولا يبغي أحدٌ على أحدٍ ولا يظلم أحدٌ أحداً.

وما هي بعض أقوال العلماء في ذلك:

أورد الطبري بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد قال: في قوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾؛ قال: الميزان: ما يعمل الناس، ويتعاطون عليه في الدنيا من معاشهم التي يأخذون ويعطون، يأخذون بميزان، ويعطون بميزان، يعرف ما يأخذ وما يعطي. قال: والكتاب فيه دين الناس الذي يعملون ويتركون، فالكتاب للآخرة، والميزان للدنيا.

قال القرطبي - رحمه الله -:

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي بالمعجزات البينة والشرائع الظاهرة. وقيل: الإخلاص لله تعالى في العبادة، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، بذلك دعت الرسل: نوح فمن دونه إلى محمد ﷺ. ﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ أي الكتب، أي أوحينا إليهم خبر ما كان قبلهم ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ قال ابن زيد: هو ما يوزن به ويتعامل ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ أي بالعدل في معاملاتهم. وقوله: ﴿بِالْقِسْطِ﴾ يدل على أنه أراد الميزان المعروف وقال قوم: أراد به العدل.

قال القشيري: وإذا حملناه على الميزان، فالمعنى أنزلنا الكتاب ووضعنا الميزان فهو من باب: عَلَفْتُهَا تَبَنًا وَمَادًا بَارِدًا، ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٧] ثم قال: ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾ [الرحمن: ٩].



س : وَصَّحَ لِمَاذَا أُنْزِلَ الْحَدِيدُ ؟ وَكَيْفَ أُنْزِلَ ؟

ج : أَمَا كَيْفَ أُنْزِلَ - فَاللهُ أَعْلَمُ - بِكَيْفِيَّةِ إِنْزَالِهِ ، وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : أَنَّهُ نَزَلَ مَعَ آدَمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَقِيلَ أَنْزَلْنَا بِمَعْنَى أَنْشَأْنَا وَخَلَقْنَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا لَكُمْ مِنْ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةً أَزْوَاجًا ﴾ [الرَّؤْم: ٦].

أَمَا لِمَاذَا أُنْزِلَ ؟ فَذَلِكَ ، وَاللهُ أَعْلَمُ - لِأُمُورٍ ثَلَاثَةٍ :

أَحَدُهَا : فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ تَصْنَعُ بِهِ السِّيفُ وَأَدْوَاتُ الْقِتَالِ ، وَبِهِ يَرْتَدِّعُ مَنْ يَخَالِفُ وَيَعْتَدِي .

الثَّانِي : فِيهِ أَيْضًا مَنَافِعٌ لِلنَّاسِ تَصْنَعُ مِنْهُ آلَاتٌ يَنْتَفِعُ بِهَا فَمِنْهُ مَصَانِعُ وَمِنْهُ مَاكِينَاتُ ، وَمِنْهُ آلَاتُ الْحَفْرِ وَتَقْطِيعِ الصَّخُورِ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ .

الثَّلَاثُ : يَعْلَمُ أَيْضًا مَنْ يَسْتَخْدِمُ الْحَدِيدَ فِي طَاعَةِ اللهِ وَقِتَالِ الْأَعْدَاءِ وَنَصْرَةِ دِينِ اللهِ وَلِيَعْلَمَ حِزْبُ اللهِ مَنْ يَنْصُرُ دِينَ اللهِ وَرَسُولَهُ .



س : مِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ يَرْبِطُ بَيْنَ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ ﴾ وَبَيْنَ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾ وَضَحَّ وَجْهَ هَذَا الرِّبْطِ ؟

ج : إِضْبَاحُهُ أَنَّ اللهَ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى أَرْسَلَ الْمُرْسَلِينَ ، وَأَنْزَلَ مَعَهُمْ كِتَابًا فِيهَا شَرَائِعُ وَأَحْكَامٌ ، وَتَذَكِيرٌ وَوَعْظٌ فَمَنْ لَمْ يَقْبَلْ عَلَى الشَّرَائِعِ وَالْأَحْكَامِ ، وَمَنْ لَمْ يَنْتَفِعْ بِالتَّذَكِيرِ وَالْوَعْظِ ، وَاسْتَمَرَّ عَلَى حَرْبِهِ وَعِنَادِهِ ، وَفَسَقَهُ وَضَلَالَهُ وَعَدْوَانَهُ فَهَذَا يَرُدُّعُهُ الْحَدِيدُ ، فَهُوَ لَهُ مَنَاسِبٌ ، وَهُوَ بِهِ جَدِيرٌ ، وَاللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ .

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ - رَحِمَهُ اللهُ - :

وَقَوْلُهُ : ﴿ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾ ، أَيُ : وَجَعَلْنَا الْحَدِيدَ رَادَعًا لِمَنْ أَبَى الْحَقَّ وَعَانَدَهُ بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ ؛ وَلِهَذَا أَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَكَّةَ بَعْدَ النَّبُوءَةِ ثَلَاثَ عَشْرَةِ سَنَةٍ تَوْحَى إِلَيْهِ السُّورَ الْمَكِّيَّةَ ، وَكُلَّهَا جَدَالٌ مَعَ الْمُشْرِكِينَ ، وَبَيَانٌ وَإِضْبَاحٌ لِلتَّوْحِيدِ ، وَتَبْيَانٌ وَدَلَالٌ ، فَلَمَّا قَامَتِ الْحُجَّةُ عَلَى مَنْ خَالَفَ مِنْهُمْ ، شَرَعَ اللهُ الْهَجْرَةَ ، وَأَمْرَهُمْ بِالْقِتَالِ بِالسِّيفِ ، وَضَرْبِ الرِّقَابِ وَالْهَامِ لِمَنْ خَالَفَ الْقُرْآنَ وَكَذَّبَ بِهِ وَعَانَدَهُ .

قال الشنقيطي رحمه الله في «أضواء البيان»:

قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾.

بين الله - جل وعلا - في هذه الآية الكريمة والتي قبلها ، أن إقامة دين الإسلام تنبني على أمرين : أحدهما هو ما ذكر بقوله : ﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾ لأن في ذلك إقامة البراهين على الحق، وبين الحجة وإيضاح الأمر والنهي والثواب والعقاب ، فإذا أصر الكفار على الكفر وتكذيب الرسل مع ذلك البيان والإيضاح ، فإن الله تبارك وتعالى أنزل الحديد أي خلقه لبني آدم ليردع به المؤمنون الكافرين المعاندين، وهو قتلهم إياهم بالسيوف والرماح والسهام ، وعلى هذا فقوله هنا : ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ توضحه آيات كثيرة ، كقوله تعالى : ﴿فَتَلَوُّهُمُ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَتُخْزِيهِمْ وَيَنْصُرُكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٤]، وقوله تعالى : ﴿فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢]، والآيات في مثل ذلك كثيرة معلومة، وقوله : ﴿وَمَنْفَعُ النَّاسِ﴾، لا يخفى ما في الحديد من المنافع للناس ، وقد أشار الله إلى ذلك في قوله: ﴿وَمَا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ﴾ [الرعد: ١٧] لأن مما يوقد عليه في النار ابتغاء المتاع الحديد.



س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿وَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلُهُ بِالْغَيْبِ﴾ ؟

ج : المعنى - والله أعلم - من نيته من حمل السلاح نصره الله ورسله وهم لا يرون ربهم عز وجل.



س : وضح المراد بقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ؟

ج : المعنى - والله أعلم - إن الله قوي لا يغلب ولا يمنعه مما أراد مانع ، بل أمره نافذ في خلقه ولا يحتاج إلى أحد ينصره ، بل هو الناصر ، فقوله تعالى : ﴿وَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ لا يفيد أن الله في حاجة إلى نصره أحد له ، بل الله قوي عزيز وإنما شرع الجهاد ليلو بعضهم ببعض.

قال الطبري - رحمه الله -: وقوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ يقول تعالى ذكره : «إن الله قوي على الانتصار ممن بارزه بالمعاداة ، وخالف أمره ونهيه ، عزيز في انتقامه منهم ، لا يقدر أحد على الانتصار منه مما أحل به من العقوبة» .



س : لماذا خُصَّ نوحٌ وإبراهيمُ - عليهما السلام - بالذكر بعد أن ذكر الرسل عموماً ؟

ج : ذلك - والله أعلم - لفضلهما ، ولتقدمهما في الزمن ، وأيضاً فهما من أولي العزم من الرسل ، ونوح أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض وإبراهيم هو خليل الله عزَّ وجلَّ .



س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ ؟

ج : قال القرطبي - رحمه الله - :

(جعلنا بعض ذريتهما الأنبياء ، وبعضهم أمماً يتلون الكتب المنزلة من السماء ، التوراة والإنجيل والزبور والفرقان) .



س : في قوله تعالى : ﴿فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ دليل أن البشر لا يملكون لأحد الهداية مهما بلغت مراتبهم وضح ذلك ؟

ج : إيضاحه أن نوحاً عليه السلام - وهو أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض - وكذا خليل الرحمن إبراهيم - عليه السلام - من ذريتهما المهتدي ، وكثيرٌ منهم فاسقون فلم يملك نوحٌ عليه السلام ولم يملك إبراهيم عليه السلام لعموم ذريتهما الهداية .



س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَنَا بِدَعْوِهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ ؟

ج : المعنى - والله تعالى أعلم - وجعلنا في قلوب الذين اتبعوا عيسى - عليه السلام

- وصاروا على نهجه وشريعته ودينه رافة (وهي أشد الرحمة) ، وقيل : مودة ورحمة وفي قلوب بعضهم رحمة ، ولكنهم - أي الذين اتبعوه - أحدثوا رهبانيةً وألزموا أنفسهم بها ، ألزموا أنفسهم أن يترهبوا ويتفرغوا لعبادة الرب على طريقة معينة وأخذوا ذلك على أنفسهم قربة إلى الله وطلباً لمرضاته؛ ولكنهم لم يفوا بها أخذوه على أنفسهم وبما قطعوه عليها بل فرطوا في ذلك تفريطاً وأخل بعضهم بذلك إخلالاً. فقلوه تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَافَةً وَرَحْمَةً ﴾ فهاتان من الله قذف الله في قلوبهم الرافة والرحمة.

أما الترهّب ، فلم يكلفهم الله به ولم يأمرهم الله به ، بل هم الذين افترضوا ذلك على أنفسهم ، كالذي يأخذ على نفسه عهداً ، أو ينذر نذراً ولا يفى به .

وهذه بعض أقوال العلماء في ذلك :

أخرج الطبري بسند حسن عن قتادة قال :

﴿ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَافَةً وَرَحْمَةً ﴾ فهاتان من الله ، والرهبانية ابتدعها قوم من أنفسهم ، ولم تُكتب عليهم ، ولكن ابتغوا بذلك وأرادوا رضوان الله ، فما رعوها حق رعايتها ، ذكر لنا أنهم رفضوا النساء ، واتخذوا الصوامع .

وبسند صحيح عن ابن زيد في قوله : ﴿ مَا كُتِبَتْهَا عَلَيْهِمْ ﴾ قال : فلم ؟ قال : ابتدعوها ابتغاء رضوان الله تطوعاً ، فما رعوها حق رعايتها .

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - : وقوله : ﴿ فَمَارَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾ ، أي : فما قاموا بها التزامه حق القيام . وهذا ذم لهم من وجهين ؛ أحدهما : في الابتداء في دين الله ما لم يأمر به الله . والثاني : في عدم قيامهم بها التزامه مما زعموا أنه قربة يقربهم إلى الله - عز وجل - .

وقال القرطبي - رحمه الله - : ﴿ مَا كُتِبَتْهَا عَلَيْهِمْ ﴾ أي ما فرضناها عليهم ولا أمرناهم بها ، قاله ابن زيد . قوله تعالى : ﴿ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ ﴾ أي : ما أمرناهم إلا بما يرضي الله ، قاله ابن مسلم ، وقال الزجاج : ﴿ مَا كُتِبَتْهَا عَلَيْهِمْ ﴾ معناه لم نكتب عليهم شيئاً البتة . ويكون : ﴿ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ ﴾ بدلاً من الهاء والألف في ﴿ كُتِبَتْهَا ﴾ والمعنى : ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله . وقيل : ﴿ إِلَّا ابْتِغَاءَ ﴾ الاستثناء منقطع ، والتقدير

ما كتبناها عليهم لكن ابتدعوها ابتغاء رضوان الله. ﴿فَمَارَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ أي: فما قاموا بها حق القيام. وهذا خصوص، لأن الذين لم يرعوها بعض القوم، وإنما تسبوا بالترهب إلى طلب الرياسة على الناس وأكل أموالهم، كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤] وهذا في قوم أذاهم الترهب إلى طلب الرياسة في آخر الأمر.

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى -: عقب إيراد هذا الأثر المطول عن ابن عباس - رضي الله عنهما -: هذا السياق فيه غرابة.



س : الرحمة الموجودة في القلوب هي من الله، دَلِّلْ على ذلك ؟

ج : من الأدلة على ذلك ما يلي :

قوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾، وقوله تعالى في شأن يحيى بن زكريا - عليهما السلام -: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ١٣].

ولقد قال النبي ﷺ للأقرع بن حابس: «وما أملك لك إن كان الله نزع الرحمة من قلبك».



س : ما حكم النذر؟ وما معناه؟

ج : أما عن معنى النذر، فقد قيل في معناه: إنه النحب (كالمذكور في قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾ [الأحزاب: ٢٣] أما النحب فقليل هو العهد، أما تعريفه الشرعي فهو إلزام الشخص نفسه بفعل شيءٍ إما معلقاً على حدوث شيءٍ أو منجزاً كأن يقول: لله علي إن نجح ولدي أن أفعل كذا، أو أن يقول: لله عزمْتُ أن أفعل كذا (دون تعليق على نجاح الولد).

أما عن حكمه فهو في الجملة مكروه لقول النبي ﷺ: «لا تندرُوا فإن النذر لا يُغني من القدر شيئاً، وإنما يستخرج به من البخيل»^(١).

وهذا النذر يبدو أنه نذر المجازاة أو ما يسميه البعض بالعِوض أو المقابلة ، أما نذر الابتداء وهو قول القائل: الله علي أن أفعل كذا ، دون التعليق على حدوث شيء ، فهذا أخف في الكراهة والله أعلم. لكن من نذر لزمه الوفاء ما دام النذر ليس في معصية، وذلك لقوله تعالى : ﴿يُؤْتُونَ بِالْذِّكْرِ﴾ [الإنسان: ٧].



س: اذكر بعض صور تلك الرهبانية ؟ ومن الذين ابتدعوها ؟

ج : أما الذين ابتدعوها فهم النصارى ، أما هذه الرهبانية فمن صورها أنهم حرّموا على أنفسهم بعض المطاعم والمشارب والمناكح. ومنها أنهم اعتزلوا الناس وعاشوا في الصوامع والفيافي والقفار. وذهب بعضهم إلى الاختصاص فاخصى حتى لا يغشى النساء.



س : هل الرهبانية جائزة في شريعتنا ؟

ج : لم يشرع في ديننا هذا الترهّب ، ولا تلك الرهبانية وقد ردّ النبي ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل (أي: لما أراد الاختصاص والانقطاع للعبادة ردّ النبي ذلك عليه ومنعه منه).

وهؤلاء نفر الثلاثة الذين أتوا بيوت النبي ﷺ وسألوه عن عبادته ، وكأنهم تقالوها (رأوها قليلة) فقال أحدهم: أما أنا فلا أكل اللحم ، وقال الآخر: أما أنا فأصوم ولا أفطر ، وقال الثالث: أما أنا فأعتزل النساء ولا أتزوج ، وقال الرابع: أما أنا فأقوم ولا أنام ، فردّ النبي ﷺ كلّ ذلك عليهم والحديث بذلك في الصحيحين من حديث أنس ابن مالك ^(١) - رضي الله عنه - قال : « جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها ، فقالوا : وأين نحن من النبي ﷺ ؟ قد غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر . قال أحدهم : أما أنا فأنا أصلي الليل أبداً . وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر . وقال آخر : أنا أعتزل النساء

(١) البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (حديث ١٤٠١).

فلا أتزوج أبداً . فجاء رسول الله ﷺ فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني .



س : أيهما أفضل ، الاختلاط بالناس أم اعتزالهم ؟

ج : في الجملة فالاختلاط بالناس في الخير ومشاركتهم فيه أفضل من الانفراد والعزلة فشهود الجنائز وإرشاد الضال وشهود الجماعات والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعليم الجاهل وعيادة المريض وغير ذلك من أعمال البر ، كلها فيها خير .

أما إذا لم يستطع الشخص فعل معروف أو إرشاد ضال أو النهي عن المنكر ، بل كان هو نفسه سيقع في منكرات ، فالأولى له حينئذ الاعتزال .

أما الأدلة على ما ذكر فمنها قول رسول الله ﷺ : « المسلم إذا كان مخالطاً للناس ويصبر على أذاهم خير من المسلم الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم »^(١) .
وأيضاً فقد قال الله تبارك وتعالى : ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ .

وقال تعالى : ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال : ٢٥] .

وقال الحافظ ابن حجر « فتح الباري » (١٣ / ٤٢) :

(وقد اختلف السلف في أصل العزلة ، فقال الجمهور : الاختلاط أولى ؛ لما فيه من اكتساب الفوائد الدينية للقيام بشعائر الإسلام وتكثير سواد المسلمين وإيصال أنواع الخير إليهم من إعانة وإغاثة وعيادة وغير ذلك . وقال قوم : العزلة أولى لتحقيق السلامة ، بشرط : معرفة ما يتعين) .

وقال النووي : (المختار تفضيل المخالطة لمن لا يغلب على ظنه أنه يقع في معصية فإن أشكل الأمر فالعزلة أولى . وقال غيره : يختلف الأحوال فإن تعارضا اختلف باختلاف الأوقات ، فمن يتحتم عليه المخالطة من كانت له قدرة على إزالة المنكر ،

(١) صحيح ، أخرجه الترمذي (٢٥٠٧) ، وأحمد (٣٦٥/٥) وغيرهما .

فيجب عليه إما عيناً وإما كفاية بحسب الحال والإمكان، وممن يترجح من يغلب على ظنه أنه يسلم في نفسه إذا قام في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وممن يستوي من يأمن على نفسه، ولكنه يتحقق أنه لا يطاع، وهذا حيث لا يكون هناك فتنة عامة، فإن وقعت الفتنة ترجحت العزلة لما ينشأ فيها غالباً من الوقوع في المحذور، وقد تقع العقوبة بأصحاب الفتنة فتعم من ليس من أهلها، كما قال تعالى: ﴿وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥]

قلت: وقد ورد في الباب حديث: «المسلم الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المسلم الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم»^(١).
هذا وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - كما في «مجموع الفتاوى» (١٠ / ٤٢٥):

هل الأفضل للسالك العزلة أو الخلطة؟

فأجاب: هذه المسألة وإن كان الناس يتنازعون فيها إما نزاعاً كلياً، وإما حالياً، فحقيقة الأمر: «الخلطة» تارة تكون واجبة، أو مستحبة، والشخص الواحد قد يكون مأموراً بالمخالطة تارة، وبالانفراد تارة، وجماع ذلك: أن «المخالطة» إن كان فيها تعاون على البر والتقوى فهي مأمور بها، وإن كان فيها تعاون على الإثم والعدوان فهي منهي عنها، فالاختلاط بالمسلمين في جنس العبادات، كالصلوات الخمس والجمعة والعيدين وصلاة الكسوف وصلاة الاستسقاء، ونحو ذلك، هو مما أمر الله به ورسوله.

وكذلك الاختلاط بهم في الحج وفي غزو الكفار والخوارج المارقين، وإن كان أئمة ذلك فجاراً وإن كان في تلك الجماعات فجار، وكذلك الاجتماع الذي يزداد العبد به إيماناً إما لانتفاعه به، وإما لنفعه له ونحو ذلك.

ولا بُد للعبد من أوقات ينفر بها بنفسه في دعائه وذكره وصلاته وفكره ومحاسبة نفسه وإصلاح قلبه، وما يختص به من الأمور التي لا يشركه فيها غيره، فهذه يحتاج فيها إلى انفراده بنفسه، إما في بيته كما قال طاووس: (نعم صومعة الرجل بيته؛ يكف

بها بصره ولسانه) وإما في غير بيته.

فاختيار المخالطة مُطلقاً خطأ، واختيار الانفراد مُطلقاً خطأ، وأما مقدار ما يحتاج إليه كل إنسانٍ من هذا وهذا، وما هو الإصلاح له في كل حال، فهذا يحتاج إلى نظرٍ خاصٍّ كما تقدّم.



س : هل الذين ابتدعوا الرهبانية هم الذين لم يرعوها حق رعايتها أو أن غيرهم ممن أراد السير على طريقهم هم الذين ما رعوها حق رعايتها ؟

ج : الظاهر، - والله أعلم - أن الذين ابتدعوها هم الذين لم يرعوها حق رعايتها، وذلك لقوله تعالى ﴿ابْتَدَعُوهَا﴾ ثم قوله : ﴿فَمَارَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ ولا يمنع أن يكون هناك قوم من الذين جاءوا من بعدهم وأرادوا الاقتداء بهم لم يرعوها حق رعايتها ومع ذلك فلاهل العلم قولان، واللغة قد تقويها :

أحدهما: أن الذين ابتدعوها هم الذين لم يرعوها حق رعايتها كما قدمنا.

والثاني: أن الذين لم يرعوها حق رعايتها هم قومٌ جاءوا من بعد الذين ابتدعوها، وأرادوا السير على نهج الذين ابتدعوا تلك الرهبانية، ولكنهم فشلوا في ذلك، وما استطاعوا القيام به، ولا السير على ما ألزموا أنفسهم به، بل كان أكثرهم فسقة يظهر للناس أنه راهب ومترهب ثم هو يخون تلك الرهبانية التي فرضها على نفسه.

فهذان الوجهان المذكوران في تفسير الآية الكريمة .

قال الطبري رحمه الله تعالى :

واختلف أهل التأويل في الذين لم يرعوا الرهبانية حق رعايتها، فقال بعضهم: هم الذين ابتدعوها، لم يقوموا بها، ولكنهم بدّلوا وخالفوا دين الله الذي بعث به عيسى : فتنصروا وتهودوا.

وقال آخرون : بل هم قوم جاءوا من بعد الذين ابتدعوها فلم يرعوها حق رعايتها؛ لأنهم كانوا كفاراً، ولكنهم قالوا : نفعل كالذي كانوا يفعلون من ذلك أولئاً،

فهم الذين وصف الله بأنهم لم يرعوها حق رعايتها.

وأخرج الطبري بسند حسن عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال:

كانت ملوكٌ بعد عيسى بدّلوا التوراة والإنجيل ، وكان فيهم مؤمنون يقرءون التوراة والإنجيل ، فقليلٌ لملكهم: ما نجد شيئاً أشدّ علينا من شتم يشتمناه هؤلاء أنهم يقرءون: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤] هؤلاء الآيات مع ما يعيبننا به في قراءتهم ، فادعهم فليقرءوا كما نقرأ ، وليؤمنوا كما آمنّا به . قال : فدعاهم فجمعهم وعرض عليهم القتل ، أو يتركوا قراءة التوراة والإنجيل ، إلا ما بدّلوا منها ، فقالوا : ما تريدون إلى ذلك فدعونا ؛ قال : فقالت طائفة منهم : ابنوا لنا أسطوانة ، ثم ارفعونا إليها ، ثم أعطونا شيئاً نرفع به طعامنا وشرابنا ، فلا نردّ عليكم ، وقالت طائفة منهم : دعونا نسيح في الأرض ، ونهيم ونشرب كما تشرب الوحوش ، فإن قدرتم علينا بأرضكم فاقتلونا ، وقالت طائفة : ابنوا لنا دوراً في الفياقي ، ونحتفر الآبار ، ونحترث البقول ، فلا نردّ عليكم ، ولا نمربكم ، وليس أحد من أولئك إلا وله حميم فيهم ؛ قال : ففعلوا ذلك ، فأنزل الله جلّ ثناؤه : ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَارِعُوهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ الآخرون قالوا : نتعبد كما تعبد فلان ، ونسيح كما ساح فلان ، ونتخذ دوراً كما اتخذ فلان ، وهم على شركهم لا علم لهم بإيمان الذين اقتدوا بهم ؛ قال : فلما بعث النبي ﷺ ولم يبق منهم إلا قليل ، انحطّ رجل من صومعته ، وجاء سائح من سياحته ، وجاء صاحب الدار من داره ، وآمنوا به وصدّقوه ، فقال الله جلّ ثناؤه : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَاٰمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ قال : أجرين لإيمانهم بعيسى ، وتصديقهم بالتوراة والإنجيل ، وإيمانهم بمحمد ﷺ وتصديقهم به . قال : ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ القرآن ، واتباعهم النبي ﷺ ؛ قال : ﴿لَا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ إِلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ . واختار الطبري - رحمه الله تعالى - أن من الذين لم يرعوها حق رعايتها طائفة من الذين ابتدعوها ، ولا يمنع أن يكون غيرهم

أيضاً ممن أراد الاقتداء بهم لم يرعها حق رعايتها.

قال الطبري رحمه الله :

وأولى الأقوال في ذلك بالصحة أن يقال: إن الذين وصفهم الله بأنهم لم يرعوا الرهبانية حق رعايتها، بعض الطوائف التي ابتدعتها، وذلك أن الله جل ثناؤه أخبر أنه أتى الذين آمنوا منهم أجرهم؛ قال: فدل بذلك على أن منهم من قد رعاها حق رعايتها، فلو لم يكن منهم من كان كذلك لم يكن مستحق الأجر الذي قال جل ثناؤه: ﴿فَتَاتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ إلا أن الذين لم يرعوها حق رعايتها ممكن أن يكونوا كانوا على عهد الذين ابتدعوها، وممكن أن يكونوا كانوا بعدهم، لأن الذين هم من أبنائهم إذا لم يكونوا رعوها، فجائز في كلام العرب أن يقال: لم يرعها القوم على العموم. والمراد منهم البعض الحاضر، وقد مضى نظير ذلك في مواضع كثيرة من هذا الكتاب.

وقال الرازي رحمه الله :

أما قوله تعالى: ﴿فَمَارَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَتَاتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِيقُونَ﴾ فيه أقوال: (أحدها): أن هؤلاء الذين ابتدعوا هذه الرهبانية ما رعوها حق رعايتها، بل ضموا إليها التثليث والاتحاد، وأقام أناس منهم على دين عيسى حتى أدركوا محمداً عليه الصلاة والسلام فآمنوا به فهو قوله: ﴿فَتَاتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِيقُونَ﴾.

(وثانيها): أنا ما كتبنا عليهم تلك الرهبانية إلا ليتوسلوا بها إلى مرضاة الله تعالى، ثم إنهم أتوا بتلك الأفعال، لكن لا لهذا الوجه. بل لوجه آخر، وهو طلب الدنيا والرياء والسمعة.

(وثالثها): أنا لما كتبناها عليهم تركوها، فيكون ذلك ذمّاً لهم من حيث إنهم تركوا الواجب.

(ورابعها): أن الذين لم يرعوها حق رعايتها هم الذين أدركوا محمداً عليه الصلاة والسلام، ولم يؤمنوا به.



س : وَضَحَ معنى قوله تعالى : ﴿فَاتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ ؟

ج : قال الطبري رحمه الله في تفسيره :

وقوله : ﴿فَاتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره : فأعطينا الذين آمنوا

بالله ورسله من هؤلاء الذين ابتدعوا الرهبانية ثوابهم على ابتغائهم رضوان الله ، وإيمانهم به وبرسوله في الآخرة ، وكثير منهم أهل معاصي ، وخروج عن طاعته والإيمان به .



س : مَنْ الَّذِينَ عَنَاهُمْ اللَّهُ بِقَوْلِهِ : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَقُوا اللَّهَ ءَامَنُوا

بِرَسُولِهِ... ؟

ج : المراد - والله أعلم - أهل الكتاب الذين آمنوا بأنبيائهم ، فقبل هؤلاء : اتقوا

الله وآمنوا برسوله محمد ﷺ . وما يدل على هذا التأويل قوله تعالى : ﴿يُؤْتِيَكُمْ كَفَالَيْنِ مِنْ

رَحْمَتِهِ﴾ وبضميمه قوله ﷺ : « ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين رجل من أهل الكتاب آمن

بنييه وآمن بمحمد ﷺ ... » الحديث ^(١)

وأخرج الطبري بإسناد حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما :

﴿يُؤْتِيَكُمْ كَفَالَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ قال : أجرين : إيمانهم بمحمد ﷺ ، وإيمانهم بعبسى

ﷺ ، والتوراة والإنجيل .

أما الشنقيطي - رحمه الله - فقد قال :

(قد قدمنا أن التحقيق أن هذه الآية الكريمة من سورة الحديد في المؤمنين من

هذه الأمة ، وأن سياقها واضح في ذلك ، وأن من زعم من أهل العلم أنها في أهل

الكتاب فقد غلط ، وأن ما وعد الله به المؤمنين من هذه الأمة أعظم مما وعد به مؤمني

أهل الكتاب وإتيانهم أجرهم مرتين كما قال تعالى فيهم : ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ

هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ أَنْبَأْنَا عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَامَنَّا بِهِ ءَ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُولَئِكَ

يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾ الآية [القصص: ٥٢-٥٤] .

وكون ما وعد به المؤمنين من هذه الأمة أعظم أن إيتاء أهل الكتاب أجرهم مرتين أعطى المؤمنين من هذه الأمة مثله كما بينه بقوله : ﴿يُؤْتِيَكُمُ كَفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ ، وزادهم بقوله : ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَبَعَثَ لَكُمْ﴾ .

هذا ، وقد أخرج الطبري بسندٍ فيه ضعفٌ لإرساله من طريق سعيد بن جبير قال : (بعث النبي ﷺ جعفرًا في سبعين راكبًا إلى النجاشي يدعوه ، فقدم عليه ، فدعاه فاستجاب له وآمن به ؛ فلما كان عند انصرافه قال ناس ممن قد آمن به من أهل مملكته وهم أربعون رجلًا : ائذن لنا ، فنأتي هذا النبي ، فنسلم به ، ونساعد هؤلاء في البحر ، فإننا أعلم بالبحر منهم ، فقدموا مع جعفر على النبي ﷺ ، وقد تهبأ النبي ﷺ لوقعة أُحُدٍ ؛ فلما رأوا ما بالمسلمين من الخصاصة وشدة الحال ، استأذنوا النبي ﷺ ، قالوا : يا نبي الله إن لنا أموالًا ونحن نرى ما بالمسلمين من الخصاصة ، فإن أذنت لنا انصرفنا ، فجئنا بأموالنا ، وواسينا المسلمين بها ، فأذن لهم ، فانصرفوا ، فأتوا بأموالهم ، فواسوا بها المسلمين ، فأنزل الله فيهم : ﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ ... [القصص: ٥٢] إلى قوله : ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [القصص: ٥٤] فكانت النفقة التي واسوا بها المسلمين ؛ فلما سمع أهل الكتاب ممن لم يؤمن بقوله : ﴿يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾ [القصص: ٥٤] فخروا على المسلمين فقالوا : يا معشر المسلمين ، أما من آمن منا بكتابكم وكتابنا ، فله أجره مرتين ، ومن لم يؤمن بكتابكم فله أجر كأجوركم ، فما فضلكم علينا ، فأنزل الله : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنُتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِيَكُمْ كَفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ فجعل لهم أجرهم ، وزادهم النور والمغفرة ، ثم قال : «لكيلا يعلم أهل الكتاب» وهكذا قرأها سعيد بن جبير «لكيلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرُونَ على شيء» .

قال القرطبي - رحمه الله تعالى - :

في معنى هذه الآية الكريمة قوله تعالى : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي آمنوا بموسى وعيسى ﴿أُتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ﴾ بمحمد ﷺ ﴿يُؤْتِيَكُمْ كَفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ أي مثلين من الأجر على إيمانكم بعيسى ومحمد ﷺ ، وهذا مثل قوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ

مَرَّتَيْنِ يَمَّا صَبَرُوا ﴿[القصص: ٥٤].



س : ما هذا النور المذكور في قوله تعالى : ﴿وَجَعَلَ لَكُم نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال :

أحدها : أن النور الكتاب والسنة .

أخرج الطبري بسند حسن عن ابن عباس قال : ﴿وَجَعَلَ لَكُم نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾

قال : الفرقان واتباعهم النبي ﷺ .

قال آخرون : هو الهدى .

قال الطبري رحمه الله :

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله تعالى ذكره وعد هؤلاء القوم

أن يجعل لهم نورًا يمشون به ، والقرآن ، مع اتباع رسول الله ﷺ نور لمن آمن بهما وصدقهما وهدى ، لأن من آمن بذلك ، فقد اهتدى .

قال القرطبي رحمه الله :

﴿وَجَعَلَ لَكُم نُورًا﴾ أي : بيانًا وهدى ، عن مجاهد . وقال ابن عباس : هو القرآن .

وقيل : ضياء ﴿تَمْشُونَ بِهِ﴾ في الآخرة على الصراط ، وفي القيامة إلى الجنة . وقيل تمشون به في الناس تدعونهم إلى الإسلام فتكونون رؤساء في دين الإسلام لا تزول عنكم رئاسة كتتم فيها . وذلك أنهم خافوا أن تزول رياستهم لو آمنوا بمحمد عليه السلام . وإنما كان يفوتهم أخذ رشوة يسيرة من الضعفة بتحريف أحكام الله ، لا الرئاسة الحقيقية .



س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿لِتَلَامَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى

شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ ؟

ج : قال الطبري - رحمه الله - في معناها : يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبمحمد

ﷺ من أهل الكتاب: يفعل بكم ربكم هذا لكي يعلم أهل الكتاب أنهم لا يقدرُونَ على شيء من فضل الله الذي أتاكم وخصكم به ، لأنهم كانوا يرون أن الله قد فضّلهم على جميع الخلق ، فأعلمهم الله جلّ ثناؤه أنه قد أتى أمة محمد ﷺ من الفضل والكرامة ، ما لم يؤتهم ، وأن أهل الكتاب حسدوا المؤمنين لما نزل قوله : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَجَعَلَ لَكُم نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَبَغَفَرَ لَكُم وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ فقال الله عزّ وجلّ : فعلت ذلك ليعلم أهل الكتاب أنهم لا يقدرُونَ على شيء من فضل الله وذهب بعض العلماء في تفسير الآية الكريمة مذهباً آخر ، حاصله (ليعلم اليهود) أن النبوة والهداية ليست بأيديهم إنما هي فضل الله يؤتيه من يشاء .

وذلك أن اليهود كانوا يستفتحون على الذين كفروا ، يهود المدينة كانوا يقولون للكفار من الأوس والخزرج قبل مبعث النبي ﷺ : سيخرج نبي نبتعه نقاتلكم نحن وهو قتل عادٍ وثمود ، وكانوا يتعالون على الأوس والخزرج بهذا ويتعاضمون ، فلما بعث الله نبيه محمداً ﷺ كفر اليهود إلا القليل ، وآمنت الأوس والخزرج .



س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ ﴾ !

ج : معناها ليعلم .

قال الطبري رحمه الله : وقيل ﴿ لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ ﴾ إنما هو ليعلم : وذكر أن ذلك في قراءة عبدالله : ﴿ لَكُمِّي يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَا يَقْدِرُونَ ﴾ لأن العرب تجعل «لا» صلة في كل كلام دخل في أوله أو آخره جحد غير مصرّح ، كقوله في الجحد السابق ، الذي لم يصرح به ﴿ مَا مَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾ [الأعراف: ١٢] ، قوله : ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام: ١٠٩] ، وقوله : ﴿ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا ﴾ ... الآية [الأنبياء: ٩٥] ، معنى ذلك : أهلكتناها أنهم يرجعون .

قال السعدي رحمه الله :

وقوله : ﴿ لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ ﴾ أي : بينا لكم فضلنا وإحساننا لمن آمن إيماناً عامّاً ، واتقى الله ، وآمن برسوله ، لأجل أن يكون عند أهل

الكتاب علم، بأنهم لا يقدرّون على شيء من فضل الله، أي: لا يحجرون على الله، بحسب أهوائهم وعقولهم الفاسدة، فيقولون: ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَى﴾، ويتمنون على الله الأمانى الفاسدة. فأخبر الله تعالى المؤمنين برسوله، محمد ﷺ، المتقين لله أن لهم كفلين من رحمته، ونورًا، ومغفرة، رغبًا على أنوف أهل الكتاب.

وليعلموا: ﴿إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٧٣] ممن اقتضت حكمته تعالى أن يؤتيه من فضله ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ الذي لا يقادر قدره.



س: وضح قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾؟

ج: المعنى - والله أعلم - أن الإكرام والجزاء الحسن يتفضل الله به على من يشاء من خلقه، وهو الذي قد تفضل على هذه الأمة - أمة محمد ﷺ - بأن جعلها خير أمة أُخرجت للناس.

قال الشنقيطي في «أضواء البيان»: قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿ما تضمنته هذه الآية الكريمة من أن الفضل بيد الله وحده وأنه يؤتيه من يشاء جاء موضحًا في آيات كثيرة كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يُرِيدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ [يونس: ١٠٧]. وقد قدمنا الآيات الموضحة له في أول سورة فاطر في الكلام على قوله تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾.



فهرست الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٥	المقدمة
٧	تفسير سورة الذاريات
	تفسير الآيات من قوله: ﴿وَالَّذِينَ ذَرَوْا﴾
٧	إلى قوله: ﴿ذُوقُوا فَنُتَكِرْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾
	تفسير الآيات من قوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾
١٨	إلى قوله: ﴿قَرِيبَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾
	تفسير الآيات من قوله: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثُ صَبِيفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾
٣٤	إلى قوله: ﴿وَتَرَكَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾
٤٦	طائفة من الفوائد والحكم والأحكام في قصة إبراهيم عليه السلام
	تفسير الآيات من قوله: ﴿وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾
٦٠	إلى قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾
٨٦	تفسير سورة الطور
	تفسير الآيات من قوله: ﴿وَالطُّورِ﴾
٨٦	إلى قوله: ﴿أَصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾
	تفسير الآيات من قوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾
٩٦	إلى قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾
	تفسير الآيات من قوله: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾
١١١	إلى قوله: ﴿وَمِنْ أَيْلٍ فَسَيَّحَهُ وَيَدْبُرُ النُّجُومَ﴾

١٣٥

تفسير سورة النجم

تفسير الآيات من قوله: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾

١٣٥

إلى قوله: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾

١٥٧

سدره المنتهى

١٦٥

قصة الغرائق

تفسير الآيات من قوله: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ﴾

١٩٢

إلى قوله: ﴿فَاسْجُدْ لِلَّهِ وَاعْبُدْ﴾

٢٢١

تفسير سورة القمر

تفسير الآيات من قوله: ﴿أَفَتَرَبَّ السَّاعَةِ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾

٢٢١

إلى قوله: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾

تفسير الآيات من قوله: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرٍ﴾

٢٤٥

إلى قوله: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾

تفسير الآيات من قوله: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾

٢٥٠

إلى قوله: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾

تفسير الآيات من قوله: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ﴾

٢٦٠

إلى قوله: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾

تفسير الآيات من قوله: ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ﴾

٢٦٧

إلى قوله: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقَدِّرٍ﴾

٢٨٠

تفسير سورة الرحمن

تفسير الآيات من قوله: ﴿الرَّحْمَنُ﴾

٢٨٠

إلى قوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾

تفسير الآيات من قوله: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

٣٠٣

إلى قوله: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾

٣٢١

بحث موسع عن النار وأهلها الأشرار

- ٣٢٨ أمور في الدنيا تذكر بنار الآخرة
 ٣٣٧ الحشر إلى النار وبعض مشاهدته
 ٣٤٨ ومن صور العذاب
 ٣٥٨ خلود أهل النار وبقاؤهم فيها
 تفسير الآيات من قوله: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾
 إلى قوله: ﴿نَبِّزَكَ أَنتُمْ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾
 ٣٦٩ بحث موسع حول الجنة - جعلنا الله من أهلها -
 ٣٧٥ وصف الجنة
 ٣٧٩ نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أول من تفتح له الجنة
 ٣٨٧ فاكهة الجنة وثمرها
 ٤٠١ سرر الجنة وفرشها ووسائلها
 ٤٠٤ نساء أهل الجنة
 ٤١٢ تكليم الله لأهل الجنة
 ٤٢٧ أشعار منتقاة في وصف جنات النعيم
 ٤٤٠
 ٤٥٣ تفسير سورة الواقعة
 تفسير الآيات من قوله: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾
 إلى قوله: ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَمًا سَلَمًا﴾
 ٤٥٣ تفسير الآيات من قوله: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾
 إلى قوله: ﴿وَنُفْلَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾
 ٤٧٢ تفسير الآيات من قوله: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾
 إلى قوله: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾
 ٤٧٦ تفسير الآيات من قوله: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ﴾
 إلى قوله: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾
 ٤٩٧

تفسير سورة الحديد

- تفسير الآيات من قوله: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾
إلى قوله: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَتْكُمُ النَّارُ هِيَ
مَوْلَانَكُمْ وَيَسَّ الْمَصِيرُ﴾ ٥١٧
- تفسير الآيات من قوله: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾
إلى قوله: ﴿...وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ ٥٤٦
- تفسير الآيات من قوله: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ﴾
إلى قوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ ٥٥٥
- تفسير الآيات من قوله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾
إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ ٥٦٨

